مركز فقه الأئمة الأطهار عليهم السلام
١٩٩

بحوث في المهدوية

مجموعة مقالات ومحاضرات الاستاذ المحقق الفقيه المدقّق
سماحة آية الله الحاج الشيخ محمد جواد الفاضل اللنكراني دام ظله

باهتمام
محمد حسن دانش

بحوث في المهدوية

مجموعة مقالات ومحاضرات الاستاذ المحقق الفقيه المدقق

سماحة آية الله الحاج الشيخ محمد جواد الفاضل اللنكراني دام ظله

باهتمام

محمد حسن دانش

➢ سرشناسه: فاضل لنکرانی، محمدجواد، ۱۳٤۱ ـ .
➢ عنوان و نام پدیدآور: بحوث فی المهدویة / محمدجواد فاضل لنکرانی.
➢ مشخصات نشر: قم: مرکز فقهی ائمه اطهار علیهم‌السلام، ۱۳۹۵.
➢ مشخصات ظاهری: ۳۹۵ ص.
➢ شابک: ۲ ـ ۰۵٤ ـ ۳۸۸ ـ ٦۰۰ ـ ۹۷۸
➢ وضعیت فهرست‌نویسی: فیپا.
➢ موضوع: محمد بن حسن(عج) ـ امام دوازدهم، ۲۵۵ق ـ .
➢ موضوع: مهدویت
➢ رده‌بندی کنگره: ۱۳۹۵ ۳ ب ۲ ف/ ٤ / BP۲۲٤
➢ رده‌بندی دیویی: ۲۹۷/٤٦۲
➢ شماره کتابشناسی ملی: ٤٦۰۰٤۰۳

انتشارات مرکز فقهی ائمه اطهار

بحوث فی المهدویة

ناشر: مرکز فقهی ائمه اطهار علیهم‌السلام

حضرت آیت‌الله محمدجواد فاضل لنکرانی ○ باهتمام: محمدحسن دانش
نوبت چاپ: اول / ۱۳۹۵ ○ شمارگان: ۳۰۰ نسخه
قیمت: ۲۰۰۰۰ تومان ○ چاپ: چاپخانه یاران
شابک: ۲ ـ ۰۵۴ ـ ۳۸۸ ـ ۶۰۰ ـ ۹۷۸

مراکز پخش

قم، میدان معلم، مرکز فقهی ائمه اطهار علیهم‌السلام، تلفن: ۳۷۸۳۲۳۰۳ و ۳۷۷٤۹٤۹٤
قم شعبه ۱: خیابان ارم، جنب مدرسه کرمانی‌ها، تلفن: ۳۷۷٤٤۲۷۱ و ۳۷۷٤٤۲۸۱
شعبه تهران: سه راه ضرّابخانه، پاسداران، خیابان شهید کاشی‌ها، پلاک ٦، تلفن: ۲۲۸٤۳۹٦۵
شعبه مشهد: چهارراه شهدا، خیابان آیت‌الله بهجت، نبش بهجت ۹/۱، مقابل ادارهٔ بهزیستی، تلفن: ۳۲۲۲۰۱٦۰

تقديم الاستاذ آية الله محمّد جواد الفاضل اللنكراني (دامت بركاته)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[1]

من خصائص الإنسان المعاصر والجيل الحاضر، الإيمان والاعتقاد بالمصلح العالمي، وإذا كانت فكرة المهدويّة في الماضي والأمل بحضور وظهور شخص يواجه الظلم والفساد ويسعى لإحقاق الحّق بجميع أبعاده محصورة ومنحصرة بمجموعة وفئة من أتباع المذاهب، ولكنّها اليوم ومن خلال رصد سريع ودقيق، نفهم أنّ هذه الفكرة والعقيدة أضحت شاملة وواسعة.

إنّ المشاكل والصعوبات والأزمات التي يواجهها البشر في العصر الراهن وحالات الظلم والجوز والقتل وسفك الدماء، بأسوء الوسائل والأدوات وبدون أي تبرير عقلي ومسوغ منطقي، وكذلك حالات العدوان من قبل قوى الهيمنة والسلطة والاستكبار العالمي، وعلى سائر أرجاء المعمورة، وهدم الهندسة السياسيّة لمنطقة معيّنة أو بلد من البلدان والتخطيط المدروس لإزالة الحكومات الشعبيّة والمشروعة من خلال الانقلابات العسكريّة، وبكلمة واحدة، إنّ بعض القوى الاستكبار العالمي ترى أنّ العالم بمثابة قرية لها، وبذلك تفكّر في تكريس سلطتها وهيمنتها على العالم

---

١. سورة الصف، الآية ٩.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى نرى أُفول الروح المعنويّة في المجتمعات البشريّة وابتعادها عن الأخلاق والقيم الواقعيّة والمثل الإنسانيّة، كلّ ذلك يحتاج إلى نقطة أمل ونافذة لتشرق منها نور الحياة بحيث تجتمع فيها جميع آمال وطموحات البشر وتتجسد فيها جميع آمال وتطلعات الأنبياء والرسل عليهم السلام، وجميع ما أراد الله تعالى من خلقه لعالم الموجودات وتحقيق غرضه من خلق الإنسان.

ينبغي علينا الاهتمام بهذه الحقيقة الحاسمة في هذا المسير والمساهمة في تحقيق هذا الأمل للبشريّة، وفي هذا الطريق ربّما تقع بعض حالات الظلم والجور، وتنطلق دعاوى التحريف والتزييف، ومن هذه الجهة أيضاً تبتعد البشريّة أكثر فأكثر عن نقطة الأمل ومحور الخلاص.

يجب البحث عن حقيقة المهدويّة في المتون الأصليّة للدين، يعني، القرآن الكريم والسنّة النبويّة صلى الله عليه وآله والأئمّة الطاهرين عليهم السلام، يجب الاستمداد واستخلاص هذه الحقيقة من كلّ آية من آيات القرآن ومن كلام الوحي ونور الكتاب المبين، وهو أمر، ومع الأسف، لم نجد اهتماماً كافياً به من قِبل المحقّقين والباحثين، وثمّة آيات في هذا الكتاب الإلهي تدلّنا وترشدنا إلى هذه الحقيقة دون الحاجة إلى الروايات والنصوص الأخرى.

لابدّ من معرفة الوظائف والواجبات الأساسيّة للبشريّة في عصر الغيبة ونقلها إلى الجيل الحاضر، الوظيفة التي تساهم في إثارة الحركة والحيويّة والاستقامة والاستمرار في مواصلة هذا الطريق، أنّ لا يكون الجيل الراهن في حالة من الانزواء والانفعال، بل تقوده هذه الحقيقة في خطّ الكمال المطلق وترشده إلى عناصر الخير والكمال، ومن هذه الجهة ينبغي على المحقّقين في مجال الحقوق والمجتهدين في الدين الانفتاح في هذا الموضوع على مستوى التحقيق والدراسة بصورة اجتهاديّة وبشكل علمي.

والكتاب الحاضر الذي يتضمّن بعض مقالات ومحاضرات الداعي في السنوات

الماضيّة، يحتوي على بعض مسائل ومواضيع المهدويّة بشكل علمي، ومن الطبيعي أنّ هذا الموضوع لا يتمّ حصر جميع أبعاده في مقالة أو محاضرة، بل تمّت الإشارة إلى بعض جهاته وأبعاده.

وهذا الكتاب، تمّ تدوينه واخراجه بهذا الشكل باهتمام المحقّق العالم والكاتب القدير سماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ محمّد حسن دانش، ومن الإنصاف أنّ سماحته قد بذل جهداً وافياً ومساعي كبيرة في هذا الشأن، ولذا أُقدّم وافر الشكر له ولزوجته المحترمة التي ساهمت معه في هذا السبيل، وكذلك أتقدّم بالشكر الجزيل لمدير مركز فقه الأئمّة الأطهار عليهم السلام، سماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ محمّد رضا فاضل الكاشاني (دامت بركاته) وكذلك أتقدّم بالشكر الجزيل لسماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ مرتضى الواعظي دامت إفاضاته.

ولا يفوتني أن أقدّم جزيل شكري وتقديري لكلّ من سماحة السيد النجفي والشيخ هاشم الصالحي اللذين قاما بترجمة هذا الكتاب بهذا الشكل الرائع والجميل.

نأمل بأن يكون هذا الكتاب ذخيرة لنا جميعاً في يوم (لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم) إن شاء الله.

بحّق محمّد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين

٧ / اردبيهشت / ١٣٩٣ هـ ش

الحوزة العلميّة المباركة / قم / محمّد جواد الفاضل اللنكراني

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ ربّ العالمين وصلّى الله على سيّد الأنبياء والمرسلين محمّد وآله الطاهرين المعصومين المكرمين لا سيّما بقيّة الله في الأرضين

لا يخفى على المسلمين الحقيقيين والمتدينيين أنّ عقيدة المهدويّة والاعتقاد بظهور بقيّة الله الأعظم الإمام المهدي (عج) الذي يصل أصله الطاهر إلى بنت نبي الإسلام الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام والإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، هي عقيدة إسلاميّة وهويّة أصيلة تسندها الأدلّة النقليّة المتواترة والأدلّة العقليّة المبرهنة.

وهذه العقيدة الأصيلة، التي تمتد بجذورها إلى التعاليم الإلهيّة للنبي الأكرم وخاتم الأنبياء محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين الطيبين عليهم السلام، بل إنّها تمتد من حيث العمق التاريخي إلى مديات بعيدة وتتزامن مع تاريخ الإنسانيّة والهويّة البشريّة، وأجلى شاهد على ذلك أنّ الاعتقاد بظهور المنقذ متوفر في سائر الأديان، حتّى الأديان غير الإبراهيميّة والفرق المذهبيّة التي تأسست قبل الإسلام وبعده، إلى درجة أنّ أشدّ الفرق المتعصبة من صناع الاستعمار وأكثر المذاهب انحرافاً عن جادة الحقيقة كالوهّابيّة والبهائيّة أيضاً، رغم وجود تعارضات منهجيّة، وموارد كثيرة متباينة، فإنّها اضطرت عن وعي أو بدون وعي إلى الاعتراف بهذا الأصل الأساس والركن الركين للإسلام.

وغني عن البيان أنّ هذه العقيدة الإلهيّة، حالها حال سائر المسائل الدينيّة والاعتقاديّة طيلة التاريخ ولحدّ الآن، تعرضت إلى هجمات الأعداء من الداخل

والخارج، وسعى كلّ واحدٍ منهم إلى بذل المساعي والجهود لهدم ونقض هذه العقيدة، ولكن في النقطة المقابلة نرى أنّ الله تعالى أراد، في طيلة الغيبة الكبرى إلى هذا العصر الراهن أن يظهر، مضافاً إلى كتّاب وأُدباء من أهل السنّة، فقهاء ومجتهدون عاملون من بين الشيعة بتأليف وتدوين وتنظيم بحوث كلاميّة في دائرة المعارف المهدويّة، مضافاً إلى مساعيهم الفقهيّة وجهودهم الأصوليّة ومن موقع العمق والدقّة والعمل بالوظيفة الدينيّة والإلهيّة، وذلك بهدف رفع الحاجة الفكريّة والمعرفيّة للأُمّة الإسلاميّة، وسوف تستمر هذه الجهود المباركة بفضل الله إلى زمان ظهور صاحب هذا الأمر (عج) إن شاء الله.

والكتاب الحاضر هو حصيلة عشر محاضرات لسماحة سليل المرجعيّة، الاستاذ الحاج الشيخ محمّد جواد الفاضل اللنكراني (دامت تأييداته) الذي سعى على مستوى التعمّق والتحقيق، في حلّ بعض شبهات الباحثين والمحقّقين في هذا العصر ومعرفة بعض الحاجات الإيمانيّة والدينيّة للمخاطبين الشبّان، بهدف رفدهم بالمزيد من المعرفة بهذا الأصل الأصيل في الدين وإزاحة غطاء الشبهات عن هذه الحقيقة الجليلة.

ولا شكّ أنّ المسائل والبحوث من قبيل «البحث في حقيقة وكيفيّة الدين في عصر الظهور وبعد قيام المصلح الإلهي (عج)» أو «دور الفرقة المنحرفة الوهّابيّة في مواجهة الإسلام المحمّدي الأصيل صلى الله عليه وآله في عصر الغيبة الكبرى» أو «دور الأمل ومفهوم الانتظار في دائرة الثقافة الإلهيّة ومدرسة المهدويّة الإنسانيّة» أو «زيادة التعرّف على أجواء يوم النصف من شعبان المبارك بوصفه عيداً كبيراً وجليلاً للإنسانيّة» أو «تبيين وظائف وتكاليف المسلمين في معرفة مسألة المهدويّة وظهور المهدي عليه السلام، بوصفها إمتداداً لخط الإمامة والغدير» أو «تبيين أصالة المهدويّة وتوضيح الواجبات المعرفيّة لمفهوم الانتظار» أو «التأكيد المستدلّ على حتميّة وقوع الظهور، بوصفه وعداً إلهيّاً حتمي الوقوع» أو «معرفة الزوايا المعنويّة

للخصوصيّات والجوانب المباركة ليوم النصف من شعبان المعظم» أو «رمز الانتفاح على المستقبل المنير للعالم بعد ظهور المنقذ الوحيد لعالم البشريّة في ظلّ آيات القرآن الكريم» أو «الدور الأصيل والأساس لعقيدة المهدويّة بوصفها محوراً مهمّاً في إيجاد وتقوية الوحدة الإسلاميّة»، وهذه المسائل بحثت من زاوية فقهيّة وعلميّة لسماحة الاستاذ دامت توفيقاته، رغم أنّه من الممكن وجود بعض التكرار للمقولات الواردة من أجل حفظ الارتباط بين مواضيع ومسائل هذا الكتاب، ولكن من الواضح أنّ هذه المحاضرات الجذّابة لسماحة الأُستاذ، في أُسلوبه الشيّق، وهو ما نجده أيضاً في دروس في بحث الخارج للفقه والأصول، تضفي طراوة خاصّة على هذه البحوث والمسائل الضروريّة والأساسيّة في البناء المعرفي والإيماني للمسلم.

وممّا يجدر ذكره أنّ سماحة الاستاذ (دامت بركاته) في السنوات الماضية، وبالترامن مع انشغاله بالتدريس لمدّة عشرين سنة في بحث الخارج للفقه والأصول، فإنّه بذل اهتماماً خاصّاً بالمواضيع الكلاميّة والتفسيريّة، ومنها المسائل المهدويّة أيضاً، وقد شكّل سماحته مجلس درس «البحث الخارج في التفسير» الخاصّ بموضوع «دراسة الآيات المهدويّة»، وقد كان هذا الدرس مورد استقبال كبير من قِبل الفضلاء والنخبة من الطلّاب في المراكز التخصصيّة للحوزة العلميّة المباركة في قم، ونأمل أن نوفّق لطبع ونشر هذه الدروس لهذه الدورة الدراسيّة قريباً إن شاء الله.

وأخيراً، وضمن الدعاء الخالص والخاضع لتعجيل فرج الإمام المهدي الموعود عليه السلام والأمل بطول العمر لجميع العلماء والفقهاء العظام، نعتذر من القراء الكرام من وجود قصور احتمالي في تنظيم هذه البحوث.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الخميس ١٤ / فروردين / ١٣٩٣ هـ ش

المطابق للذكرى السنويّة لشهادة فاطمة الزهراء عليها السلام

الحوزة العلميّة / قم / محمّد حسن دانش

حقيقة الدين في عصر الظهور

محاضرة في المركز التخصصي للإمامة والمهدويّة
في الحوزة العلميّة ـ قم

ما تقرأه في هذه المقالة الأُولى:

* التحقيق عن سؤال مهمّ في عصر الظهور، وتبيين نتيجتين مترتّبتين على الجواب المطروح: النتيجة الأُولى: أنّ «الدين» هو محور حكومة الإمام المهدي عليه السلام؛ النتيجة الثانية: أنّ ظهور المهدي عليه السلام كاشف عن حقيقة واحدة.

* دراسة أربع مسائل مقدّماتيّة في مقام الجواب عن السؤال المطروح.

* دراسة تعبيرات روائيّة سبعة في مجال كيفيّة الدين في عصر الظهور.

* دراسة نقطتين مهمّتين: النقطة الأُولى: البحث في سؤال ضمن تبيين طائفتين من الروايات، الطائفة الأُولى: الروايات الدالة على نفي سائر الأديان، الطائفة الثانية: الروايات الدالة على وجود سائر الأديان، تبيين ثلاث طرق للجمع بين روايات الطائفة الأُولى والثانية، النقطة الثانية: تبيين كيفيّة وخصوصيّات الدين في عصر الظهور.

* الخلاصة ونتيجة البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

حقيقة الدين في عصر الظهور

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[1]

تبيين موضوع البحث

إنّ أحد المواضيع المهمّة التي ترتبط بها المجتمعات البشريّة وكانت منشأ الكثير من المتغيّرات والتحوّلات، موضوع «الدين» و«أبعاده المختلفة» وطبعاً المحقّقون الكرام يعلمون جيداً، إنّ هذا الموضوع يمكن دراسته من جوانب مختلفة وزوايا متفاوتة، ولكن ما يهدف إليه الكاتب في هذا الكتاب في مجال التحقيق والدراسة، هو «التحقيق في أمر الدين وكيفيّته في عصر ظهور الإمام المهدي عليه السلام».

التحقيق في سؤال مهمّ عن عصر الظهور

على أساس الموضوع مورد البحث، فإنّ أحد الأسئلة التي شغلت المفكّرين المتألهين ولفتت أنظار المحقّقين المتدينين هو: هل سيأتي الإمام المهدي عليه السلام في زمان ظهوره بأحكام وقوانين جديدة، يبيّنها للناس أم لا؟ وبعبارة أخرى السؤال

---

١. سورة الصف، الآية ٩.

هو: «بما أنّ حكومة الإمام المهدي عليه السلام عالميّة، فهل سيتجلّىٰ الدين بآليات ومعالم جديدة وأصول وأحكام متناسبة مع ذلك الزمان؟».

وبعبارة أدقّ: هل يمكن القول إنّ الأحكام الشرعيّة الموجودة، بحسب الواقع أو بحسب المقام والجعل والإنشاء، والتي أنزلها الله تعالى بلطفه وكرمه من أجل سعادة الفرد والمجتمع وما يحتاجه الإنسان في المجالات المختلفة، ولكنّها وبسبب وجود موانع كثيرة لم تصل إلى مرحلة الفعليّة إلى زمان الظهور، ولكن مع ظهور الإمام المهدي عليه السلام فإنّ هذه الأحكام ستخرج من مقام الجعل الإنشاء وترتدي مقام الفعليّة والتنجّر، أو أنّ مثل هذا الأمر ليس بمطروح، فما سيقع في زمان الظهور مجرّد تحوّل عظيم في مرحلة إجراء وتنفيذ الأحكام الإسلاميّة المقدّسة، وربّما تحدث بعض التوسعة في بعض هذه الأحكام الإسلاميّة؟

نتيجتان مترتّبتان على الجواب المطروح

الواقع أنّ الجواب عن هذا السؤال المذكور أعلاه، ليس فقط يزيد من معرفة الإنسان بالنسبة «لحقيقة الدين في عصر الظهور»، بل يترتّب عليه نتائج مهمّة وملفتة للنظر فيما يخصّ مواجهة العلماء والمفكّرين مع الدين قبل زمان الظهور، وهنا لابدّ من الإشارة إلى موردين من النتائج المذكورة وهي عبارة عن:

النتيجة الأُولى: إنّ «الدين» سيكون محور حكومة الإمام المهدي عليه السلام

سيتبيّن من مجموع المسائل التي ستطرح في هذا البحث أنّه في زمان ظهور الإمام المنتظر عليه السلام، سيكون «الدين» محور حكومة هذا الإمام عليه السلام، وذلك على أساس أنّ «الدين» ليس فقط يصلح للحكومة وإدارة أمور المجتمع، بل الحكومة الوحيدة التي بإمكانها إنقاذ المجتمع البشري من أي شكل من أشكال الظلم، والجور، والانحطاط، واليأس هي «الحكومة الدينيّة»، ومن هذه الجهة لا ينبغي أبداً أن

نتصوّر أنّ تحقيق الحكومة في زمان الظهور سيحتاج إلى قوى من خارج الدين، بل ستتحقّق مثل هذه الحكومة قطعاً بيد مقتدرة من داخل الدين، وعلى ضوء ذلك، فإنّ الدين بجميع أحكامه وقوانينه التي تضمّن سعادة البشريّة يصاحب الإنسان والمجتمعات البشريّة إلى نهاية العالم الدنيوي.

وطبقاً لهذه الرؤية، لا يمكن إنكار هذه الحقيقة، وهي أنّه مع حضور الإمام المعصوم عليه السلام بشكل مباشر فإنّ «الضمانة الإجرائيّة للدين» ستزداد، وربّما سيكون للحضور المباشر للإمام المعصوم عليه السلام فارقاً جوهرياً، مع زمان حضوره غير المباشر، ولكن هذا لا يعني أنّ الإمام المعصوم عليه السلام سيمنح الدين وقوانينه قابليّة التنفيذ وإجراء.

وعلى ضوء ذلك، فالنتيجة الجليّة والواضحة لهذا الكلام، إنّ الأشخاص المعاصرين، الذين ينكرون وجود حقيقة تدعىٰ «الحكومة الدينيّة» ويحصرون الدين بالأمور «الشخصيّة والفرديّة» يجب عليهم قبول إحدى النتيجتين الفاسدتين، وهما: إمّا أن ينكروا الحكومة العالميّة للإمام صاحب الزمان عليه السلام، أو يجب عليهم الاعتقاد بأنّ الدين في زمان الظهور يتضمّن أمراً آخر، دخيلاً في تشكيل الحكومة، في حين أنّ المثقف المتدين لا يمكنه القبول والالتزام بأيٍّ من هذين القولين الفاسدين.

وبعبارة أخرى، فطبقاً للتقريب المذكور، فإذا لم يكن للدين صلاحية للحكومة، إذن فسوف لا تكون له الصلاحية والقابليّة في أي زمان حتّى في عصر الظهور أيضاً، والعكس صحيح، فلو كان الدين يملك القابليّة الذاتيّة والملاك الموجود في جوهر الدين يستطيع معه تولي وتشكيل الحكومة، إذن فالدين يستطيع في كلّ زمان حتّى في غير زمان الظهور أيضاً، تشكيل وتولي الحكومة وإن كان ذلك بشكل محدود.

النتيجة الثانية: ظهور الإمام المهدي عليه السلام كاشف عن حقيقة واحدة

إنّ ظهور الإمام بقيّة الله الأعظم عليه السلام أرواحنا له الفداء، كاشف عن «ظهور حقيقة واحدة»، أو أنّه يحكي عن «وجود حقيقة واحدة»، لأنّ الغرض الأصلي للباري تبارك وتعالى بالنسبة للإنسان والبشريّة هو «أمر واحد» حتماً، ومن هذه الجهة لا يمكن الالتزام بمقولة «تعدد الحقّ» و«كثرة الواقع»، لأنّ الله تعالى يقول في القرآن الكريم:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ...﴾[١].

وطبقاً لهذا التحليل، فالأشخاص الذين يعتقدون بـ «التعدديّة الدينيّة» لا يستطيعون من جهة اعتقاديّة القبول بحكومة واحدة في آخر الزمان، لأنّ هذه الحكومة ستقوم على أساس ركن واحد، وهو «الإسلام الواقعي والحقيقي»، وسائر الأديان والمذاهب لا دور لها في تلك الحكومة الصحيحة.

ومن خلال استقراء ناقص يتبيّن وللأسف أنّ المحقّقين ولحدّ الآن لم يبحثوا هذا الموضوع بعمق وجدّية، ولم يبيّنوا هذه المسألة في أبعادها المختلفة، ومن المعلوم لا يمكن في هذا المجال البحث والتحقيق في أبعاد هذه المسألة بصورة شاملة وجامعة، ولكننا نسعى في هذا الكتاب لبيان بعض النقاط المهمّة والملاحظات المبهمة بشكل إجمالي إن شاء الله[٢].

---

١. سورة آل عمران، الآية ١٩.

٢. البلوراليّة أو التعدديّة الدينيّة هي رؤية جديدة طرحها بعض المفكّرين والمتكلّمين الغربيين ومنهم «جون هيك» بالتأثر برؤية خاصّة وفي مقام الجواب عن بعض مسائل العقيدة ومن أجل حلّ بعض المشكلات الاجتماعيّة، وقد انتشرت هذه النظريّة بين المثقفين المسلمين أيضاً، فصار لها أتباع منهم، وطبقاً لهذه الرؤية فإنّ الحقيقة المطلقة وطريق النجاة والخلاص ☜

التحقيق في أربعة أمور كمقدّمة للجواب عن السؤال المذكور

وفي مقام الجواب عن الأسئلة المطروحة في بداية المقال، ينبغي التذكير بداية بأربعة أمور من باب المقدّمة، وهي عبارة عن:

الأمرالأوّل:حاجة البشرإلى الدين تتبع تكامل العقل والنمو وتطور العلمي والصناعة

أوّل أمر من هذه الأمور أنّ حاجة الإنسان إلىٰ الدين، مع مرور الزمان وتكامل العلم وتتقدّم الصناعة والتقنية، ليس فقط لم يقلّ ويأفل، بل إنّ هذه الحاجة ازدادت واشتدّت بموازاة تكامل العلم والمعرفة يوماً بعد آخر، إذن فتصوّر أنّ العقل البشري يستطيع لوحده اشباع جميع حاجات البشر حتّى الحاجات المعنويّة منها، باطل ومردود من أساسه، ولإثبات هذا المدّعى يمكن إقامة أدلّة عليه، ومن جملة هذه الأدلّة «الرشد العقلي للبشر»، لأنّ الإنسان عندما يملك الرشد والتكامل العقلاني، فإنّه شاء أم أبى سيلتفت وينظر إلى أمور جديدة وتظهر أمامه مسائل ومشاكل حديثة، وليس أمامه لحلّها والعثور على الجواب عنها سوى اللجوء إلى الدين والحصول على الأجوبة من طريق الدين، يعني، أنّ الفكر والتعّقل الإنساني بأي مقدار نما وتطور فإنّ مساحة الشبهات والأسئلة ستزداد أيضاً، وبديهي أنّه في هذه الموارد لا «العقل» قادر على تقديم الأجوبة الصحيحة، ولا «العلم» يستطيع تقديم الحلول لتلك التعقيدات والمشاكل الفكريّة.

إنّ دراسة التاريخ تقود المفكّرين المنصفين إلى هذه الحقيقة الحاسمة، وهي أنّ الأسئلة الكلاميّة في قديم الأزمان كانت أقلّ وأضعف بمراتب من الأسئلة

☜ لا ينبغي أن يكون محصوراً بدين واحد أو مذهب واحد أو باتباع شريعة خاصّة بل إنّ الحقيقة المطلقة مشتركة بين جميع الأديان والمذاهب، ومن هذه الجهة فالأديان والمذاهب والشرائع والفرق المختلفة هي تجليات مختلفة للحقّ المطلق وبالتالي فإنّ جميع الأديان والمذاهب تقود إلى النجاة.

والشبهات المعاصرة، وعلى هذا الأساس فكلّما يتقدّم البشر في مجالات المعرفة والحياة المعاصرة وتزداد تجاربه ومكتسباته العلميّة، فبدلاً من أن تـقلّ وتـنحصر شبهاته، فإنّ الأسئلة الكلاميّة والشبهات العقديّة ستزداد وتتراكم.

وبعبارة أخرى، إنّ أحد الأمور الدخـيلة فـي نشـر العـلوم، ولا سـيّما العـلوم الإنسانيّة «نمو ورشد مساحة التفكير والتعّقل للإنسان»، ومع اتساع هذه المساحة فإنّ حاجات الإنسان المعنوية ستزداد أيضاً، فمن هذه الجهة توجد ملازمة عادية وجليّة بين «الرشـد العـقلاني للإنسـان» و«ظـهور إبـهامات وإشكـالات واسـعة وأساسيّة».

وعلى ضوء ذلك، فمن جهة أنّه بمقدار ما يكون التعّقل البشـري بسـيطاً، فـإنّ احتياجات الإنسان ستكون بسيطة أيضاً، ومن جهة أخـرى فكـلما ازداد واشـتدّ التعّقل البشري والتفكّر الإنساني فإنّ حاجات الإنسان ستتسع وتزداد أيضاً، ومن جهة ثالثة فقد تبيّن أنّ العقل بنفسه لا يستطيع لوحده رفع الحاجات المعنويّة وحلّ المشكلات الفكريّة للإنسان، ولذلك فإنّ الإنسان يحتاج لحـلّ مشكـلات الحـياة والتعقيدات التي يواجهها في واقع حياته إلى قوّة أعلى وأسمى من العقل، وبديهي أنّ مثل هذه القوّة ليست سوى «قوّة الدين».

وتأييداً لهذه المقولة ينبغي الاذعان بأنّ الدراسات والتـحقيقات التـي أُجـريت لتاريخ الأديان السابقة تشير إلى هذه الحقيقة، وهي أنّ الدين يتناسب وينسجم مع وعي وثقافة الناس في ذلك الزمان، ومن جهة أخرى لم يكن الدين يوماً أضعف أو أنقص في المراحل المتأخّرة عن المراحل السـابقة بـل يـتحرّك بـموازاة التكـامل البشري في كلّ مرحلة تاريخيّة، وبهذه الصورة تتكامل الأديان بالتزامن مع تكامل البشر بحيث إنّ الشيعة الإماميّة يعتقدون بأنّ آخر الأديان وأكملها، يعني الإسلام، قد وصل للبشر في مرحلة تاريخيّة وصل فيها النمو والرشد الإنساني إلى مراحل عليا من الكمال والعقلانيّة.

وطبقاً لهذا التحليل، فبما أنّ مهمّة الدين «رسم المنهج للمسيرة التكامليّة للبشريّة»، وأنّ الدين قد بيّن للإنسان والمجتمع البشري الغاية من هذه الحياة في جميع الأدوار والمراحل، وأرشد البشر في كلّ زمان إلى الأفكار والأحكام والتعاليم المتناسبة مع تلك المرحلة والتي تنسجم مع تطلعات الإنسان وغايته الأصليّة في واقع الحياة، وكذلك بما أنّ الدين يعمل على «تنظيم جميع السلوكيات الفرديّة والاجتماعيّة والسياسيّة للبشر»،فمن الواضح أنّ البشر لايستطيعون بدون الاستمداد من الدين من تحقيق غاياتهم حتّى في الحياة الفرديّة وترتيب أمورهم، لأنّ الفرد والمجتمع البشري لا يستطيعون بالاعتماد على قواهم العقليّة من درك وفهم الكثير من حقائق العالم ولا يملكون القدرة على درك الكثير من الملاكات، وبالتالي لا يتمكّنون من وضع برامج وتنظيم حياتهم وعلاقاتهم الاجتماعيّة على أساسها.

ومن هذا المنطلق، يثبت بدليل أصل احتياج البشر للدين، وكذلك إزدياد حاجات البشر وتنوّعها بالتزامن مع النمو والحرّكة التكامليّة للإنسان والمجتمع البشري، أنّ حاجة الإنسان والبشريّة إلى الدين ستزداد تبعاً لذلك.

الأمر الثاني: تبيين صحيح لمفهوم الدين

الأمر الثاني الذي يقع كمقدّمة لهذا الموضوع هو أنّ الدين ومفاهيمه الأساسيّة تعرّضت وللأسف من بعض المثقفين إلى «تعابير إنسانيّة» لأنّ الأشخاص الذين يرون أنّ المفاهيم العالية في المقولات الدينيّة من قبيل مفهوم «البعثة» و«الخاتميّة» أنّها تعني «نهاية مرحلة الطفولة للبشر»[١] أو «فوران القوى الكيميائيّة في دماغ النابغة»[٢]، أو «تفتح الوعي الإنساني للمصلح المسؤول»[٣]، وهكذا كان الدين يمسك

---

١. أُنظر: احياء الفكر الديني في الإسلام، محمّد اقبال اللاهوري، ص ١٣٠

٢. أُنظر: البعثة والحرية (بعثت وآزادى)، مهدي بازرجان، ص ٤٩.

٣. أُنظر: منهج معرفة الإسلام (روش شناخت اسلام)، علي شريعتي، ص ١٨٦.

زمام القيادة لقافلة البشريّة في طريق الهداية والسعادة، هؤلاء الأشخاص لا يمكنهم أن يتحدّثوا عن حضور الدين في جميع العصور والأزمنة بعد البعثة النبوّية.

وعلى ضوء ذلك، فالمقصود في هذا المقال عن مفهوم الدين، هو ذلك الجوهر الأصيل والقدسي الذي: أوّلاً: صادر من منبع غيبيّ وإلهيّ وضع بين يدي البشر، وثانياً: يجب أن يكون في كلّ زمان حافظ أمين ومعصوم لهذا الدين، وثالثاً: إنّ هذا الدين لا يمسّه أي صدأ وتلاعب وتحريف.

الأمر الثالث: بيان القدرة المحدودة للعقل وإدراكه الناقص

الأمر الثالث من الأمور المقدّماتيّة، أنّه قد ثبت في محلّه أنّ العقل لا يملك القدرة والاحاطة لإدراك ملاكات جميع الأفعال والأحكام كيما يستطيع الإنسان بالاعتماد عليه من تشخيص الأمور ومعرفة ملاكاتها، لأنّ قدرة تشخيص العقل محدودة إلى حدّ كبير.

ومن أجل توضيح أكثر لهذه النظريّة ينبغي القول إنّ معرفة أيّ حقيقة واقعيّة لا يستطيع العقل أساساً من معرفتها وإدراكها بنحو جيد وكما ينبغي، إلى درجة أنّ الفلاسفة والمناطقة ذكروا فيما يتّصل بـ«فصل الأشياء» الذي يشكّل حقيقة كلّ نوع من الأنواع، فصلاً مشهوراً يعدّ من «آثار ولوازم الفصل الحقيقي» ولذا نجدهم في بعض الموارد يذكرون لنوع واحد «فصلين» بدلاً من فصل واحد، في حين أنّ الأشياء لا يمكن أن يكون لها أكثر من فصل حقيقي واحد[١].

---

١. كما تقدّم بيانه إجمالاً فإنّ القسم الحقيقي المقوّم للنوع والمقسّم للجنس غير قابل للمعرفة، ولذلك يستفاد في التعاريف والحدود، وبسبب عدم العلم بالفصل الحقيقي وفقدان اللفظ والاسم المختصّ به ودالّ عليه يستفاد من الدلالة المطابقيّة من أخصّ لوازم وآثار الفصل، ويقال عنها الفصل المنطقي، وفي الواقع أنّ الفصل الحقيقي ملزوم لمبدء ومأخذ الفصل ☜

ومن هذا التقريب المذكور آنفاً، يمكن القول بوضوح أنّ العقل إنّما يدرك بعض خواص وآثار الأشياء التي تقع في مجال ودائرة محدودة وضعيفة، ومن هذه الجهة فالإنسان ليس فقط لا يستطيع الاعتماد على عقله، بل يجب عليه التوجّه نحو جوهر يملك جميع المعايير والملاكات التي يهدي بواسطتها الإنسان في خط الصلاح والسعادة.

الأمر الرابع: مرحلة الإجراء الكامل للدين في عصر الظهور فقط

الأمر الرابع، من الأمور المقدّماتيّة هو أنّ الدين له مرحلتان أساسيتان، وهاتان المرحلتان عبارة عن: ١. «مرحلة البيان والتبليغ»، و٢. «مرحلة الإجراء والتطبيق».

وطبقاً لهذا التحليل فإنّ الشيعة الإماميّة يعتقدون أنّ إتمام وإكمال الدين تمّ في مرحلة البيان والتبليغ بالتزامن مع بعثة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، أمّا المرحلة الثانية وهي التطبيق الكامل للدين فستتمّ مع ظهور الإمام المهدي عليه السلام.

وبعبارة أخرى، إذا كان الدين الكامل لم يتمّ تطبيقه بصورة كاملة في الماضي، وهذا يعني، أنّ بيان بعض القوانين والأحكام الشرعيّة التي لم تطبق في أي زمان من الأزمنة لغواً، ومن هذه الجهة يلزم أن يكون الدين الكامل يملك مرحلة كاملة من الإجراء والتطبيق.

☜ المنطقي، يعني، أنّ الفصل المنطقي ينتزع من الفصل الحقيقي، ويكون بمثابة عنوان له على شكل مفاهيم اشتقاقيّة لتعريف الماهية، مثلاً الناطق أو النطق، ليس هو الفصل الحقيقي للإنسان، لأنّه لو كان المقصود «النطق الظاهري» فهو من مقولة الكيف المسموع، وإذا كان المراد «النطق الباطني» أو إدراك الكليّات فهو من مقولة الكيف أو الإضافة أو الانفعال، فكلّ واحدة منها عرض، ولذلك لا يمكن أن تكون مقوّمة للجوهر النوعي ومحصل الجوهر الجنسي، وللمزيد من التوضيح ينبغي الرجوع إلىٰ: (الإلهيات من كتاب الشفاء، ص ج، ص ٢٣٧ ـ ١٤٠).

وطبعاً لابدّ من التذكير بهذه النقطة، وهي أنّ الإسلام في زمان بعثة النبي الأكرمﷺ لم تتوفّر له مناخات وأجواء التطبيق الكامل، فلم تتوفّر لهذا الدين ظروف مناسبة وبشكل عالمي بحيث يستوعب جميع المجتمعات البشريّة، ولذلك وطبقاً للآيات القرآنيّة لابدّ من مجيء زمان يتمّ فيه تطبيق وإجراء هذا الدين على المستوى العالمي، وهذا الأمر المقدّس لا يتيسر إلّا مع ظهور الإمام صاحب الزمان عليه السلام، وعلى ضوء ذلك، يتيسّر لنا فهم مقصود النبي الأكرمﷺ الوارد في بعض الروايات من تأكيده على حضور منقذ الدين ومحيي الشريعة في كلّ عصر وزمان، ومن ذلك ما ورد في الروايات المنقولة بطرق أهل السنّة أنّ النبي الأكرمﷺ قال:

«إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ فِي رَأسِ كُلِّ مَائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَها»[1].

ويتبيّن من كلّ ذلك أنّ معنى هذه الرواية والروايات المشابهة[2]، أنّ البشّر، وبسبب حاجته للدين وإرتباطه الوثيق والمحكم بالدين، فمن الممكن أن يخلط تدينه بزيادة أو نقصان، وبما أنّ الإنسان، ليس هو صاحب هذا الدين وليس له معرفة كاملة بهذا الدين، ولذلك لزم أن يظهر مجدّد ومحيي لهذا الدين في كلّ عصر وزمان يتولّى إزاحة غبار الأفكار البشريّة الباطلة عنه، ومن هذه الجهة يقول الإمام علي عليه السلام في بيان كيفيّة عمليّة إحياء الدين بواسطة الإمام المهدي عليه السلام:

«يَعْطِفُ ٱلْهَوَىٰ عَلَىٰ ٱلْهُدَى، إِذَا عَطَفُوا ٱلْهُدَى عَلَىٰ ٱلْهَوَى، وَيَعْطِفُ ٱلرَّأْيَ

---

١. أُنظر: سنن أبي داود، ج ٢، ص ٣١٢؛ والمقاصد الحسنة، السخاوي، ص ١٤٩؛ والسلسلة الصحيحة، الألباني، ص ٥٩٩.

٢. وكذلك ورد أيضاً في الرواية النبي الأكرمﷺ أنّه قال: «**يَحْمِلُ هَذا العِلمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولٌ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الجَاهِلِينَ وَانتِحالَ المُبطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الغَالِينَ**»، المحدّث النوري، ج ١٧، ص ٣١٣؛ وكذلك ورد مثل هذا المضمون في منابع أهل السنّة: «**يحمل هذا العلم من كلّ خلف عدول، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين**». (أُنظر: السنن الكبرى، البيهقي، ج ١، ص ٢٠٩).

عَلَىٰ ٱلْقُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا ٱلْقُرْآنَ عَلَىٰ ٱلرَّأْيِ، حَتَّى تَقُومَ ٱلْحَرْبُ بِكُمْ عَلَىٰ سَاقٍ، بَادِياً نَوَاجِذُهَا، مَمْلُوءَةً أَخْلَافُهَا، حُلْوٍ ارَضَاعُهَا، عَلْقَماً عَاقِبَتُهَا. أَلَا وَفِي غَدٍ ـ وَسَيَأْتِي غَدٌ بِمَا لَا تَعْرِفُونَ ـ يَأْخُذُ ٱلْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَىٰ مَسَاوِئِ أَعْمَالِهَا، وَتُخْرِجُ لَهُ ٱلْأَرْضُ أَفَالِيذَ كَبِدِهَا، وَتُلْقِي إِلَيْهِ سِلْماً مَقَالِيدَهَا، فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ ٱلسِّيرَةِ، وَيُحْيِي مَيِّتَ ٱلْكِتَابِ وَٱلسُّنَّةِ»[١].

التحقيق في سبع عبارات روائيّة في كيفيّة الدين في عصر الظهور

بعد بيان هذه الأمور التي تعتبر كمقدّمة، نرى من اللازم استعراض الروايات التي تتحدّث عن «كيفيّة وخصوصيّة الدين في عصر الظهور»، كيما نتمكن من فهم العبارات الواردة في هذه الروايات، وبذلك نستطيع رسم صورة واضحة وصحيحة عن الدين في عصر الظهور وبيان معالم الظهور للإمام المهدي عليه السلام.

وكما هو معلوم لدى المحقّقين المحترمين، توجد في هذا المجال روايات متعددة وردت فيها تعبيرات مختلفة تتحدّث عن هذا الموضوع وبالإمكان تقسيم هذه الطوائف من الروايات أو التعبيرات الواردة فيها إلى سبعة أنماط من العبارات كما يلي:

الأُولى: «الروايات الدالة علىٰ دعوة الناس إلى أمر جديد».

الثانية: «الروايات الدالة على تقديم إسلام جديد وانهدام الدين السابق من قِبل الإمام بقيّة الله (عجل الله تعالى فرجه)».

الثالثة: «الروايات الدالّة على دعوة الناس إلى العدل وإبطال الماضي».

الرابعة: «الروايات الدالّة على تعليم القرآن الموافق للنزول».

الخامسة: «الروايات الدالّة على العمل بكتاب الله في عصر الظهور».

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٣٨.

السادسة: «الروايات الدالّة على تكامل عقول البشر».

السابعة: «الروايات الدالّة على عموميّة وشموليّة الدين الإسلامي في عصر ظهور الإمام المهدي عليه السلام».

وعلى ضوء ذلك، ينبغي بما يتسع له المجال، أن نتحدّث بشكل مختصر عن النقاط المهمّة الواردة في كلّ واحد من هذه العناوين المذكورة.

التحقيق في التعبير الأوّل: الروايات الدالة على «دعوة الناس إلى أمر جديد»

يتبيّن من العنوان الأوّل وبشكل اجمالي، أنّ هذه الطائفة من الروايات تدلّ كلّها على أنّ الإمام المهدي عليه السلام بعد ظهوره يدعو الناس إلى أمر جديد، ونستعرض هنا إحدى هذه الروايات:

«إِنَّ قَائِمَنا إِذا قَامَ دَعَا النَّاسَ إِلىٰ أَمرٍ جَدِيدٍ كَمَا دَعَا إِلَيهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وَأَنَّ الإِسلامَ بَدَأَ غَرِيباً، وَسَيَعُودُ غَرِيباً كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَىٰ للغُرَبَاءِ»[1].

ـ وهنا احتمال آخر وهو أنّ المراد أنّ الإسلام في بداية حدوثه كان غريباً من جهة أنّ الناس لم يكونوا عارفين بأحكامه وقوانينه، وهكذا الحال في عصر الظهور فإنّ أحكام الدين ليست معروفة لهم.

وكذلك ما ورد في رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«إِذا قَامَ القَائِمُ جَاءَ بِأَمرٍ غَيْرِ الَّذِي كَانَ»[2].

بيان سؤال وجواب في هذا المقام

كما تبيّن من الروايات الواردة أعلاه أنّ الإمام المهدي عليه السلام بعد ظهوره سيدعو الناس إلى «أمر جديد» أو «أمر لم يكن في السابق».

---

١. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٥٢، ص ٣٦٦؛ الغيبة، النعماني رحمه الله، ص ١٧٢.
٢. المصدر السابق، ج ٥٢، ص ٣٣٢.

والآن قد يثار هذا السؤال: ما هو المراد من «أمر جديد»، هل أنّ المراد أنّ الإمام المهدي عليه السلام سيضع بعد ظهوره وقيامه قوانين ومقررات جديدة، وبعبارة أخرى، أنّه سيأتي بدين جديد، أو ليس كذلك، ولا يأتي بدين جديد، بل يقوم بإحياء تلك القوانين والأحكام والتعاليم لدين الإسلام الواردة في القرآن الكريم وسنّة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله؟

ومن خلال التحقيق، ينبغي استحصال الجواب عن هذا السؤال من المقطع الأخير من الرواية الأُولى، لأنّ تلك الرواية ذكرت في ذيلها: «وَسَيَعُودُ غَرِيباً كَمَا بَدَأَ»، وهنا يستفاد جيداً من هذه العبارة أنّ القوانين والأحكام التي ستطبق في عصر الظهور هي نفسها القوانين التي كانت في عصر النبيّ صلى الله عليه وآله، ولكنّها قد تعرّضت للتحريف أو للنسيان، وبقيام الإمام من ذريّة رسول الله صلى الله عليه وآله فسيتمّ إحياء وتجديد هذه القوانين والأحكام مرّة أخرى بحيث إنّ هذه الدعوة من قِبل الإمام المهدي عليه السلام لإحياء هذه الأحكام والقوانين الدينيّة الصحيحة ستبدو في نظر الناس ديناً جديداً، وبالتالي فالأحكام الواردة في عصر الظهور ليست فقط غير جديدة، بل هي نفسها التي كانت في زمان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ولكن بسبب ابتعاد الناس عن حقيقة الدين فسوف تظهر في نظرهم ديناً جديداً.

التعبير الثاني: الروايات الدالة على «تقديم إسلام جديد وانهدام السابق»

في هذه الطائفة من الروايات نرى تعبيراً آخر يدلّ على أنّ الإمام المهدي عليه السلام بعد ظهوره المبارك، ليس فقط يقدّم للناس إسلاماً جديداً، بل يقوم بهدم الإسلام القديم وإزالته، وهنا نستعرض إحدى هذه الروايات الواردة عن الإمام الباقر عليه السلام:

«يَهْدِمُ مَا قَبلَهُ كَمَا صَنَعَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وَيَستَأْنِفُ الإِسلاَمَ جَدِيداً»[١].

---

١. الغيبة النعماني، ص ٢٣١، الباب ١٣، ح ١٣؛ بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٥٢، ص ٣٥٢.

بيان نقطتين مهمّتين في هذه الرواية

في هذه الطائفة من الروايات توجد نقطتان مهمّتان، هما:

النقطة الأُولى: إنهدام الإسلام القديم

النقطة الأُولى المستفادة من الرواية المذكورة أعلاه، هي أنّ الإمام بقيّة الله الأعظم عليه السلام عندما يظهر فإنّه سيقوم بهدم ما كان قبله، وبعبارة أخرى أنّه سيقوم بهدم وإزالة جميع البدع والتحريفات التي تراكمت على إمتداد الزمان، على الإسلام الحقيقي والصحيح، وبشكل عامّ سيقوم بإزاحة جميع التراكمات والرواسب التي تراكمت على الدين.

النقطة الثانية: ظهور الإسلام بشكل جديد

النقطة الثانية المستفادة من هذه الرواية، أنّ الإسلام مع ظهور وقيام الإمام بقيّة الله الأعظم عليه السلام سيظهر بشكل جديد.

التحقيق في سؤال وجوابه في المقام

بعد بيان هاتين النقطتين، تصل النوبة الآن إلى هذا السؤال، وهو: هل أنّ كلمة «جديداً» صفة لكلمة «الإسلام»، أو أنّها صفة لجملة «يستأنف»، وأنّ كلمة «جديداً» صفة لمفعول مطلق محذوف وتقديره في الأصل «يستأنف الإسلام استئنافاً جديداً»؟ ومن خلال التحقيق والتعمّق يتبيّن الجواب عن هذا السؤال، وهو أنّ ظاهر التعبير الوارد في هذه الرواية، ليس أنّ الإمام يأتي بإسلام جديد أو قوانين ومقررات جديدة لم تذكر في القرآن الكريم وسنّة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، بل المقصود أنّ الإمام المهدي عليه السلام سيشرع بتطبيق الإسلام من جديد، أو بعبارة أوضح، أنّ الإسلام سيتولد من جديد وسيدخل مرّة ثانية إلى ميدان العمل والتطبيق.

وبعبارة أخرى، إنّ المراد من هذه الرواية، أنّ قوانين الإسلام الثابتة والمحكمة

والبيّنة والتي بقيت في مطاوي النسيان إلى ذلك الزمان أو ابتليت بالتحريف واختلطت بالأفكار الباطلة والتفاسير الخاطئة أو كانت ثمّة موانع في تطبيقها، فإنّ هذه القوانين والأحكام ستعود إلى ميدان العمل والتطبيق بقوّة في زمان ظهور الإمام المهدي عليه السلام وبذلك يتمّ تطبيق الإسلام بعد أن تكون الظروف مؤاتية.

التعبير الثالث: الروايات الدالة على «دعوة الناس إلى العدل وابطال الماضي»

كما رأينا قبل قليل أنّ التعبير الثالث الوارد في الروايات يدلّ على أنّ الإمام المهدي عليه السلام بعد ظهوره يدعو الناس إلى القسط والعدل ويستبدل الإسلام المتداول والسائد بين الناس بالإسلام الواقعي الذي يحقّق العدالة والقسط، وقد ورد في إحدى هذه الروايات عن الإمام الباقر عليه السلام في بيان معالم سلوك الإمام المهدي عليه السلام، أنّه قال:

«رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله... أَبْطَلَ مَا كَانَ فِي الجَاهِلِيَّةِ وَاسْتَقْبَلَ النَّاسَ بِالعَدْلِ، وَكَذَلِكَ القَائِمُ عليه السلام إِذا قَامَ يُبْطِلُ مَا كَانَ فِي الهُدنَةِ مِمَّا كَانَ فِي أَيدِي النَّاسِ وَيَسْتَقْبِلُ بِهِمُ العَدْلَ» [1].

ثلاثة نقاط مهمّة مستفادة من هذه الرواية

في هذه الطائفة من الروايات ثلاث نقاط مهمّة، وهي عبارة عن:

النقطة الأُولى: إبطال الإسلام المنحرف

النقطة الأُولى المستفادة من هذه الرواية المذكورة أعلاه، أنّ الإمام بقيّة الله الأعظم عليه السلام سيقوم كما قام رسول الله صلى الله عليه وآله بنهضته الإلهيّة من إبطال ما كان قبله، وبعبارة أخرى، أنّ الإمام المهدي عليه السلام سيسير بسيرة جدّه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله من

---

١. التهذيب، الشيخ الطوسي رحمه الله، ج ٦، ص ١٥٤، الباب ٧، ح ١؛ بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٨١؛ إثبات الهداة، بالنصوص والمعجزات، الشيخ الحرّ العاملي، ج ٦، ص ٣٧٧.

التصدي للانحرافات والخرافات ومظاهر الجهل والباطل التي تراكمت بمرور الزمان على الإسلام الواقعي ويعمل على نقضها وإزاحتها وتطهير الإسلام منها.

النقطة الثانية: ظهور الإسلام الناصع والنقي والعادل

والنقطة الثانية المستفادة من هذه الرواية، أنّ الإمام بقيّة الله الأعظمعليه السلام سيعيد الإسلام كما كان في السابق وبشكله الأوّل حين ظهوره في عصر الرسالة، ومن العلائم البارزة لهذا الإسلام الأصيل، أنّه يحقّق العدالة في ربوع المعمورة.

النقطة الثالثة: تطبيق العدالة العالميّة

والنقطة الثالثة التي تحظى بأهميّة بالغة والمستفادة من هذه الرواية، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وطبقاً لهذه الطائفة من الروايات، مع أنّه خاتم الأنبياء وأنّه رسول الله لجميع البشريّة، وأنّ جميع أفراد البشر مخاطبون لدعوته الإلهيّة، ولكنّه استطاع من رفع لواء العدل والقسط في دائرة جزيرة العرب فقط ولم يتيسّر له تطبيق الإسلام في جميع أرجاء العالم، في حين أنّ خاتم الأوصياءعليه السلام يرفع لواء العدل والقسط في جميع أرجاء العالم ولا تبقى منطقة لا تصل إليها دعوة هذا الإمام في إقامة العدل والقسط.

التعبير الرابع: الروايات الدالة على أنّ «تعليم القرآن موافق للنزول»

أمّا التعبير الرابع الوارد في الروايات فيدلّ على أن الإمام المهديعليه السلام بعد ظهوره سيتحرّك على صعيد العمل بمسؤوليته الخطيرة في «تعليم القرآن على أساس نزوله»، وهنا نستعرض إحدى هذه الروايات الواردة عن الإمام الباقرعليه السلام أنّه قال:

«إِذا قَامَ قَائِمُ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ضَرَبَ فَسَاطِيطَ لِمَنْ يُعَلِّمِ الناس القُرآنَ عَلىٰ مَا أَنْزَلَ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ...»[1].

---

١. بحار الأنوار، العلّامة المجلسيرحمه الله، ج ٥٢، ص٣٣٩؛ نقلاً عن إرشاد الشيخ المفيدرحمه الله، ج ٢، ص ٣٨٩ مع اختلاف يسير.

بيان نقطتين مهمّتين في هذه الرواية

كما يظهر من هذه الرواية أنّ إحدى خصوصيّات حكومة الإمام المهدي عليه السلام: «تعليم القرآن وفقاً لمقصود الباري تعالى من الآيات الشريفة» ومن هذه الجهة يمكننا إلفات النظر إلى نقطتين مهمّتين توجد في هذه الرواية وهي عبارة عن:

النقطة الأُولى: عدم الاهتمام بالقرآن هو السبب في تخلّف المسلمين

فأحد الأسباب التي أدّت إلى تخلّف المسلمين وتوقّف الحركة العلميّة في الوسط الفكري والثقافي للمجتمع الإسلامي «عدم الاهتمام والعناية بالقرآن».

النقطة الثانية: عجز الناس عن فهم القرآن بشكل صحيح

إنّ المسلمين لا يستطيعون الإحاطة بمعاني القرآن الكريم وتشخيص المراد الأصيل للباري تعالى من الآيات الشريفة. ومن هذه الجهة فإنّ هذه النقطة تمثّل إحدى آثار الحرمان المترتبة على عدم حضور الإمام المهدي عليه السلام، ويلاحظ في طيلة فترة الغيبة أنّ أصحاب الفكر وعلماء المذاهب يستدلّون ببعض الآيات الشريفة بما يوافق آراءهم وأفكارهم وكلّ واحد منهم يستدلّ بآية قرآنيّة لصالحه، وبالتالي فإنّ إحدى بركات ظهور الإمام بقيّة الله الأعظم عليه السلام، «تعليم القرآن وفقاً للمقصود الأصلي للباري تعالى».

دفع شبهة حول القرآن الكريم

ولا ينبغي أن نتوهّم من خلال ما ورد في ذيل هذه الرواية أو الروايات المشابهة لها، إنّ ظاهر هذه الروايات يتنافى مع حجيّة القرآن الموجود، لأنّ القرآن هو حجّة قطعاً لجميع الأعصار والأمصار ويجب على الناس في جميع المجتمعات البشرية العمل به وتطبيق أحكامه.

وبعبارة أخرى، لقد ثبت بالأدلّة القطعيّة والمحكمة أنّ القرآن الكريم لم يتعرض

إلى التحريف في أي زمان من الأزمنة ولن تمسّه يد التحريف، ومن هذه الجهة فما يستفاد من العبارة المذكورة هو أنّ الإمام المهدي عليه السلام في زمان ظهوره يبيّن جميع التفاصيل والجزئيّات المتعلّقة بالآيات الإلهيّة في القرآن الكريم ويتحرّك على صعيد تعليم القرآن بنحو جامع وكامل في عصر ظهوره عليه السلام.

التعبير الخامس: الروايات الدالة على «العمل بكتاب الله في عصر الظهور»

والعبارة الخامسة والتي وردت في طائفة من هذه الروايات، تدلّ على أنّ الإمام المهدي عليه السلام سيعمل بعد ظهوره بكتاب الله، وهنا نستعرض إحدى هذه الروايات الواردة عن الإمام الباقر عليه السلام:

«إِنَّ الدُّنيا لا تَذْهَبُ حَتّىٰ يَبْعَثَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ رَجُلاً مِنَّا أَهلَ البَيتِ يَعْمَلُ بِكِتَابِ اللهِ لا يَرىٰ فِيكُمْ مُنْكراً إِلَّا أَنْكَرَهُ»[1].

بيان أربع نقاط مهمّة في هذه الرواية

وطبقاً للرواية المذكورة أعلاه، فثمّة أربع نقاط مستوحاة من هذه الرواية، وهي عبارة عن:

النقطة الأُولى: العمل بكتاب الله

إنّ أحد خصوصيّات عصر الظهور والتي ستتحقّق بظهور الإمام صاحب الزمان عليه السلام: «العمل بكتاب الله»، لأنّ القرآن وقع لمدّة قرون متوالية وأزمنة متمادية مهجوراً من قبل الناس ولم يعملوا بأحكامه وتعاليمه، وفي عصر ظهور الإمام المهدي عليه السلام سيتمّ إزاحة غبار الهجران عن هذا الكتاب المقدّس بواسطة بقيّة الله الأعظم عليه السلام وسيكون القرآن الكريم هو المعيار لعمل البشر وسلوكياتهم.

---

١. الكافي، الشيخ الكليني رحمه الله، ج ٨، ص ٣٩٦؛ بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٥٢، ص ٣٧٨.

النقطة الثانية: العمل بجميع أحكام القرآن وتعاليمه

والمقصود من العمل بالقرآن، العمل بجميع أحكامه وقوانينه وفي جميع أبعاد وزوايا الحياة الفرديّة والاجتماعيّة، وهذا لا يتنافى مع مسألة أنّ الناس ربّما كانوا يعملون بالقرآن بشكل إجمالي قبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام.

النقطة الثالثة: الإمام، هو الوحيد العالم والعامل بالكتاب الإلهي

ونستوحي من أمثال هذه الروايات والعبارات الواردة فيها أنّ الإمام المعصوم عليه السلام هو الشخص الوحيد الذي يملك الجدارة واللياقة لفهم القرآن بشكل صحيح والعمل الدقيق بأحكامه وتعاليمه.

النقطة الرابعة: إنّ الإمام عليه السلام هو الحاكم الجدير الوحيد

وطبقاً لهذه الروايات فإنّ الحكومة في عصر الظهور يجب أن تكون بيد شخص من أهل بيت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وهو من يعمل بشكل كامل بأحكام القرآن وتعاليمه، ومن هذه الجهة فإنّ الحكومات التي سبقت ظهور الإمام المهدي عليه السلام لا يمكنها أبداً تطبيق تعاليم وأحكام كتاب الله بنحو كامل، ومن هذه الجهة وطبقاً لهذه الرواية، فإنّ الحكومة التي تتشكّل قبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام وتدعي مثل هذه الدعوى، فكلامهم مردود قطعاً، رغم أنّ هذا المعنى لا يتنافى مع لزوم تشكيل الحكومة الإسلاميّة قبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام.

التعبير السادس: الروايات الدالة على «كمال عقول البشر في عصر الظهور»

والعبارة السادسة الواردة في بعض هذه الروايات تدلّ على أنّ الله تعالى في عصر الظهور سيضع يده على رؤوس الخلائق وتكمل بذلك عقولهم وتنضج نفوسهم وعواطفهم، وهنا نستعرض إحدى هذه الروايات الواردة عن الإمام الباقر عليه السلام:

«إِذا قَامَ قَائِمُنا وَضَعَ اللهُ يَدَهُ عَلىٰ رُؤُوسِ العِبادِ فَجَمَعَ بِها عُقُولَهُمْ وَكَمُلَتْ بِها أَحلامَهُمْ»[١].

بيان ثلاث نقاط مهمّة في هذه الرواية

وطبقاً لهذه الرواية المذكورة أعلاه، فثمّة عدّة نقاط يمكننا استنباطها من هذه الرواية، وهي:

النقطة الأُولى: تكامل العقول يعدّ ممهّداً للقبول والعمل

طبقاً لهذه الرواية فإنّ الله تعالى، وبالتزامن مع ظهور قائم آل محمّدعليه السلام سيعمل على تكميل عقول البشر، وهذا الأمر يمهّد الأرضيّة اللازمة لقبول الدين والعمل بقوانينه وأحكامه.

النقطة الثانية: تكامل العقل وعلاقته مع التدين

يعتقد كاتب هذه السطور أنّه من جهة كلّما تكامل العلم والعقل البشري فإنّ حاجة الإنسان للدين ستزداد، ومن جهة أخرى كلّما ازدادت حاجة الإنسان للدين فإنّ قبوله لقوانين الدين وأحكامه والإذعان والتسليم لها سيزداد أيضاً، وهكذا نرى وجود ملازمة جليّة بين هذين الأمرين.

وبعبارة أخرى، كلّما كان المجتمع البشري من حيث العلم والعقل في مستويات عالية ورفيعة فإنّ إمكانيّة حضور وتطبيق القوانين البنّاءة والمتعالية فيه ستزداد، وكلّما كان المجتمع البشري من جهة العلم والمعرفة في مراحل دانية ومتخلّفة، فإنّ مثل هذا المجتمع لا يستطيع استيعاب وتطبيق جميع قوانين وأحكام الدين، وهذا المعنى هو أحد الأسباب المهمّة لتدريجيّة بعثة الأنبياء الكرامعليهم السلام والرسالات الإلهيّة.

---

١. الكافي، الشيخ الكلينيرحمه الله، ج ١، ص ٢٥؛ بحار الأنوار، العلّامة المجلسيرحمه الله، ج ٥٢، ص ٣٢٨ مع اختلاف، كمال الدين، الشيخ الصدوقرحمه الله، ج ٢، ص ٦٨٥.

النقطة الثالثة: ظهور عناصر تمهيديّة في المجتمعات البشريّة

ويستفاد أيضاً من التعابير الواردة في هذه الرواية وبكلّ وضوح، إنّ ظهور الإمام المهدي عليه السلام سيمثّل «الأرضيّة الممهدة لنزول العنايات والألطاف الإلهيّة الخاصّة لجميع أفراد البشر والمجتمعات البشريّة في ذلك العصر»، فالبشر من حيث الرشد العقلي وفهم حقائق الدين سيصلون إلى مرتبة بحيث إنّهم يحصلون على السنخيّة والتناسق مع الحكومة العالميّة العادلة لهذا الإمام عليه السلام، يعني، أنّ المجتمع البشري في ذلك العصر سيملك الصلاحية واللياقة لفهم واستيعاب المعارف الدينيّة السامية والمفاهيم القرآنيّة العالية بعناية خاصّة وإمداد غيبي من الله تعالى.

التعبير السابع: الروايات الدالة على «شموليّة الإسلام في عصر الظهور»

وكما رأينا في التعبير السابع فإنّ الروايات تقول بأنّ الدين الإسلامي سيكون بعد ظهور الإمام المهدي عليه السلام شمولياً ويستوعب جميع العالم وينتشر في كلّ بقاع المعمورة برغم كراهة المشركين والكافرين، وهنا نستعرض إحدى هذه الروايات الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام يقول:

«وَلَا تَبْقَىٰ فِي الأَرْضِ بُقْعَةٌ عُبِدَ فِيهَا غَيرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا عُبِدَ الله فِيهَا وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ وَلَو كَرِهَ المُشرِكُونَ»[١].

وطبقاً لهذه الرواية فإنّ أحد الأمور المهمّة جدّاً والجديرة بالالتفات، أنّ الدين الإسلام سيكون بعد ظهور الإمام القائم عليه السلام شاملاً لجميع العالم ويمتد إلى كلّ بقاع الأرض فلا يبقى مكان إلّا وترتفع في ذلك المكان راية الشهادة بالتوحيد الإلهي وبرسالة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله.

---

١. كمال الدين، الشيخ الصدوق رحمه الله، ج ٢، ص ٣٧٩؛ بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٥١، ص١٤٦.

نقطتان مهمّتان في هذه الرواية

وفيما يتّصل بهذه العبارة السابعة ينبغي الالتفات إلى بعض النقاط الواردة فيها وهي:

النقطة الأُولى: التحقيق في سؤال ضمن بيان طائفتين من الروايات

وأوّل نقطة ينبغي طرحها هنا ضمن سؤال هي: هل أنّ الإسلام في عصر ظهور الإمام المهدي عليه السلام سيشمل جميع البشر على نحو إجباري ولا يستطيع أي إنسان أن يختار له مذهباً وديناً آخر، أو أنّ البشر في ذلك الزمان أحرار من حيث إختيارهم للدين والمذهب وجميع الناس أحرار في هذا الشأن وكلّ شخص بإمكانه أن يعتنق أي دين ومذهب بحسب ميله واختياره؟

وفي مقام الجواب عن هذا السؤال، ينبغي القول: توجد روايات مختلفة في هذا الشأن ومن اللازم تفصيل الكلام فيها من حيث السند والدلالة، ولكن ينبغي القول بما يسع المجال وبشكل إجمالي أنّه توجد لدينا في هذا المجال طائفتان من الروايات المتعارضة حسب الظاهر:

الطائفة الأُولى: الروايات الدالة على نفي سائر الأديان

يستفاد من بعض الروايات أنّ الشخص الذي لم يعتنق الإسلام في عصر ظهور الإمام بقيّة الله الأعظم عليه السلام سيعاقب، ومن جملة هذه الروايات ما ورد في رواية مطولة عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

«إِذا قَامَ القَائِمُ... فَيَقُولُونَ لَهُ ارْجِعْ مِنْ حَيثُ جِئْتَ فَلا حَاجَةَ لَنا فِي بَنِي فَاطِمَةَ، فَيَضَعُ فِيهِمُ السَّيفَ حَتَّىٰ يَأْتِي عَلىٰ آخِرِهِمْ، ثُمَّ يَدْخُلُ الكُوفَةَ فَيَقْتُلُ بِها كُلَّ مُنافِقٍ مُرتَابٍ وَيَهْدِمُ قُصُورَها وَيَقْتُلُ مُقاتِلِيها حَتَّىٰ يَرضَىٰ اللهُ عَزَّ وَعَلَا»[1].

---

١. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٥٢، ص ٣٣٨.

وجاء في بعض الروايات الأخرى أنّه لا يبقى في ذلك العصر من أتباع أي دين ومذهب على دينه وعقيدته وسيعتنق الإسلام حتماً، ومن جملة هذه الروايات، ما ورد بأنّه:

«إِذا قَامَ القَائِمُ... لَمْ يَبْقَ أَهْلُ دِينٍ حَتَّىٰ يُظهِرُوا الإِسلامَ وَيَعتَرِفُوا بِالإِيمَانِ»[١].

وكذلك ما ورد في رواية أخرى عن الإمام الصادقعليه السلام الذي أشار إلى هذه المسألة وقال:

«فإِذا خَرَجَ القَائِمُ لَمْ يَبْقَ كَافِرٌ وَلا مُشرِكٌ إِلّا كَرِهَ خُرُوجَهُ حَتَّىٰ لَوْ كَانَ كَافِرٌ أَو مُشرِكٌ فِي بَطنِ صَخْرَةٍ لَقَالَتِ الصَّخرَةُ يَامُؤمِنُ فِي بَطنِي كَافِرٌ أَو مُشْرِكٌ فاقْتُلْهُ قَالَ فَيُنَحِّيهِ اللهُ فَيَقتُلُهُ»[٢].

وطبعاً فقد ورد في ذيل الآية الشريفة ٣٣ من سورة التوبة ما يشير إلى هذا المعنى، يقول تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[٣].

وجاء في رواية عن أميرالمؤمنينعليه السلام عندما سئل الإمامعليه السلام فيما يتّصل بالتحقّق للآية الشريفة المذكورة:

«أَظَهرَ ذَلِكَ؟».

قالوا: نعم.

---

١. الإرشاد، الشيخ المفيدرحمه الله، ص ٧٠٥، الباب ٤، الفصل ٥، ح ٧؛ بحار الأنوار، العلّامة المجلسيرحمه الله، ج ٥٢، ص ٣٣٨.

٢. المصدر السابق.

٣. سورة الصف، الآية ٩.

فقال الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام:

«كَلّا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّىٰ لا يَبقَىٰ قَريَةٌ إلّا وَنُودِي فِيهَا بِشَهادَةِ أَنْ لا إِلهَ إلّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ بُكْرَةً وَعَشِيّاً»[1].

وعلى ضوء ذلك، وطبقاً للتأويلات المذكورة، وبدون النظر إلى روايات الطائفة الأُولى، يستفاد قطعاً من هذه الآية الشريفة، أنّ مسألة خاتميّة نبوّة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله تقترن وتتشابك مع خاتميّة وصاية الإمام المهدي عليه السلام، بمعنى أنّه بواسطة إمامة الأئمّة المعصومين عليهم السلام وأخيراً بواسطة آخر وصي للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله فإنّ خاتميّة النبي محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله تتحقق في نهاية المطاف على أرض الواقع، وعلى هذا الأساس يتبيّن بطلان نظريات بعض المفكّرين المعاصرين الذين ذهبوا إلى أنّ: «إنّ خاتميّة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله تعني أنّ البشريّة بعد هذه البنوّة يصلون إلى مرتبة من النضج العقلي بحيث لا يحتاجون بعدها إلى شيء آخر»[2]، وذلك أنّ المستفاد من هذه الآية الشريفة والرواية الواردة في تفسيرها أنّ خاتميّة النبوّة للنبي محمّد صلى الله عليه وآله تحتاج إلى ختم الوصاية للإمام المهدي عليه السلام، يعني لو لم يكن هناك خاتم الأولياء، فإنّ دين خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله لا يكون بالمعنى الكامل والنهائي قابلاً للعرض على جميع الناس وجميع العقول، ومن هذه الجهة ورد في بعض الروايات الواردة عن

---

١. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٥١، ص ٦.

٢. أحد هؤلاء المفكّرين المثقفين محمّد اقبال اللاهوري، حيث ذهب إلى أنّ الرشد العقلي للبشر سيتكامل ويتحرّك في خطّ النضج ويخرج من المرتبة الحسيّة البدائيّة ويقول: «إنّ البشر في المرحلة الطفوليّة يخلق طاقة نفسانيّة أُسميها بالوعي النبوي، وبواسطة هذه الطاقة النفسيّة يتمّ الاقتصار من التفكير الفردي وانتخاب طريق الحياة من خلال اتباع هذه التعاليم والأحكام والمقرّرات التي تبيّن له ما ينبغي عليه عمله، ولكن مع ولادة العقل النقدي فإنّ هذه القوّة النفسيّة التي كانت ميهمنة في المرحلة السابقة ستتوقف عن تنمو وتتشكّل بدلها قوّة أخرى من الوعي» (إحياء الفكري الديني في الإسلام، محمّد إقبال اللاهوري، ص ١٤٥، وتشكيل جديد للالهيات الإسلاميّة، ترجمة السيّد نذير النيازي، ص ٢١٨).

رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«الأَئِمَّةُ بَعْدَ الحُسَينِ تِسعَةٌ مِنْ صُلبِهِ وَمِنْهُمُ القَائِمُ الَّذِي يَقُومُ فِي آخرِ الزَّمَانِ كَمَا قُمْتُ فِي أَوَّلِهِ»[١].

وطبعاً، كما رأينا آنفاً، فإنّ الآية الشريفة ٣٣ من سورة التوبة، وبغض النظر عن الروايات الطائفة الأُولى، ومع ضمّ الروايات الواردة في ذيلها، تقرّر أنّ الدين الإسلامي سيكون عالميّاً شموليّاً بظهور الإمام المهدي عليه السلام.

الطائفة الثانية: الروايات الدالة على وجود سائر الأديان

وفي النقطة المقابلة لروايات الطائفة الأُولى، فهناك روايات أخرى تبيّن هذه الحقيقة وهي أنّ الناس من غير المسلمين وفي عصر حكومة الإمام المهدي عليه السلام، يبقون على أديانهم المختلفة كاليهوديّة والمسيحيّة ويكلّفون بدفع الجزية.

وبعبارة أخرى، إنّ هذه الطائفة الثانية من الروايات، تعارض الطائفة الأُولى التي تنفي وجود سائر الأديان من الأساس، وترى الطائفة الثانية من الروايات أنّ الأديان الأخرى وكذلك أتباع هذه الأديان ستبقىٰ وتستمر بعد عصر الظهور ولكن بشروط خاصّة، وهنا نستعرض بعض هذه الروايات.

جاء في إحدى هذه الروايات، رواية عن ابن عباس في تأويل الآية ٩ من سورة الصف، يقول تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[٢].

---

١. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٣٦، ص ٣٢٥، نقلاً عن كفاية الأثر في النص على الأئمّة الإثني عشر، عليّ بن محمّد الخزاز القمي، ص ٦٢؛ وبهذا المضمون في نفس المصدر، ص ٣٤٢ و ٣٤٤.

٢. سورة الصف، الآية ٩.

وفي سياق بيان دلالة هذه الآية الشريفة تقول الرواية المذكورة:

«... لَا يَكُونُ ذَلِكَ حَتَّىٰ لَا يَبقَىٰ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصرَانِيٌّ وَلَا صَاحِبُ مِلَّةٍ إِلّا دَخَلَ فِي الإِسلامِ... وَحَتَّىٰ تُوضَعَ الجِزْيَةُ... وَذَلِكَ يَكُونُ عِنْدَ قِيَامِ القَائِمِ»[١].

وكذلك ما ورد في رواية أخرى عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

«إِذا قَامَ القَائِمُ عَرَضَ الإِيمَانَ عَلَىٰ كُلِّ نَاصِبٍ، فَإِنْ دَخَلَ فِيهِ بِحَقِيقَةٍ وَإِلّا ضَرَبَ عُنْقَهُ أَو يُؤَدِّي الجِزيَةَ كَمَا يُؤَدِّيها اليومَ أَهْلُ الذِّمَةِ وَيَشُدُّ عَلَىٰ وَسَطِهِ الهِمْيانَ وَيُخرِجُهُم مِنَ الأَمصَارِ إِلَىٰ السَّوادِ»[٢].

وعلى هذا الأساس فإنّ هاتين الطائفتين من الروايات متعارضتان حسب الظاهر، لأنّ روايات الطائفة الأُولى تقول: «لا يبقى أتباع أي دين من الأديان في عصر ظهور الإمام المهدي عليه السلام»، ولكن روايات الطائفة الثانية تقول: «إنّ أتباع الأديان الإبراهيميّة سيبقون على دينهم في عصر الظهور وبشروط خاصّة».

بيان ثلاث طرق للجمع بين رواية الطائفة الأُولى والثانية

وعلى ضوء ذلك، قد يطرح هذا السؤال: كيف يمكن رفع هذا التعارض الظاهري بين هاتين الطائفتين من الروايات؟ وبعبارة أخرى، على فرض صحّة سند روايات كلتا الطائفتين من الروايات، ما هو الطريق للجمع بين هاتين الطائفتين؟

وفي مقام الجواب عن السؤال المذكور ينبغي القول: توجد في هذا المجال ثلاث طرق أساسيّة، ويمكن الالتزام بأحد هذه الطرق الثلاث لرفع التعارض المذكور، رغم أنّه لا يمكن في نهاية المطاف القول بأنّ جميع هذه الطرق هي من الجمع العرفي، والآن نستعرض هذه الطرق الثلاث:

---

١. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٥١، ص ٦٠، ج ٥٢، ص ٣٧٥ و ٣٧٦.

٢. الكافي، الشيخ الكليني رحمه الله، ج ٨، ص ٢٢٧.

الطريق الأوّل: غلبة الدين الإسلامي وبقاء بعض الأديان الأخرى بشروط خاصّة

الطريق الأوّل بأن نقول إنّ الطائفة الأُولى من الروايات تدلّ على غلبة الدين الإسلامي على سائر الأديان، بمعنى أنّ الدين الغالب في المجتمعات البشريّة في ذلك الزمان هو الدين الإسلامي، وأنّ الإسلام يمتدّ إلى كافة الأماكن والمناطق في العالم وأنّ جميع المجتمعات البشريّة ترفع لواء الشهادة بالتوحيد ورسالة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله، ولكن هذه الغلبة والشموليّة لا تتنافى مع روايات الطائفة الثانية، لأنّه من الممكن وجود عدد محدود من أتباع الأديان الأخرى في بعض نقاط العالم ويعطون الجزية للمسلمين.

الطريق الثاني:زوال الشرك والإذن بالعمل بسائر المذاهب والأديان ضمن شاهدين

الطريق الثاني للجمع بين الطائفة الأُولى والطائفة الثانية من الروايات، هو: أنّ روايات الطائفة الأُولى تحمل على معنى عدم بقاء الشرك والمشركين في عصر ظهور الإمام المهدي عليه السلام، ولكن أتباع سائر الأديان إذا أرادوا البقاء على دينهم الحقيقي وغير المحرّف جاز لهم ذلك.

وطبعاً يمكن القول، كما أنّ القرآن الكريم في عصر ظهور الإمام المهدي عليه السلام سينتهي به الحال إلى مرحلة البروز والعمل والتطبيق كما كان قد نزل على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وهكذا الحال في الكتب السماويّة الأخرى فإنّ الإمام عليه السلام سيظهر في ذلك الزمان التوراة والإنجيل الحقيقيين إلى اليهود والنصارى، وتأييداً لهذه المقولة يمكن الاستشهاد بروايتين على ذلك، وهما:

الشاهد الأوّل: الروايات التي تدلّ على الكشف عن التوراة والإنجيل الحقيقيين

وأوّل شاهد روائي على هذه المقولة، الإستشهاد ببعض الروايات الواردة في مصادر أهل السنّة عن هذه المسألة، وأنّ الإمام المهدي عليه السلام، إنّما سمّي المهدي عليه السلام

لأنّه سيرشد الناس في زمان ظهوره إلى جبال الشمال لاستخراج كتب التوراة والإنجيل الأصليّة، ومع استكشاف هذه الكتب فإنّ الإمام سيحتجّ بواسطة التوراة الحقيقيّة على اليهود، وبالإنجيل الحقيقي على النصارى، وبالنتيجة سيؤمن جماعة كثيرة من المسيحيين واليهود ويعتنقون الإسلام، ونشير هنا إلى إحدى هذه الروايات الواردة عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«وَإِنَّمَا سُمِّي المَهْدِيَّ لأَنَّهُ يِهْدِي إِلىٰ أَمرٍ خَفِيٍّ وَيَستَخْرِجُ التَّورَاةَ وَسَائِرِ كُتُبِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ غَارٍ بِأَنطَاكِيةَ وَيَحْكُمُ بَينَ أَهْلِ التَّورَاةِ بِالتَّورَاةِ وَأَهلْ الإِنْجِيلِ بِالإِنْجِيلِ وَبَينَ أَهْلِ الزَّبُورِ بِالزَّبُورِ وَبَينَ أَهْلِ القُرآنِ بِالقُرآنِ»[١].

الشاهد الثاني: الروايات التي تدلّ على عودة النبي عيسى عليه السلام

الشاهد الثاني، الذي يمكن الاستشهاد به على الطريق الثاني، هو الاستشهاد ببعض الروايات التي تبيّن هذه الحقيقة، وهي أنّ النبي عيسى عليه السلام سيعود في عصر ظهور الإمام المهدي عليه السلام وأنّ الإمام عليه السلام سيعمل على كسر الصلبان وإزالة الخرافات عن الديانة المسيحيّة وكشف حقيقة المسيحيّة للناس، وهنا نشير إلى إحدى هذه الروايات:

«المَهْدِيُّ يَكسِرُ الصّلِيبِ وَعِنْدَهُ عِيسىٰ»[٢].

أجل، ينبغي الالتفات إلى هذه النقطة، وهي أنّ هذا الأمر سيكون في بداية

---

١. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٥٢، ص ٣٥٠؛ وورد بهذا المضمون في منابع أهل السنّة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «إنّما سمّي المهدي، لأنّه يهدي إلى أمر قد خفي ويستخرج التوراة والإنجيل من أرض يقال لها انطاكية. (عقد الدرر، الشافعي، الباب الثالث، ص ٤٠ و ٤١).

٢. المعجم الصغير، الطبراني، ص ١٥٠؛ صحيح البخاري، ج ٣، ص ٢٣٢؛ إثبات الهداية، ج ٣، ص ٦٥٠.

الظهور، ولكن بعد ذلك وبملاحظة وجود التوراة والإنجيل الأصليّة وبعد حضور النبي عيسى عليه السلام فينبغي القول إنّ جميع أتباع هاتين الديانتين سيعتنقون الإسلام.

الطريق الثالث: غلبة الإسلام على المعاندين والسماح ببقاء المتدينيين المسالمين

الطريق الثالث للجمع بين هاتين الطائفتين من الروايات، هو أنّ الروايات التي تتضمن هذا المفهوم وهو:

«فَإِنْ دَخَلَ فِيهِ بِحَقِيقَةٍ وَإِلّا ضَرَبَ عُنُقَهُ...»[١]، أو«فَيَضَعُ فِيهِمُ السَّيفَ حَتّىٰ يَأْتِي عَلىٰ آخِرِهِمْ...»[٢].

فتحمل هذه النصوص على أنّ الأشخاص الذين أدركوا حقانية الإسلام ولكنّهم أصروا على عنادهم ولم يذعنوا لهذه الحقيقة ولم يؤمنوا بالإسلام، فإنّهم سينالون مثل هذه العقوبة، وعلى ضوء ذلك، فلا يوجد تعارض بين بقاء بعض اليهود والنصارى من الذين لا يعيشون حالة العناد واللجاج، فلا إشكال في بقائهم على دينهم.

النقطة الثانية: بيان كيفيّة وخصائص الدين في عصر الظهور

رأينا في التوضيح المتقدّم الأوّل تعبير روائي، إنّ الإمام المهدي عليه السلام لا يأتي بدين جديد مختلف من حيث الماهية والحقيقة مع الدين الإسلامي الحالي، بل في عصر الظهور سيكون هذا الدين نفسه، الذي بشّر البشريّة بمسألة الظهور وحثهم على الاستعداد والانتظار، سيكون هو الأساس والأصل الاعتقادي للناس في ذلك العصر، رغم أنّه من الممكن بيان بعض الأحكام الشرعيّة في عصر الظهور والتي لم تبيّن للناس لحدّ الآن، ومن هذه الجهة يتصوّرون أنّه دين جديد.

---

١. الكافي، الشيخ الكليني رحمه الله، ج ٨، ص ٢٢٧.

٢. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٥٢، ص٣٣٨.

وطبعاً يمكن استفادة هذا المعنى من بعض العبارات الواردة في الروايات الشريفة والتي تبيّن في مضامينها بعض أحكام وتعاليم الدين في زمان الظهور، وهذه العبارات من قبيل ما ورد في رواية عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

«إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وتَعالَىٰ... سَكَتَ عَنْ أَشيَاءَ لَمْ يَسْكُتْ عَنْها نِسيَاناً لَهَا فَلا تُكَلِّفُوها رَحْمَةً مِنَ اللهِ لَكُمْ فَاقْبَلُوها»[1].

رغم وجود احتمال آخر أيضاً لما ورد في هذه الرواية، وهو أنّ المقصود من «السكوت الدائمي والمستمر»، يعني، أنّه من الممكن أن لا يبيّن الله تعالى هذه الأحكام في أي زمان آخر.

وعلى أيّة حال، فمن خلال التتبع في مجموع هذه الروايات الواردة في هذا الشأن، والتي تتحدّث عن خصوصيّات الدين في عصر ظهور الإمام المهدي عليه السلام يمكننا أن نستوحي عدّة خصوصيّات مهمّة، وهي:

الخصوصيّة الأُولى: تغيير تطبيق الأحكام ضمن شاهدين في الرواية

وإحدى الخصوصيّات الواردة في عصر ظهور الإمام المهدي عليه السلام، هو أنّ كيفيّة تطبيق بعض الأحكام الشرعيّة في ذلك العصر سيتغيّر، وفي هذا المجال نكتفي بذكر شاهدين، وهما:

الشاهد الأوّل: حرمة الاكتناز

فقد ورد في بعض الروايات الشريفة أنّ كلّ شخص يملك كنزاً، فإنّ الإمام المهدي عليه السلام يحرّم عليه ذلك ويأمره باظهاره، يقول الإمام الصادق عليه السلام في هذا الصدد:

«مُوَسَّعٌ عَلىٰ شِيعَتِنا أَنْ يُنْفِقُوا مِمَّا فِي أَيدِيهِمْ بِالمَعرُوفِ فَإِذا قَامَ قَائِمُنا حَرَّمَ عَلىٰ كُلِّ ذِي كَنْزٍ كَنزَهُ حَتَّىٰ يَأْتِيَهُ بِهِ فَيَستَعِينُ بِهِ عَلىٰ عَدُوِّهِ»[2].

---

١. من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق رحمه الله، ج ٤، ص ٧٥.

٢. من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق رحمه الله، ج ٤، ص ٧٥.

وطبعاً ورد في هذه الرواية أنّ الإمام الصادق عليه السلام في ذيل هذه الرواية استشهد بالآية الشريفة: وقال: وهو قول الله عزّ وجلّ:

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[١].

أي أنّ هذه الرواية تأويل لهذه الآية الشريفة من سورة التوبة.

وعلى هذا الأساس ينبغي الالتفات إلىٰ أنّه يمكن القول طبقاً لهذه الأحاديث الشريفة: أساساً إنّ التأويل الأصلي وممّا يعدّ بطون بعض الآيات الشريفة في القرآن سيتبيّن في زمان ظهور بقيّة الله الأعظم عليه السلام، ومن هذه الجهة لا يمكن القول إنّ الأشخاص الذين يملكون كنزاً قبل زمان الظهور مشمولون لهذه الآية الشريفة، وبعبارة أخرى لا يمكن القول إنّ الأشخاص الذين يعيشون في هذا الزمان ويؤدّون ما عليهم من زكاة وإنفاق بشكل صحيح ويملكون كنزاً أيضاً فإنّ هذا الكنز حرام عليهم، ولكن يمكن القول إنّه إلى حين زمام الظهور، فإنّ «الانفاق بالمعروف واجب» وفي زمان الظهور سيكون بنحو آخر.

الشاهد الثاني: تطبيق الحدّ الشرعي لمانعي الزكاة

وجاء في بعض الروايات أنّ الإمام المهدي عليه السلام في عصر الظهور، سيقوم بتطبيق الحدّ الشرعي على الأشخاص الذين يمنعون زكاتهم، كيما يمكن تطهير المجتمع من فسادهم ومن لوث وجودهم، لأنّ هؤلاء المرابين والغاصبين لحقوق وأموال الناس، الذين اشتغلوا طيلة عمرهم بغصب أموال الناس وسحق حقوقهم والاحتكار وزيادة الأسعار و...، وكذلك امتنعوا من بذل ما عليهم من الحقوق الإلهيّة، ولم يكتفوا بذلك فقط بل منعوا الآخرين من القيام بهذه الأعمال الخيرة والصالحة، رغم أنّهم يدّعون الإسلام والصلاح حسب الظاهر، فالإمام عليه السلام يجري عليهم الحدّ الشرعي.

---

١. سورة التوبة، الآية ٣٤.

وطبعاً لا ينبغي الغفلة عن أنّ هذه العقوبة مختصّة بزمان ظهور الإمام ولا تتعلّق بمرحلة ما قبل ظهوره عليه السلام، ومن هذه الجهة فقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«إِذا قَامَ القَائِمُ أَخَذَ مَانعَ الزَّكَاةِ فَضَرَبَ عُنُقَهُ»[1].

أو ما ورد في رواية أخرى أيضاً:

«لَوْ قَدْ قَامَ القَائِمُ لَحَكَمَ بِثَلاثٍ لَمْ يَحْكِمْ بِها أَحَدٌ قَبْلَهُ... وَيَقْتُلُ مَانِعَ الزَّكَاةِ...»[2].

الخصوصيّة الثانية: نسخ بعض الأحكام مع شاهد روائي واحد

وإحدى الخصوصيّات لعصر ظهور الإمام المهدي عليه السلام، هو أنّ الإمام عليه السلام سيقوم في ذلك العصر بنسخ بعض الأحكام الشرعيّة، على سبيل المثال «التقيّة» التي كانت معمولاً في زمن الأئمّة المعصومين عليهم السلام، وأحياناً تتّصف بالوجوب وأخرى الحرمة، وربّما تتّصف في حالات أخرى بالجواز والإباحة والكراهة، وهذه الأحكام المترتبة على التقيّة ستستمر إلى زمن نهاية عصر الغيبة، وطبقاً لبعض الروايات أنّ التقيّة في عصر ظهور الإمام المهدي عليه السلام ستفقد مشروعيتها ولا يعمل الإمام صاحب الزمان بالتقيّة ولا يصدر حكماً على أساسها ولا يبيح للناس العمل بالتقيّة، وعلى سبيل المثال، ما ورد في ذيل الآية الشريفة ٩٨ من سورة الصف:

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾.

يقول الإمام الصادق عليه السلام في تأويل هذه الآية:

«قَالَ عليه السلام: رَفَعَ التَّقِيَّةَ عِندَ قِيامِ القَائِمِ فَيَنتَقِمُ مِنْ أَعدَاءِ اللهِ»[3].

---

١. الكافي، الشيخ الكليني رحمه الله، ج ٣، ص ٥٠٣.

٢. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٥٢، ص ٣٢٥.

٣. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ١٢، ص ٢٠٧.

وقال في رواية أخرى:

«لَيْسَ عِنْدَهُمْ تَقِيَّةٌ»[١].

وطبعاً لابدّ من التذكير بهذه النقطة، وهي أنّ ظاهر الروايات الواردة في هذا المجال هو «الاطلاق» بحيث يشمل جميع أقسام التقيّة، يعني، أنّ التقيّة في عصر ظهور الإمام المهدي عليه السلام غير مشروعة بكافة أشكالها وأنواعها من قبيل: «التقيّة المداراتيّة» و«الخوفيّة» و«الإكراهيّة» و«الكتمانيّة»، لأنّ الأحكام الشرعيّة سوف تظهر في ذلك العصر على شكلها الحقيقي، ومن هذه الجهة يلزم أن تقع الأحكام الواقعيّة مورد التطبيق والعمل على أرض الواقع، ومن جهة أخرى فإنّ مشروعيّة التقيّة ترتبط بمسألة حفظ العقائد الصحيحة وصيانها والمحافظة على أتباع المذهب الحقّ، ومعلوم أنّه في ذلك الزمان لا يبقى مجال لمثل هذه الأمور.

الخلاصة ونتيجة البحث

ويتبيّن من مجموع النقاط المطروحة آنفاً، وكذلك من جميع التعبيرات الروائيّة الواردة في مجال «كيفيّة الدين في عصر الظهور» أنّ الدين في عصر ظهور الإمام المهدي عليه السلام سيصل إلى مرحلة التطبيق بجميع أبعاده وإمكاناته بالقوّة وبالفعل، وبالتالي ستتحقّق السعادة البشريّة في أجوائه، ونتيجة ذلك أنّه لا تبقى أي محدوديّة في ذلك الزمان لبيان وتطبيق الأحكام الشرعيّة والقوانين الإلهيّة، وأي مانع من تنفيذ هذه التعاليم وتطبيق الأحكام سيزول ويتمّ إزاحته من الطريق بقدرة الباري تعالى، إن شاء الله

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

١. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٥٣، ص ٤٦، وهذه العبارة واردة في رواية مطولة في نفس المصدر المذكور، لمزيد من الإطلاع أُنظر: المصدر السابق، ج ٥٢، ص ٣٤٥.

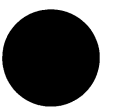

الفرق المنحرفة في عصر الغيبة

محاضرة أُلقيت في المهرجان الثقافي والفني للمهدويّة

ما ستقرأه في المقالة الثانية:

* الوهّابيّة أقوى وأهمّ أعداء الإسلام في عصر الغيبة.

* نظرة عابرة على عقائد الفرقة الوهّابيّة ومراحل ثلاث لظهورها:

* المرحلة الأُولى لظهور الوهّابيّة: أحمد بن حنبل إمام المذهب الحنبلي.

* المرحلة الثانية: ابن تيميّة استمرار لمسلك أحمد بن حنبل: القسم الأوّل: إشاعة العقائد الباطلة حول الباري تعالى، القسم الثاني: إشاعة وترويج العقائد الباطلة حول القرآن الكريم، القسم الثالث: إشاعة العقائد الباطلة حول الأنبياء والأولياء الإلهيين، القسم الرابع: إنكار فضائل أهل البيت عليهم السلام.

* المرحلة الثالثة: محمّد بن عبد الوهّاب، استمرار لمسلك ابن تيميّة.

* الوهّابيّة أخطر أعداء الإسلام في عصر الغيبة.

* بيان وظيفة المسلمين الحقيقيين في عصر الغيبة.

* الخلاصة ونتيجة البحث.

بسم الله الرحمن الرحيم

الفرق المنحرفة في عصر الغيبة

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [1]

نبارك ونهنيء جميع الشيعة في العالم وجميع المسلمين في العالم ذكرىٰ ولادة الإمام صاحب الزمان عليه السلام آخر أئمّة الشيعة، ومنقذ عالم البشريّة وأمل المنتظرين الذي يحقّق بظهوره المبارك سعادة البشريّة ويحقّق آمال الإنسانيّة.

موضوع البحث

إنّ أحد المواضيع المهمّة التي واجهها الدين الإسلامي الحنيف منذ ظهوره ولحدّ الآن تقريباً، وكذلك المنشأ لكثير من الانحرافات والخلافات والنزاعات التي خلّفت أضراراً كبيرة في جسد هذا الدين السماوي، هو موضوع: «الفرق المنحرفة» وهذا الموضوع في عصر غيبة آخر الحجج الإلهيين بات مورد اهتمام والتفات قوى الشرّ والضلالة أكثر من السابق، فقد استطاعت قوى الشرّ أن تترك آثاراً سيئة وخطيرة في عمليّة انحراف الإسلام عن خطّه الأصيل ومسلكه الرحماني، ومن هذه الجهة نرى من اللازم لعامّة المسلمين معرفة هذه الفرق الضالة والتيارات المنحرفة عن الإسلام الأصيل.

---

١. سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.

وطبعاً فالمحقّقون المحترمون يعلمون جيداً، أنّ التحقيق في هذا الموضوع وتبعاً لتعدد الفرق والمذاهب والتيارات المختلفة يتطلب مجالاً أوسع من هذا المقام، ولكن ما نسعى إليه في هذا المجال هو إلقاء نظرة على مجمل الأفكار والرؤى لإحدىٰ هذه الفرق المنحرفة والتأمّل والتحقيق في عقائدها ومتبنيّاتها، وهذه الفرقة هي «الوهّابيّة»، صنيعة الاستعمار.

الوهّابيّة أقوى وأخطر أعداء الإسلام في عصر الغيبة

وعلى أساس ما تقدّم من النقاط، نرى من اللازم، بل من الضروري على كلّ مسلم يفكّر في مستقبله ومستقبل دينه، سواءً كان شيعياً أم سنّياً، أن يتدبّر ويفكّر في آراء وأفكار المسالك والتيارات الوضعيّة المبتدعة وآراء المذاهب البشريّة الدخيلة في الدين ومنها مذهب الوهّابيّة الباطل، الذي خلق من أجل القضاء على دين الإسلام، لأنّ المسلم أساساً عندما يريد التحرّك على صعيد التحقيق في أمور دينه خطوة بعد خطوة فلابدّ له من معرفة البنية التحتانيّة والأُسس الفكريّة لهذه النحلة الخطيرة والمذهب المجعول وأمثاله.

ومن الطبيعي أنّ بعض الأفراد ربّما لم يسمعوا لحدّ الآن باسم «الوهّابيّة»، أو لم يطلعوا بشكل صحيح على عقائدهم وأفكارهم، ولكن يجب أن يعلم الجميع أنّ أعدىٰ عدوّ للإسلام اليوم هو هذا المذهب الإستعماري، وأنّ عداوته للإسلام أشدّ بكثير من عداوة اليهود والنصارى وسائر المذاهب والأديان الأخرى.

وبديهي أنّ المقصود من العداوة الشديدة من قبل هذه الفئة المنحرفة هو أنّ فرقة الوهّابيّة منذ بداية تأسيسها الاعتقادي إلى زمان ظهور قدرتها السياسيّة، تحرّكت بشدّة على صعيد تعبئة جميع الإمكانات الماديّة والمعنويّة لها لافراغ الدين الإسلامي من ماهيته الإلهيّة والأصليّة، وجعل الإنسان المسلم، إنساناً ممسوخاً والعمل على صياغة شخصيته بخلاف ما أراده القرآن الكريم منه.

أجل، فمن بين ألد أعداء الإسلام وأشدّهم على الرسالة الإلهيّة وأكثرهم حقداً وبغضاً وعداوة للإسلام، هم أتباع فرقة الوهّابيّة، التي اكتسبت أصولها من المذهب الحنبلي، ومن هذه الجهة يجب إلقاء نظرة ولو بشكل إجمالي على تشكيل المذهب الوهّابي بما يسع المجال لذلك.

إطلالة سريعة على عقائد فرقة الوهّابيّة والمراحل الثلاث لنشوئها

وإحدى عشرات العقائد الباطلة والأساسيّة لهذا المذهب الوضعي الوهّابي، المعروف بالمذهب الحنبلي، هو أنّ هذا المذهب «يزيح تماماً العقل عن دائرة الدين»، ويعتقد أتباع هذا المذهب أنّه يجب الأخذ بكلّ ما هو الظاهر من الآيات والروايات، سواءً كان هذا الظاهر منسجماً مع العقل أم غير منسجم، على سبيل المثال: يعتقد أتباع هذه الفرقة الضالّة في بيان مقصود القرآن الكريم من الآية الشريفة: ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِم﴾[١]، أنّ الله تعالى يملك يداً على نحو الحقيقة كما لأي إنسان عادي، ولكن عندما يردّ عليهم بأنّ الله الذي له يد فهذا يعني، أنّه يحتاج إلى اليد، في حين أنّ الله تعالى غني وغير محتاج، وأنّ الله إذا كان محتاجاً فلا يكون إلهاً، ويجيب الحنابلة طبقاً لتعاليمهم: «لا يجوز البحث والكلام في هذه الأمور ويجب ترك النقاش فيها».

أو حسب ما ورد في بعض الروايات الإسلاميّة أنّ الملائكة تنزل من السماء وترى وتشهد أعمال الناس وتدوّنها، ولكن الحنابلة يعتقدون فيما يتّصل بهذه الروايات أنّ الله تعالى ينزل في كلّ ليلة جمعة أو في إحدى ليالي الاسبوع إلى السماء الدنيا ويرى أعمال الناس ويقوم بتدوينها وكتابتها.

وكذلك وفقاً لعقائدهم الباطلة يفتون بأنّ عمل الشيعة، في سجودهم في الصلاة

---

١. سورة الفتح، الآية ١٠.

على التربة، من «الشرك» ويقولون بأنّه هذا «شرك» في حين أنّ الشيعة يستخدمون التربة في صلاتهم بوصفها محلّ سجودهم لا أنّهم يعبدون التربة كما يزعم هؤلاء المنحرفون، أو عندما يتوسّل بالأنبياء والأولياء الإلهيين عليهم السلام ويزورون قبورهم، فالوهّابيّة ترى هذا من الشرك، في حين أنّ التوسّل بهذه الذوات المقدّسة لا يعني عبادتهم.

وعلى ضوء ذلك، كما يتبيّن من خلال المرور ببعض أفكار وعقائد هذه الفرقة، أنّ المذهب الوهّابي حاله حال المذهب الحنبلي، يعتبر لدى العلماء والأكابر من المفكّرين المسلمين بوصفه عقيدة جامدة وجافة، خلافاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام الذي يرى بأنّ العقل حجّة إلى جانب حجيّة الأنبياء الإلهيين عليهم السلام، ولكن الوهّابيّة أخرجت العقل تماماً عن دائرة الدين والعقائد الدينيّة.

وعلى هذا الأساس وبعد هذه المقدّمة نرى من اللازم إلقاء نظرة على منشأ هذا التيار المنحرف والمذهب الوهّابي، أو المراحل الثلاث لظهور هذه الفرقة المنحوسة، وكذلك إلقاء الضوء على بعض أفكارهم المنحرفة والحديث عن الأخطار التي تواجه الإسلام من هذه الفرقة الضالّة، لأنّ هذا العصر يستدعي أن يستيقظ الجميع من سباتهم، وإلّا فإننا نواجّه هجمة شرسة وغارة ثقافيّة وعقائديّة للأعداء.

المرحلة الأُولى: أحمد بن حنبل، إمام المذهب الحنبلي

لا شكّ في أنّ أوّل مرحلة لتشكل المذهب الوهّابي يكمن في معرفة تعاليم المذهب الحنبلي، لأنّه كما تقدّم آنفاً، أنّ جذور المذهب الوهّابي تمتد تاريخياً إلى المذهب الحنبلي وهو أحد المذاهب الأربعة لأهل السنّة، والذي أسسه أبوعبد الله أحمد بن محمّد بن حنبل (١٣٤ ـ ٢٤١ هـ ق)، والذي يعتبر إمام هذا المذهب.

وقام ابن حنبل بتدوين أصول العقائد الإسلاميّة استناداً للأحاديث الواردة، ولذلك يعتبر «إمام أهل الحديث»، وفي البداية كان من أبرز تلاميذ الشافعي، ولكنّه

بعد ذلك أعرض عن الشافعي وأسس مذهباً مستقلاً يدعى «المذهب الحنبلي» الذي يقوم على عدّة أصول، وهذه الأصول عبارة عن: «الاستفادة من نصّ القرآن والسنّة، وفتاوى صحابة النبي الأكرمﷺ، والقول الموافق للكتاب والسنّة لبعض الصحابة وكذلك الأحاديث المرسلة والضعيفة».

وعلى هذا الأساس، فإنّ بعض عقائد أحمد بن حنبل عبارة عن:

الأوّل: الإيمان بوجوب القدر والروايات الواردة في هذا الباب: مع أنّه يعتقد بعدم جواز السؤال في هذا المورد، ومن هذه الجهة فإنّه يوصي أتباعه بإجتناب المناظرة والجدل مع الآخرين.

الثاني: تشبيه صفات الخالق بصفات المخلوق: فقد ذهب في إثبات صفات الباري تعالى إلى حدّ تشبيهها بصفات المخلوقين.

الثالث: الإصرار على قدم القرآن: فهو لا يعتقد بأنّ القرآن حادث، بل هو قديم كما هو الحال في الذات الإلهيّة المقدّسة.

ومعلوم أنّ أحمد بن حنبل، مع وجود بعض العقائد الباطلة في مذهبه، كان يسعى مهما أمكن في الإشادة وإثبات فضائل الإمام عليّعليه السلام، وقبل ذلك لم يرد في كتب المحدّثين لأهل السنّة الإشادة بالخليفة الراشدي الإمام عليّعليه السلام، وكانت هذه المسألة محلّ جدل ونزاع بين موافق ومخالف، إلّا أنّ أحمد بن حنبل، الذي أعلن بشكل رسمي أنّ الإمام عليّعليه السلام من الخلفاء الراشدين، واستطاع بكثير من الجهد تكريس مسألة «تربيع الخلافة الراشدة» ومن هذه الجهة واجه تحديات صعبة ومعارضة شديدة من قِبل النواصب، وأفضل شاهد على ذلك كتابه «مناقب الصحابة» يقول: «الحمصي»، عندما طرحت مسألة «تربيع الخلافة» من قبل أحمد ابن حنبل، ذهبت إليه وقلت: إنّ عملك هذا يعني الطعن بطلحة والزبير، فقطب جبينه وقال: ما لي ولهؤلاء؟ ثمّ نقل كلام عبد الله بن عمر وقال: إنّ عمر أفضل من ولده،

وقد جعل من عليٍّ أحد أعضاء شورى الستة، وقد طرح علي نفسه بصفة أميرالمؤمنين، والآن نقول: إنّ عليّ ليس بأميرالمؤمنين[١].

المرحلة الثانية: ابن تيميّة استمرار لمسلك أحمد بن حنبل

المرحلة الثانية في تشكيل المذهب الوهّابي يعود إلى معرفة ابن تيميّة، وابن تيميّة هذا ولد في القرن السابع الهجري بعد أحمد بن حنبل، وكان ذلك لست سنوات بعد سقوط بغداد على يد المغول، وكانت ولادته في إحدى نقاط الشام باسم «حران» وفي أُسرة من أتباع المذهب الحنبلي، الذين كانوا من دعاة هذا المذهب لأكثر من قرن، وأبوه عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله ابن تيميّة الحراني، وقد أطلق عليه اسم أحمد، وهذا الطفل عرف بعد ذلك بابن تيميّة (٦٦١ حران تركية ـ ٧٢٨ هـ ق)، وقد هاجر مع عائلته إلى دمشق وحضر في البداية درس والده في المسجد الجامع في مدينة دمشق، ثمّ حضر عند سائر الاستاذة وانشغل بطلب العلم وأخيراً حصل على إجازة الفتوى من استاذه الأخير وهو شرف الدين أحمد بن نعمة المقدسي، وبعد وفاة والده جلس على كرسي التدريس في المسجد الجامع في دمشق.

وقد بقي ابن تيميّة إلى سنة ٦٩٨ هـ وقد إرتدى لباس رجال الدين الحنابلة في الشام، ولم يظهر منه إلى تلك السنة انحراف في العقيدة والرأي، ولكن بعد ذلك وفي مقام جوابه عن أسئلة الناس في مدينة «حماة» كتب رسالة باسم «الرسالة الحمويّة» وظهرت عليها آثار انحرافه، لأنّه ذكر في هذه الرسالة وخلافاً لصريح الآيات القرآنيّة[٢] والدلائل المحكمة والبراهين العقليّة لعلماء الكلام من المعتزلة

---

١. أُنظر: طبقات الحنابلة، ابن أبي يعلي، ج ١، ص ٣٩٣.

٢. ومن جملة الآيات التي تصرّح بأنّ الله تعالى منزّه عن الجسمانيّة وعن أي نوع من المماثلة ☜

والأشاعرة والشيعة في مسألة صفات الله تعالى، أنّه يرى أنّ الله تعالى له «جهة» ولوح بأنّ الذات الإلهيّة المقدّسة لها «جسم» وقال إنّ الله فوق السماوات جلس على عرشه.

وعلى هذا الأساس استنكر علماء عصره عقائد ابن تيميّة وقاموا باعلان المخالفة له ومنعه من نشر أفكاره الضالّة، وأقاموا جلسة لمحاكمته في قصر الحاكم في دمشق مع حضور القضاة وحكموا عليه بالضلالة والانحراف، وبعد صدور هذا الحكم أُرسل ابن تيميّة إلى سجن بقلعة الجبل في مصر ولكنّه خرج من السجن بعد سنتين وبقي في مصر ولم يترك أفكاره وآراءه إلى سنة ٧٠٧ هـ ق، حيث طرح مرّة ثانية أفكاره الباطلة ممّا تسبّب في تقديم شكوى ضدّه، ولذلك عاد إلى السجن مرّة أخرى بحكم القاضي، ولكن اطلق سراحه أيضاً بعد سنة واحدة،وفي عام ٧٠٩ هـ ق تمّ تبعيده إلى الاسكندريّة في مصر ولكن بعد ثمانية أشهر ومع تغيّر الأحوال عاد إلى القاهرة.

وتوجّه ابن تيميّة في عام ١٨ إلى الشام، وفي عام ٧١٨ تولى كرسي التدريس والافتاء في تلك الديار وطرح مرّة أخرى فتاواه وعقائده الباطلة والمثيرة للجدل، ولكن هذه المرّة وعندما وصل خبره إلى العلماء والقضاة والجهاز الحاكم، حكم في البداية بالسجن لمدّة خمسة أشهر في القلعة ثمّ اطلق سراحه، وبعد اطلاق سراحه استمر في التدريس إلى سنة ٧٢٦ هـ ق، إلى أنّ منع من ذلك بسبب اصراره على أفكاره المنحرفة ونشر آرائه الضالة وأُعيد إلى السجن في تلك القلعة حتّى سنة ٧٢٨ هـ ق، والتي رحل فيها عن هذه الدنيا في تلك القلعة، في حين أنّه حُرم لمدّة

☜ والمشابهة مع سائر الموجودة الآية ١١ من سورة الشورى التي تقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شيءٌ﴾، وكذلك جملة من الآيات الشريفة التي تنفي وجود جهة لله تعالى، وأنّ الله تعالى حاضر وناظر في جميع الأماكن، منها الآية ٤ من سورة الحديد: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُم﴾، وكذلك الآية ٨٤ من سورة الزخرف التي تقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّماءِ إِلهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلهٌ﴾.

خمسة أشهر قبل وفاته من الدواة والورق.

وبعد ذكر هذه المقدّمة نستعرض أهم المباني الفكريّة لابن تيميّة ويمكن تقسيمها بشكل مختصر إلى أربعة أقسام، وهي عبارة عن:

القسم الأوّل: إشاعة العقائد الباطلة بالنسبة لله تعالى

وأحد أهم الانحرافات الفكريّة لابن تيميّة ما يتعلّق بأفكاره الباطلة بالنسبة لله تعالى، ولتوضيح هذا المعنى ينبغي القول إنّ قسماً من صفات الله تعالى من قبيل «الوجه، واليد، والاستواء على العرش» وأمثال ذلك الواردة في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، لا يمكن للعقل البشري فهمها واستيعابها، وهي التي تدعى بالصفات الخبريّة، وعلى هذا الأساس فلا شكّ أنّ المعاني اللغوية لهذه الصفات الخبريّة تستلزم القول بجسمانيّة الباري تعالى، لأنّ كلمة «وجه» وكذلك «يد» و«استواء»، كلّها من صفات وحالات المخلوقين لا الخالق الذي ليس كمثله شيء والمنزّه عن هذه المعاني والحالات البشريّة، في حين أنّ ابن تيميّة وخلافاً لغالبية المسلمين، لم يهتمّ بالآيات التي تنزّه الذات المقدّسة عن الجسمانيّة وأصر في كتبه على أنّ الصفات الإلهيّة الخبريّة تحمل على معانيها اللغوية والمتداولة في العرف[1]، بل قال بأكثر من ذلك وأسند هذه العقيدة الباطلة إلى جميع الصحابة والتابعين، وطبعاً انتقد في ذات الوقت سائر المسلمين الذين حملوا هذه الكلمات والصفات الإلهيّة وبدلالة القرائن الموجودة في الآيات والروايات على المعاني المجازيّة والكنائيّة.

القسم الثاني: إشاعة العقائد الباطلة حول القرآن الكريم

والآخر من الانحرافات الفكريّة لابن تيميّة ما يرتبط بأفكاره الباطلة عن القرآن

---

١. أُنظر: الفتاوى، لابن تيميّة، ج ٥، ص ١٩٢.

الكريم، ومن ذلك أنّه يدعي لا توجد فيه آيات متشابهة، بل إنّ جميع الآيات القرآنيّة هي من المحكمات، وأنّ مسالة التشابه أمر نسبي، في حين أنّ القرآن الكريم يقول بصراحة:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ...﴾[١].

القسم الثالث: إشاعة العقائد الباطلة عن الأنبياء والأولياء الإلهيين عليهم السلام

والآخر من الانحرافات الفكريّة لابن تيميّة ما يتّصل بالاستهانة بمقامات الأنبياء والأولياء الإلهيين عليهم السلام، فهو يعتقد أنّ هؤلاء الأنبياء والأولياء بعد موتهم لا يختلفون أبداً عن أي فرد عادي من الناس، وقد طرح في هذا المجال بعض المسائل التي تهدف كلّها إلى شيء واحد وهو التقليل من مقام هؤلاء العظماء وبالتالي إظهارهم على أنّهم أشخاص عاديون، وبالأخص نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وأئمّة الدين العظام، وعلى ضوء ذلك، يعتقد ابن تيميّة:

«لا تجوز الصلاة إلى جانب القبور، وكذلك لا يجوز التوجّه والذهاب إلى المشاهد المشرفة لغرض العبادة فيها، من قبيل الصلاة، الاعتكاف، الاستغاثة، الابتهال، وقراءة القرآن، فهذه الأمور كلّها باطلة في هذه المشاهد والمزارات[٢]، وجميع الأحاديث المتعلّقة بزيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله ضعيفة بل موضوعة[٣]، وإذا قال شخص لميت قد غادر الدنيا ساعدني واشفع لي، وانصرني على أعدائي وأمثال ذلك، فإنّ هذا الدعاء والطلب الذي لا يستطيع الاجابة إليه غير الله تعالى، هو من

---

١. سورة آل عمران، الآية ٧.

٢. أُنظر: مجموعة الرسائل والمسائل ابن تيميّة، ج ١، ص ٦٠.

٣. أُنظر: قاعدة جليلة في التوسّل والوسيلة، لابن تيميّة، ص ١٥٦.

أقسام الشرك[١]، وإذا قال ذلك يجب عليه التوبة وإلّا وجب قتله[٢]، والأعياد هي شريعة من الشرائع التي يجب العمل بما ورد في دستورها، لا البدعة فيها، وهذا العمل من قبيل أعمال النصارى الذين يتّخذون من الحوادث المتعلّقة بالنبي عيسى عليه السلام عيداً[٣]، والبناء على أهل القبور من أعمال المشركين[٤]، فلو قال أحدهم أنني أطلب من النبي بجهة مقامه عند الله أن يكون شفيعي في هذه الأمور فهذا عمل المشركين[٥]، وبناء القبة والضريح على قبور الصالحين والأنبياء وأهل البيت هو من البدع المحرّمة في دين الإسلام»[٦].

القسم الرابع: إنكار فضائل أهل البيت عليهم السلام

والأمر الآخر من انحرافات ابن تيميّة الفكريّة ما يتعلّق بعداوته لأهل البيت النبي صلى الله عليه وآله، حيث يشاهد بوضوح في ما ورد من آرائه في كتاب «منهاج السنّة» والذي ينبغي تسميته «منهاج البدعة»، أنّ القارىء لهذا الكتاب الفاقد للمدارك، يستطيع أن يدرك مقدار عداوة ابن تيميّة لأهل البيت عليهم السلام، وفي الحقيقة أنّ ابن تيميّة بسبب عداوته للشيعة وأهل البيت عليهم السلام تحرّك على صعيد توهين وإنكار جميع الأحاديث والروايات التي تتحدّث عن فضائل ومقامات أهل البيت عليهم السلام وعلى رأسهم الإمام عليّ عليه السلام، بدون أن يستند إلى دليل ومدرك، وجميع الفضائل التي ذكرها عشرات من الرواة الحفظة من رواة أهل السنّة وصرّحوا بصحتها، ومن ذلك

---

١. أُنظر: الهداية السنيّة، محمّد بن عبدالوهاب، ص ٣٠.

٢. أُنظر: بعد زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور، ابن تيميّة، ص ١٧ و ١٨.

٣. أُنظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيميّة، ص ٢٩٣ و ٢٩٥.

٤. أُنظر: منهاج السنّة، لابن تيميّة، ج ١، ص ٤٧٤.

٥. أُنظر: زيارة القبور و الاستنجاد بالمقبور، لابن تيميّة، ص ١٥٦.

٦. أُنظر: منهاج السنّة، لابن تيميّة، ج ٢، ص ٤٣٥ ـ ٤٣٧.

أنّ ابن تيميّة اعترض على قولهم بأنّ آية المباهلة نزلت في حقّ أهل البيت عليهم السلام، وعلى فرض نزولها فيهم فإنّها لا تعدّ فضيلة لهم، أو أنّ آية التطهير لا تدلّ على عصمة أهل البيت عليهم السلام، وقال:

«ثمّ إنّ مضمون هذا الحديث أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله دعا لهم بأن يذهب عنهم الرجس ويطهّرهم تطهيراً، وغاية ذلك أن يكون دعا لهم بأن يكونوا من المتقين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم، واجتناب الرجل واجب على المؤمنين»[١].

أو أنّه أنكر فضائل الإمام عليّ عليه السلام وذهب إلى تضعيف الروايات التي تدلّ على ذلك والتي أوردها بعض كتّاب أهل السنّة، ويقول في هذا الصدد:

«لقد ذكر الترمذي أحاديث في فضائل علي والكثير منها ضعيفة»[٢]، وأنّ حديث «هو ولي كلّ مؤمن بعدي» كذب على رسول الله، بل هو في حياته ومماته ولي كلّ مؤمن وكلّ مؤمن ولّيه في المحيا والممات[٣].

وبعبارة أخرى، ففي نظر ابن تيميّة أنّ الملاك في صحّة الأشخاص هو نفسه، يعني، أنّ كلّ ما يستنبطه هو صحيح وإلّا فلا، وبالنتيجة ينبغي القول إنّ ما يوافق هوى ابن تيميّة فهو حجّة وما يخالف هوى نفسه فهو ضعيف أو مجعول، وطبعاً فإنّ الأفكار الباطلة لابن تيميّة لا تتحدد بهذه الموارد، بل تجاوزها إلى إنكار شأن نزول آية الإنذار[٤]، واعترض على شأن نزول آية المودّة[٥]، واعترض على شأن نزول آية

---

١. أُنظر: منهاج السنّة، ج ٣، ص ٤.
٢. المصدر السابق، ج ٧، ص ١٧٨.
٣. المصدر السابق، ج ٤، ص ١٠٤.
٤. المصدر السابق، ج ٧، ص ١٣٩ ـ ١٤٣.
٥. المصدر السابق، ج ٢، ص ١١٨.

الولاية[١]، وضعّف حديث الغدير[٢]، وذهب إلى تكذيب ذيله[٣]، وكذلك تكذيب حديث المؤاخاة[٤]، وإنكار حديث الولاية[٥]، وعشرات من العقائد الباطلة الأخرى التي لا يسع المجال إلى ذكرها في هذا المقال.

أجل، فابن تيميّة الحنبلي، مع فتحه لباب التكذيب بشكل تعسفي ومتعصب والقاء الشكوك والتضعيف للأحاديث الصحيحة قد أهدر بعمله هذا أتعاب أحمد بن حنبل في تثبيت فضائل الإمام علي عليه السلام، وانحرف عن مسلك إمام مذهبه وبإنكاره فضائل الإمام علي عليه السلام أحيا روح النصب والعداء لأهل البيت عليهم السلام.

وبعبارة أخرى، يمكن القول إنّ ابن تيميّة بطرحه هذه الآراء العجيبة والنظريات الغريبة سلك مسلك أحمد بن حنبل في باب التوحيد، ومن أجل تقوية هذه العقائد بذل جهوداً كبيرة ومساعٍ حثيثة في بيان مسائل كثيرة باطلة خلافاً للقرآن والسنّة فيما يتّصل بالتوحيد والشرك والبدعة بالإضافة إلى كلمات إمام مذهبه، إلى درجة أنّه تجاوز أحمد بن حنبل في هذا الشأن، لأنّ أحمد بن حنبل شرع من التقليل والتنقيص من مقام الباري تعالى وتنزل به إلى مستوى إنسان عادي، ولكن ابن تيميّة، الذي يتبعه الكثير من شعوب بلدان أهل السنّة وخاصّة في العربية السعوديّة، ليس فقط ذهب في عقائده إلى مذهب «التجسيم» و«التشبيه» بل تحرّك على صعيد تحقير وتنقيص مقام الأنبياء والأولياء عليهم السلام أيضاً، وفي هذا المطاف لجأ إلى جرح وتعديل عقائد أهل السنّة إلى درجة أنّ أحد علماء عصره ويدعى علي بن

---

١. أُنظر: منهاج السنّة، ج ٤، ص ٥ و ٦.
٢. المصدر السابق، ج ٧، ص ٣١٩.
٣. المصدر السابق، ج ٧، ص ٥٥.
٤. المصدر السابق، ج ٧، ص ٢٥٩ ـ ٣٦١.
٥. المصدر السابق، ج ٣، ص ٩.

عبدالكافي المعروف بتقي الدين السُبكي (٦٨٣ ـ ٧٥٦ هـ ق) يقول في مقدّمة كتابه «طبقات الفقهاء الشافعيّة» إنّ ابن تيميّة طعن بجسد عقائد المسلمين وابتدع في الدين، ويقول فيما يتّصل بأفكار ابن تيميّة المنحرفة:

«إنّ أفكاره لا تلائم عقيدة جمهور المسلمين وأحدث في أصول العقائد ونقض من دعائم الإسلام: الأركان والمعاقد بعد أن كان مستتراً بتبعية الكتاب والسنّة مظهراً أنّه داع إلى الحقّ، فخرج عن الاتباع إلى الابتداع وشذّ عن جماعة المسلمين»[١].

وكذلك ما ذكره الشيخ صفي الدين الهندي (٧١٠ هـ ق) من الإشارة إلى تلون وحقارة ابن تيميّة وقال:

«ما أراك يابن تيميّة إلّا كالعصفور حيث أردت أن أقبضه من مكان فرّ إلىٰ مكان آخر»[٢].

وأخيراً يتحدّث شمس الدين الذهبي (٦٧٣ ـ ٧٤٨ هـ ق) وهو من تلامذة ابن تيميّة وحنبلي المذهب، عن الانحرافات الكثيرة في سلوكيات وأفكار ابن تيميّة، ويقول في رسالة له باسم «النصيحة الذهبيّة» مخاطباً استاذه بالقول:

«ياخيبة! من اتّبعك فإنّه معرض للزندقة والإنحلال... فهل معظم أتباعك إلّا قعيد مربوط، خفيف العقل، أو عامّي، كذّاب، بليد الذهن، أو غريب واجم قويّ المكر، أو ناشف صالح عديم الفهم، فإن لم تصدّقني ففتّشهم وزِنْهم بالعدل»[٣].

---

١. طبقات الفقهاء الشافعيّة، السبكي، ج ١٠، ص ١٨٦.

٢. طبقات فقهاء الشافعيّة، ج ٩، ص ١٦٢.

٣. الإعلام بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ، السخاوي، ص ٧٧.

وطبقاً لنقل المؤرخين فإنّ عقائد ابن تيميّة المتضمنة للكفر والعداء للإسلام بلغت حسب نقل ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ ـ ٨٥٢ هـ ق) أنّ قضاة أهل السنّة قالوا في زمن حياة هذا الملعون:

«من اعتقد عقيدة ابن تيميّة حلّ دمه وماله»[١].

نعم، في زمان ابن تيميّة وبعده نرى الكثير من علماء أهل السنّة قد اتّخذوا منه هذا الموقف الواضح والشديد[٢]، وألّفوا كتباً كثيرة جدّاً

---

١. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، ج ١، ص ١٤٧؛ والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الشوكاني، ج ١، ص ٦٧؛ مرآة الجنان، اليافعي، ج ٢، ص ٤٤٢؛ وكذلك في نفس المصدر، ج ١، ص ١٥٤.

٢. وعلى سبيل المثال: يقول محمّد بن علي الشوكاني (١١٧٣ ـ ١٢٥٠ هـ ق) نقلاً عن محمّد علاء البخاري الذي صرّح بكفر ابن تيميّة:

«صرّح (محمّد بن محمّد العلاء البخاري) بتبديعه ثمّ تكفيره، ثمّ صار يصرح في مجلسه أنّ من أطلق على ابن تيميّة أنّه شيخ الإسلام فهو بهذا الاطلاق كافر» (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الشوكاني، ج ٢، ص ٢٦٠).

وكذلك تحدّث الشيخ تقي الدين أبوبكر بن محمّد الحصني الدمشقي الشافعي (٧٥٢ ـ ٨٢٩ هـ ق) عن ابن تيميّة وقال:

«فاعلم أنّي نظرت في كلام هذا الخبيث الذي في قلبه مرض الزيغ، المتتبّع ما تشابه من الكتاب والسنّة ابتغاء الفتنة وتبعه على ذلك خلق من العوام وغيرهم ممن أراد الله عزّ وجلّ إهلاكه، فوجدت فيه ما لا أقدر على النطق به، ولا لي أنامل تطاوعني على رسمه وتسطيره، لما فيه من تكذيب ربّ العالمين» (الدرّة المضية في الردّ على ابن تيميّة تقي الدين السبكي، ص ٢، وكذلك ذكر الشيخ تقي الدين السبكي في كتابه (دفع الشبه مَن شبه وتمرد) بعد نقله لكلام ابن تيميّة وأشار أنّه زنديق وقال:

«هذا شيء تقشعرّ منه الأبدان، ولم نسمع أحد فاه، بل ولا رمز إليه في زمن من الأزمان ولا بلد من البلدان، قبل زنديق حرّان ـ قاتله الله عزّ وجلّ ـ وقد جعل الزنديق الجاهل الجامد، ☜

في الردّ عليه[1].

☜ قصّة عمر دعامة للتوصّل بها إلى خبث طويّته في الإزدراء بسيّد الأوّلين والآخرين وأكرم السابقين واللاحقين، وحطّ رتبته في حياته وأنّ جاهه وحرمته ورسالته وغير ذلك زال بموته، وذلك منه كفر بيقين وزندقة محقّقة». (دفع الشبه مَن شبّه وتمرد، ص ١٠٣ ـ ١٠٤).

وكذلك يقول ابن حجر الهيثمي (٩٠٩ ـ ٩٧٤ هـ ق) فيما يتّصل ابن تيميّة:

«ابن تيميّة عبد خذله الله وأضلّه وأعماه وأصمّه وأذلّه وبذلك صرّح الأئمّة الذين بيّنوا فساد أحواله وكذب أقواله... وأهل عصرهم وغيرهم من الشافعيّة والمالكيّة والحنفيّة» (الفتاوى الحديثية، الهيثمي، ص ٨٦).

وكذلك يوسف بن إسماعيل النبهاني الحنفي وهوأديب وشاعرفلسطيني (١٢٦٥ ـ ١٣٥٠ هق) بالنسبة لقبح أفكار ابن تيميّة فيما يتصل بالإسلام ونبي الإسلامﷺ قال:

«فقد ثبت وتحقّق وظهر ظهور الشمس في رائعة النهار أنّ علماء المذاهب الأربعة قد اتّفقوا على رد بدع ابن تيميّة... كما طعنوا بكمال عقله، فضلا عن شدّة تشنيعهم عليه في خطأه الفاحش في تلك المسائل التي شذّ بها في الدين وخالف إجماع المسلمين، لا سيّما فيما يتعلّق بسيدّ المرسلين». (شواهد الحق في الاستغاثة بسيّد الخلق، ص ٧٩١).

١. على سبيل المثال: كتاب شفاء السقام في زيارة خير الأنام، وكتاب الدرّة المضيئة في الردّ على ابن تيميّة تأليف تقي الدين السبكي، كتاب المقالة المرضيّة، تأليف تقي الدين أبوعبدالله الاخنائي، كتاب نجم المهتدي ورجم المقتدي، تأليف خفر ابن معلم القرشي، كتاب دفع شبه من شبّه وتمرد، تأليف تقي الدين أبوبكر الحصني الدمشقي (م٧٢٩ هـ ق)، كتاب التحفة المختارة في الردّ على منكري الزيارة، تأليف تاج الدين عمر بن علي اللخمي المالكي الفاكهاني (م ٧٣٤ هـ ق)، كتاب اعتراضات على ابن تيميّة، تأليف أحمد بن إبراهيم السروطي الحنفي، كتاب إكمال السنّة في نقض منهاج السنّة، تأليف سيّد مهدي بن صالح الموسوي القزويني الكاظمي (م ١٣٥٤ هـ ق)، كتاب الإنصاف والإنتصاف لأهل الحقّ من الإسراف، في الردّ على ابن تيميّة الحنبلي الحراني، عام انتهاء من تأليف هذا الكتاب (٧٥٧ هـ ق) كتاب البراهين الجلية في ضلال ابن تيميّة، تأليف السيّد حسن الكاظمي (م١٣٥٤ هـ ق)، كتاب البراهين الساطعة، تأليف الشيخ سلامة العزامي (١٣٧٩ هـ ق)، كتاب جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (أحمد بن تيميّة وأحمد بن حجر)، تأليف الشيخ نعمان ☜

وطبعاً لا ينبغي الغفلة عن هذه النقطة المهمّة، وهي أنّ ظهور أفكار ابن تيميّة تزامن مع الحروب الصليبيّة للمسيحيين ضد المسلمين وكان ذلك في عصر هجوم المغول على الأراضي الإسلاميّة، وكان أفكاره بمثابة الخنجر المسموم الذي طعن به ابن تيميّة جسد الأُمّة الأُسلاميّة وذلك في زمن حساس كانت الأُمّة الإسلاميّة تعيش فيه الحاجة الماسة إلى وحدة الرأي، ولكن ابن تيميّة مع أتباعه الجهلة تحرّكوا على صعيد نشر هذه الأفكار الهدّامة والتي بثت الفرقة بين المسلمين وأ دثت صدعاً خطيراً في الأُمّة الإسلاميّة.

المرحلة الثالثة: محمّد بن عبدالوهاب، استمرار لمسلك ابن تيميّة

المرحلة الثالثة في تشكّل وتكامل المذهب الوهّابي يعود إلى حركة محمّد بن عبدالوهاب الفكريّة، لأنّ تلامذة ابن تيميّة، كابن القيم الجوزيّة (٦٩١ ـ ٧٥١ هـ ق) وآخرين استمروا في نشر آرائهم المنحرفة ومقولاتهم الباطلة واهتموا بإشاعة وترويج أفكار ابن تيميّة، إلى سنة (١١١٥ هـ ق) حيث تولى هذه الحرّكة محمد بن عبدالوهاب الذي ولد في مدينة عيينة من توابع نجد ودرس الفقه الحنبلي في موطنه، ثمّ توجّه إلى المدينة المنورة لمواصلة تحصيله العلمي، وبعد ذلك خرج من المدينة وسافر إلى سائر البلدان الإسلاميّة، وفي سفره هذا بقي في البصرة أربع سنوات وفي بغداد خمس سنوات وفي كردستان سنة واحدة وفي همدان بقي سنتين وأقام مدّة قصيرة في إصفهان وقم أيضاً، ثمّ توجّه من طريق البصرة إلى الأحساء ومنها توجّه إلى موطن والده وهي منطقة تدعى «حُرَيملة» ليعمل على تبليغ رسالته

☞ بن محمود الآلوسي، كتاب الدرّة المضيئة في الردّعلى ابن تيميّة، تأليف محمّد بن حميد الدين الحنفي الدمشقي كمال الدين المعروف بابن الزملكاني، وكتاب الردّ على ابن تيميّة في الاعتقاد، تأليف محمّد ابن حميد الدين الحنفي الدمشقي.

وأفكاره، ولكن محمّد بن عبدالوهاب قلّما كان يتحدّث مادام والده على قيد الحياة، ولكن بعد وفاة والده عام (١١٥٣ هـ ق) أزاح الستار عن معتقداته وأفكاره وأعلن عنها، وكانت خطب وآراء محمّد بن عبدالوهاب مخالفة للإسلام إلى درجة أنّها تسبّبت في جرح وطعن الذهنيّة العامّة في منطقة حريملة ممّا تسبّب في استياء الناس بحيث إنّه اضطر إلى ترك هذه المنطقة والتوجّه إلى موطنه الأصلي في مدينة عيينة، واتصل مع حاكمها عثمان بن معمر ودعاه إلى مذهبه الجديد وطرح عليه أفكاره وآراءه ولكنّه لم يوفّق لذلك لعدّة أسباب وتمّ اخراجه من هناك، وعلى هذا الأساس اضطر للتوجّه الى مدينة الدرعية وأقام هناك وكان الحاكم عليها محمّد بن سعود جدّ آل سعود حيث كان يتولّى أمر الحكومة في تلك المنطقة، فطرح محمّد بن عبدالوهاب دعوته مع حاكم الدرعية وتعاهد معه على أن يتولّى محمّد بن عبدالوهاب الأمور الدينيّة ويتولّى زمام الحكومة محمّد بن سعود وعقد ميثاقاً على ذلك، وطبعاً ومن أجل تقوية وتوثيق هذه الرابطة تمّ عقد زواج بين هاتين العائلتين، واستمر محمّد بن عبدالوهاب في تبليغ رسالته في ظلّ سلطة آل سعود وحكومتهم، وسرعان ما هجم على القبائل والمدن القريبة من تلك المنطقة وأخذ بنهب وسرقة الغنائم من تلك القبائل والمدن التي تقع على مقربة من مدينة الدرعية، التي كانت مدينة فقيرة وبائسة، وهذه الغنائم لم تكن سوى أموال المسلمين في منطقة نجد الذين اتّهمهم محمّد بن عبدالوهاب بالشرك وعبادة الأوثان فأفتى بأنّ أموالهم وثرواتهم حلال لجيش محمّد بن عبدالوهاب، إلى درجة أنّ الآلوسي الذي يميل إلى الفكر الوهّابي ينقل من مؤرخ يدعى ابن بشر النجدي قوله:

كنت في بداية أمر شاهداً على فقر أهالي الدرعية، ولكن بعد ذلك أضحت هذه المدينة في زمان محمّد بن سعود مدينة ثريّة، إلى درجة أنّ أسلحة الناس هناك كانت مزيّنة بالذهب والفضّة وكانوا يركبون الجياد الأصيلة

ويرتدون الملابس الفاخرة ويملكون جميع لوازم الثروة إلى درجة أنّ اللسان قاصر عن بيانها.

أجل، فإنّ الحروب وقطع الطرق التي كان يقوم بها الوهّابيون في إطار دعوة المسلمين إلىٰ التوحيد ومناهضة الشرك في منطقة نجد وخارجها، كالحجاز، واليمن، والشام والعراق، التي تسبّبت في قتل الكثير من المسلمين، وزادت من ثرواتهم وتراكمت الغنائم لديهم، لأنّه حسب فتاوى محمّد بن عبدالوهاب فإنّ الأموال والأملاك في كلّ مدينة يتمّ السيطرة عليها بالقهر والغلبة هي حلال، وتعدّ من جملة أملاك جيش محمّد بن عبدالوهاب، وفي غير هذه الصورة فيما لو لم يستطيعوا السيطرة على تلك المنطقة أو المدينة فيكتفون بنهب الأموال المنقولة من الذهب والفضّة والزينة والعودة إلى موطنهم في نجد.

وكما أسلفنا آنفاً أنّ دائرة الحروب والنزاعات التي أشعلها الوهّابيون لم تتحدّد بأرض نجد بل شملت الحجاز واليمن والشام والعراق أيضاً، حيث لم يكن أهالي هذه المناطق والمدن في أمان من العصابات الوهّابيّة إلى درجة أنّ هذه العصابات هجمت على العتبات المقدّسة في العراق في عام (١٢١٦ هـ ق) وارتكبت مذبحة هناك ممّا خلّف صفحة سوداء في تاريخ الإسلام.

أجل، فإنّ محمّد بن عبدالوهاب، استمر على منوال ابن تيميّة وتولى نشر أفكاره وآرائه، وطبعاً سنبيّن لاحقاً بعض عقائده أيضاً، ولكن قبل ذلك نرى من اللازم الإجابة عن أحد الأسئلة المطروحة في هذا المجال وهو: كيف كيف يمكن لمذهب باطل كالوهّابيّة أن يظهر ويتشكّل في حين أنّ غالبيّة علماء أهل السنّة في حال تأسيسه كانوا معارضين لهذه الأفكار الباطلة وكتبوا ردوداً وأجوبة عديدة على شبهاتهم ومقولاتهم، ولكن مع ذلك نرى أنّ هذه الفرقة المنحرفة استمرت في النمو وزيادة القوّة؟

وبعبارة أخرى، كيف يمكن لابن تيميّة، الذي رفضه جميع علماء أهل السنّة المعاصرين له وأبطلوا مقولاته وكتبوا ضدّه كتباً كثيرة ومفصلة إلى درجة أنّهم اتهموه في كتاباتهم بأنّه زنديق، كافر، ضال ومهدور الدم، كيف يكمن لهذا المذهب المنحرف والمشكوك في أمره أن يتسع ويمتد بين المسلمين من خلال الاستفادة من عمليّة إغواء وتكفير الآخرين واتهام المسلمين بالشرك؟ ألا يدلّ ذلك على وجود حركات مشبوهة خلف الستار تسعى لمواجهة الإسلام وارتكاب الجرائم الوحشية ضدّ المسلمين من قبل أعداء الدين وقوى الضلالة؟ وهذا يعني، أنّه لا ينبغي النظر إلى هذه المسألة وهذا التيار المنحرف برؤية ساذجة والقول بأنّ البدع وأشكال التحريف الذي أحدثته الوهّابيّة في الإسلام لم يمثّل سوى عقيدة شخصيّة لهؤلاء الأشخاص، لأنّه لو بحثنا في مطاوي التاريخ جيداً، فسوف نفهم أنّ هذه العقيدة الباطلة إنّما وجدت بمساعدة حكّام الظلم والجور وساهمت في تقويتها وترشيدها قوى الضلالة والظلام، رغم أنّ البعض يعتقد أنّ هذه العقائد المنحرفة وجدت في البداية ثمّ استثمرها حكّام الظلم والجور في سبيل تقوية هيمنتهم وتكريس سلطاتهم على واقع الشعوب الإسلاميّة.

نعم، إنّ محمّد بن عبدالوهاب استفاد من فتات مائدة ابن تيميّة، وكما أسلفنا أنّه عندما طرح أفكاره في موطنه فأوّل شخص واجه هذه الأفكار المنحرفة هو والده الذي كان أحد قضاة المذهب الحنبلي، ومن هذه الجهة اضطر محمّد بن عبدالوهّاب إلىٰ الخروج من تلك المدينة والتوجّه إلى مدينة أخرى، ومن ذلك البلد إلى بلد آخر وأخيراً جلس مع جدّ حكّام ال سعود من ملوك الملكة العربيّة السعوديّة، وعقد معهم صفقة سياسيّة ونوع من الارتباط العائلي في مجال العمل بهذه المعتقدات والأفكار الضالّة، وبعد ذلك نرى أنّ أوّل مكان هجم عليه وقام أتباعه وجنوده بنهبه وغارته هو إحدى القرى والمدن التي تقع على مقربة من نجد، ولم يكن أهالي تلك

القرية من الشيعة بل كانوا من السنّة.

في حين لو طرحت أيّة نظرية دينيّة محضة في دائرة الفكر والعقيدة، لما وضع المنظّر يده الأخرى في يد الحكّام والذين لا هدف لهم فيها إلّا الاغارة على ثروات وأموال الناس وسرقة ثرواتهم بل يتحرّك على صعيد الحديث مع الآخرين بالعقل والمنطق كيما يقنعهم، ولكن عندما نطالع تاريخ الفرقة الوهابيّة فسوف نرى نقاط مثيرة يتعجّب منها الإنسان عندما يرى تلك الوحشية لدى هؤلاء القوم بالتزامن مع رفع صوتهم بالتوحيد ومطالبة الناس بحقيقة التوحيد، لأنّ محمّد عبدالوهاب وبمساعدة قوى الهيمنة والضلالة كانوا يهجمون على المدن ويعتدون على أموال الناس وأعراضهم وكأنّ هؤلاء الناس ليسوا من أفراد البشر فضلاً عن كونهم غير مسلمين، ومعلوم أنّ مثل هذه السلوكيات الهمجيّة وحالات التوحش والجريمة وقعت في تاريخ صدر الإسلام أيضاً، على سبيل المثال ما ورد في حالات الخوارج الذين تحرّكوا من موقع المخالفة والاعتراض على حكومة الإمام عليّ عليه السلام حتّى أنّهم قتلوا امرأة حامل وبقروا بطنها لا لشيء سوى أنّها كانت من شيعة أميرالمؤمنين عليه السلام، وقد أعاد هؤلاء هذه الجرائم بعد ألف سنة بشكل أكثر فجاعة ووحشيّة، ففي مدّة ثلاثمائة سنة من ولادة الوهّابيّة المشؤومة في حوادث فتح الطائف ارتكب الوهّابيّة فجائع وجرائم ضد الإنسانيّة عظيمة بحيث أنّهم لم يرحموا حتّى الطفل الرضيع الذي كانوا يأخذونه من صدر أُمّه ويقتلونه بدم بارد دون أن تطرف لهم عين.

وطبعاً فالوهّابيون يرتكبون هذه الجرائم تحت عنوان أنّ هؤلاء مشركين وليسوا بمسلمين وموحّدين، ويعتقدون أنّ جريمة الشيعة والمسلمين الذين لا يوافقونهم على آرائهم أنّهم لم يفهموا مسألة التوحيد وأنّ أعمالهم وسلوكياتهم على خلاف التوحيد، على سبيل المثال نرى أنّ تشكيل جماعة الطالبان في عصرنا الراهن، في العشرة السنوات هذه الأخيرة يمثّل فقط زاوية صغيرة من فتنة الوهّابيّة.

وهنا نستعرض نقطة مثيرة للدهشة واقعاً ويتعجب منها كلّ إنسان، وهي أنّ الفرقة الوهّابية التي وجدت وتشكّلت في رحم المجتمع الإسلامي تقول دائماً: «نحن فقط الذين نمثّل الإسلام الخالص» و«نحن الذين ينبغي أن نعلّم المسلمين مسألة التوحيد» و«نحن الذين يجب أن نبيّن لجميع المسلمين معنى ومفهوم النبوّة» و«نحن الذين نتولى تفسير القرآن الكريم» و«أنّ الفقه الإسلامي هو الشيء الذي نقوله نحن فقط» و«الأخلاق بدورها يجب أن تؤخذ من عندنا ويجب على المسلمين أن يتعلّموا الأخلاق منّا» و«إنّ كلّ شيء يخصّ الإسلام والمسلمين فنحن فقط الذين نتولى أمره ونبيّن معناه»، إذن فهذه الفئة لا تكتفي فقط بإبراز عقيدتها ونشرها، بل اشتغلوا على إمتداد تاريخهم بالإغارة علىٰ المسلمين ونهب ممتلكاتهم وسفك دمائهم وارتكبوا آلاف الجرائم الأخرى، التي لم تذكر في تاريخهم، إلى درجة أنّهم عملوا في عصرنا الراهن على تشكيل وتأسيس جماعة الطالبان المجرمة وساعدوا على تقويتها ودعمها، ونلاحظ أنّ هذه الجماعة، رغم أنّها حسب الظاهر من أتباع المذهب الحنفي ولكنّها تملك فكراً سلفياً ووهّابياً تماماً، وجماعة طالبان هذه أقدموا في يوم واحد وفي مدينة مزار شريف في أفغانستان في عام ألف وثلاثمائة وسبع وسبعين للهجرة الشمسيّة على قتل خمسة آلاف من الشيعة من قبيلة هَزارة، أو أنّهم أقدموا فيما بين سنة ١٣٨٧ إلى ١٣٨٠ هـ ش، على قتل عدّة آلاف من الشيعة بدون رحمة وبذلك عملوا على تصفية عرقيّة في أفغانستان، وهنا يثار هذا السؤال: كيف يتسنى لهؤلاء الاستمرار مرّة أخرى في حركتهم ونشاطهم؟ ألا يعني ذلك أنّ هذه الجماعة لا تمثّل تياراً دينيّاً فقط، بل تقترن مع حركة سياسيّة أيضاً؟ ألا يعني ذلك أنّ هذه الحركة لست بحركة فكريّة محضة، بل تهدف إلى السلطة واستلام مقاليد الحكم والقوّة.

الوهّابيّة، أخطر أعداء الإسلام في عصر الغيبة

إنّ القراء الكرام يعلمون جيداً أنّ الإسلام يواجه فرقاً ومذاهب متعددة ومختلفة

وقد كتب علماء الإسلام في ذلك كتباً عديدة أيضاً، ولكنّ أيّاً من هذه الفرق والمذاهب لم ترتكب الجرائم وسفك الدماء ونهب ممتلكات الناس والعدوان على المسلمين كما قامت بذلك الفرقة الوهّابية، والآن قد يطرح هذا السؤال، وهو: كيف يتيسر لهذه الفرقة وبهذه الخصوصيّات الوحشية والحالات الإجراميّة، أن تستمر في حياتها وأعمالها، وليس فقط إدامة الحياة، بل نرى أنّها تتحرّك على صعيد الاتساع وإمتداد أفعالها الشائنة وسلوكياتها المخربة يوماً بعد آخر في أجواء المجتمعات الإسلاميّة، وقد ذكرنا في بداية هذا المقال هذه الحقيقة، وهي أنّ أحد أعداء الإسلام والمجتمعات الإسلاميّة في هذا العصر هي هذه الفرقة الوهّابيّة التي تعتبر أخطر من اليهود والصهاينة ودويلة إسرائيل، وطبعاً فإنّ يد إسرائيل في تأييد ودعم هذه الجماعة المنحرفة جلية وواضحة، ولكن نرى من اللازم اليوم أن تسعى مراكز التحقيق، والثقافة، والمراكز الدينيّة والمؤسسات الإعلاميّة ومراكز التلفزيون ووزارة التعليم والتربية والجامعات والحوزات العلميّة أن تضع برامج واسعة وخطط مكثفه لتعريف الشباب والناس بهذا المذهب الباطل والفكر المنحرف للوهّابيّة، لأنّ هذه الجماعة تتحرّك في بلدان مختلفة، بل مراكز وبلدان محيطة ببلدنا والبلدان المجاورة لإيران بتخطيط دقيق وتبليغ محموم وإعلام مسموم وتسعى من خلال هذا الإعلام لجذب المخاطبين وتخريب الذهنيّة العامّة على صعيد الفكر الديني والثقافي، ومن هذه الجهة ينبغي على الجميع أن يتعرّفوا على هذا الفكر المنحرف الذي تحمله هذه الفرقة الضالّة.

أجل، فابن تيميّة ومحمّد بن عبدالوهاب حتّى من زاوية نظر أهل السنّة الحقيقيين يعتبران من أهل البدع في الدين وهما المصداق البارز والواقعي لما ورد في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله في إخباره الغيبي عمّا سيحلّ بالأُمّة الإسلاميّة بسبب هؤلاء الفقهاء المنحرفين، يقول صلى الله عليه وآله:

«سيأتِي عَلىٰ أُمَّتِي زَمَانٌ لا يَبقَىٰ مِنَ القُرآنِ إلّا رَسمُهُ وَلا مِنَ الإسلامِ إلّا إسمُهُ، يُسَمَّونَ بِهِ وَهُم أَبعَدُ النَّاسِ مِنهُ، مَساجِدُهُم عامِرةٌ وَهِي خَرابٌ مِنَ الهُدى، فُقَهاءُ ذَلِكَ الزَّمَانِ شَرُّ فُقَهاءَ تَحْتَ ظِلِّ السَّماءِ، مِنْهُم خَرَجَتِ الفِتنَةُ وَإلَيهِم تَعُودُ»[١].

أجل، فأحد المصاديق البارزة لهذا الحديث الشريف هم الفقهاء أمثال ابن تيميّة، وابن القيم الجوزيّة، ومحمّد بن عبدالوهاب و... الذين أصدروا ويصدرون فتاوى الفتنة والضلالة وتسبّبوا في تمزيق الأُمّة الإسلاميّة وبثوا في أجوائها التكفير، وعلى هذا الأساس فعندما يتساءل بعض المتدينين أحياناً عن معنى ومقصود الروايات التي تقول بأنّ بعض العلماء والفقهاء عند ظهور الإمام المهدي عليه السلام سيتحرّكون لمخالفته ويتصدون له، ومن هو المقصود بذلك؟ وفي مقام الجواب عن هذه الطائفة من الأسئلة ينبغي القول إنّ هذه الأحاديث تنطبق تماماً على هؤلاء العلماء والفقهاء الذين يتبعون فقه أحمد بن حنبل، أو فقه أحمد بن تيميّة أو يعتقدون ويعملون بفقه الوهّابيّة.

ويتذكر القارىء المحترم أنّه في يوم الثاني والعشرين من شهر تير سنة ١٣٨٥ من الهجرة الشمسيّة، في ذلك الوقت هجمت إسرائيل على لبنان، فما كان من قوّات حركة حزب الله إلّا أن تصدت لهذا الهجوم واستمرت في مقاومة هذا العدوان لمدّة ثلاثة وثلاثين يوماً، والجميع سمع وشاهد أنّ أحد فقهاء الوهّابين ومن أتباع التيميّة قد أفتىٰ بحرمة مساعدة حزب الله[٢] ومدّ يد العون له، وهذا يعني، أنّ مثل هذا

---

١. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٢، ص ١٠٩، ص ١٠٩، ح ١٤.

٢. ومن جملة المفتين من وعاظ السلاطين الذين أفتوا بهذه الفتوى عبدالله بن جبريل الذي قال في ذلك اليوم في جوابه عن الاستفتاء حول حزب الله لبنان: «لا يجوز مساعدة هذا ☜

الشخص وهو يسكن في مكّة المكرمة والظاهر أنّه فقيه من أهل السنّة، يطرح مثل هذه الفتوى، ولكن في النقطة المقابلة لهذا الكلام نرى أنّ جميع فقهاء الشيعة والمراجع العظام أفتوا بوجوب مساعدة حزب الله في مقابل الهجمة الشرسة التي يتعرّض لها لبنان من قبل الكيان الصهيوني الغاصب وجيشه المحتل والمجرم.

إذن فممّا لا شكّ فيه أنّ مقصود النبي الأكرمﷺ من هذا الحديث الشريف حيث قال: «**سيَأتِي عَلىٰ أُمَّتِي... فُقَهاءُ ذَلِكَ الزَّمَانِ شَرُّ فُقَهاءَ تَحْتَ ظِلِّ السَّماءِ**»، ليس جميع الفقهاء، بل مقصود النبي الأكرمﷺ أنّه سيأتي في آخر الزمان فقهاء في الأُمّة الإسلاميّة يتصوّرون أنّ الله له جسم وله يد وقدم، هؤلاء الفقهاء هم الذين يستغلهم الاستعمار وقوى الاستكبار العالمي في توطيد هيمنتهم وسيطرتهم وبث الفرقة بين المسلمين، وهؤلاء الفقهاء أمثال جماعة الطالبان المجرمة الذين يفتون بقتل أبرياء وسفك الدماء، أجل هؤلاء هم شرّ الفقهاء.

أجل، فعندما يقول النبي الأكرمﷺ قبل ألف وأربعمائة سنة: أنّ هؤلاء الفقهاء «**مِنْهُم خَرَجَتِ الفِتنَةُ وَإِلَيهِم تَعُودُ**»، فهوﷺ يتحدّث عن هؤلاء الفقهاء الذين يحملون مثل هذه الأفكار الباطلة والعقائد المخربة، وعلى ضوء ذلك، لو رأينا في

☜ الحزب الرافضي، ولا يجوز العمل تحت إمرته، ولا يجوز الدعاء لنصرته وزيادة قدرته، ونصيحتنا لأهل السنّة أن يتبرأوا منه، ويتركوا الأشخاص الذين ارتبطوا بهذا الحزب، يبيّنوا عداءهم للإسلام والمسلمين وأضرارهم القديمة والجديدة لأهل السنّة، إنّ الروافض يحملون دائماً العداوة والبغضاء لأهل السنّة ويسعون دوماً إلى فضح وافشاء عيوب أهل السنّة، وينتقدون أهل السنّة ويعملوا على خداعهم»، والنقطة المهمة هنا أنّ هذا الشخص في عام ١٣٨٨ هـ ش، وبعد ثلاث سنوات من صدور هذه الفتوى الشيطانيّة وفي ذلك اليوم الذي بدأت به حرب الثلاثة والثلاثين يوماً بالضبط يعني ٢٢ من شهر تير، قد لقي حتفه ووصل إلى الدرك الأسفل من النار وهذا الشخص قد أصدر فتاوى أخرى أيضاً في لزوم تخريب المراقد المقدّسة للأئمّة الأطهارعليهم السلام في العتبات المقدّسة وأضاف صفحة سوداء إلى صفحاته السابقة.

المنابع الروائيّة رواية معتبرة تقرر أنّ بعض العلماء والفقهاء في عصر ظهور الإمام المهدي عليه السلام سيرفعون لواء الاعتراض والمخالفة للإمام، فالمقصود هو هذه الفئة من العلماء والفقهاء الذين ينتمون إلى المذهب الوهّابي ويشيعون هذه الفتاوى الضالّة والأفكار المنحرفة.

وكذلك ما ورد في رواية عن الإمام الباقر عليه السلام يقول في ذيل هذه الرواية التي ذكرناها في بداية البحث مخاطباً لخثيمة:

«إنَّ الإسلامَ بَدَأَ غَرِيباً، وَسَيَعُودُ غَرِيباً فَطُوبَىٰ للغُرَبَاءِ... سَيَأتِي عَلَىٰ النّاسِ زَمَانٌ لَا يَعرِفُونَ اللهَ مَا هُوَ وَالتَّوحِيدَ»[1].

هؤلاء هم الفقهاء الذين يسمّون أنفسهم بالوهّابيين، لأنّهم يزعمون أنّ العقل خارج تماماً من دائرة الدين ويرون أنّ الله تعالى يتنزل عن مقام كبريائه العظيم ومن مرتبة واجب الوجود إلى أن يكون شبيهاً للإنسان المادّي، ولا يفهمون ماهية التوحيد على نحو الحقيقة وبالتالي لا يستطيعون معرفة الله، لأنّ الله الذي يعرفونه لا يكون إلهاً واجب الاطاعة، وطبعاً فإنّ معنى هذه الرواية هو أنّ جماعة كبيرة من الناس لا يعرفون الله ولا يعرفون معنى التوحيد لا أنّ جميع الناس كذلك.

وعلى ضوء ذلك، كما أشرنا إلى ذلك على نحو الإجمال، فإنّ القارىء الكريم وبعد التحقيق في سيرة حياة ابن تيميّة وعقائده والكتب الكثيرة التي ألفها ابن تيميّة، سيعلم مقدار الضربات القاصمة التي وجهها ابن تيميّة إلى الاعتقاد بالله والتوحيد والصفات الإلهيّة، وكذلك الضربات والطعون الأخرى التي وجهها بشكل خبيث إلى عقيدة الإمامة وولاية الإمام عليّ عليه السلام وما عليه إجماع الكثير من المسلمين، فهذا الشخص أنكر في هذا المجال البديهيات التي وردت في تاريخ الإسلام في فضائل

---

١. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٢٤، ص ٣٢٨؛ نقلاً عن تفسير الفرات للكوفي رحمه الله.

ومكانة أميرالمؤمنين عليه السلام، بحيث يتعجب كلّ إنسان من سخافة وسماجة وقلّة عقل هذا الشخص وعدم اهتمامه بسائر الأمور الاعتقاديّة للناس، مثلاً في مسألة علم أميرالمؤمنين عليه السلام لا نجد أحداً من المؤرخين يشكك في ذلك، وهذه المسألة وقعت مورد اجماع المسلمين بأنّ أعلم الناس في ذلك الزمان هو أميرالمؤمنين عليه السلام، ولكن هذا الشخص المتعصب الجاهل ينكر بكلّ سهولة علم أميرالمؤمنين عليه السلام، أو على سبيل المثال فيما يخصّ شجاعة أميرالمؤمنين عليه السلام في الحروب والغزوات المذكورة في كتب التاريخ ولا يشكّ أحد من المسلمين فيها، فهي من القضايا المسلمة كالشمس في رابعة النهار، ولكن ابن تيميّة الضال والمضلّ، شكك بكلّ سهولة في هذه القضيّة البديهيّة ومن مسلّمات الإسلام، بل إنّ ابن تيميّة في هذا المجال أقلّ شأناً ودراية من بعض المحقّقين المسيحيين مثل، ميخائيل نعيمة، وإيليا باوليج بطروشفسكي، وشِبلي شُمَيل، وجبران خليل، وجورج جرداق، لأنّ الدكتور شبلي شميل المسيحي (١٨٥٣ ـ ١٩١٧ م) تلميذ جارلز داروين ويعتبر من رواد المدرسة المادّيّة يتحدّث عن الإمام عليّ عليه السلام بكلمات عجيبة وينقل عنه جورج جرداق بأنّه قال:

«إنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام إمام بني الإنسان ومقتداهم ولم ير الشرق والغرب نموذجاً يطابقه أبداً لا في الغابر ولا في الحاضر»[١].

وكذلك الكاتب المسيحي جبران خليل جبران، في كلامه المعروف عن الإمام علي عليه السلام والذي نقله جورج جرداق في كتابه «الإمام علي صوت العدالة الإنسانيّة» الذي قال:

«... مات عليّ شهيد عظمته، وعدله، أو قتل عليّ في محرابه لشدّة عدله،

---

١. الإمام عليّ عليه السلام صوت العدالة الإنسانيّة، جورج جرداق، ج ١، ص ٥٥.

مات عليّ والصلاة بين شفيته، مات عليّ شأن جميع الأنبياء الذين يأتون إلى بلد لا ببلدهم ويأتون (ويبعثون) إلى قوم ليسوا بقومهم» [١].

وكذلك ما ذكره جورج جرداق المسيحي في كتابه «الإمام علي صوت العدالة الإنسانيّة» يقول عن هذا الإمام عليه السلام:

«ما ضرّكِ أيّتها الأيّام لو جمعت قواكِ وطاقتكِ فأنجبتِ في كلّ زمان إنساناً كعلي عليه السلام في عقله وروحه ونفسه، في كلامه وبيانه وفي قوّته وشجاعته» [٢].

أو ما ذكره إيليات باوليج بطروشفسكي [٣]، استاد التاريخ في جامعة لنينغراد عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام حيث يقول:

«كان عليٌّ ربيب محمّد صلى الله عليه وآله وبقي وفياً بعمق له وللإسلام... إنّ عليّاً كان ملتزماً إلى حدّ العشق بالدين، وكان صادقاً وأميناً ونزيهاً جدّاً في الأمور الأخلاقيّة، وقد اجتنب حبّ الشهرة والمال والثروة ولا شكّ أنّه كان رجلاً شجاعاً وشاعراً وتتوفّر فيه جميع الصفات اللازمة لأولياءالله» [٤].

أو ما يقوله ميخائيل نعيمة المسيحي في المقدّمة التي كتبها على كتابه (الإمام علي صوت العدالة الإنسانيّة» قال:

«لا يوجد أي مؤرخ أو كاتب مهما كان يملك من النبوغ والشجاعة أن يرسم ملامح شخصيّة كاملة من إنسان عظيم كالإمام علي حتّى في ألف صفحة» [٥].

---

١. الإمام عليّ عليه السلام صوت العدالة الإنسانيّة، جورج جرداق، ج ١، ص ٧.

٢. المصدر السابق، ج ١، ص ٤٩.

٣. Ilya pavlovich petrushevsky.

٤. الإسلام في ايران (اسلام در ايران)، بطروشفسكي، ص ٤٩ ـ ٥٠ والمصدر السابق، ص ١٤٨.

٥. والمصدر السابق، ج ١، ص ٧.

أو ما قاله توماس كارلايل[١]، المؤرخ الاسكاتلندي عن الإمام عليعليه السلام:

«نحن لا نستطيع أن لا نحبّ علي بن أبي طالب ولا نعشقه، لأنّه جمع جميع الصفات التي نحبّها في الإنسان، فكان فتىً شريفاً وكبيراً وممتلىء قلبه من الحبّ والشجاعة والعطف، ولا يوجد إنسان أشجع منه ولكن شجاعته اقترنت وامتزجت بالحبّ والعاطفة واللطف والإحسان»[٢].

وعلى أيّة حال نحن لا يهمّنا كلمات هؤلاء الكتّاب المفكّرين وهل هي صحيحة أم لا؟ ولكن ابن تيميّة أنكر بوقاحة تامة، عدالة الإمام أميرالمؤمنين عليّعليه السلام وعلمه وشجاعته، وعلى ضوء ذلك، قد يثار هذا السؤال، ما هو الهدف الذي يبتغيه ابن تيميّة من هذا الإنكار والتشكيك؟ الجواب واضح، لأنّ ابن تيميّة وأتباعه الضالّين يريدون اغتيال شخصيّة كبيرة ورمز من رموز المسلمين الذي لو كان هذا الإمام وكلامه في نهج البلاغة محوراً للمجتمع البشري، فلا شكّ أنّ المجتمع البشري سيعيش الحياة الإنسانيّة الكريمة والمثل العالية، أجل إذا كان الإمام عليّعليه السلام محوراً لحياة المسلمين والمجتمعات البشريّه فلا أحد يستطيع حينئذٍ أن يتسلط على هذه المجتمعات ويحكمها بآليات الظلم والجور ولا أحد يستطيع القول بأنني من المسلمين وأعتقد بالإسلام ولكنّه في ذات الوقت يسكت عن مظاهر الظلم والجور ويقف مكتوف الأيدي أمام قوى الانحراف والتسلط.

إذن هؤلاء الضالّين والمعاندين للإسلام والمسلمين أدركوا جيداً أنّهم ولغرض السيطرة على الإسلام والمسلمين، ينبغي عليهم بداية أن يسلبوا المجتمع الإسلامي هذه الشخصيّة والرمز الديني وهو الإمام أميرالمؤمنين عليّعليه السلام، وذلك بأن ينكروا علمه، وينكروا شجاعته، وينكروا عدالته، وفي الحقيقة أنّ الإنسان عندما يقرأ هذه

---

١. Thomas Carlyle.

٢. حياة محمّد (زندگی محمّدصلى الله عليه وآله)، كارلايل، ص ٤٥.

المقولات فسوف يرى مقدار مظلومية أميرالمؤمنين عليه السلام التي لم تتحدد في زمانه وعصره بل إمتدت مظلوميّة هذا الإمام إلى هذا الزمان أيضاً.

وفي هذا المجال، فإنّ ابن تيميّة في كتابه «منهاج السنّة» تجاوز هذا الأمر إلى حدّ أنّه عندما يصل إلى حكومة أميرالمؤمنين عليه السلام، فإنّه يتحدّث بكلمات وقحة وتعبيرات بذيئة، بحيث إنّ كلّ إنسان لا يسعه أن يتحدّث بها عن أي حكومة جائرة وظالمة في تاريخ الإنسانيّة.

وظيفة المسلمين الحقيقيين في عصر الغيبة

والآن بعد أن تبيّنت هذه المسألة، السؤال هو: لماذا نرى أنّ شخصاً متعصباً وحقيراً كابن تيميّة، الذي كتب عنه علماء المسلمين الكبار في زمان حياته وبعد مماته كتباً متعددة وقالوا: إنّه كافر، وزنديق، وقليل العقل، وأي شخص يعتقد بأفكاره وآرائه وجب قتله و... لماذا بعد خمسمائة أو ستمائة عام على أفكاره ومقولاته نرى اليوم تطرح هذه الأفكار والآراء في المجتمع الإسلامي بشكل أقوى وأشدّ، بحيث إنّها إمتدت وهيمنت على مناطق كبيرة من الشعوب والمجتمعات الإسلاميّة؟

الجواب: عندما نرى أنّ أئمّة الهدى عليهم السلام أوصوا المؤمنين في زمان الغيبة بالرجوع إلى الفقهاء العالمين والعاملين فإنّه يعود إلى هذا السبب بالذات، لأنّ المسلمين إذا أخذوا دينهم وعقائدهم من الفقهاء والمراجع الذين قضوا عمرهم في أمور الدين وسلكوا في خطّ الإيمان والتقوى، فسوف لا يتورطون في منزلقات الانحراف ولا يعتقدون بمثل هذه العقائد الباطلة، وعندما لا يتمسكون بالفقهاء العالِمين والعاملين فسوف يكون من السهل سلب عقيدة التوحيد والإيمان الصحيح منهم وسوف يعتقدون بصفات الإلهيّة بشكل آخر، وسيكون من السهل سرقة المنابع العظيمة والكنوز الثمينة في مجال الفكر والعقيدة والإيمان منهم، من قبيل العقيدة

بالولاية، أجل، ففي المنتصف من شهر شعبان يجب علينا الالتفات إلى هذه النقاط المهمّة.

وعلى ضوء ذلك، فالقراء الكرام إذا بحثوا وتحقّقوا من عقائد الوهّابيين وتمعّنوا في أفكارهم وانحرافاتهم، فسوف يتبيّن لهم جلياً أنّهم قد عملوا على تخريب عقائد الإسلام من العقيدة المتعلّقة بالله تعالى والصفات الإلهيّة، وإلى النبي الأكرمﷺ والأئمّة الأطهارعليهم السلام وإلى الإمام المهديعليه السلام، ولنفترض أنّ شخصاً أراد هدم عمارة وبنيان، فسوف يقوم في البداية بتخريب وهدم الدعائم والمرتكزات لهذه البناية، وهكذا صنع الوهّابيون أيضاً على حدّ زعمهم، ولكنّهم يعيشون الخيالات الباطلة والأوهام الساذجة في عملهم وحركتهم لغرض هدم البناء الشامخ للإسلام، ولكنّهم لا يستطيعون إلى ذلك سبيلاً.

وطبعاً من اللازم البحث والتحقيق في عقائد الوهّابية فيما يتّصل بالإمام المهديعليه السلام، لأنّ علماء أهل السنّة صرّحوا في الكثير من كتبهم بأنّه:

أوّلاً: إنّ الأحاديث المتعلّقة بالإمام المهديعليه السلام هي من الأحاديث المتواترة، على سبيل المثال ما ذكره الشوكاني في خصوص إثبات هذه الروايات في كتاب له باسم «التوضيح في التواتر ما جاء في المنتظر والدجّال المسيح».

ثانياً: إنّ الأحاديث المتعلّقة بالإمام المهديعليه السلام وصلت إلينا من النبي الأكرمﷺ، على سبيل المثال ما ورد في الحديث الشريف عن رسول اللهﷺ أنّه قال:

«المَهْدِي مِنْ عِتْرَتِي مِنْ وُلْدِ فَاطِمَةَ»[1].

أو أنّهﷺ قال:

---

١. كشف الغمة، الأربلي، ج ٢، ص ٤٨١.

«إِبشِري يا فَاطِمَة فَإنّ المَهْدِي مِنْكِ»[١].

وكذلك كما ورد في سند آخر أنّ رسول الله ﷺ قال:

«يَقُومُ قَائِمُنا التَّاسِعُ مِنْ وُلدِ الحُسَينِ»[٢].

أو يقول ﷺ في حديث آخر:

«كَيفَ أَنْتُمْ إِذا نَزَلَ ابْنُ مَريَمَ فِيكُمْ وإِمَامُكُمْ مِنْكُم»[٣].

وجدير بالذكر أنّ جميع الخصوصيّات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام فيما يتّصل بالإمام المهدي عليه السلام قد ذكرها علماء أهل السنّة بذاتها في كتبهم ومسطوراتهم، ولكنّ الوهّابيين، وبالرغم من هذه الأدلة الواضحة والمتقنة، تمسّكوا بمقولات منحرفة وتبريرات واهية لتسويغ معتقداتهم وطرحوا تأييداً آخر لهذه الروايات والأحاديث الشريفة، وعلى سبيل المثال نرى أنّ عبدالعزيز بن عبدالله الباز (١٣٣٠ ـ ١٤٢٠ هـ ق) وهو آخر مفتي أعظم للوهّابيين في المملكة العربية السعوديّة، والذي لقي حتفه قبل عدّة سنوات يقول فيما يتعلّق بالحديث الشريف عن رسول الله ﷺ:

«بَعْدِي اثنَا عَشَرَ خَلِيفَةً... كُلُّهُم مِنْ بَنِي هَاشِم»[٤].

يقول: في نظرنا أنّ المراد من اثني عشر خليفة، هم الخلفاء الأربعة ومعاوية وابنه يزيد ثم عبدالملك بن مروان وأربعة من ولده وعمر بن عبدالعزيز، وهذه المسألة لا ترتبط بالإمام المهدي وقضيّة المهدويّة التي يتحدّث عنها الشيعة ويذكرون أسماء أشخاص ليس لهم حظ في تاريخ الإسلام، بل إنّهم عملوا بخلاف ما ورد في القرآن الكريم وسنّة النبي الأكرم ﷺ وفي نهاية المطاف يقول، ما ورد عن النبي ﷺ

---

١. كنز العمّال، المتقي الهندي، ج ٢، ص ١٠٥.

٢. المناقب ابن الجزري، ص ٣٢، ح ١٧.

٣. صحيح البخاري، ج ٤، ص ٢٠٥.

٤. ينابيع المودة لذوي القربى، القندوزي، ج ٢، ص ٣١٥.

بالنسبة للاثني عشر خليفة فقد انتهى زمانه ولم يبق من هؤلاء الأشخاص أحد[١].

الخلاصة ونتيجة البحث

وعلى ضوء ذلك، نستعرض خلاصة ما تقدّم من كلام وبحث في هذه المسألة، وهي أنّ الوهّابيّة حالها حال حشرة الإرضة التي هجمت على دين الإسلام وسعت بكلّ جهدها إلى تحطيم وهدم عقائد المسلمين، من عقيدتهم بالله تعالى وإلى جميع ما يتّصل بالأمور الإسلاميّة والدينيّة، ولو تشرفتم بالسفر إلى مكّة والمدينة فسوف ترى كثرة الأكاذيب والافتراءات في كتبهم ضدّ الشيعة ولغرض القضاء على الشيعة والتشيع.

وبعبارة أخرى فالوهّابيّة ليست فرقة تقف في مقابل الشيعة فقط، بل بشهادة التاريخ فإنّ هذه الفرقة بمثابة السم المهلك الذي يسعى إلى القضاء على أهل السنّة أيضاً وفق برنامج وخطة مفصلة مضافاً إلى قصدهم القضاء على الشيعة والتشيع، فمن هذه الجهة فإنّ الوهّابية هجموا قبل مئتي أو ثلاثمائة سنة على بلاد الشيعة وكذلك هجموا على العتبات المقدّسة في المدينة المنورة والنجف وكربلاء وعملوا على قتل المسلمين وسفك الدماء والعدوان ونهب الأموال والممتلكات وقطع الطرق، وهي الفرقة التي هجمت قبل ذلك بسنوات على مدن أهل السنّة ومنها القرى والقصبات في أطراف نجد والحجاز والعراق واليمن أيضاً، وقتلوا وسفكوا الدماء ونهبوا الأموال والممتلكات، وهذا يعني، أنّ أهل السنّة المساكين أيضاً لم يسلموا من هجمات الوهّابيين وعدوانهم، وقد سلبت أموالهم وسفكت دماءهم كما هو الحال في عدوان هذه الفرقة الضالّة على الشيعة، وهذه الجرائم لا تختص بالشيعة.

والآن نرى في هذه الأيّام مجموعة من الوهّابيين الضالّين يفتون مرّة أخرى

---

١. كلام عبدالعزيز بن باز، المطبوع في مجلة الجامعة الإسلامية، الرقم ٣، سنة ١٣٨٨ هـ ق.

بوجوب هدم وتخريب المراقد المقدّسة في البلاد الإسلاميّة، وطبعاً بعد ذلك رجعوا عن هذه الفتوى حسب الظاهر وقالوا إننا لم نصدر مثل هذه الفتوى، لأنّهم رأوا أنّ الحال لا يساعد على ذلك، وأنّهم سيتضرّرون بشدّة من ذلك، أجل، فالحقيقة هي أنّ هجوم هؤلاء الأنجاس على المرقد المطهر للإمامين العسكريين عليهما السلام في سامراء وتفجير هذا المرقد الطاهر أدّى إلى امتعاض وحزن جميع الأحرار في العالم، وهذه الفاجعة تمتد بجذورها بشكل كامل نحو أفكار وأعمال هذه الفرقة الوهّابية الضالة.

وعلى هذا الأساس فإنّ أحد الضروريات للشباب في مجتمعنا الإسلامي هو الاطلاع الكامل على أفكار المذهب الوهّابي والتحقيق في آرائهم وانحرافاتهم، وقد اقترحت قبل مدّة على بعض المسؤولين في المجال الثقافي أن يقيموا مهرجاناً أو مؤتمراً علمياً في هذا الخصوص لكي نحقق أوّلاً: بيان عقائد الوهّابيّة بشكل واضح وكامل للشباب الأعزاء، وثانياً: من أجل حفظ المجتمع الإسلامي من هذه العقائد المنحرفة وصيانته من هذه الأفكار الهدّامة.

وختاماً نسأل الله تبارك وتعالى وببركة أيّام النصف من شهر شعبان المبارك أن يوفّق أفراد المجتمع الإسلامي والمسؤولين فيه وجميع العاملين من طلّاب الحوزات العلميّة والمراكز العلميّة الأخرى والجامعات، ليكونوا تحت عنايات الإمام المهدي عليه السلام الخاصّة ويحفظ هذا البلد العزيز (ايران) في ظلّ عناياته وبركاته ويعيش هذا الشعب السعادة والنمو والرشد في جميع المجالات، ويتحرّك مجتمعنا في خطواته المستقبليّه في سلّم الرقي والكمال، ويزداد شبابنا الأعزاء سواءً من الإخوة أو الأخوات من إيمانهم واطلاعهم على مفاهيم الدين الإسلامي ويزدادوا بذلك معرفة واطلاعاً على نقاط الانحراف والضلالة لاتباع هذه الفرقة الضالّة ويشتدّ تمسّكهم بدينهم وإيمانهم، إن شاء الله.

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الأمل والانتظار في الثقافة المهدويّة

محاضرة أُلقيت في مهرجان المهدويّة هيئة خادم الرضا

ما ستقرأه في المقالة الثالثة:

* دراسة أربعة مفردات مهمّة للبحث: أ) الأمل؛ ب) الانتظار؛ ج) المهدويّة،د) ثقافة المهدويّة.

* تبيين مكانة الأمل والانتظار في ثقافة المهدويّة ضمن ست مسائل، المسألة الأُولى: الظهور، هو ذروة تكامل المخلوقات، الثانية: الظهور، ذروة آمال الأنبياء والأولياء الإلهيين؛ الثالثة: الظهور، ذروة رسالة الرسل الإلهيين، الرابعة: الظهور، ذروة تطور ونضج العلم والمعرفة، الخامسة: الظهور، ذروة تكامل عالم التكوين؛ السادسة: الظهور، ذروة التكامل الوجودي للبشر.

* التحقيق في إحدى الشبهات وبيان الجواب عنها.

* الخلاصة والنتيجة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الأمل والانتظار في ثقافة المهدويّة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]

نبارك ونهنيء جميع الشيعة والأحرار والمنتظرين في العالم بمناسبة ميلاد آخر حجج‌الله، الولي المطلق للحقّ صاحب الأمر والزمان عليه السلام.

موضوع البحث

كما هو واضح، فإنّ موضوع هذه المقالة هو: «الأمل والانتظار في الثقافة المهدويّة» ونأمل أن نقدّم في هذا المجال المحدود بحثاً جديداً ومناسباً لهذا الموضوع بأحسن وجه لكي يكون إن شاء الله عاملاً على مزيد من التحقيق والبحث لكلّ فرد فرد من شبابنا الأعزاء وأفراد مجتمعنا الإسلامي من أجل الوصول إلى الحقيقة والواقع.

التحقيق في أربع مفردات مهمّة في البحث

ما هو معلوم في هذا البحث، أننا نواجه أربع مفردات أساسيّة في هذا البحث، ومن الجدير قبل الورود إلى موضوع البحث، التحقيق في كلّ واحدة من هذه

---

١. سورة آل عمران، الآية ٢٠٠.

المفردات وبيان المفاهيم الكامنة فيها، وهذه المفردات عبارة عن: «الأمل»، «الانتظار»، «المهدويّة» و«ثقافة المهدويّة».

أ) الأمل

وأوّل مفردة ينبغي التحقيق فيها ودراستها هي كلمة «الأمل»، التي يعيش الإنسان دائماً الاهتمام بها وتمثّل مركزاً لتفكيره واهتمامه وستبقى كذلك إلى آخر الزمان أيضاً.

وهذه المفردة تعني: «رغبة الإنسان في تحقّق أمل مع حالة من الانتظار»، أو «الانتظار لأمر حسن» أو«الرغبة والانتظار لتحقّق المقاصد الخيرة والتوقّعات الحسنة وبالأخص انتظار النجاة وثماره وبركاته في هذا العالم والعالم اللاحق»، والأمل يعني الرجاء أيضاً يقع في مقابل كلمة «خوف»، وهذه الكلمة في اللغة ـ أي الأمل ـ تعني احتمال وقوع شيء يوجوب الفرح ويثير السرور، وفي ضمن ذلك يلتفت الإنسان إلى أنّ هذا الأمر يمكنه في المستقبل أن يمنحه نعمة وخيراً، ومن هذه الجهة فإنّه يشعر بالفرح يلامس قلبه ويثير فيه الهمة والحركة للحصول على النعم الماديّة والمنافع المعنويّة، وفي الحقيقة فإنّ «الأمل» أو الرجاء هو عامل تحريك وتثوير السعي والنشاط في الإنسان، سواءً كان هذا النشاط في مجال الأفعال الماديّة أو المعنويّة للإنسان.

ولكن الأمل في الثقافة الدينيّة يعني حالة معنويّة وروحانيّة تحصل لدى الإنسان من خلال معرفته بأصول الدين، يعني، أنّ إحدى التجليات المهمّة للمعرفة في الثقافة الشيعيّة، إلى جانب البحوث العميقة في عالم الوجود، مسألة الأمل والرجاء.

وبعبارة أخرى أنّ الأمل في نظر الرؤية التوحيديّة، هو هدية إلهيّة للإنسان والإنسانيّة تدعوهم لمزيد من الحركة المنتظمة والنشاط السليم في واقع الحياة، وبذلك يحقّق الإنسان مزيداً من السعي وبذل الجهد وتشتد فيه دوافع النشاط

وبواعث الحيويّة في السير في خطّ الإيمان والمعنويات، وعلى هذا الأساس فإنّ الإنسان الذي يعيش الأمل في حياته، هو الذي يحيى بهذا الأمل، ولو سلب منه يوماً هذا الأمل فسوف يصل في حياته إلى مرحلة السكون والخمود وتستولي على حياته حالة من الجمود والركود.

والنتيجة، إنّ الأمل حالة نفسانيّة يرتبط الإنسان بسببها بأمور مستقبليّة ملحوظة ويعيش حالة الانتظار والترقب لها، وهذه الحالة من الانتظار والترقب والارتباط القلبي تتسبّب في أنّه يعيش دائماً وهو يفكّر في متعلّق هذا الأمل، ومن هذه الجهة ينبغي القول إنّ قيمة الأمل كامنة في قيمة متعلّقه، يعني، كلّما كان متعلّق الأمل ذا قيمة، فإنّ الأمل سيكون ذا قيمة، والعكس صحيح أيضاً، وأساس فإنّ الله تعالى من هذه الجهة أوصى في موارد متعددة بلزوم أن يعيش الإنسان مع الأمل ومدح حالة الأمل، وذمّ في موارد متعددة أيضاً حالة اليأس، ومن ذلك ما ورد في سورة الكهف في قوله تعالى:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً...﴾[١].

أو يقول تعالى في سورة الزمر:

﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ...﴾[٢].

أو قوله تعالى في سورة الحجر:

﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾[٣].

أو قوله تعالى في سورة يوسف:

﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الكَافِرُونَ﴾[٤]

---

١. سورة الكهف، الآية ١١٠.

٢. سورة الزمر، الآية ٥٣.

٣. سورة الحجر، الآية ٥٦.

٤. سورة يوسف، الآية ٨٧.

ومن هذه الجهة ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام في كلامه عن «جنود العقل والجهل» في إشارة إلى مكانة الأمل والرجاء والنشاط في دائرة المفاهيم الدينيّة، قال عليه السلام:

«اعْرِفُوا العَقْلَ وَجُنْدَهُ وَالجَهْلَ وَجُنْدَهُ تَهْتَدُوا... وَالرَّجَاءُ وَضِدَّهُ القُنُوطَ...وَالنَّشَاطُ وَضِدَّهُ الكَسَلَ»[١].

وعلى هذا الأساس فإنّ إيجاد الأمل في دائرة المفاهيم الدينيّة والتصدي لليأس وحالة الاحباط تعتبر من الفضائل الأخلاقيّة والقيم الإنسانيّة، ويعتبر اليأس والاحباط والكسل من الأمور المضادّة لها ومن الحالات السلبيّة في حياة الإنسان وتعدّ من الرذائل الأخلاقيّة، وبديهي أنّ المؤمن يجب أن يتحلّى دائماً بالفضائل الإلهيّة والمثل الإنسانيّة، وفي ذات الوقت يتجنب الرذائل الشيطانيّة ويتحرّك بعيداً عن حالات اليأس والقنوط.

ب) الإنتظار

المفردة الثانية التي يجب التحقيق فيها ودراستها في هذا البحث، وهي كلمة زاخر بالمعاني الواسعة والمتشعبة، هي كلمة «انتظار» المتداولة والسائدة في الثقافية الدينيّة لدى المسلمين والشيعة بالخصوص، وقلّما نجد شخصاً لا يريد لنفسه أن يكون من المنتظرين الواقعيين، ومن هذه الجهة ينبغي في البداية التحقيق في المعنى اللغوي والاصطلاحي لهذه الكلمة ثمّ نبحث في حقيقة الانتظار والمسائل الأخرى المتعلّقة بها.

«انتظار» في اللغة يعني «ترقب وتوقّع شيء سيحدث في المستقبل»، وهي حالة نفسانيّة زاخرة بالأمل والهدوء الروحي والاحساس بالأمل النفسي، وفي

---

١. الكافي، الشيخ الكليني رحمه الله، ج ١، ص ٢١.

الإصطلاح: «الانتظار حالة نفسانيّة تبعث على استعداد المنتظِر لظهور المنتظَر وإدراك وجوده وحضوره»، ومن زواية دينيّة فالانتظار حالة روحانيّة ومعنويّة منبعثة من الإيمان الكامل بجميع أصول الدين وتتسبّب في أن يعيش المنتظر الشاب والبالغ العلاقة الوافرة بظهور القائد الإلهي والزعيم السماوي، القائد الذي يستطيع بمعونة الذات المقدّسة الإلهيّة إنقاذ الناس المستضعفين في العالم من أجواء الظلم والظالمين وقوى البغي والكفر والاستكبار وسوقهم في خطّ التوحيد والإسلام الحقيقي والحركة في خطّ إقامة حكومة القسط والعدل في جميع ربوع المعمورة والتصدي للظالمين وهدم عروش الطواغيت.

على هذا الأساس، فقيمة الإنتظار، تختلف بما يتناسب مع متعلّقها، يعني كلّما كان متعلق الإنتظار يملك قيمة عالية، فالإنتظار لظهور هذا المتعلّق أيضاً ستكون له قيمة عالية، أجل، من هنا تتبيّن العلّة لما ورد في الروايات الشريفة الواردة عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام من التأكيد على انتظار الفرج وترسيخ هذا المفهوم في الذهنيّة والثقافة الدينيّة.

وبعبارة أخرى، يتبيّن ممّا ورد في الروايات عن الإئمّة الأطهار عليهم السلام في مسألة انتظار الفرج وأنّه من أفضل الأعمال: أوّلاً: إنّ انتظار فرج قائم آل محمّد عليه السلام له قيمة عالية وسامية في دائرة المفاهيم الدينيّة، ثانياً: إنّ الانتظار لا يعني الجانب السلبي من هذا المفهوم وجلوس الإنسان بدون عمل، بل هو نوع من العمل والنشاط مع الشعور بحالة من الأمل، وعلى ضوء ذلك، لا ينبغي اعتبار الإنتظار أنّه حالة من الخمود والسكون وأن ينظر الإنسان إلى الأحداث وهو مكتوف الأيدي، بل ينبغي أن نفهم أنّ الإنتظار نوع من العمل المتسق والمتزامن مع الاستعداد في كلّ لحظة، وتقوية البواعث الداخليّة والخارجيّة وأنّه نشاط مؤثر وتحرّك مفيد، وأخيراً هو نوع من الحيويّة الفعّالة في جميع الموارد وعلى مختلف المستويات، وهكذا يكون مثل

هذا الإنتظار من أفضل الأعمال، وبالتالي فلا شك في أنّ انتظار الفرج هو ميل فطري يوجد في جميع أفراد البشر ويمثّل مطلباً مشتركاً في جميع أتباع الأديان والمذاهب في الدنيا ولا يختصّ بزمان خاص ومكان معين، أو بقوم وجماعة خاصّة.

بل إنّ حقيقة الإنتظار هو أن يخلق المنتظِر في نفسه استعداداً كافياً ويوجب في محيطه الاجتماعي المقدّمات ويهييء الفرص المناسبة لاستقبال المنتظَر والمنقذ الموعود، وأساساً فإنّ الله تعالى من هذه الجهة بشّر المستضعفين والمظلومين والمحرومين في العالم بوراثة الأرض من خلال الإنتظار الفاعل والأمل الإيجابي لتهيئة أنفسهم لاستلام مقاليد الحكومة على الأرض، تقول الآية الشريفة:

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[١].

ومن هذا المنطلق يمكننا، من هذا البيان الإجمالي لكلمة «أمل» و«إنتظار»، الخروج بهذه النتيجة، وهي أنّ هاتين المفردتين في الثقافة الإسلاميّة والنصوص الدينيّة ترتبطان بشكل عميق ووثيق، وبعبارة أخرى أنّ المحقّقين، بعد التمعّن في هاتين الكلمتين، وصلوا إلى هذه النتيجة الحاسمة: «إنّ المنتظِر الواقعي الحقيقي هو الذي يعيش الأمل الحقيقي» و«من يعيش الأمل الحقيقي هو المنتظِر الحقيقي»، يعني، أنّ المنتظِر الواقعي هو الشخص الذي يعيش الأمل بنتائج عمل الباري تعالى، ونتائج أفعال جميع الأنبياء الإلهيين العظام عليهم السلام على إمتداد التاريخ البشري.

ومن هذه الجهة فالمنتظِر الواقعي هو الشخص الذي يهتم بالحركة في واقع الحياة رجاء الظهور ويتوقّع تحقّق الوعد الإلهي بحيويّة ونشاط بما ستنتهي إليه البشريّة

---

١. سورة القصص، الآية ٥.

والعالم من زوال الظلم والجور وتحقّق الوعد الإلهي بإقامة حكومة العدل والقسط، أجل، فإنّ مفردة الإنتظار ومفردة الأمل، متلازمتان وترتبطان فيما بينهما برابطة وثيقة ومحكمة.

وعلى هذا الأساس فلو رأينا أحد المنتظِرين لا يعيش الأمل المشرق بمستقبل البشريّة، فهذا يعني، أنّه ليس من المنتظرين الحقيقيين ولا يدرك حقيقة الإنتظار ولا يعيشه في واقعه النفساني في عمليّة تجسيد لهذه الحقيقة الدينيّة في واقع الحياة، يعني إذا رأينا شخصاً يدعي أنّه من جملة المنتظرين ولكنّه ليس فقط لا يعيش حالة الأمل بمستقبل العالم وحياة البشريّة والمجتمع الإسلامي، بل إنّه يعيش حالة من اليأس واللامبالاة أيضاً، ويواجه حالة من الاخفاق في وجوده وشخصيّته، فينبغي أن نعلم أنّ هذا الشخص ليس بمنتظِر حقيقي وأنّه قد أدخل نفسه بدون مبرر في زمرة المنتظِرين.

ج) المهدويّة

المفردة الثالثة التي ينبغي البحث فيها ودراستها في هذا البحث كلمة «المهدويّة»، وهي كلمة عميقة المغزى وواسعة المعنى وقد لفتت أنظار علماء المسلمين وغير المسلمين طيلة أكثر من ألف سنة، ومن هذه الجهة يجب في البداية بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي لهذه الكلمة.

ومن أجل بيان المفهوم لهذه الكلمة ينبغي القول إنّ كلمه «مهدي» من حيث علم الصرف هي اسم مفعول من فعل ثلاثي مجرّد وناقص ومعتدل اللام، من «هدى»، «يهدي»، «هداية» وقد اشتقت منه كلمة «مهدويّة».

ولكن من الجهة اللغوية فإنّ كلمة مهدويّة يوجد فيها احتمالان، وهما عبارة عن:

الاحتمال الأوّل: إنّ كلمة مهدويّة «مصدر صناعي»، لأنّ مثل هذا المصدر في اللغة العربية مأخوذ من اسم أو صفة أو ضمير بإضافة علامة «ية» في ذيلها، من

قبيل «إنسان» و«جاهل» و«هو» والمصدر الصناعي لها «إنسانيّة» و«جاهليّة» و«هوية»، وهذه الكلمات تعني بالترتيب «كونه إنساناً» و«كونه جاهلاً» و«كونه حقيقة»، وفي هذه الصورة فإنّ كلمة مهدوية تأتي بمعنى «كونه مهدويّاً».

الاحتمال الثاني: إنّ كلمة مهدويّة «صفة نسبيّة» أو «بالنسبة» وأصلها «مهدوي» وقد اشتقت منه كلمة «مهدي» من قبيل «محمّد» و«علي» و«فاطمة» والصفة المنسوبة لهؤلاء «محمّدي» و«علوي» و«فاطمي» وتعني هذه الكلمات بالنسبة إلى المنتسب لها على الترتيب «النبي محمّد صلى الله عليه وآله» و«الإمام علي عليه السلام» و«فاطمة الزهراء عليها السلام»، إذن على ضوء ذلك فإنّ حرف الياء المشدّدة في آخر كلمة مهدوي، ليست هي ياء مصدريّة، بل ياء النسبة، والآن إذا إضفنا مثل هذه الكلمات المنسوبة إلى «تاء التأنيث» ففي هذه الصورة فإنّ هذه الكلمات تكون صفة لموصوف محذوف، وعلى هذا الأساس وطبقاً لهذا التقرير فإنّ كلمة «مهدويّة» صفة لموصوفات محذوفة من قبيل «العقيدة المهدويّة» أو «الطريقة المهدويّة» أو موصوفات أخرى.

أمّا في الاصطلاح، فالمقصود من المهدويّة، مذهب أو مدرسة أو عقيدة تنتسب للإمام المهدي عليه السلام، وهذه العقيدة تعني أنّ المعتقد به في أقواله وأفعاله وسلوكياته وأفكاره تبعاً للإمام المهدي عليه السلام وهو ابن الحسن العسكري عليه السلام الذي ولد في وقت السحر من منتصف شعبان عام ٢٥٥ هـ ق في مدينة سامراء، وهو الإمام التاسع من نسل الإمام الحسين عليه السلام السبط الثاني لرسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن فاطمة الزهراء وعليّ المرتضى عليهما السلام وقد تولّى زمام الإمامة والزعامة في سن الخامسة من عمره وله غيبتان أحدهما قصيرة وانتهت في عام ٣٢٩ هـ ق، ولكن الغيبة الأخرى طويلة وقد بدأت من هذه السنة واستمرت إلى زماننا هذا وسوف تستمر إلى أن يأذن الله تعالى له بالظهور.

د) ثقافة المهدويّة

إنّ ثقافة المهدويّة ثقافة متعالية وتحظى بقيمة سامية في الذهنيّة المسلمة بما تتضمنه من أمل في إيجاد نظام عالمي وعادل وتشييد حكومة العدل والقسط التي تستند إلى الإنسان الكامل وعلى أساس مباني الإسلام الحقيقي، الإسلام الذي بيّنه الأئمّة المعصومين عليهم السلام بمقدار فهم ودرك المخاطبين وذكروا بعض مشخّصاته ومختصّاته، وقد تحرّك الأئمّة المعصومون عليهم السلام في أزمنة متمادية وأمكنة مختلفة، ومع الأخذ بنظر الاعتبار المفاهيم المختلفة للأشخاص وبما يتناسب مع هذه العناصر، بيان أبعاد وتفاصيل هذه الثقافة لأتباعهم ومريديهم وعملوا على تعميق وتكريس هذه الثقافة وفي ذات الوقت صونها من السقوط في هوة الافراط والتفريط وتنزيهها من مظاهر الانحراف والخلل في مجمل الثقافة الدينيّة لدى المسلمين.

إنّ البناء الشامخ والرفيع لهذه الثقافة الأصيلة يبتني على تعاليم الأنبياء والأولياء الإلهيين قبل نبي الإسلام صلى الله عليه وآله، ولكن من الواضح أنّه، مضافاً إلى استمرار هذه السيرة من قبل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وخلفائه المعصومين عليهم السلام عندما سنحت لهم الفرصة في عصر الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام حيث سعوا إلى إغناء وإثراء هذه الثقافة والعمل على تعميقها في واقع الأُمّة الإسلاميّة وتوفير الأرضيّة المناسبة لترشيدها وتوثيقها ونرى في الأدعية والزيارة المتعلّقة بالإمام ولي العصر عليه السلام أبعاداً مختلفة وفي نفس الوقت منسجمة ومتسقة لهذه الثقافة الشموليّة العالميّة، وبالإقتران بجمال خاصّ ورؤية عميقة وعلميّة شاملة ليس لها نظير.

وبلا شك أنّ الأقلام قاصرة والعقول ناقصة والألسن عاجزة عن وصف هذا الثقافة السامية في عمق التعاليم الدينية، ولكن يمكن القول إنّها عبارة عن تركيب منسجم وتشكيلة متناغمة وعديمة النظير من حالات العشق، والشعور، والنظم، والعدل وجميع القيم والمثل الإنسانيّة والفضائل الأخلاقيّة، إذن فثقافة المهدويّه بمثابة ماء الحياة التي يسقي المعتقدين بوجود الإمام المهدي عليه السلام ويمتد إلى

مستويات وجود الإنسان وفكره وعلمه وقيمه في واقع الحياة ويصل به إلى مرتبة الخلود، أجل، فالإشخاص الذين يملكون رؤية صحيحة وعقيدة سليمة بظهور المنقذ والموعود من ذريّة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله ويملكون فهماً صحيحاً للمعايير والقيم والمسؤوليّات والنشاطات الاجتماعيّة ويدركون ما ينبغي وما لا ينبغي عليهم على المستوى الفردي والاجتماعي، ويستطيعون إيجاد علاقة وثيقة من الولاء وثقافة الاستقامة ويعملون على توثيق الرابطة بينهم وبين إمام زمانهم عليه السلام، هم الذين يملكون اللياقة والجدارة أن يتّصفوا بهذه الثقافة العالية ويتّسموا بهذه السمة العالية من الإنتظار والأمل بالمستقبل.

وهذه الثقافة من شأنها أن تمهّد الأرضيّة اللازمة في الإنسان والمجتمع البشري من أجل تحقّق المجتمع المهدوي وتجسد هذا المفهوم في واقع الحياة وبالتالي اصلاح أنفسهم ومجتمعهم والاستعداد للبذل والإيثار والتفاني والتضحية والعمل الصالح والتزكية السليمة، والعشق الإلهي، والحركة الإيمانيّة، والجهاد في سبيل الله والاستشهاد والتسليم في مقابل أوامر المولى، ومن هذه الجهة فليس بعيداً أن يقال إنّ ثقافة المهدويّة بشكلها الكامل والشامل، تتشكّل من منهج، وحركة وفعل وتفاعل ورؤية عميقة لعقيدة الإنتظار للإمام المهدي عليه السلام إن شاء الله تعالى.

وعلى ضوء ذلك، وبعد أن تبيّن في هذا المقال الموجز مفهوم هذه المفردات مورد البحث، تصل النوبة إلى بيان تفاصيل هذه المسألة الواسعة والعميقة واستعراض متعلقاتها على نحو إجمالي.

بيان مكانة الأمل والإنتظار في ثقافة المهدويّة ضمن ستة أمور

لقد تبيّن ممّا تقدّم أنّ نمو حالة الأمل أو اليأس في الإنسان ترتبط بشكل وثيق بثقافة المجتمع أو الطبقة التي ينتسب إليها الفرد والقيم الموجودة في تلك الثقافة، ومن هذه الجهة فالتصدي لحالات اليأس وخلق جوٍ زاخر بالأمل والنشاط،

يستدعي إجراء هندسة معنويّة خاصّة أو تشييد بنيان اجتماعي وثقافي متناسب مع الروحيّة الفطريّة والذائقة الأصليّة لجميع أفراد البشر، ومن هذه الجهة فإنّ مسألة الأمل والإنتظار في «ثقافة المهدويّة» تعدّ إحدى المسائل المهمّة التي تمتد إلى دائرة واسعة وتشغل مساحة كبيرة من الثقافة المجتمعيّة ولا نستطيع في هذا المقال المختصر التعرض لجميع زوايا وخبايا هذا البحث، ولكن على نحو الاجمال يمكن الإشارة إلى بعض جوانب المسألة ضمن ستة نقاط، وهي عبارة عن:

النقطة الأُولى: الظهور، هو ذروة تكامل المخلوقات

وإحدى النقاط المهمّة التي نستوحيها من مراجعة آيات القرآن الكريم وبيان سيرة الأنبياء والأولياء الإلهيين وتعاليمهم، هي ما يتّصل بالغرض من خلق المخلوقات وأنّ هذا الخلق لا يمكن أن يكون عبثياً وباطلاً، ونقرأ في الآية الشريفة من سورة المؤمنون أنّ الله تعالى يقول:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [١]

أو قوله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ [٢]

أجل، كما هو معلوم أنّ الله تعالى لم يخلق السماء والأرض والحيوانات والجمادات والنباتات والإنسان و... باطلاً وعبثاً وبدون غاية وهدف، وبعبارة أخرى إنّ الله تعالى يخاطب الإنسان ويقول إيّها الإنسان أنا لم أخلقك لكي تأتي إلى هذه الدنيا وتشغل مكاناً من هذا العالم وتستثمر المواهب والنعم في عالم الطبيعة ثم تذهب إلى سبيلك وتنتهي المسألة إلى هذا الحد، كلّا.

لا ينبغي أن تتصوّر أننا خلقناك عبثاً وبدون غاية، بل يجب أن تعلم أنّ جميع

---

١. سورة المؤمنون، الآية ١١٥.

٢. سورة يس، الآية ٢٧.

المخلوقات إنّما خلقت لهدف وغاية معيّنة وتتحرّك جميعها من أجل الوصول إلى تلك الغاية ودرك النهاية المعلومة لها، وهذه الغاية المعلومة متعالية وسامية جـدّاً، نعم، إنّ الله تعالى منذ أن خلق السماوات والأرض والمجرّات والكرات السـماوية وسائر الموجودات والمخلوقات كان يهدف لغرض معين وأوعز لقافلة التكوين بأن تهتدي إلى نقطة أساسيّة وتتوجّه إلى غاية معيّنة، وهذه النقطة والغاية تـعتبر ذروة تكامل البشريّة والمخلوقات.

والآن بعد أنّ تبيّن هذا المعنى والمفهوم فإنّ هذه الرؤية الغائيّة لخلق الإنسـان والموجودات تتسبّب في خلق الأمل والنشاط في أعماق نفوس وقلوب المنتظِرين وتوجب فيهم حالة من البهجة والنشاط في حركة الحياة مع الأمل بظهور المنقذ.

النقطة الثانية: الظهور، ذروة آمال الأنبياء والأولياء الإلهيين

وعلى هذا الأساس فإنّ المخطط الإلهي والغاية الربانيّة من ارسال الرسل وبعث الأنبياء وبمدّة زمنيّة ممتدة إلى مئات الآلاف من السنين في عمق التاريخ البشري، كلّها تؤيد وجود غاية وهدف من عالم الخلقة ونظام الوجود، لأنّه بالرغم مـن أنّ الإنسان لا يستطيع معرفة الزمان والوقت الذي بعث فيه أول نبيّ من أنبياء الله، وهو النبي آدم عليه السلام بشكل دقيق، وما هي الصفات التي كان يتّصف بها، ولكنّه يعلم إجمالاً بهذه المسألة، وهي أن الله تبارك وتعالى قد أرسل لأوقات متعددة وأزمنة متمادية أنبياء ورسل إلهيين واحداً بعد الآخر، إلى أن وصلت سلسلة الأنبياء والرسل إلى نقطة الذورة والتكامل النهائي، ففي البداية أرسل الله تعالى نبيّاً بـبرنامج مـحدود ولمجتمع محدود، ثمّ بعد مائة أو مائتين أو ثلاثمائة سنة أرسل نبيّاً آخر ورسـلاً آخرين بمنهج وبرنامج آخر للبشر، إلى أن انتهت سلسلة النبوّة ببعثة خاتم الأنبياء محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله، وبعد عصر إمامة الأئمّة الطاهرين عليهم السلام وصلت النوبة إلى خاتم الأوصياء وأمل جميع الأنبياء ووصي آخر الزمان عليه السلام، لأنّه وفق ما ورد في الروايات

الشريفة أنّ جميع الأنبياء الماضين كانوا يعتقدون بالنبيّ الخاتم وأوصيائه وبخاصّة الوصي الأخير، وكلّهم كانوا يعيشون الأمل بظهوره وينتظرونه بشوق بالغ.

أجل، إنّ جميع البرامج للرسالات السماويّة ودعوات الأنبياء السابقين كانت تهدف لتحقيق هذه الغاية النهائيّة والوصول إلى نقطة الذروة من إرسال الرسل الإلهيين، يعني أنّ الأنبياء السابقين يعلمون بأجمعهم أنّ سلسلة الأنبياء تتحرّك نحو نقطة الذورة، أو تصل إلى نقطة النضج والتفتح ونقطة التكامل النهائي، نعم، فهؤلاء الأنبياء كانوا يعلمون أنّ النتيجة النهائية لظاهرة النبوّات والرسالات والمرسلين الإلهيين وحصيلة جميع أتعابهم وفعالياتهم ستتحقّق وتنتهي بظهور الإمام المهدي عليه السلام، وبديهي أنّ هذه المسألة أدّت إلى غرس بذرة الأمل والنشاط والحيويّة في نفوس وأبدان المنتظِرين الحقيقيين.

النقطة الثالثة: الظهور، ذروة رسالة الرسل الإلهيين

وإحدى الخصوصيّات التي ستتحقّق بعد ظهور الإمام المهدي عليه السلام، هو نزول النبي عيسى عليه السلام من السماء إلى الأرض، لأنّ المسلمين وبحسب الآيات الصريحة في القرآن الكريم ومنها الآية ١٢٧ و ١٥٨ من سورة النساء يعتقدون أنّ الله تعالى، وبعد أن تواطأ اليهود على قتل النبي عيسى عليه السلام وتآمروا عليه، رفعه إلى السماء ليحفظه من شرّهم وآذاهم وسوف يعود إلى الأرض بعد ظهور الإمام المهدي عليه السلام يقول تبارك وتعالى في هذا المجال:

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾[١].

---

١. سورة النساء، الآية ١٥٧ و ١٥٨.

وطبعاً فالقراء الأعزاء يعلمون جيداً أنّ القرآن الكريم عندما يتحدّث عن النبي عيسى عليه السلام وأُمّه العذراء مريم عليها السلام، وفي موارد وآيات متعددة فإنّ الأناجيل المتوفّرة اليوم بين يدي رجال الدين المسيحيين لا تحتوي علىٰ ما ذكره القرآن الكريم فيما يخصّ النبي عيسى عليه السلام وأُمّه مريم عليها السلام ولكن هذه المسألة، وهي أنّ الله تعالى بأي قسم من السماء رفع النبي عيسى عليه السلام أو كيف رفع به إلى السماء، أو أساساً ما هي الحكمة الإلهيّة من هذه الحادثة الواردة في الآيات الكريمة المذكورة آنفاً؟ فهذه الأسئلة تستدعي بحوثاً مفصلة وهي خارجة عن عهدة هذا المقال، وبعبارة أوضح، أنّ فهم هذه الظاهرة العجيبة وهي كيف أنّ الله تعالى من جهة يصعد بإنسان وبخصوصيّاته الماديّة إلى السماء ويحفظه هناك لعدّة آلاف من السنين، ومن جهة أخرى كيف يحفظ إنساناً آخر، الذي يمثّل آخر إمام وحجّة على عباده أكثر من ألف سنة في الأرض وسوف يظهر للناس متى ما أراد الله تعالى، فهذه بنفسها تستدعي بحوثاً مفصلة وتستلزم مجالاً واسعاً.

وعلى أيّة حال، فالنبي عيسى عليه السلام في هذا المجال وبأمر الله تعالى سينزل من السماء بعد ظهور الإمام المهدي عليه السلام، وثمّة روايات كثيرة واردة في هذا الشأن، بل إنّ الكثير من علماء الشيعة وأهل السنّة ذهبوا إلى تواتر الروايات في هذه القضيّة ويعتقدون بوجود روايات وردت في كتب مذهب أهل البيت عليهم السلام وكتب مذاهب أهل السنّة تصل إلى حدّ التواتر، يعني أنّها من الكثرة وصلت إلى حدّ تفيد الاطمئنان واليقين للإنسان بحيث إنّه ورد في بعض الكتب ما يقارب من ٦٠ رواية في هذا المورد، وعلى سبيل المثال ينقل العلّامة المجلسي رحمه الله رواية عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«ينزلُ عيسى علىٰ ثنية (أي عقبة) بِالأرض المُقدّسةِ يُقال لها أفيق، فَيأتي بيتَ المقدسَ والنّاسُ فِي صلاةِ الصبحِ فَيَتأخّر الإمامُ أي المهدي فيُقدّمه

عيسى ويُصلّي خلفَه على شريعة محمّد ويقول: أنتم أهل بيت لا يتقدمكم أحد»[١].

وطبقاً لهذه الرواية فإنّ النبي عيسى عليه السلام سينزل على مقربة من بيت المقدس وعند إقامة صلاة الصبح، في حين أنّ الناس يصلّون في ذلك الوقت خلف الإمام صاحب الزمان عليه السلام، فيأتي النبي عيسى عليه السلام ويصلّي مأموماً خلف الإمام المهدي عليه السلام ويقتدي به في صلاته، بل ورد في بعض الروايات بيان جميع الخصوصيّات وبخاصّة الخصوصيات الظاهريّة للنبي عيسى عليه السلام أيضاً.

ولكن قد يثار هذا السؤال، ما هي علّة نزول النبي عيسى عليه السلام؟ وأساساً ما هو السرّ في أنّ النبي عيسى عليه السلام صعد إلى السماء وبقي هناك مئات وآلاف السنين ثمّ ينزل إلى الأرض ويشارك الإمام المهدي عليه السلام في هداية الناس إلى طريق الخير والإيمان والتوحيد؟

في مقام الجواب ينبغي القول إنّه لا شكّ أنّ لهذه المسألة جهات مختلفة، ولكن طبقاً لمضمون بعض الروايات، أنّ إحدى الجهات في المسألة أنّ الله تعالى وبعلمه الأزلي يعلم بذلك اليوم الذي نعيشه الآن في أنّ المسيحية سوف تستوعب مناطق واسعة من المعمورة وتستولي على أفكار الكثير من أفراد البشر والمجتمعات البشريّة بمعونة الإعلام المكثف والإمكانات الهائلة التي يملكها المسيحيون في سبيل نشر دينهم وأفكارهم في المجتمعات القريبة والبعيدة، ومن هذه الجهة يقول إنّ جميع أهل الكتاب أعمّ من اليهود وغير اليهود كالنصارى عندما يرون المسيح عيسى عليه السلام ينزل إلى الأرض ويصلّي خلف الإمام المهدي خاتم الأوصياء عليه السلام فسوف يؤمنون به قبل موته، أي موت عيسى عليه السلام، وفي هذا الصدد فقد ذكر القرآن الكريم هذه الحقيقة قبل ألف وأربعمائة سنة في سورة النساء الآية ١٥٩:

---

١. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٥١، ص ٨٥.

﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ...﴾[١].

وطبقاً لهذه الرؤية، فثمّة رواية وردت في ذيل هذه الآية الشريفة تبيّن بشكل واضح ما تقدّم من تفسير الآية، فالرواية تقول:

«عن شهر بن حوشب، قال لي الحجّاج: ياشهر آية في كتاب الله قد أعيتني، فقلت: أيّها الأمير أيّة آية هي؟ فقال: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ...﴾، والله إنّي لآمر باليهودي والنصراني فيضرب عنقه ثم أرمقه بعيني فما أراه يحرّك شفيته حتى يخمد، فقلت: أصلح الله الأمير ليس على ما أوّلت قال: كيف هو؟ قلت: إنّ عيسى ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا فلا يبقى أهل ملة يهودي ولا غيره إلّا آمن به قبل موته، ويصلّي خلف المهدي، قال: ويحك أنّى لك هذا؟ ومن أين جئت به؟ فقلت: حدثني محمّد بن عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام فقال: والله جئت من عين صافية»[٢].

وهذا يعني، إنّ الآية الشريفة تتعلّق بآخر الزمان وأنّ ضمير (قبل موته) يعود إلى عيسى المسيح عليه السلام.

والآن يبرز أمامنا هذا السؤال المهم، وهو ما هي العلاقة بين نزول النبي عيسى عليه السلام وظهور الإمام المهدي عليه السلام؟

والجواب عن هذا السؤال المهم، هو أنّ تكامل رسالة النبي عيسى عليه السلام ترتبط بظهور الإمام بقيّة الله الأعظم عليه السلام، وبعبارة أخرى، عندما يكون عدد كبير جدّاً من المجتمعات البشريّة تحت طائلة الإعلام المسموم لأجهزة الإعلام المرئي والمسموع وشركات الإعلام الضخمة والكاذبة في هذا العصر وتوحي للناس بأفكار الديانة المسيحية الباطلة والمحرفة فإنّ النبي عيسى عليه السلام عندما ينزل من

---

١. سورة النساء، الآية ١٥٩.

٢. تفسير الميزان، العلّامة الطباطبائي رحمه الله، ج ٥، ذيل الآية، نقلاً عن تفسير القمي.

السماء ويعود إلى المجتمع البشري بوصفه أحد أعوان الإمام المهدي عليه السلام، ويبقى معه أربعين سنة حتّى يتوفاه الأجل ويقوم الإمام المهدي عليه السلام بتجهيز جثمانه وتكفينه بكفن من نسيج وغزل مريم العذراء عليها السلام، بل ورد في الروايات أنّ الإمام المهدي عليه السلام يملك ذلك الكفن ويقوم بعد وفاة عيسى عليه السلام بتكفينه ودفنه في البيت المقدّس إلى جانب قبر أُمّه مريم العذراء عليها السلام، وهذا يعني، إنّ وجود النبي عيسى عليه السلام إلىٰ جانب الإمام المهدي عليه السلام يرسم خطّ البطلان على الديانة المسيحية المحرفة ويساهم في يقظة الناس وعودتهم إلى الحقّ.

أجل، فإنّ مسؤوليّة رابع نبي من أنبياء أولو العزم الإلهيين في عصر الظهور أنّه يلعب دور المكمل للعقيدة الحقّة، وبالتالي فإنّ رسالة الرسل والأنبياء الإلهيين عليهم السلام تصل بظهور الإمام المهدي عليه السلام إلى نقطة الذروة والكمال المنشود، ألا يثير هذا المعنى النشاط والحيوية في الإنسان المؤمن؟ وعندما يلتفت الإنسان إلى هذه الحقيقة العميقة وأنّ الله تبارك وتعالى أرسل أربعة وعشرين ألف نبي عليهم السلام لهداية البشر إلى الصلاح وسوقهم في خطّ الخير والإيمان والسعادة فإنّ نقطة الذروة والمحطة النهائيّة للخطط الإلهي تتجسد في عصر ظهور الإمام القائم عليه السلام، ألا تمنح هذه الحقيقة الإيمانيّة الأمل والنشاط والروحيّة في نفس الإنسان المؤمن؟ وفي هذه الصورة ألا يكون الكلام عن الغايات المتعالية والدور الخاصّ للإمام صاحب الزمان عليه السلام في تشييد حكومة العدل الإلهي وحاكميّة التوحيد ونشر مفاهيم العدالة والخير والقيم الأخلاقيّة والمثل الإنسانيّة في جميع أرجاء المعمورة، ومهمّاً إلىٰ درجة أنّ الإمام الصادق عليه السلام يقول:

«لَوْ أَرْدَكْتُهُ لَخدَمْتُهُ أَيّامَ حَياتِي»[1].

أجل، فإنّ عصر الظهور يمثّل نقطة الذروة في تكامل رسالة الرسل والأنبياء

---

١. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٥١، ص ١٤٨.

الإلهيين العظام عليهم السلام وهي النقطة التي تمثّل الغاية التي وضعها الله تبارك وتعالى لعالم الخلقة والبشريّة.

النقطة الرابعة: الظهور، ذروة تطور العلم والمعرفة

المسألة الأخرى التي تتحقّق في عصر الظهور وتكون مصدر الأمل والنشاط في قلوب المشتاقين للنور الإلهي، مسألة تطور وتقدّم العلم والمعرفة في عصر ظهور الإمام المهدي عليه السلام، وقد ورد في بعض الروايات المعتبرة:

«العِلْمُ سَبعَةٌ وَعِشرُونَ جُزءً، فَجَمِيعُ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ جُزْءانِ فَلَم يَعْرِفِ النَّاسُ حَتّىٰ اليَومَ غَيْرَ الجُزْءَينِ، فَإِذا قَامَ القَائِم أَخْرَجَ الخَمسةَ وَالعِشرِينَ جُزْءاً، فَبَثَّها فِي النَّاسِ وَضَمَّ إِلَيها الجُزءينِ حَتّىٰ يَبُثَّها سَبعَةَ وَعِشرِينَ جُزْءاً»[1].

وكما يتبيّن من هذه الروايات الشريفة وسائر الروايات المشابهة لها، إنّ الله تعالى يضع إلى ما قبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام جزئين أو ركنين من العلم والمعرفة، ولكنه تعالى سيفتح أبواب العلم والمعرفة في عصر ظهوره حتّى تصل العلوم والمعارف إلى خمس وعشرين جزءً، وبعبارة أخرى، إنّ العلوم والمعارف البشريّة إلى ما قبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام والمتوفّرة في هذا العصر في المكتبات العالميّة والجامعات العلميّة وقد يبلغ عدد الكتب في هذه المكتبات إلى ملايين الكتب وتتضمّن آلاف الفروع العلميّة، فهذه كلّها تمثّل جزءين من العلم الظاهر في هذا العصر وما قبل الظهور، ولكن هذه العلوم والمعارف في عصر ظهور الإمام المهدي عليه السلام ستكون خمس وعشرين جزءً آخر يضاف إلى ما لدى البشريّة من العلوم والمعارف السابقة، وطبعاً فإنّ عقولنا لا تستطيع أن تدرك ماهية هذه العلوم التي ستعرض على الناس

---

١. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٥٢، ص ٣٣٦.

في ذلك الزمان، ولكن بالنسبة للإنسان المؤمن والمنتظر الحقيقي فإنّ هذه المسألة من شأنها أن تبث في روحه الأمل وينشرح صدره ويعلم أنّه يقترب في كلّ لحظة إلى ذلك الزمان الذي يفتح الله تعالى جميع أبواب العلم والمعرفة عليه، لأنّه من الواضح أنّ البشر في هذا العصر يواجهون كثيراً من المشكلات العلميّة والفنيّة الناشئة من مجهولات الإنسان وغوامض العلوم ومشكلات المعرفة.

وطبعاً لا ينبغي إنكار هذه المسألة وهي أنّ العلم في المرحلة الراهنة استطاع حلّ زاوية من مشكلات البشر، ولكن الإنسان لا يستطيع أن يفهم قطعاً حال البشريّة مع ظهور خمس وعشرين جزءً آخر من أجزاء العلم والمعرفة وما يستطيع هذا العلم من حلّ المشكلات والتعقيدات التي يواجهها البشر في الأزمنة اللاحقة.

النتيجة، إنّ العلم في عصر ظهور الإمام القائمعليه السلام يصل إلى حدوده القصوى ويتكامل إلى المراتب العليا بحيث يستوعب جميع مجالات الحياة البشريّة، يعني، إنّ الله تعالى، الخالق لهذا العلم والبشر، بواسطة حضور المعصومعليه السلام ومن خلال العلم الواسع الذي يضعه بين يدي الناس، وكذلك بواسطة حضور الإمام المعصومعليه السلام والإذن الإلهي للبشر في التوجّه إلى إغتراف العلم والمعرفة إلى مراتب لا متناهية من الكمال والرقي على جميع المستويات الماديّة والمعنويّة، والآن ما هو الشيء الذين يمنح الإنسان الأمل والسعادة والإنشراح أكثر من تقدّم العلم والمعرفة وازدهار المعرفة في ذلك العصر؟ لأنّ العلم رغم أنّه يستدعي مقدّمات شاقة ومتعبة، ولكن لا شكّ أنّ ثمرة هذه المتاعب حصول الإنسان على جواهر ثمينة ودرر غالية من العلم والمعرفة وكلّ إنسان يتحرّك بفطرته وغريزته نحو كسب هذه العلوم والمعارف، فكيف الحال مع العلم الذي يساهم في ترشيد وإزدهار حياته الماديّة والمعنويّة، ومن اليقين أنّ هذه الحال من الأمل المثير للنشاط لتحصيل العلوم

والمعارف وبلوغ الإنسان إلى مستويات راقية جدّاً في المعرفة لا تتحقّق إلّا بظهور الإمام المهدي عليه السلام.

النقطة الخامسة: الظهور، ذروة تكامل عالم التكوين

الحادثة الأخرى التي ستحدث وتتحقّق في عصر الظهور وتبث الأمل والنشاط في قلوب المنتظرين، مسألة «تغير عظيم في عالم التكوين في عصر ظهور الإمام المهدي عليه السلام»، بأنّ جميع القابليات والملكات للموجودات في عالم الخلقة في ذلك العصر ستخرج إلى عالم الفعليّة، ولتوضيح هذا المفهوم ينبغي القول إنّ العالم المادّي يملك قابليات وملكات كثيرة جدّاً والتي لم تكتشف منها لحدّ الآن وتعتبر حالياً من مجهولات عالم الإنسان والطبيعة، وحتّى ذلك المقدار الذي كان في المرحلة القديمة أو الذي اكتشف في العصر الجديد فإنّه يمثّل القليل جدّاً من تلك القابليات الكامنة في عالم الخلقة ولم ينتفع البشر من هذه القابليات إلّا بالحدّ الأدنى منها، على سبيل المثال اليوم نرى السحب غير الممطر بكثرة أو نرى الكثير من الأراضي الموات غير صالحة للزراعة وكذلك المشكلات الأخرى في عالم التكوين، ولكن في عصر الظهور تتفتح هذه القابليات وتزدهر هذه الملكات وتبرز النعم والخيرات والمواهب في عالم الطبيعة، وقد ورد في بعض الروايات الشريفة ما يبيّن هذا الأمر بوضوح أن عالم التكوين أو عالم الطبيعة يصل في ذلك العصر إلى نقطة الذروة والتكامل والإزدهار، يعني إنّ جميع موجودات العالم، من السماوات والأرض والشجر والنباتات، أو البر والبحر، وأخيراً جميع موجودات عالم الطبيعة بما فيها الإنسان، تبرز جميع القابليات والملكات الكامنة في هذا العالم وتخرج من مرحلة الكمون إلى مرحلة الفعليّة والظهور والبروز.

وبعبارة أخرى في الحالات العادية، إذا استطاع شخص أن يزرع مائة متر أو مائتين متر من الأرض، أو يغرس في هذه المنطقة أشجار الفاكهة، فمن الطبيعي إنّه

سينتظر مدّة معيّنة ليحصل على نتيجة عمله وثمرة جهوده، ولكن بحسب ما ورد في الروايات الشريفة، أنّ عالم الطبيعة في عصر الظهور ليس زماناً عادياً، بل إنّ عالم الطبيعة يصل إلى نقطة من الازدهار والتطور بما يفوق إدراك البشر، وقد أشارت الروايات الشريفة إلى هذه المسألة بوضوح، كما نقرأ في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ أنّه قال:

«تُنَعَّمُ أُمَّتِي فِيهَا نِعمَةً لَمْ يُنَعَّمُوا مَثلَها، يُرْسَلُ السَّماءُ عَلَيهِمْ مِدرَاراً وَلَا تُدَخِّرُ الأرضُ شَيئاً مِنْ النَّباتِ وَالمَالِ كُدُوسٌ»[١].

وكذلك ورد في حديث آخر عن رسول الله ﷺ أنّه قال:

«يَخرجُ فِي آخرِ أُمّتي المَهدِي يَسقِيهِ اللهُ الغَيثَ وَتَخرجُ الأرضُ نَباتَها وَيُعطىٰ صَحَاحاً وَتَكثُرُ الماشِية وَتَعظِم الأُمّة»[٢].

وعلى ضوء ذلك، لا يبقى أي دين ومذهب في ذلك الزمان يملك منطقاً وكلاماً أغنى وأفضل من مذهب التشيع، لأنّ جميع آراء وأفكار ومعتقدات سائر الأديان والمدارس الفكريّة اقتصرت على مسألة واحدة فقط، وهي بث الأمل بمجيء مصلح ومنقذ في آخر الزمان وبواسطته يتمّ إقامة العدل والقسط والقضاء على الظالمين والمجرمين، في حين أنّ النصوص الروائية والأحاديث الكثيرة الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام تدل على هذه الحقيقة، وهي أنّ العدل في آخر الزمان يبلغ من الشمول والاستيعاب إلى درجة أنّه يدخل إلى داخل البيوت والمنازل التي يسكنها أفراد البشر أيضاً، كما يدخل البرد والحر إلى داخل البيوت، وهذه فقط نافذة وزاوية من البرنامج الإصلاحي العالمي الذي سيتحقّق على يد الإمام المهدي عليه السلام، ولكن كما هو واضح، أنّ مسألة تكامل عالم الطبيعة في عصر الظهور، مسألة في غاية الأهميّة

---

١. إلزام الناصب في إثبات الحجّة الغائب، الحائري اليزدي، ص ١٦٣.

٢. المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، كتاب الفتن والملاحم، ص ٨٧١٦.

وخاصّة فيما تتسبّب في خلق نور الأمل في قلوب المتدينين وإيجاد اشراقة من الرجاء في نفوس المنتظرين.

النقطة السادسة: الظهور، ذروة التكامل الوجودي للبشر

المسألة الأخرى، التي سوف تتحقّق في عصر الظهور وتزيد من نور الأمل والنشاط في قلوب المشتاقين لظهور الإمام القائم عليه السلام، مسألة التكامل الوجودي للبشر في عصر ظهور الإمام المهدي عليه السلام، لأنّه ورد في المنابع الروائية أحاديث تدلّ على هذه الحقيقة، وهي أنّ الناس في عصر الظهور سوف يعيشون النمو والرشد على كافة المستويات العقليّة والنفسيّة إلى درجة أنّ تاريخ الإنسان لم يشهد مثل هذا النمو والرشد، على سبيل المثال ورد في بعض الروايات أنّ كلّ إنسان وفي كلّ نقطة من نقاط الأرض إذا أراد أن يتحدّث مع الإمام المهدي عليه السلام فإنّه يستطيع ذلك بدون أي واسطة، وبذلك يستمع إلى صوت عزيز الزهراء عليها السلام الإمام المهدي عليه السلام وهذا يعني أنّ البشر أنفسهم أيضاً سيتكاملون في واقع حياتهم، يعني أنّ أعضاء وجوارح الإنسان الماديّة أعمّ من العين والأُذن و... أو الأعضاء المعنويّة للإنسان أعم من الفكر والتدبير، تصل إلى مرحلة عالية من التكامل بحيث لا يمكن تصوّر ذلك في العالم المادّي، وعلى سبيل المثال ما ورد في الرواية الشريفة عن الإمام الباقر عليه السلام، قوله في هذا الصدد:

«إِذا قَامَ قَائِمُنا وَضَعَ اللهُ يَدَهُ عَلىٰ رُؤُوسِ العِبادِ فَجَمَعَ بِها عُقُولَهُمْ وَكَمُلَتْ بِها أَحلامَهُمْ»[1].

وكذلك فإنّ مرحلة التكامل في عصر الظهور فيما يتّصل بالجانب العلمي والمعرفي للإنسان وسائر الأبعاد الأخرى في حياة البشر تبلغ أعلىٰ المستويات،

---

١. الكافي، الشيخ الكليني رحمه الله، ج ١، ص ٢٥؛ بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج٥٢، ص٣٢٨ مع اختلاف، كمال الدين، الشيخ الصدوق رحمه الله، ج ٢، ص ٦٨٥.

وطبعاً وردت في هذا المجال روايات كثيرة أيضاً، على سبيل المثال رغم أنّ فهم كتاب الله ليس باليسير ولكن بعض الروايات تقول حتّى النساء في زمان الظهور يستطعن الحكم والقضاء وفق آيات القرآن وتعاليمه وأحكامه، يقول الإمام الباقر عليه السلام في تأييد هذا المعنى:

«وَتُؤْتَونَ الحِكمَةَ فِي زَمَانِهِ حَتّىٰ إِنَّ المرأَةَ لَتَقضِي فِي بَيتِها بِكِتَابِ اللهِ تَعَالىٰ وَسُنَّةِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله»[١].

وعلى هذا الأساس، فقد ورد في الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام يخاطب جابر بن يزيد الجعفي يقول:

«يَاجَابِرُ! لَيسَ شَيءٌ أَبْعَدُ مِنْ عُقُولِ الرِّجَالِ مِنْ تَفسِيرِ القُرآنِ»[٢].

وهذه الرواية تدلّ على هذه الحقيقة، وهي أنّ البشر إلى ما قبل ظهور الإمام لا يمكنهم فهم القرآن بشكل كامل، ومن هذه الجهة نرى في كلّ زمان عدد المفسّرين للقرآن لا يتجاوز عدد أصابع اليد، أمّا على أساس الرواية المذكورة أعلاه، فإنّ دائرة فهم البشر وعلمهم ومعرفتهم في عصر الظهور تكون إلى درجة من القوّة والشدّة بحيث إنّ فهم كتاب الله يكون ميسوراً لجميع الأفراد حتّى النساء.

التحقيق في شبهة

والآن قد يثار هذا السؤال المهمّ: هل يمكن أن يرسل الله تعالى كتاباً للبشر ولكنّ مفاهيم هذا الكتاب تبقى مجهولة بنسبة ٧٠ إلى ٨٠ بمائة لغالبيّة البشر إلى ما قبل ظهور آخر حجّة إلهيّة؟ هل ينسجم هذا الكلام مع الحكمة الإلهيّة؟ وبعبارة أخرى: هل يعقل أنّ الله تعالى خلق كلّ هذه الصحارى والسماوات والبحار وسائر المخلوقات

---

١. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٥٢، ص ٣٥٢ نقلاً عن الغيبة، النعماني رحمه الله.
٢. المحاسن، البرقي رحمه الله، ج ٢، ص ٢٠٩٩.

في عالم الطبيعة ولكنّه لا يمكن الاستفادة منها بنسبة ١ بالآلف أو ١ بالمليون؟

جواب الشبهة

وفي مقام الجواب عن هذه الشبهة ينبغي القول إنّ الحكمة الإلهيّة البالغة تقتضي أن يكون نهاية فهم البشر بالنسبة للقرآن يتّفق في مرحلة تاريخيّة معيّنة أو فترة خاصّة من الزمان، والآن ما هو الشيء الأكثر لذة للإنسان عندما يقال له: «أيّها الإنسان! انتظر فهم كتاب الله»، بل إنّ تلك المرحلة ستكون لذيذة جدّاً وزاخرة بالأمل والرجاء، لأنّه عندما يعلم الإنسان أنّه في آخر المطاف سيأتي زمان تزول عن فكره أستار الحجب وتتجلّى له معاني الآيات القرآنيّة النورانيّة وستتبيّن له الحقائق والمفاهيم السامية والنورانيّة وأنّ الله تعالى سيكشف عن بصيرته غبار الغموض والإبهام فيدرك من موقع الوضوح تلك المفاهيم السامية والتعاليم السماويّة، فيزداد أمله بالمستقبل لعدّة أضعاف وبالتالي يزداد تفاعله مع عقيدة التوحيد والإيمان ويتحرّك في خطّ الخير والصلاح والعبوديّة لله تعالى، ومن هذه الجهة لا ينبغي حصر الأمل فقط في ظهور الإمام صاحب الزمان عليه السلام واختزال هذه الحقيقة الحاسمة بزوال الظلم وإقامة القسط والعدل.

وطبعاً في نظر الكاتب، فإنّ تكامل وجود البشر يعدّ أحد الأبعاد والحوادث الواقعة في زمان ظهور الإمام عليه السلام وربّما يكون هذا البعد من الجهة العلميّة أكثر بروزاً بالنسبة للأبعاد الأخرى في هذه العقيدة، ولكنّ الأبعاد الأخرى ربّما يكون لها ظهور أشدّ من جهة القيمة، لأنّه وبحسب ما ورد في الروايات الشريفة، فإنّ حالات الحقد والعداوة والبغضاء ستمحى كليّاً من قلوب الناس في عصر قيام القائم عليه السلام ولا يبقى اثنان من الناس يحملون في نفوسهم الحقد أو البغضاء تجاه الآخر، يعني أنّ التكامل الأخلاقي والروحي للناس سيتحقّق في عصر الظهور.

وبعبارة أخرى، نرى في عصرنا الراهن قلّما يوجد شخصان من الناس أو أخوان

أو أُختان لا يحملان الحقد والبغضاء أحدهما للآخر، أجل وللأسف نرى هذه المسألة السلبيّة موجودة بين أفراد الأُسرة الواحدة، وفي الغالب نرى أنّ كلّ أخ يحمل بعض الاستياء والامتعاض من أخيه أو أُخته أو لا سامح الله يحمل في قلبه حقداً عليه، ولكن حسب تعبير الإمام عليّ عليه السلام فإنّ هذه الحالة في عصر الظهور تنعكس تماماً، ولا شكّ أنّ الأمل الواقعي في هذا الموضوع هو أنّ الإنسان المنتظِر يعيش في حالة انتظاره فهماً باطنياً لقيم الإنسانيّة وينفذ التكامل إلى روحه ونفسه وفكره وعقله، وهو الزمان الذي يقول عنه الإمام الباقر عليه السلام:

«إذا قَامَ قَائِمُنا وَضَعَ اللهُ يَدَهُ عَلىٰ رُؤُوسِ العِبادِ فَجَمَعَ بِها عُقُولَهُمْ وَكَمُلَتْ بِها أَحلامَهُمْ»[1].

وعلى ضوء ذلك، فإنّ معنىٰ هذه الرواية ليس أنّ كلّ إنسان يأتي إلى الإمام ولي العصر عليه السلام فيضع يده المباركة على رأسه، بل بمعنى أنّ الإرادة التكوينيّة والسنّة الإلهيّة تقتضي أن تتحقّق هذه الظاهرة الرائعة وأنّ العقل البشري الذي وهبه الله تعالى للإنسان، إذا كانت حركته التكامليّة طيلة مئات الأُف من السنين بمقدار عشر درجات، فإنّه في عصر ظهور الإمام سيكون مئة درجة، فما أعظم وأعلى قيمة من العقل بحيث إنّ الإنسان يعيش الأمل في كماله ووصول عقله إلى مرتبة عالية من النضج والعلم والمعرفة، أجل، هذه كلّها تتعلّق بعصر ظهور قائم آل محمّد عليه السلام، الزمان الذي يظهر فيه الإمام المهدي عليه السلام، ويبسط الله تعالى لطفه ونعمته بواسطة وجود هذا الإمام المبارك وتكمل بذلك عقول الناس.

الخلاصة والنتيجة

تبيّن ممّا تقدّم أنّه لا شك في أنّ فصل ما بعد ظهور الإمام المهدي عليه السلام يعدّ أعظم

---

١. الكافي، الشيخ الكليني رحمه الله، ج ١، ص ٢٩.

وأجمل فصل في تاريخ البشريّة، ففي ذلك العصر يتحقّق وعد الله تبارك وتعالى في خلافة المؤمنين وإمامة المستضعفين ووراثة الصالحين وأنّ العالم وبقدرة آخر حامل لواء العدالة والتوحيد سيكون ساحة لأعظم تجليات العبوديّة وعبادة الله تعالى، وطبعاً في ذلك العصر، وبعد سنوات المحنة والأمل والإنتظار والاستعداد، فإنّ الرشد الإنساني ونمو الكثير من الفضائل الأخلاقيّة والقيم الإنسانيّة السامية ستكون من خصائص ذلك العصر فيما يتّصل بثقافة المهدويّة، هذه الثقافة الراقية ستكون هي المحور الأصلي للأمل، وبالإمكان لمس هذه الحقيقة ويكفي أن نستخرج من هذه العين الصافية هذه الثقافة الأصيلة.

وعلى ضوء ذلك، يتبيّن من مجموع ما تقدّم أنّ الانتظار الواقعي في الثقافة المهدويّة ليس بأن يكتفي المنتظِر بالدعاء لتعجيل للفرج ويقنع بحالة التوقّع للظهور فقط، لأنّ دعاء الفرج في هذه الثقافة يعتبر أوّل درجة وأوّل مرتبة للشروع في تجسيد حالة الانتظار، أي أنّها تبدأ من الدعاء ولكنّها لا تنتهي بهذا المقدار ونقنع بمجرّد قراءة دعاء الفرج لنكون من المنتظِرين الواقعيين، بل إنّ المنتظِر هو الشخص الذي يتحرّك في إصلاح نفسه ويسعى في خطّ إصلاح دين الناس أيضاً.

أجل، فالمنتظِر الواقعي هو ذلك الشخص الذي لا يبيح لنفسه أن يتحدّث للناس عن الدين والإيمان بدون امتلاك دعامة دينيّة وعلميّة وبمجرّد قراءة بعض الكتب الدينيّة، نعم فمثل هؤلاء الأشخاص لا يستطيعون أن يكونوا في زمرة المنتظِرين الواقعيين، لأنّ الشخص الذي يتحدّث باسم الدين ولا يختلف الحال معه أساساً ماذا يقوله للناس عن الدين، فليس بمنتظِر حقيقي، رغم أنّه ومع الأسف نرى في هذه الأيّام بعض الكلمات التي تنطلق من موقع الجهل وبعيداً عن التحقيق والعلم ممّا يتسبّب في الاستياء الشديد لدى المؤمنين، وهذه الكلمات قد تصدر من بعض الأشخاص الذين لا يمتلكون أي درجة علميّة وليس لهم جذور في الدراسات

الحوزويّة، هؤلاء يتحدّثون بأمور الدين ولكنّ كلامهم مرفوض تماماً من جهة دينيّة، وعلى سبيل المثال قالوا عن «ايران»:

«أنا أُصرّ على مذهب ايران، من الدين الإسلامي يمكن اقتباس رؤى وقراءات متنوعة ومذاهب منتوعة، وأنا أصرّ على مذهب إيران، البعض يشكلون عليَّ بأنني لماذا لا أقول دين الإسلام بل أقول دين إيران؟ لأنّه يمكن استخلاص مذاهب متعددة من الإسلام، ولكنّ استنتاجنا من حقيقة ايران وحقيقة الإسلام وهو مذهب ايران، ونحن من الآن فصاعداً يجب أن نطرح مذهب ايران على العالم، وأعتقد بأنّ من اللازم ذكر اسم ايران، وأنتم ماذا تريدون من الذكر وماذا تطلبون، الذكر مفردة ترتبط بروح المؤمن وتتعلّق بعالم الباطن والقيم المتعالية للإنسان، فكلّ شيء يرومه الشعراء من الذكر فيأخذوه من ايران، ايران هي الذكر، وتاريخ ايران ملىء بالإيمان»[١].

أو قوله بالنسبة «لمسألة السياحة»:

«السياحة هي عبادة لأنّها تقارب بين أفراد البشر وبين الطبيعة، وتقود البشر نحو الآيات الإلهيّة، وتوصل الآيات الإلهيّة أيضاً للبشر وتربط الإنسان بالله»[٢].

والآن ينبغي أن نتوجّة بالخطاب إلى من يطرح هذه الأفكار ونقول: أساساً ماذا تقصدون وماذا تريدون من كلمة ايران وأنّ ايران هي ذكر وعبادة، أو أنّ السياحة

---

١. كلمة أُلقيت في المراسيم الختامية لمؤتمر الايرانيين المقيمين في الخارج، أُنظر: وكالة فارس، السياسي، Nucler الرقم، ٨٩٠٥١٣٠١٧٤، المؤرخة ٨٩/٥/١٣، الساعة، ١٠/٠٠٠، ٨٩٠٥١٣٠١٧٤ =
.http;//WWW.farsnews.com/printable.php?nn

٢. حوار مع صحيفة ايران، تاريخ ٢١ / اردبيهشت / ١٣٩٢.

هي ذكر وعبادة، هل ـ نعوذ بالله ـ أنت نبي من الله، هل ـ نعوذ بالله ـ أنت وصي رسول الله، هل أنت مجتهد؟ بحيث أنّك تتحدّث بأمور الدين والعبادة وذكر الله وأمثال ذلك؟ وأساساً هل تعرف أنت معنى العبادة والذكر؟ هل أنت تقارن نفسك مع رسول الله صلى الله عليه وآله المتصل بمنبع الوحي الإلهي وأنّه صلى الله عليه وآله قال عن الإمام عليّ عليه السلام: «ذِكرُ عليٍّ عِبادة»؟ يجب أن تعلم أنت وأمثالك أنّه لا يحقّ لأحد أن يتحدّث بمثل هذا الكلام المليء بالبدع، لأنّه حتّى مرجع التقليد الذي صرف عشرات السنين من عمره فـ فهم الدين والتحقيق والدرس في مسائل الدين لا يرى لنفسه الحقّ أن يقول: «إنّ العمل الفلاني عبادة» أو «إنّ العمل الفلاني ذكر» فكيف الحال بك، أجل، حتّى المجتهد والفقهاء العظام أيضاً يجب أن يملكوا دليلاً على كلامهم.

وعلى ضوء ذلك، فإنّ الفهم الناقص للدين يعدّ أكبر مشكلة في العصر الراهن، ويجب على الجميع أن يعلموا ويتعلّموا الدين من أهل الدين الحقيقيين وأصحابه الواقعيين، هؤلاء المتّصلون بمدرسة أهل البيت عليهم السلام وفي كلّ يوم يجلسون على مائدة القرآن الكريم والسنّة النبوية صلى الله عليه وآله، يعني يجب علىٰ الناس أخذ معالم الدين وتعاليم الشريعة من المراجع العظام والمجتهدين الأجلاء الذين صرفوا عمرهم الثمين في سبيل الدين، لا من الأشخاص الذين ليس لهم محلّ من الإعراب في هذا المجال ويفتقدون لأي جذور علميّة ودينيّة ويتحدّثون في أمور الدين بدون أساس متين، إذن فلا يحقّ لأحد من الناس غير العلماء والفقهاء الحقيقيين للدين، أن يتحدّث ويبدي رأيه فيما يخصّ الدين، وطبقاً لهذه الرؤية:

ـ المنتظِر الحقيقي هو الشخص الذي يرتبط بالخبراء الحقيقيين والعلماء الواقعيين للدين، لا بالأشخاص الذين ليس لهم خبرة في هذا المجال وربّما يحفظون بعض أبيات الشعر عن الإمام المهدي عليه السلام ويقنعون أنفسهم ببعض المنامات في هذه المسألة.

ـ المنتظِر الحقيقي هو ذلك الشخص الذي ينتظر أن يزداد فهمه عن الله تعالى والقرآن الكريم وخليفة الله وحجّته على خلقه.

ـ المنتظِر الحقيقي هو ذلك الشخص الذي يعلم أنّه ينبغي عليه أن يزداد شيئاً فشيئاً مقدار وميزان معرفته بالإمام بقيّة الله الأعظم عليه السلام.

أجل، هذه علامات المنتظِر الحقيقي، ومن هذه الجهة ينبغي على الجميع السعي لتجسيد مثل هذا الانتظار في أعماق نفوسهم وفي أجواء أُسرتهم ومجتمعهم.

وفي الختام نسأل الله تعالى أن يوفّق جميع المؤمنين الصالحين وشبابنا الأعزاء وجميع الأفراد الذين يعيشون في بلد متعلّق بالإمام صاحب الزمان عليه السلام وأن يكونوا من أنصار وأعوان هذا الإمام، ونسأل الله تعالى أن لا يفرّق بيننا وبين أهل البيت الطاهرين عليهم السلام في الدنيا والآخرة، وأن يوفّق جميع المسؤولين، وقائد الثورة الإسلاميّة، والعلماء والمراجع والحوزات العلميّة وطلّاب الجامعات والاساتذة وجميع الأشخاص الذين يسعون في هذا البلد لتقوية الدين وخدمة الناس ويتحرّكون على صعيد تقديم الخدمة لهذا النظام الإسلامي المقدّس الذي قال عنه إمامنا الراحل قدس سره أنّ هذا النظام مقدّمة لظهور منقذ البشريّة ومصلح العالم.

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

النّصف من شعبان عيد الإنسانيّة الكبير

محاضرة أُلقيت في لقاء مع أعضاء لجنة إحياء
مراسم النصف من شعبان

ما ستقرأه في هذه المقالة الرابعة:

* النقطة الأُولى: واجبات العوام والخواص بالنسبة لإقامة مراسم النصف من شعبان.
* النقطة الثانية: انتظار الفرج أهم أُسس الإيمان.
* النقطة الثالثة: غاية ارسال الرسل، الانتظار الواقعي لظهور آخر منقذ للبشريّة.
* النقطة الرابعة: إحدى مظاهر الانتظار الواقعيّة.
* النقطة الخامسة: شروط الانتظار الحقيقي.
* الخلاصة ونتيجة البحث.

بسم الله الرحمن الرحيم

النّصف من شعبان عيد الإنسانيّة الكبير

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1]

«اَلسَّلاٰمُ عَلَى الْمَهْدِيِّ الَّذي وَعَدَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِهِ الْأُمَمَ، أَنْ يَجْمَعَ بِهِ الْكَلِمَ، وَيَلُمَّ بِهِ الشَّعَثَ، وَيَمْلَأَ بِهِالْأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً، وَيُمَكِّنَ لَهُ، وَيُنْجِزَ بِهِ وَعْدَ الْمُؤْمِنِينَ»[2].

نبارك ونهنىء جميع الشيعة ومحبّي أهل البيت عليهم السلام حلول النصف من شعبان، عيد الإنسانيّة الكبير، وذكرى ميلاد الإمام بقيّة الله الأعظم عليه السلام.

موضوع البحث

إنّ يوم النصف من شعبان، مضافاً إلى أنّه يوم ولادة إمام العصر والزمان عليه السلام، فإنّه بمثابة فرصة معنويّة ثمينة للإتصال مع خالق عالم الوجود والاقتراب منه بالدعاء والمناجاة والعبادة وبالتالي كسب المزيد من البركات الإلهيّة والألطاف الربانيّة في اليوم المبارك، وهذا هذا اليوم إلى درجة من الأهميّة أنّه ورد في الروايات الشريفة

---

١. سورة الحديد، الآية ١٧.

٢. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ١٠٢، ص ١٠١؛ ومفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي، ص ٥٣٠ زيادة صاحب الأمر، وآداب السرداب.

جعله رديفاً ومساوياً لليالي القدر، ومن هذه الجهة ينبغي الاستفادة من خيرات وبركات هذا اليوم كما يستفاد من ليالي القدر المباركة في تقوية وتوثيق العلاقة مع الله تعالى والحركة في خطّ الإيمان والتقوى وكسب المعنويات والفضائل الأخلاقيّة.

وعلى هذا الأساس، فما هو مورد النظر في هذا المقال، الإلزامات المعرفيّة فيما يخصّ إقامة مراسيم النصف من شعبان، ولحسن الحظ نرى اليوم أنّ هذه المراسيم تزداد وتتسع من حيث الكم والكيف يوماً بعد آخر، وفي توضيح هذه المسألة ينبغي استعراض خمس نقاط مهمّة في هذا الصدد:

النقطة الأُولى: واجبات العوام والخواص بالنسبة لإقامة مراسيم النصف من شعبان

إنّ إحدى السنن الحسنة المتداولة منذ قديم الأيّام بين أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام هي إقامة مراسيم يوم النصف من شعبان، ومن الواضح أنّ الإتيان بهذه السنّة الحسنة والمواظبة عليها والاهتمام بها، تعدّ وظيفة لجميع الأفراد، ومن هذه الجهة فإنّ هذا العمل المندوب له جهتان أو طرفان وهما:

الطرف الأوّل: وظيفة الناس

وأوّل طرف في هذه المسألة الذي يحظى بأهميّة كبيرة، هو ما يتّصل بوظيفة عامة الناس والشيعة تجاه بقيّة الله الأعظم عجل الله فرجه، ولحسن الحظ أنّ الناس ولحدّ الآن يتحرّكون على صعيد إقامة هذه المراسيم بشوق بالغ وإشتياق وافر ومن موقع الاعتقاد الراسخ، ويتجلّى هذا الاهتمام بمراسيم النصف من شعبان في الشوارع والميادين إلى درجة أنّ بعض الناس لا يمتنع من إنفاق الكثير من أمواله في هذا السبيل لإقامة وإحياء هذه المراسيم العباديّة.

وطبعاً لا ينبغي الغفلة عن أنّ الناس في قديم الأيّام كانوا يتحرّكون على صعيد تزيين الشوارع منذ اليوم الأوّل من شهر شعبان، ولكن مع الأسف نرى في السنوات الأخيرة، قلّة اهتمام الناس بهذا الأمر وأنّ اهتمامهم قد انحصر بهذه الأيّام المباركة.

الطرف الثاني: وظيفة العلماء

الطرف الثاني فيما يتّصل بإقامة هذه المراسيم العباديّة، وظيفة العلماء والخطباء ورجال الدين خاصّة، أي يجب عليهم إثارة شعور الناس وحساسيتهم بالنسبة لهذا الأمر المهم، لأنّه إذا أراد علماء الإسلام قيادة المجتمع الإسلامي نحو المزيد من التعرّف على الثقافة المهدويّة والحركة في مسير تشكيل الحكومة المهدويّة إن شاء الله، فمن البديهي يجب عليهم الاهتمام وبذل الجهد لارشاد الناس فيما يخصّ مسألة تعجيل فرج الإمام المهدي عليه السلام ومسألة انتظار ظهوره المبارك وحثّ الناس على إقامة هذه المهرجانات الواسعة في كلّ عام بهذه المناسبة السعيدة.

وعلى ضوء ذلك، فهناك من يدعي ويقول: يجب الاقتصاد من الانفاق على أمور الزينة في هذا اليوم لأنّ ذلك يعدّ من الاسراف، وهذا غير صحيح ومجانب للصواب، لأنّ وظيفة العلماء الواعين والراسخين في العلم أن يعملوا على حثّ جميع فئات وأفراد المجتمع الإسلامي بشكل مباشر أو غير مباشر في إقامة هذه المهرجانات والمراسيم العباديّة ويحضرون بأنفسهم في هذه المظاهر الدينيّة، لأنّه لا توجد قضيّة في عصر الغيبة أكثر أهميّة وحساسية من مسألة تذكير الناس بالإمام المهدي عليه السلام وتكريس ثقافة الانتظار والمهدويّة.

النقطة الثانية: انتظار الفرج أهم أُسس الإيمان

والنقطة الثانية التي تحظى بأهميّة بالغة في هذا البحث بوصفها أحد الالتزامات المعرفيّة فيما يتّصل بإقامة مراسيم النصف من شعبان معرفة هذا الموضوع، وهو أنّ انتظار الفرج يعتبر أحد أفضل وأسمى العبادات الدينيّة، لأنّه ورد في الأحاديث الشريفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه تحدّث في هذا الموضوع بتعابير مختلفة وبيّن هذه الحقيقة وقال:

«أَحَبُّ الأَعمَالِ إِلىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ إِنتِظارُ الفَرَجِ»[١]، و«أَفضَلُ أَعمَالِ أُمَّتِي إِنتِظارُ الفَرَجِ»[٢]، و«انْتِظارِ الفَرجِ عِبادَة»[٣]، و«أَفضَلُ العِبَادَةِ إِنتِظارُ الفَرَجِ»[٤]، و«أَفضَلُ جِهَادِ أُمَّتِي إِنتِظارُ الفَرَجِ»[٥].

وبعبارة أخرى أنّ النبي الأكرمﷺ، وبالاستفادة من هذه التعبيرات فيما يخصّ مسألة الانتظار كأنّه يهدف إلى بيان قوّة وحيوية الانتظار في خلق الحركة والنشاط في قلوب المؤمنين، وكأن النبي الأكرمﷺ يرى في الانتظار أنّه عامل للحركة والرشد في خطّ الإيمان والكمال وبوصفه دعامة أساسيّة للحركة في طريق الخير والصلاح والتوجّه نحو الله تعالى.

إذن، فانتظار الفرج في دائرة مفاهيم هذا المذهب وهذه الثقافة الدينية يعني:

أوّلاً: إنّه عمل مفيد، وحركة قيمة وسعي هادف، ومن المسلّم أنّ الانتظار بهذا المعنى لا ينسجم مع حالات الخمول والسكون والتكاسل أو اللاهدفيّة في الحياة.

ثانياً: بما أنّ هذا الانتظار يمثّل حركة وطريقاً في المشيئة الإلهيّة والإرادة الرّبانيّة من أجل تحقيق الوعد الإلهي للبشريّة للخلاص من الظلم والظالمين وإقامة العدل والقسط بين الناس، فهو محبوب عند الله تعالى.

ثالثاً: بما أنّ تحقّق الأحكام الإلهيّة والغايات التوحيديّة لها دور مهمّ جدّاً وأكثر تأثيراً في حياة الفرد والمجتمع من سائر الأعمال الأخرى، ولذلك كانت هذه الغاية

---

١. بحار الأنوار، العلّامة المجلسيرحمه‌الله، ج ٥٢، ص ١٣٣، الباب ٢٢.

٢. الزام الناصب، اليزدي الحائريرحمه‌الله، ص ١٣٧؛ بحار الأنوار، العلّامة المجلسيرحمه‌الله، ج ٥٢، ص ١٢٢.

٣. راجع المصدر السابق.

٤. نهج الفصاحة، ص ٧٨؛ ينابيع المودة، القندوزي، ج ٣، ص ١٦٩.

٥. تحف العقول، ابن شعبة الحرانيرحمه‌الله، ص ٣٣؛ بحار الأنوار، العلّامة المجلسيرحمه‌الله، ج ٥١، ص١٥٦.

وهذه الحركة العباديّة مورد محبّة الله تعالى أكثر من سائر الأعمال الأخرى، وعليه لا ينبغي النظر إلى مسألة انتظار الفرج أمراً مندوباً ومستحبّاً إلى جانب المستحبّات الأخرى، بل يجب درك مقام هذه المسألة ومكانتها في مطاوي العقيدة الدينيّة والعمل على التحلّي بهذه الحالة والتخطيط للسير والسلوك في هذا الخطّ.

النقطة الثالثة: غاية ارسال الرسل، الانتظار الواقعي لظهور آخر منقذ

ومن خلال التحقيق في الروايات المذكورة، وكذلك سائر الروايات الواردة في باب الانتظار، وكذلك ما ورد من سيرة الأئمّة المعصومين عليهم السلام يستفاد جيداً أنّ إيمان المؤمن بدون انتظار فرج آخر حجّة إلهيّة عليه السلام يعدّ إيماناً ناقصاً، والإيمان الكامل هو الإيمان الذي يتّصف صاحبه بالانتظار الواقعي ويعيش هذه الحالة في أعماق وجوده، وأساساً إنّ جميع الأنبياء الإلهيين العظام عليهم السلام وحتّى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله نفسه، والأئمّة الأطهار عليهم السلام ليس فقط أنّهم يعتبرون أنفسهم من المنتظِرين الحقيقيين، بل كانوا يدعون الناس في عصرهم وزمانهم أيضاً إلى هذا الأمر ويحثّونهم على التحلّي بهذه الحالة من انتظار الفرج ويؤكّدوا لهم بأنّ الهدف الأصلي من ارسال الرسل سوف يتحقّق فقط في آخر الزمان ومع ظهور الإمام بقيّة الله الأعظم عليه السلام، وأنّ جميع مساعي الأنبياء والأولياء كلّها بمثابة مقدّمة لتحقّق هذا الأمر المهمّ، على سبيل المثال ورد في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال في هذا الصدد:

«لَا تَذْهَبُ الدُّنيَا حَتّىٰ يَبْعَثَ اللهُ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ بَيتِي يَواطِىء اسمُهُ اسْمي واسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي يَمْلَؤُها قِسطاً وَعَدلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوراً وَظُلماً»[1].

وعلى ضوء ذلك، لا ينبغي أن نحدد ونختزل مسألة الانتظار بزمان الغيبة أو نحصرها بجماعة معدودة من المؤمنين، أو نتنزل بهذه المسألة المهمّة ونطرحها بشكل ساذج ونعمل على تسطيحها بما ليس في شأنها، لأنّ الانتظار يعني تحقّق

---

١. كشف الغمة، الإربلي، ج ٣، ص ٢٧١.

غايات الباري تعالى وأهداف الأنبياء والمرسلين والأوصياء الإلهيين عليهم السلام في المجتمع البشري والوصول بالإنسان والمجتمع إلى غايته المنشودة وكماله النهائي.

النقطة الرابعة: إحياء ليلة النصف من شعبان أحد مظاهر الانتظار الواقعي

وأحد مظاهر الانتظار الواقعي، إحياء ليلة النصف من شعبان بالعبادة والدعاء والمناجاة، لأنّه ورد في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله فيما يخصّ هذه الليلة المباركة أنّه قال:

«لَا يَدعُو فَيهَا دَاعٍ إِلاَّ استُجِيبَ لَهُ وَلَا سَائِلٌ إِلّا أُعطيَ»[١].

وطبقاً لهذا الحديث الشريف، لا يمكن القول بأنّ الشخص الذي لا يهتمّ بإحياء هذه الليلة العظيمة من النصف من شعبان ولا يتحرّك على صعيد الدعاء بتعجيل الفرج لظهور الإمام المهدي عليه السلام، أنّه من المنتظِرين الواقعيين، لأنّ أميرالمؤمنين عليه السلام يتحدّث بتعجب عن مثل هؤلاء الأشخاص ويقول:

«يُعْجِبُنِي أَنْ يُفَرِّغَ الرَّجُلُ نَفْسَهُ فِي السَّنَةِ أَرْبَع لَيالٍ، لَيلةُ عِيد الفِطْرِ ولَيلَةُ الأضحىٰ ولَيلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبان، وَأوّل لَيْلَةُ مِنْ رَجب»[٢].

أمّا السبب الذي يدعو إلى لزوم المواظبة على إحياء ليلة النصف من شعبان بالعبادة والتهجد وما علاقة هذا الأمر بمعرفة ميزان ومقدار حالة الانتظار الحقيقي في الإنسان، فالإمام الصادق عليه السلام يبيّن هذه الحقيقة في كلامه المبارك بكلّ وضوح، يقول الإمام عليه السلام:

«فَإِنَّ الأَعْمَالَ تُعرَضُ كُلَّ خَمِيسٍ وَكُلَّ رَأسِ شَهرٍ وَأَعمَالَ السَّنةِ تعْرَضُ فِي النِّصفِ مِنْ شَعبَانَ»[٣].

---

١. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٩٥، ص ٤١٣.

٢. مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي رحمه الله، ص ٨٥٢.

٣. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٨٢، ص ٣٧.

أي أنّ جميع أعمال الإنسان في الأسبوع تعرض في كل خميس وجميع الأعمال التي يقوم بها الإنسان طيلة شهر واحد تعرض في أوّل الشهر، وأعمال سنة كاملة تعرض في النصف من شعبان على ولي العصر الإمام صاحب الزمان عليه السلام، ومن هنا يتبيّن أنّ الانتظار له مراتب مختلفة ودرجات متعددة، وقيمة الانتظار ومرتبة المنتظر الحقيقي تقاس على هذه المراتب، وعلى هذا الأساس فلو أراد المرء أن يحظى المرتبة بدرجة عالية من الانتظار وينال مرتبة سامية من هذه الإيمانيّة يجب عليه أن يُزيد من معرفته بالله تعالى وأوليائه الكرام ويتحرّك على صعيد إحياء كلّ ليلة من سنوات عمره، فكيف الحال بليلة من النصف من شعبان، التي ورد في بعض الروايات أنّها أفضل الليالي بعد ليالي القدر، وتأييداً لذلك يقول الإمام الباقر عليه السلام في هذا الشأن:

«هِيَ أَفْضَلُ لَيلة بَعْدَ لَيْلَةِ القَدْرِ»[١].

وطبعاً ينبغي الالتفات إلى أنّ إحياء هذه الليلة لا يقتصر على إحيائها بالعبادة والصلاة والدعاء، بل هناك مراسيم في هذا الإحياء له أبعاد مختلفة لغرض إيقاض القلوب وإحياء النفوس، وتختلف هذه المراسيم العباديّة في هذه الليلة عن بعض العبادات من قبيل الاعتكاف، لأنّه في مسألة الاعتكاف فالأصل فيها ما تتركه من آثار شخصيّة على نفس الإنسان في عمليّة توثيق علاقته مع الله تعالى، أمّا مسألة إحياء ليلة النصف من شعبان فمضافاً إلى ترتّب الأثار الشخصيّة، فلها آثار اجتماعيّة وسياسيّة واسعة وثمار لا تحصى لعامّة البشريّة وعلى جميع المستويات.

وفي هذا المجال نستعرض روايتين فيما يتصّل بالتأثيرات الشخصيّة لإحياء ليلة النصف من شعبان مثل يقظة القلوب وإحياء النفوس، وكذلك نشير إلى أحد التأثيرات الاجتماعيّة لعمليّة الإحياء هذه مثل انفتاح أبواب الرحمة الإلهيّة الواسعة

---

١. مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي رحمه الله، ص ٨٣١.

وكذلك شمول المغفرة الإلهيّة لأفراد المجتمع بشكل جماعي، فقد ورد في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ في بيان التأثير الشخصي للإحياء في هذه الليلة المباركة:

«مَنْ أَحيىٰ لَيلَةَ النِّصفِ مِنْ شَعبانَ لَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ يَوْمَ تَموتُ القُلوبُ»[١].

وكذلك ورد عن الإمام الباقر عليه السلام فيما يتّصل بالآثار الاجتماعيّة للإحياء في هذه الليلة، يقول عليه السلام:

«فِيها يَمْنَحُ اللهُ العِبادَ فَضْلَهُ وَيَغْفِرُ لَهُمْ بِمَنِّهِ فَاجْتَهِدُوا فِي القُرْبَةِ إلى اللهِ تَعَالىٰ فِيها فَإنَّها لَيْلَةٌ آلىٰ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ علىٰ نَفْسِهِ أن لا يَرُدَّ سائِلاً فِيها مَا لَمْ يَسْأَلِ اللهَ الْمَعْصِيَةَ»[٢].

النقطة الخامسة: شروط الانتظار الحقيقي

وعلى أساس ما ورد في التعاليم الروائية، فإنّ المنتظر الحقيقي له شروط خاصّة وليس أنّ كلّ شخص بمجرّد أن يدعي أنّه يتحلّى بحالة الانتظار فإنّه يعتبر منتظِراً حقيقياً، لأنّ الإنسان إنّما يكون منتظراً لشخص، فلا شكّ أنّ هذه الحالة من الانتظار تترك أثرها على ثلاث طوائف أو حقول، وهي: الفكر، الميول، السلوك، فما لم نجد معالم الانتظار على هذا الشخص في هذه الحقول الثلاثة فلا يعتبر منتظراً حقيقة، وطبقاً لهذه الرؤية فإنّ شروط الانتظار الواقعي التي تبيّن معالم الانتظار فيها، هذه الحقول الثلاثة عبارة عن:

أ) الشروط الفكريّة

وأوّل شرط لمعرفة الانتظار الحقيقي هو: إيجاد معرفة وثيقة بالإمام وصاحب الزمان عليه السلام، وبديهي أنّه كلّما كانت معرفة الإنسان بإمام زمانه عليه السلام أكثر، فسوف يدرك

---

١. ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، الشيخ الصدوق رحمه الله، ص ٧٧.

٢. وجاء في نسخة أخرى «أن لا يردّ فيها سائلاً»، أُنظر: إقبال الأعمال، السيّد ابن طاووس رحمه الله، ص ٦٩.٥

هذا الشخص قيمة الإمام وعظمته أكثر وسوف يزداد عطشه وشوقه إلى ظهور إمامه أكثر فأكثر، في حين أنّ الأشخاص الذين يعيشون الجهل وعدم الاطلاع على قيمة وعظمة هذا الإمام فإنّهم لا يشعرون أبداً بالشوق والعطش لظهوره ورؤيته وخدمته وبالتالي فلا يكون من زمرة المنتظرين الحقيقيين.

وعلى ضوء ذلك، فالأشخاص الذين لا يعرفون الإمام صاحب الزمان عليه السلام، فحتّى لو كانوا بحسب الظاهر من المسلمين، فلو أنّهم ماتوا بهذا الحال فإنّهم يموتون ميتة جاهليّة كما ورد هذا المعنى في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْ إِمَامَ زَمَانِهِ مَاتَ مَيتَةً جَاهِلِيَّةً»[١].

ب) الشروط العاطفيّة

والشرط الثاني في تحقّق الانتظار الواقعي يعود إلى دائرة الميول الإنسانيّة والعاطفيّة، وبعض هذه الميول الكامنة في النفس الإنسانيّة عبارة عن:

١. المحبّة للإمام صاحب الزمان عليه السلام

لأنّ من البديهي ما لم يجد الإنسان الحبّ والعشق للإمام صاحب الزمان عليه السلام في أعماق وجوده وقلبه ولم يشتعل نيران الشوق في أعماق روحه ونفسه فلا يمكن أن يتحرّك هذا الشخص على مستوى أداء واجبات المنتظر الحقيقي.

نعم، إنّ العشق للإمام صاحب الزمان عليه السلام يعتبر وظيفة شرعيّة وإلهيّة لكلّ مسلم، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله طلبها من المسلمين بأمر الله تعالى، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[٢].

---

١. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٣٢، ص ٣٣١.

٢. سورة الشورى، الآية ٢٣.

٢. إيجاد سنخيّة مع الإمام المهدي عليه السلام

المنتظرون الحقيقيون هم الأشخاص الذين يعيشون في حالة روحية وعاطفيّة خاصّة بحيث إنّهم خلقوا في أنفسهم سنخيّة مع الإمام بقيّة الله الأعظم عليه السلام، لأنّ من البديهي أنّ الانتظار يستلزم وجود سنخيّة مع الشخص المنتظَر.

ومن المعلوم أنّ إيجاد السنخيّة مع الإمام صاحب الزمان عليه السلام إنّما تتحقّق من خلال تقوية الإيمان، وتثبيت التقوى، وتكريس الفضائل الأخلاقيّة في واقع الإنسان النفساني والوجداني، والحركة في المراتب المعنويّة، لأنّ محبّة الإنسان لهذا الإمام الهمام إنّما تتحقّق في قلب هذا الشخص فيما لو كانت ميوله ورغباته متطابقة مع ميول الإمام صاحب الزمان عليه السلام وبالتالي فإنّ هذا الشخص يجد في نفسه شوقاً يجذبه بشدّة نحو إمام زمانه بحيث يصعب عليه جدّاً الابتعاد عنه وفراقه.

وعلى هذا الأساس، فمن البديهي أنّه كلّما كان مقدار سنخيّة المنتظِر للإمام المنتظَر أكثر، فإنّ محبّة الإمام المنتظَر ستكون أكثر وأشدّ في قلب هذا الشخص المنتظِر، وبهذا المقدار تزداد محبّة المنتظَر أيضاً في قلب المنتظِر.

٣. الدعاء لسلامة وظهور الإمام المهدي عليه السلام

المنتظِر الحقيقي هو الشخص الذي يرفع يده بالدعاء في كلّ لحظة ويسأل الله تعالى سلامة محبوبه ويطلب من الباري تعالى أن يعجّل في ظهوره.

وعلى ضوء ذلك، فقد وردت أدعية كثيرة لطلب تعجيل فرج الإمام المهدي عليه السلام بما يمثّل علامات واضحة للمنتظِر الحقيقي، وطبعاً فمثل هذه الوظيفة وردت مورد التوصية الأكيدة من قبل الإمام صاحب الزمان عليه السلام أيضاً، فقد ذكر في الرواية الواردة عن هذا الإمام عليه السلام أنّه قال:

«أَكْثِرُوا الدُّعَاءَ بِتَعجِيلِ الفَرَجِ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ فَرَجُكُم»[١].

---

١. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٥٢، ص ١٨٠، الباب ٤١.

أجل، فالمنتظر الحقيقي هو الشخص الذي يعيش حالة انتظار تحقّق ذلك الزمان وذلك الوقت الذي يظهر فيه الإمام المهدي عليه السلام الذي هو: «خَيرُ أَهلُ الأرضِ»[١]، ويدعو الباري تعالى دوماً ليعجل في ظهور هذا الإمام عليه السلام، لأنّه ورد في رواية عن الإمام الباقر عليه السلام فيما يتّصل بأعمال ليلة النصف من شعبان أنّه قال:

«فاجتَهِدُوا بِالدُّعاءِ وَالثَناءِ عَلىٰ اللهِ (عَزَّ وَجَلَّ)»[٢].

ج) الشروط العمليّة

الشرط الثالث للمنتظر الحقيقي ما يتعلّق بدائرة السلوك البشري والتعامل الفردي والاجتماعي مع الآخرين، ومن جملة هذه السلوكيات عبارة عن:

١. حفظ وتوثيق العلاقة مع الإمام صاحب الزمان عليه السلام

إنّ المنتظر الحقيقي، في زمن الغيبة الكبرى، الذي لا يوفّق لزيارة الإمام المهدي عليه السلام يجب عليه حفظ ارتباطه وتوثيق علاقته مع هذا الإمام، فبإمكانه ومن خلال قراءة الأدعية والزيارات الواردة في هذا الشأن من قبيل «دعاء الندبة» و«دعاء العهد» و«زيارة آل ياسين» والحضور في الأماكن المشرفة والمراقد المقدّسة أن يقوي ويعمّق ارتباطه الروحي مع الإمام بقيّة الله الأعظم عليه السلام.

٢. توفير الأرضيّة لظهور الإمام صاحب الزمان عليه السلام

المنتظر الحقيقي هو الشخص الذي، ليس فقط ينتظر ظهور صاحب الزمان عليه السلام ويدعو له بتعجيل الفرج، بل يفكر دوماً في كيفيّة توفير الأرضيّة المناسبة لظهور هذا الإمام، ومن جملة الأعمال التي توفّر الأرضيّة المناسبة لظهور الإمام المهدي عليه السلام عبارة عن:

---

١. الكافي، الشيخ الكلنيي رحمه الله، ج ١، ص ٤٦٧؛ من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق رحمه الله، ج ٤، ص ١٧٧.

٢. الأمالي، الشيخ الطوسي رحمه الله، ص ٤٩٧.

الأوّل: الاتيان بالواجبات وترك المحرّمات

ومن البديهي أنّ المنتظر الحقيقي يجب عليه الاعتقاد بأصول الدين الواردة ويرى نفسه مقيّداً وملتزماً بامتثال الأوامر الإلهيّة والاتيان بالواجبات الشرعيّة وترك النواهي الإلهيّة، وهذا العمل هو ما يطلق عليه حالة التقوى والورع، لأنّ الشخص الذي يعيش حالة الانتظار للمصلح الكبير، يجب أن يجعل حياته مبنيّة على أساس عقائد وتعاليم ذلك المصلح.

وعلى ضوء ذلك، فمن المسلّم أنّ المنتظر الحقيقي يجب أن يكون من جملة أشرف وأفضل أفراد الأُمّة وأكثرهم اهتماماً والتزاماً في الإتيان بالأعمال الصالحة ويكون من أفضل أفراد المجتمع في سلوكه وأخلاقه، وفي هذا المجال يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَصحَابِ القَائِمِ فَلْيَنتظِر وَلْيَعمَل بِالوَرَعِ وَمَحَاسِنِ الأَخلاقِ وَهُوَ مُنتَظِرٌ فَإِنْ مَاتَ وَقَامَ القَائِمُ بَعْدَهُ كَانَ لَهُ مِنَ الأَجرِ مِثْلَ أَجرِ مَنْ أَدْرَكَهُ»[١].

وعلى أساس ما ورد في هذه الرواية من كلام الإمام الصادق عليه السلام فإنّ المنتظر الحقيقي هو الشخص الذي يجتنب الذنوب والمعاصي ويتحلّى بالتقوى والأخلاق الجليلة ويعيش حالة الفضيلة، ويسير في خط القيم الإنسانيّة والمعنويّة، أجل، فالمنتظر الحقيقي يعلم أنّه بدون تهذيب النفس والتحلّي بالتقوى والورع فإنّه لا يكون من زمرة المنتظرين الحقيقيين.

الثاني: العمل بأحكام القرآن والعترة

المنتظر الحقيقي هو الشخص الذي يتحرّك في حياته على صعيد العمل بأحكام وتعاليم القرآن الكريم، وطبعاً إذا أراد المؤمن أن يعمل بما ورد في القرآن الكريم

---

١. ينابيع المودة لذوي القربى، القندوزي، ج ٢، ص ٣١٥.

من أحكام وتشريعات فيجب عليه إيجاد الارتباط المعنوي والروحي مع المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام، وبخاصّة الارتباط مع الإمام ولي العصر والزمان عليه السلام، ولا شكّ أنّ الارتباط بهذه الذوات المقدّسة لا يتيسر إلّا من خلال القرآن الكريم، لأنّ هذين الوجودين النورانيين، وهما القرآن والعترة لا ينفصلان ولا يفترقان أبداً، كما ورد هذا المعنى في الحديث المتواتر عن العامّة والخاصّة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«إِنِّي تَارِكٌ فِيْكُمُ الثَّقَلَينِ كِتَابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعِترَتِي، كِتَابُ الله حَبْلٌ مَمدُودٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيتِي وَإِنَّ اللطِّيفَ الخَبِيرَ أَخْبَرَنِي أَنَّهُما لَنْ يَفتَرِقَا حَتَّىٰ يَرِدا عَلَيَّ الحَوضَ فَانْظُرُوا بِمَاذا تَخلُفُوني فِيهِما»[1].

الخلاصة ونتيجة البحث

ويتبيّن من مجموع ما تقدّم آنفاً أنّ المؤمن مع الاتيان بواجباته وتكاليفه الشرعيّة في الحقول الثلاثة المذكورة أعلاه، يجب عليه أن يسأل الله تعالى دائماً أن يجعله من المنتظرين الحقيقيين للإمام بقيّة الله الأعظم عليه السلام، ونسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم، ففي هذه الصورة وحتّى لو حان أجلنا ومتنا قبل ظهور الإمام، فنحن نرجوا أن نكون مشمولين لكلام الإمام الصادق عليه السلام حيث قال:

«مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ وَهُوَ مُنتَظِرٌ لِهَذا الأَمرَ كَمَنْ هَوَ مَعَ القَائِمِ فِي فُسطَاطِهِ قَالَ ثُمَّ مَكَثَ هُنَيْئَةً ثُمَّ قَالَ لا بَلِ كَمَنْ قَارعَ مَعَهُ بِسيفِهِ ثُمَّ قَالَ لا وَللهِ إِلّا كَمَنْ استُشْهِدَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله»[2].

إن شاء الله...

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

١. كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق رحمه الله، ج ١، ص ٢٣٥.

٢. ينابيع المودة لذوي القربى، القندوزي، ج ٢، ص ٣١٥.

المهدويّة والظهور إمتداد للإمامة والغدير

محاضرة أُلقيت في مؤتمر «إمتداد الغدير»، في الذكرى السنويّة
لإمامة الإمام المهدي عليه السلام

ما ستقرأه في المقالة الخامسة:

* الأمر الأوّل: الإثبات النقلي لمسألة المهدويّة في نظر الفريقين.

* الأمر الثاني: الإثبات العقلي لمسألة المهدويّة.

* الأمر الثالث: لزوم الالتفات الى علل وآثار وبركات الغيبة في الجهات الإثباتيّة.

* الأمر الرابعة: تبيين واجبات المنتظرين الحقيقيين في الحقول الثلاثة: الفكر، العاطفة، السلوك.

بسم الله الرحمن الرحيم

المهدويّة والظهور إمتداد للإمامة والغدير

﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ﴾[1]

نبارك جميع المسلمين والشيعة في جميع مناطق المعمورة يوم التاسع من شهر ربيع الأوّل، ذكرى بداية ولاية الإمام خاتم الأوصياء صاحب الزمان عليه السلام.

موضوع البحث

بالنسبة إلى موضوع البحث وهو «المهدويّة والظهور» إمتداد «للإمامة والغدير» نرى من اللازم في هذه المقالة الموجزة الإشارة على سبيل الإجمال إلىٰ أربعة أمور مهمّة ترتبط بهذا البحث في إثبات المسألة المهدويّة من الجهة العقليّة والنقليّة وتبيين علل الغيبة من الجهة الاثباتيّة وشرح بعض واجبات وتكاليف المنتظرين، هذه الأمور عبارة عن:

الأمر الأوّل: الإثبات النقلي لمسألة المهدويّة في نظر الفريقين

إنّ مسألة المهدويّة وإمامة الإمام الحجّة ابن الحسن عليه السلام، فهي حقيقة غير قابلة

---

١. سورة النور، الآية ٥٥.

للإنكار، وأتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام وسائر المدارس والمذاهب الإسلاميّة الأربعة التي ترتبط بالقرآن الكريم، ملتفتون إلى أنّ هذه الحقيقة الحاسمة تستفاد وتستوحى جيداً من آيات القرآن الكريم، بل ورد في كتب تفسير أهل السنّة في ذيل بعض آيات القرآن اسم الإمام المهدي عليه السلام، ومن هذه التفاسير، التفسير المعروف لدى أهل السنّة بتفسير القرطبي، في تفسير الآية ٣٣ من سورة التوبة:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[١].

فنقرأ في كتاب «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي:

«وقال السدي: ذاك عند خروج المهدي لا يبقى أحد إلّا دخل في الإسلام أو أدى الجزية، وقيل: المهدي هو عيسى فقط وهو غير صحيح لأنّ الأخبار الصحاح قد تواترت على أنّ المهدي من عترة رسول الله صلى الله عليه وآله فلا يجوز حمله على عيسى»[٢].

أو ما ذكره جلال الدين السيوطي في تفسيره «الدر المنثور» وفي ذيل الآية الشريفة ١١٤ من سورة البقرة:

﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٣].

قال السيوطي في تفسير الآية الشريفة:

«أمّا خِزيُهم في الدّنيا فإنّه إذا قام المهدي وفتحت القسطنطينيّة قتلهم فلذلك الخزي»[٤].

---

١. سورة التوبة، الآية ٣٣.

٢. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج ٨، ص ١١١.

٣. سورة البقرة، الآية ١١٤.

٤. الدر المنثور، السيوطي، ج ١، ص ٢٦٣، وطبعاً ورد التصريح بهذا الحديث وقريباً من هذا ☜

وهكذا ما ورد في التفاسير الشيعيّة أيضاً فيما يتّصل بالآية الشريفة التي وردت في مطلع هذه المقالة أو الآية الشريفة ١٠٥ من سورة الأنبياء تقول:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[١].

فقد ورد في تأويل هذه الآية الشريفة عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

«وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ وَقَولَهُ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ، قَالَ: الكُتُب كُلُّها ذِكرٌ مِنْ بَعدِ الذِّكرِ وَلَقَدْ كَتَبنَا قَالَ: القَائِمُ وَأَصحَابَهُ»[٢].

وبعبارة أخرى إنّ الله تعالى يقول وفقاً لهذه الآية الشريفة، بعد أن كتبنا في التوراة فقد أعلن هذا الأمر في الزبور أيضاً وهو أنّ جميع الأرض تحت حكومة عبادي الصالحين الذين تكون لهم اللياقة والجدارة في وراثة الأرض وما عليها، أجل، إنّ جميع المسلمين متّفقون على أنّ وراثة الأرض في ذلك العصر ستكون من نصيب الأشخاص الذين تتوفّر فيهم هاتان الصفتان:

الصفة الأُولى: أن يكونوا من عباد الله الواقعيين، وأن يملأ الإيمان بالله والارتباط به جميع وجودهم ينفذ إلى أعماق نفوسهم.

الصفة الثانية: إنّ هؤلاء الأفراد الصالحين تكون لهم اللياقة والجدارة في الإستفادة من ثروات الأرض ومواهب الطبيعة.

ومن هذه الجهة فلا مجال للأشخاص الذين يريدون التشكيك في هذه الحقيقة النورانيّة إلّا أن يكونوا مبتعدين جدّاً عن حقيقة القرآن ومنفصلين عنه، ولكن بالنسبة للأشخاص الذين يرتبطون بالقرآن وبمفاهيمه وتعاليمه مهما كان ارتباطاً

☞ المضمون في تفسير الطبري وتفسير كشف الأسرار، أُنظر كشف الأسرار، الميبدي، ج ١، ص ٣٢٥.

١. سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.

٢. مجمع البيان، الشيخ الطبرسي رحمه الله، ج ٢ ذيل الآية الشريفة.

ضيئلاً فإنّ هذه الحقيقة، يعني ولاية الإمام خاتم الأوصياء والإمام صاحب الزمان عليه السلام، وظهور الإمام المهدي عليه السلام بوصفه آخر منقذ إلهي للبشريّة، هي مسألة مسلّمة وغير قابلة للتشكيك والإنكار.

أجل، إنّ أصل قضيّة المهدويّة تعتبر من الحقائق الإسلاميّة المسلّمة والتي تستند إلى بحوث عقليّة ونقليّة.

الأمر الثاني: الإثبات العقلي لمسألة المهدويّة

مضافاً إلى الآيات القرآنية والروايات الشريفة فعندما نتمعّن في صنع الباري تعالى وفعله في عالم الطبيعة والإنسان فسوف يثار أمامنا هذا السؤال: إنّ الله تعالى الذي خلق عالم الوجود والطبيعة والإنسان وأرسل جميع الأنبياء وأنزل القرآن الكريم الذي هو أكمل وآخر الكتب السماويّة المقدّسة.. الله الذين يهدف من خلقه هذا بيان منهج كامل ولغرض تحقيق وتطبيق الدين الكامل للبشريّة جمعاء فهل ينسجم مع حكمته أن يهدي عدداً قليلاً من أفرد البشر ويترك الغالبية العظمى في وادي الجهل والضلالة والانحراف ثمّ تقوم القيامة وينتهي كلّ شيء في هذا العالم؟

إنّ هذا السؤال يدور في أذهان الناس وعقولهم، والعقل الحجّة الباطنة بينهم وبين الله تعالى، وهو: متى يحين ذلك الوقت الذي يتنسى للدين الإسلامي أن يُعرض بشكل كامل على جميع الأفراد والمجتمعات البشريّة؟ ألم يقدر الله تبارك وتعالى أنّه سيأتي يوم على الأرض يكون فيه الدين الإلهي الكامل والشامل بجميع ما فيه من جماليّة وأبعاده الكاملة، حاكماً ومهيمناً على جميع البشريّة؟ هل تنسجم هذه المقولة مع الحكمة الإلهيّة وهي أنّ الله تعالى يخلق البشر وتمضي ملايين السنين وهم يعيشون على الأرض ويأتي مليارات الناس ويذهبون ويموتون ولكنّ بعضاً قليلاً منهم وأفراداً معدودين يذوقون هذه الحقيقة ويعيشون نفحاتها وأنوارها وينتهي كلّ شيء؟

الجواب: إذا رجعنا في هذه المسألة إلى العقل فالعقل يقول: إنّ هذا العمل لا ينسجم ولا يتناسب مع الحكمة الإلهيّة البالغة، لأنّ عمل الحكيم هو أن يكون آخر دين وشريعة تنزل إلى البشر لغرض هدايتهم ويتمّ تبليغ هذا الدين وتعاليمه بنحو كامل وبدون نقصان، على سبيل المثال: إذا بنى أحدهم عمارة وبناءً عظيماً تتسع لسكنى ألف نفر، ولكن بعد أن أتمّ بناءهم يقول هذا البنّاء: إذا سكن في هذه البناية ثلاثة أشخاص فسوف تنهدم هذه البناية، فهذا العمل يعدّ عملاً بعيداً عن الحكمة قطعاً، فالعمل الحكيم هو أن يسكن في هذه البناية عدد من الأشخاص بمقدار ما تتسع له هذه البناية، وبعبارة أوضح أنّ العقل يقول: إنّ الله الحكيم العليم الذي أرسل الدين لهداية البشر وسوقه في خطّ الصلاح والإيمان، يجب أن يكون ذلك في ظرف زماني خاص أيضاً لغرض تبليغ هذا الدين بنحو كامل وليكون مقبولاً من جميع أفراد البشر، يعني أنّه يجب أن يأتي زمان يعلم فيه جميع الناس بهذه الحقيقة الإلهيّة ويؤمنون بها ويسلّموا تسليماً، في حين أنّه من الممكن أن تطول هذه المدّة مئات السنين ليكون هذا الدين حاكماً ومهيمناً على جميع المجتمعات البشريّة على الأرض.

وعلى ضوء ذلك، فبالإضافة إلى أنّ قضيّة المهدويّة هي حقيقة قرآنيّة مسلّمة ويجب على الفضلاء والمحقّقين التحقيق والتمعن في مسائل المهدويّة، فالأهمّ من ذلك أنّ القرآن الكريم يطرح رؤيته هذه حتّى لا يظنّ البعض أنّ هذه المسألة مجرّد فكرة مبتنيّة على الروايات الشيعيّة الخاصّة رغم أنّ أدبيات وثقافة الإماميّة ومعارفهم فيما يخصّ مسألة المهدويّة زاخرة بالنصوص ولم تبيّن هذه المسألة في أي مذهب آخر كما بيّنت في مذهب الإماميّة، ولكن أصل هذه القضيّة تمتد بجذورها إلى المفاهيم القرآنيّة المسلّمة، مضافاً إلى جذورها العقليّة المحكمة، وهذه تعدّ ضرورة لابدّ أن تتحقّق في زمان خاصّ وفي وقت معين.

أحياناً يطرح هذا الدليل لإثبات ما نحن فيه، وهو: يجب أن يأتي زمان ينتهي فيه الفساد على الأرض، ولكن هذا الكلام يمثّل أحد طرفي القضيّة، والطرف الآخر لهذه القضيّة هو أنّه يجب أن يأتي زمان تتحقّق فيها جميع أبعاد السعادة وطرق التقرّب إلى الله تعالى للبشر بنحو كامل وصحيح، لأنّه من المعلوم أنّه طرق العبادة والعبوديّة لدى الإنسان المعاصر ليست بذلك الوضوح وبتلك القوّة والحجّة، ومن هذه الجهة يجب أن يأتي زمان يصل فيه عقل البشر من جهة التقرّب إلى الله تعالى والسير في طريق المعنويّة والكمال الأخلاقي والإلهي، إلى الحدّ الأعلى من الكمال، ولا شكّ أنّ ذلك الزمان هو زمان ظهور الإمام الحجّة ابن الحسن عليه السلام.

الأمر الثالث: لزوم الالتفات إلى علل وآثار وبركات الغيبة من الجهات الإثباتيّة

بالنسبة لقضيّة الغيبة وفلسفتها والحكمة منها فقد تحدّث العلماء كثيراً في هذا الموضوع، ولكنهم في الغالب يطرحون الجانب السلبي من القضيّة، يعني الجهات السلبيّة للغيبة، لأنّ المجتمع البشري في العصر الراهن، إمّا بسبب ضعف الإيمان أو لأسباب وعوامل أخرى غير مستعد لظهور الإمام بقيّة الله الأعظم عليه السلام والناس حالياً ليسوا إلى درجة من اللياقة والجدارة بحيث يتقبّلون هذا الأمر ويستقبلون الإمام حال ظهوره من موقع الوضوح في الرؤية، ولكن بشكل عام العلماء لم يطرحوا الطرف الآخر من هذه القضيّة، يعني «الجهات الإيجابيّة للغيبة»، أو لم يهتمّوا بطرح هذا الجانب من القضيّة وهو أنّ المجتمع البشري لحدّ الآن عاش ويعيش بركات وثمار الغيبة وكيف أنّ الناس يتنعمون بتداعيات الغيبة.

وبعبارة أخرى ربّما يتبادر هذا السؤال في ذهن أي مؤمن وهو: أليس من الممكن أن يكون الإمام المهدي عليه السلام حاضراً بين أفراد المجتمع البشري، ومع ذلك توجد كلّ هذه المشاكل ونقاط الضعف والقصور والمعاناة التي يواجهها الإنسان والمجتمع البشري، يعني كيف يمكن للناس أن ينتفعوا من حضور الإمام المهدي عليه السلام

بحيث إنّهم محرومون من هذه البركات والمنافع في غيبته؟ أجل، هنا لابدّ من التأمّل والتمعّن أكثر في الجهات الإيجابيّة للغيبة وبذل المزيد من الاهتمام والعناية بها، وعلى ضوء ذلك، يمكن بيان علل وآثار الغيبة من خلال تقسيم هذه المسألة إلى جهتين، الجهات السلبيّة، والجهات الإيجابيّة في ظاهرة الغيبة والبحث في كلّ واحدة من هذين القسمين على إنفراد:

الجهات الإيجابيّة للغيبة

في مقام الجواب عن المسألة المطروحة ينبغي الاذعان إلى هذه الحقيقة، وهي أنّه بمراجعة الروايات الشريفة سيتبيّن بكلّ وضوح أنّه مضافاً إلى وجود جهات سلبيّة للغيبة، فهناك آثار وبركات كثيرة للغيبة أيضاً، وعادة تكون خفيّة وغير بارزة أمام الكثير من الناظرين، وعلى سبيل المثال فقد ورد في الروايات أنّ «العبادة في زمان الغيبة» تتميّز عن العبادة في عصر الحضور، يعني وفقاً لما ورد في الروايات الشريفة فإنّ الله تعالى يجعل لعبادة المنتظِرين في عصر الإمام المعصوم عليه السلام امتيازاً أكثر وفضيلة أعظم بالنسبة لعبادة المؤمنين في عصر حضور الإمام المعصوم عليه السلام، على سبيل المثال، ورد في كتاب أصول الكافي، كتاب الحجّة، باب نادر في الغيبة، الحديث الأوّل، رواية عن المفضّل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«أَقرَبُ مَا يَكُونُ العِبَادُ مِنَ اللهِ جَلَّ ذِكرُهُ وَأَرْضَى مَا يَكُونُ عَنْهُم إِذا افْتَقَدُوا حِجَّةَ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ وَلَمْ يَظهَرْ لَهُمْ وَلَمْ يَعلَمُوا مَكَانَهُ وَهُمْ فِي ذَلِكَ يَعلَمُونَ أَنَّهُ لَمْ تَبطُلْ حُجَةُ اللهِ جَلَّ ذِكرُهُ وَلَا مِيثَاقُهِ فَعِندِها فَتَوَقَّعُوا الفَرَجَ صَباحاً وَمَسَاءً...»[1].

وهذا يعني أنّ فضيلة هذا الزمان، أي زمان الغيبة، للناس من جهة أنّهم لا يرون

---

١. الكافي، الشيخ الكليني رحمه الله، ج ١، ص ١٢٨.

شخص الإمام المعصوم ولا يرون معجزاته، بل يعتقدون بوجوده من خلال التفكّر والتأمّل في آثاره وبراهينه فقط، ومع أنّ شبهات والشياطين من الجنّ والإنس ودسائسهم كثيرة في ذلك الزمان، وطبقاً لهذه الرواية فالإنسان إذا لم يتوصل إلى الحجّة والمعصوم، ولكنّه يقبل حجّيته ويعتقد بإمامته، فإنّ عبادته ستختلف وتكون متميزة وأقرب إلى الله تعالى.

وكذلك نقرأ في رواية أخرى في هذا الباب أيضاً أنّ الراوي يسأل من الإمام الصادق عليه السلام:

«أَيُّما أَفْضَلُ العِبادَةُ فِي السِّرِّ مَعَ الإِمَامِ مِنْكُمْ المُسْتَتِرِ فِي دَوْلَةِ البَاطِلِ أَوِ العِبادَةُ فِي ظُهُورِ الحَقِّ وَدَولَتِهِ مَعَ الإِمَامِ مِنْكُم الظَّاهِرِ»[١].

ويجيبه الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

«...اعْلَمُوا أَنَّ مَنْ صَلَّىٰ مِنْكُم اليَومَ صَلاةً فَرِيضَةً فِي جَمَاعَةٍ مُستَتِرٍ بِها مِنْ عَدُوِّهِ فِي وَقْتِها فَأَتَمَّها كَتَبَ اللهُ لَهُ خَمسِينَ صَلاةً فَرِيضَةً فِي جَمَاعَةٍ... ومَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ حَسَنَةً كَتَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِها عِشرِينَ حَسَنَةً... أَمَا وَاللهِ يَاعَمَّارُ لا يَمُوتُ مِنْكُمْ مَيِّتٌ عَلَىٰ الحَالِ الّتي أَنْتُمْ عَلَيها إِلّا كَانَ أَفضَلَ عِنْدَ اللهِ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ شُهَداءِ بَدرٍ وَأَحُدٍ فَابْشِرُوا»[٢].

وطبقاً لهذه الرواية فالإنسان الذي لا تصل يده إلى الإمام الحجّة عليه السلام، ولكنّه مع ذلك يعتقد بحجيّته وإمامته، فإنّ درجات عبادته والثواب المترتب عليها ستكون أكثر من عبادة الأشخاص الذين يعيشون في زمان حضور الإمام ويستطيعون التواصل معه مباشرة، والشخص الذي يعيش في عصر الغيبة ويؤمن بالإمام ويتحرّك في حياته من موقع الإيمان والعبادة فإنّه أقرب إلى الله تعالى من ذلك الشخص الذي

---

١. الكافي، الشيخ الكليني رحمه الله، ج ٢، ص ١٢٨.

٢. المصدر السابق.

يكون مع الإمام، إلى درجة أنّ عبادة وصلاة هؤلاء الأشخاص، وطبقاً لهذه الرواية، ثوابها بمقدار خمسين ضعفاً من عبادة الأشخاص الذين يعيشون في عصر حضور الإمام المعصوم، أو في عصر رسول الله ﷺ ويصلّون معه.

الجهات السلبيّة

طبقاً لهذا التقسيم فإنّ للغيبة جهات سلبيّة أيضاً، ولكن لا ينبغي التركيز على الجهات السلبيّة للغيبة، ومن جملة الروايات التي تقرر هذه الجهات السلبيّة للغيبة وتؤكد على «عدم لياقة المجتمع البشري لظهور الإمام المهدي عليه السلام» وتقول:

«القَائِمُ عليه السلام لَنْ يَظهَرَ أَبَداً حَتّىٰ تَخْرُجَ وَدائِعُ اللهِ تَعالىٰ»[١].

أو تقول الرواية:

«يَقومُ القَائِمُ عليه السلام ولَيسَ لأَحَدٍ فِي عُنُقِهِ عَهْدٌ وَلا عَقدٌ وَلا بَيعَةٌ»[٢].

أو تقول رواية أخرى في هذا الصدد:

«إِنَّ اللهَ إِذا كَرِهَ لَنَا جَوارَ قَومٍ نَزَعنَا مِنْ بَينَ أَظهُرِهِمْ»[٣].

أو ما ورد في رواية من قول الإمام عليه السلام:

«إِذا غَضِبَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعالَىٰ عَلىٰ خَلْقِهِ نَحَّانَا عَنْ جِوارِهِمْ»[٤].

أو تقول الرواية ببيان آخر:

---

١. علل الشرائع، الشيخ الصدوق رحمه الله، ج ١، ص ١٤٧؛ بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٥٢، ص ٩٧.، ح ١٩.

٢. الكافي، الشيخ الكليني رحمه الله، ج ٢، ص ١٦٥.

٣. علل الشرائع، الشيخ الصدوق رحمه الله، ج ١، ص ٢٤٤.

٤. الكافي، الشيخ الكليني رحمه الله، ج ١، ص ٣٤٣؛ مرآة العقول، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٤، ص ٦١، ح ٣١.

«لأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ أَنْ يَمتَحِنَ خَلقَهُ فَعِنَ ذَلِكَ يَرتَابُ المُبْطِلُونَ»[١].

وكذلك ورد في الروايات أنّ رسول الله ﷺ قال:

«لابُدَّ لِلغُلامِ مِنْ غَيبَةٍ، فَقِيلَ لَهُ وَلِمَ يَارَسُولَ اللهِ؟ قَالَ ﷺ: يَخَافُ القَتْلَ»[٢].

كذلك ورد قوله:

«إِنَّمَا هِيَ مِحْنَةٌ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ امْتَحَنَ بِها خَلْقَهُ»[٣].

وهكذا ما ورد في روايات أخرى تشترك جميعها في هذه النقطة، وهي عدم لياقة الناس لظهور الإمام الغائب عليه السلام.

والنتيجة المستوحاة من هذا البحث، أنّه مضافاً إلى الحِكم الموجودة في وقوع الغيبة، فإنّ في أصل غيبة حجّة الله عليه السلام حِكمٌ كثيرة أيضاً ولكنّ غالبيّة الناس عنها غافلون.

وبعبارة أخرى، طبقاً لما تقدّم في هذه المسألة، ومضافاً إلىٰ لزوم التوجّه والالتفات إلى الجهات السلبيّة المرتبة على غيبة الإمام المعصوم عليه السلام، يجب الالتفات إلى الجهات الإيجابيّة للغيبة، لأنّه بلا شكّ أنّ الحكمة من الغيبة لا تنحصر بالجهات السلبيّة، بل إنّ الناس والمجتمع البشري يجب أن يأخذوا بنظر الاعتبار الجهات الإيجابيّة أيضاً، وينتفعون ببركات الغيبة أيضاً، بمعنى أنّ المنتظرين يجب أن يعلموا أنّه بالرغم من كون تقصيرهم وضعف إرادتهم ووجود موانع أخرى هي السبب في الغيبة وعدم ظهور الإمام، ولكنّهم لا ينبغي أن يغفلوا عن هذه النقطة أيضاً، وهو أنّهم

---

١. كمال الدين، الشيخ الصدوق رحمه الله، ج ٢، ص ٣٤٦، ب ٣٣، ح ٣٢؛ بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٥٢، ص ٩٥، ح ٨.

٢. علل الشرائع، الشيخ الصدوق رحمه الله، ج ١، ص ٢٨٥.

٣. الكافي، الشيخ الكليني رحمه الله، ج ١، ص ٣٣٦؛ بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٥١، ص ١٥٠؛ ومعجم أحاديث الإمام المهدي، لجماعة من المؤلفين، ج ٤، ص ١٣٨.

يجب أن يستثمروا هذه الظروف الحادثة في زمان الغيبة بأفضل وجه ويتحرّكوا على صعيد استثمار العناصر الإيجابيّة للغيبة وبذلك يتقرّبوا إلى الله تعالى وأوليائه الطاهرين في حياتهم وسلوكياتهم، لأنّه كلّما كان اعتقاد المنتظرين لحجّة الله والإمام الغائب عليه السلام، أقوى وأشدّ فإنّ الآثار العباديّة والتقرب إلى الله تعالى سيتجلّى في حياتهم وعلى سلوكياتهم أكثر فأكثر، ومن هذه الجهة يقول الإمام الصادق عليه السلام مخاطباً عمّار الساباطي:

«يَاعَمَّارُ الصَّدَقَةُ فِي السِّرِّ وَاللهِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّدَقَةِ فِي العِلانِيةِ وَكَذَلِكَ وَاللهِ عِبَادَتِكُمْ فِي السِّرِّ مَعَ إِمَامِكُمُ المُسْتَتِرِ... أَفضَلُ مِمَّنْ يَعْبُدُ اللهَ عَزَّوَجلَّ ذِكْرُهُ فِي ظُهُورِ الحَقِّ مَعَ إِمَامِ الحَقِّ الظَّاهِرِ فِي دَوْلَةِ الحَقِّ»[1].

وبعبارة أوضح، كما أنّ الصدقة في السرّ أفضل من الصدقة علانية، فكذلك وبنفس المقدار فإنّ العبادة في زمان غيبة الإمام المعصوم عليه السلام أفضل من العبادة التي يأتيها الإنسان إلى جانب الإمام المعصوم، ويحتمل أنّ قوله: «**إِمَامِكُمُ المُسْتَتِرِ**» لا يختصّ بالإمام الغائب، بل يشمل الإمام الظاهر والحاضر ولكنّه غير مبسوط اليد، يعني أنّ الغيبة تتضمّن في ذاتها أسراراً بحيث إنّ الإنسان إذا التفت إليها فسيدرك أنّ هذه الحالة قد تكون عاملاً أساسياً على رشده وتقوية حركته في طريق التكامل المعنوي والتوجّه إلى الله تعالى وتوثيق العلاقة به.

ومن الواضح طبعاً أنّ مقصود الروايات الشريفة المذكورة، ليس مجرّد زيادة الثواب أو إضافة مقدار من الأجر على العبادة، بل المقصود بيان المفاهيم القيميّة المنبعثة من الغيبة، من قبيل رشد الفضائل الأخلاقيّة، والتعالي الروحاني، والقرب إلى الله تعالى والوصول إلى مراتب العالية من الكمال المعنوي في زمان غيبة

---

١. الكافي، الشيخ الكليني رحمه الله، ج ٢، ص ١٢٨.

المعصوم أكثر بمراتب كثيرة منها في زمان حضور المعصوم عليه السلام.

النتيجة، المنتظر الحقيقي هو ذلك الشخص الذي يجعل من المفاهيم الواردة في هذه الروايات الشريفة بوصلة لفكره ومعرفته ويصحح اتجاهه وسلوكه وفق هذه البوصله، لأنّه ما أكثر المنتظرين الذين يتصوّرون أنّه: «إذا كانوا إلى جانب الإمام صاحب الزمان عليه السلام في حال ظهوره فسوف يكونون أقرب إلى الله تعالى وينالون مرتبة متقدّمة في مراتب القرب الإلهي»، في حين أنّه بالرغم من أنّ هذا الأمل هو ما يتطلع إليه كلّ منتظر حقيقي ويطمح إليه كلّ مؤمن، وليت هذه النعمة تكون من نصيب جميع الراغبين والمنتظرين إن شاء الله، ولكن طبقاً لهذه الرواية السؤال هو: هل أنّ قرب المنتظر إلى الله تعالى في زمان حضور المعصوم أكثر أو في زمان غيبته؟ ومن الطبيعي أنّ الجواب عن هذا السؤال تبيّن من خلال البحوث المتقدّمة والروايات الشريفة المذكورة آنفاً، فقد تقدّم أنّ الإنسان في زمان غيبة المعصوم عليه السلام يستطيع أن يتقرّب إلى الله تعالى أكثر، وذلك من خلال تعميق الاعتقاد والإيمان بالإمام المهدي عليه السلام وتقوية هذه العقيدة في أعماق قلوبهم ووجودهم، بحيث يجدون أنفسهم يعيشون في محضر هذا الإمام، وبالتالي تزداد كمالاتهم وترتفع مرتبتهم.

وبعبارة أخرى، ربّما يتحرّك أحياناً بعض الأشخاص على صعيد مقارنة أنفسهم بالأشخاص الذين عاشوا في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وصحابته الذين عاشوا معه وتابعوه ونصروه وآمنوا به، ويشعر في نفسه بالحسرة الأسف ويقول في نفسه: ما أعظم التوفيقات الإلهيّة لأولئك المؤمنين والأشخاص الذين عاشوا إلى جانب الأئمّة الطاهرين عليهم السلام والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ومن هذه الجهة يشعر بالقلق بأنّه ربّما لا يستطيع أن ينال مرتبة عالية من القرب الإلهي كما نالها أولئك المؤمنين المتقدمين.

أجل، إنّ جواب الشبهة المذكورة أعلاه تبيّن في ثنايا البحوث السابقة، لأنّه

صحيح أنّ الحضور عند المعصومعليه السلام وخدمته وكذلك الاعتقاد بأنّه حجّة الله على الأرض، أو الاعتقاد أنّ هذا الإمام المعصومعليه السلام يملك الولاية التكوينيّة والتشريعيّة، وله قدرة على فعل أي شيء بإذن الله، فهذه العقيدة تترتب عليها آثار وبركات كثيرة للإنسان، ولكن طبقاً لهذه الروايات الشريفة فإنّ الله تعالى سيمنح الإنسان المؤمن والمنتظر مرتبة من القرب الحقيقي والكمال المعنوي أكثر في زمان غيبة الإمام ولي العصرعليه السلام.

إذن فالمنتظر الحقيقي يجب أن يأخذ بنظر الاعتبار الأبعاد الأخرى لمسألة الغيبة ويتأمل في هذه الحقيقة، وهي: لماذا يكون تقرّب الأشخاص المنتظرين إلى الله تعالى في زمان غيبة الإمام المعصومعليه السلام بحسب هذه الروايات التي ذكرناها آنفاً، بمراتب أكثر من القرب الإلهي في زمان حضور الإمام المعصومعليه السلام.

أجل، يجب فهم مسألة المهدويّة جيداً والسعي للاستفادة القصوى من بركاتها الكثيرة وثمارها اللامتناهية على جميع المستويات.

الأمر الرابع: بيان واجبات المنتظرين الحقيقيين في ثلاثة حقول

لقد تبيّن من مجموع ما تقدّم ذكره، أنّ أحد واجبات المنتظرين الحقيقيين هو أنّهم في زمان الغيبة الكبرى يجب أن يعلموا أنّهم يعيشون في محضر الإمام المعصومعليه السلام، وأنّ جميع أعمالهم وسلوكياتهم تعرض على هذا الإمامعليه السلام ومن هذه الجهة يجب التحقيق في هذه المسألة، وهي ماذا يريد منهم الإمامعليه السلام، وماذا يتوقّع منهم؟ هل أنّ الإمامعليه السلام يريد من المنتظرين أن يشاهدونه فقط، أو يريد شيئاً أكثر من الرؤية والمشاهدة؟ هل أنّ الإمامعليه السلام يريد من المنتظرين أن يقفوا إلى جانبه فقط، أو يريد منهم شيئاً أكثر من ذلك؟ هل أنّ الإمامعليه السلام يريد من المنتظرين أن يعتقدوا به فقط، أو يريد منهم أكثر من هذا الاعتقاد؟

وفي مقام الجواب ينبغي القول: من الواضح أنّ الإمامعليه السلام يتوقّع من المنتظرين

الحقيقيين اصلاح المعرفة في دائرة الفكر والعقيدة وتصحيح الميول العاطفيّة في دائرة النفسانيّات والاتيان بالعمل الصالح في دائرة السلوك، على سبيل المثال: في دائرة الفكر يريد الإمام من المؤمنين المنتظرين «التسليم»، وفي دائرة الميول «العلاقة القلبيّة الوثيقة»، و«أن يكون القلب زاخراً بمحبّته»، وفي دائرة الفعل والسلوك «الحضور المؤثر في المجتمع والنشاطات الاجتماعيّة».

ومن هذا المنطلق وطبقاً لما تقدّم بيانه، فالمنتظر الحقيقي ليس فقط لا يكون منزوياً ولا يختار العزلة عن الناس، ويقف موقف المتفرّج على ما في الواقع الاجتماعي وينكر تكاليفه ويتخلى عن مسؤوليّاته الدينيّة والاجتماعيّة، بل يتحرّك دوماً في المجالات الثلاثة التي أشرنا إليها آنفاً، ويهتم بتهذيب أفكاره، وأقواله، وسلوكياته، أجل، فالعقائد التي تقول إنّ المنتظرين في عصر الغيبة لا تكليف لهم ويجب عليهم الصبر والتزام السكون حتّى يظهر الإمام المهدي عليه السلام ويتولّى اصلاح الأمور بنفسه، فهذا ليس بمنتظر حقيقي.

أخبار رسول الله صلى الله عليه وآله عن حدوث مواجهة بين الحق والباطل حتّى ظهور الإمام المهدي وإلى يوم القيامة

وقد وردت في هذا المجال رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله يتحدّث عن أحدواجبات المنتظرين الحقيقيين في مجال السلوك والعمل، وجاءت هذه الرواية في المصادر الحديثيّة للشيعة وأهل السنّة، عن جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي تُقَاتِلُ عَنِ الحَقِّ حَتّىٰ... يَنْزِلُ عَلىٰ المَهدِي عليه السلام»[١].

أي أنّ النزاع والصراع بين الحقّ والباطل مستمر دائماً وتكون طائفة من الأُمّة

---

١. السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، عثمان بن سعيد الداني، ص ١٤٣.

الإسلاميّة على حقّ وتدافع عن الحقّ ضد قوى الباطل والضلالة إلى أن يظهر الإمام المهدي عليه السلام.

وكما تقدّم بيانه فيما ورد في المصادر الروائيّة للشيعة أنّ العلّامة عماد الدين الطبري الآملي (م ٥٥٣ هـ ق) نقل في كتابه «بشارة المصطفى صلى الله عليه وآله لشيعة المرتضى» هذه الرواية أيضاً، بهذا التعبير تقريباً عن جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه لأنّ أحد النقاط المشتركة بين معارف الشيعة وأهل السنّة في الكثير من الكليات هذه القضيّة، وهي هذه المسألة بالذات، أي مسألة المهدويّة، حيث ورد في هذا الحديث الشريف أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قال لجابر بن عبدالله الأنصاري:

«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَىٰ الحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَىٰ يَومَ القِيامَةِ»[١].

والآن قد يثار هذا السؤال: ما هو أصل وجذر هذا النزاع وإلى أي شيء يعود؟

الجواب: بديهي أنّ أصل هذا النزاع والقتال يعود إلى الانتظار الحقيقي، لأنّه طبقاً لهذه الرواية، فالمنتظر الحقيقي هو الشخص الذي يتصدى للظلم والباطل من موقع المواجهة ولا يهدأ له بال في مجال قتال قوى الكفر والإلحاد ولا يطلب الراحة لنفسه، وهو يجد قوى الضلالة والشر تريد القضاء على الحقّ وأهله والهيمنة على المجتمعات البشريّة وسلب الدين والإيمان من الناس.

وبعبارة أخرى، فالمنتظر الحقيقي ليس هو الشخص الذي يقول: «بما أنّ حجّة الله هو الإمام صاحب الزمان عليه السلام غائب، فمن هذه الجهة لا أستطيع التصدي للظلم والظالمين أو لا ينبغي لي أن أتحرّك على صعيد مواجهة الظالمين وقوى الضلالة والشرّ»، رغم أنّه يشاهد للأسف أنّ بعض الأشخاص في هذا الزمان يتمسّكون بمثل هذه المغالطات ويقولون: إنّ الإمام المعصوم عليه السلام غير حاضر، ولذلك لا ينبغي أن

---

١. بشارة المصطفى، الطبري الآملي، ص ٢٥٠؛ بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٥١، ص٨٨ نقلاً عن صحيح مسلم، عقد الدرر، الشافعي، ص ٤٢٩.

نفعل أي فعل في مواجهة الباطل وتحمّل المسؤوليّة، وهكذا يستمرون في تخريب عقيدة الناس بهذه القضيّة حتى وصل الأمر إلى مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو في مسألة تطبيق الحدود الإسلاميّة، فيقولون إنّ تطبيق الحدود الإسلاميّة في زمان الغيبة مخالف لثقافة الانتظار وغير مقبول، يعني أنّهم يعتقدون ولغرض تطبيق الحدود الإسلاميّة الشرعيّة يجب الصبر والانتظار إلى زمان ظهور الإمام المهدي عليه السلام، وبعبارة أوضح أنّ هذه الجماعة يقولون بشكل غير مباشر: «يجب دفن أحكام الإسلام والشريعة السماويّة لمدّة آلاف السنين إلى أن يظهر الإمام المهدي عليه السلام ويتولى ذلك».

والآن السؤال هو: هل أنّ رأي هذه الجماعة موافق واقعاً لمشيئة الله تعالى وإرادته؟ هل يصحّ في دين الإسلام وهدف المسلم في الحياة أن يدعي أنّ أي مسلم لا يجب عليه شيء فيما يتّصل بالأحكام الاجتماعيّة، والسياسيّة، والقضائيّة للإسلام إلى زمان ظهور الإمام المهدي المنتظَر عليه السلام؟ وطبعاً إذا أجاب البعض عن هذا السؤال بالإيجاب، وللأسف رأينا بعضهم تحدّث بهذا الكلام في وقت كان الشعب الايراني المسلم يعيش في ذروة الجهاد والثورة والانتفاضة ضد حكومة الشاه، وفي مطلع انتصار الثورة الإسلاميّة في ايران، وبديهي أنّه على هذا الأساس لا يبقى شيء من الإسلام والمسلمين؟ في حين أنّه ورد تصريح في هذه الروايات وكذلك في سائر الروايات الأخرى أنّ الحرب والقتال بين الحقّ والباطل سيستمر إلى زمان ظهور الإمام المهدي عليه السلام وأنّه مادام هناك باطل فيجب على المؤمنين التصدي له ومحاربته والدفاع عن الحقّ وأهله.

وقد أسلفنا، أنّه في مطلع الثورة الإسلاميّة المقدّسة في ايران بقيادة الإمام الخميني رحمه الله وعلماء الدين الواعين وإطاعة الشعب الإيراني الشريف لهذه القيادة الحكيمة، ظهرت مجاميع تحمل مثل هذه الأفكار المنحرفة، وللأسف أنّها تتحرّك

بنشاط لحدّ الآن، وهذه المجاميع وبقراءتهم الخاطئة وفهمهم المنحرف لبعض الروايات الواردة في النصوص الدينيّة فهموا الإسلام بنحو مختلف، بحيث إنّهم أفرغوه عن حقيقته وماهيته الأصليّة، ومع شديد العجب وخلافاً لما ورد فى الرواية المذكورة، يعتقدون بأنّ كلّ حكومة تظهر قبل حكومة الإمام المهدي عليه السلام فهي حكومة باطلة، وعلى هذا الأساس يجب على شبابنا الأعزاء وطلّابنا المحترمين أن يعيشوا اليقظة الدائمة حتّى لا تستطيع هذه الأفكار المنحرفة والزائفة أن تمتد في أجواء المجتمع الإسلامي.

إذاً، فلو أراد شخص أن يكون من المنتظرين الحقيقيين في أي زمان، فيجب عليه العمل بما ورد في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله، يعني يجب عليه التصدي دوماً لقوى الباطل والانحراف والضلالة وأن يتحرّك من موقع الدفاع عن الحقّ وأهله ويهتم ويساهم في تشكيل الحكومة الإسلاميّة.

نأمل أن تكون جميع أعمال المسلمين مورد رضا الإمام الحجّة المهدي المنتظر عليه السلام، اللّهم عجّل في ظهور وليّك الإمام المهدي عليه السلام وارزق جميع الشيعة في عصر الغيبة المعرفة بتكاليفهم وواجباتهم... آمين ربّ العالمين.

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المهدويّة والإلزامات المعرفيّة للإنتظار

لقاء مع صحيفة حريم الإمام، الصادرة عن العتبة المقدّسة
للإمام الخميني(ره)

ما ستقرأه في المقالة السادسة:

* الأمر الأوّل: الانتظار، الأدلة، ما ينبغي، نقاط الضعف .

* الأمر الثاني: لمحة من الصفات العامّة للمنتظِرين في كلام الإمام الرضا عليه السلام.

* الأمر الثالث: إثبات مسألة المهدويّه ومناقشة أدلة المنكرين، النقطة الأُولى: إثبات مسألة المهدويّة ضمن محورين، النقطة الثانية: نفي أدلّة المنكرين ضمن محورين.

* الأمر الرابع: الظهور الفجائي للإمام أو بعد وقوع علامات الظهور؟

* الأمر الخامس: بيان لمحة تاريخيّة وعوامل الانحراف عن القضيّة المهدويّة

* الأمر السادس: إمكان رؤية الإمام صاحب الزمان عليه السلام في عصر الغيبة الكبرى.

بسم الله الرحمن الرحيم

المهدويّة والإلزامات المعرفيّة للإنتظار

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [1]

موضوع البحث

إنّ مسألة الانتظار وتأثيرها البالغ على حياة الإنسان والمجتمع البشري يمكن البحث فيها وتقييمها من زوايا مختلفة، منها بيان حقيقة الانتظار والأدلة التي أُقيمت على هذه الحقيقة وما ينبغي للمنتظِر وما لا ينبغي، ونقاط الضعف والقصور التي تعترض المؤمنين في هذا السبيل، ودراسة بعض جوانب خصوصيات المنتظرين العامّة في واقع الحياة في كلام الإمام الرضا عليه السلام وتوضيح موجز في مسألة الإثبات العقلي والنقلي لعقيدة المهدويّة ومناقشة أدلة المنكرين وبيان نظريّتين مهمّتين في وقوع الظهور بشكل مفاجىء أو الظهور بعد وقوع العلامات، وبيان نبذة من تاريخ وعلل الانحراف في مسألة المهدويّة، وأخيراً بحث إمكانيّة رأية الإمام صاحب الزمان عليه السلام في عصر الغيبة الكبرى، وعلى ضوء ذلك، يجدر بنا البحث في هذه المسائل بتدبّر.

---

١. سورة آل عمران، الآية ٨٣.

الأمر الأوّل: الإنتظار، الأدلّة، ما ينبغي، نقاط الضعف

إنّ أحد العناوين المعرفيّة المهمّة في الثقافة الدينيّة يكمن في «مسألة الانتظار»، فلا ينبغي النظر إلى هذه المسألة بوصفها أمراً عادياً وتقع في عرض سائر المستحبّات والأعمال المندوبة الأخرى، لأنّ مسألة الانتظار وردت في المصادر المعرفيّة الإسلاميّة، ومنها الآيات القرآنيّة والروايات الشريفة وما ورد في سيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمّة الطاهرين عليهم السلام، بأنّها تمثّل إحدى الضرورات الإيمانيّة لكلّ مؤمن على إمتداد التاريخ الديني لكلّ البشريّة، ولتوضيح هذه المسألة نلفت النظر إلى النقاط التالية:

النقطة الأُولى: بيان أدلّة الانتظار الواقعي في نظر القرآن

أ) الاستدلال بالآية (١٠٥) من سورة الأنبياء

يقول تبارك وتعالى في هذه الآية الشريفة:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[١].

وبعبارة أخرى: السؤال هو: هل أنّ الله تبارك وتعالى أخبر في هذه الآية عن وراثة الصالحين للأرض فقط، أم يقصد بذلك شيئاً آخر؟ يعني هل أنّ هذه الآية الشريفة تدلّ على هذه الحقيقة، وهي أنّ الله تعالى قد كتب في الزبور بعد كتابة التوراة أنّ الصالحين سيرثون الأرض ولا شيء بعد ذلك؟

الجواب: إنّ هذا المعنى الوارد في هذه الآية الشريفة ليس مجرّد إخبار محض، بل هو إخبار عن وقوع حادثة حتميّة في العالم، وهذه الحادثة بشّر بوقوعها جميع الأنبياء الإلهيين العظام عليهم السلام ووعدوا الناس بحتمية وقوعها، فالوعد بظهور المصلح العالمي والمنقذ للبشريّة يمثّل تحقّق غاية الخلقة من البشريّة وعالم الوجود وبشكل بهيج وعظيم.

---

١. سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.

أجل، إنّ بعثة كلّ واحد من الأنبياء الإلهيين العظام كانت تهدف إلى إيصال بعض الدين للناس في زمانهم، وضمن ذلك كان هؤلاء الأنبياء يذكّرون أقوامهم أنّ رسالتهم وكلامهم لا يمثّل جميع حقيقة الدين وليس عمل الناس وفقاً لتلك الأحكام والتعاليم يمثّل غاية الخلقة والمطلوب النهائي لله تعالى، بل إنّ الله تعالى قرر أن تكون حقيقة الدين وغاية الخلقة والمطلوب النهائي للذات المقدّسة تتحقّق في زمان خاصّ على هذه الأرض.

ب) الاستدلال بالآية الشريفة (٩٠) من سورة الصف

يقول الله تبارك وتعالى في هذه الآية الشريفة:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[١].

طبقاً لهذه الآية الشريفة، فإنّ الله تعالى أرسل رسوله بالبيّنات وآليات هداية الناس إلى طريق الحقّ والصلاح وأرسل معهم المعجزات والكتاب بهدف حكومة الدين وهيمنته على جميع أجواء المجتمعات والأقوام البشريّة، طبعاً فثمّة خلاف بين المفسّرين في المقصود من كلمة «كلّه» هل تعني كلّ الدين أو كلّ البشر، ولكن في كلا الحالين المقصود محقّق لأنّه من البديهي أنّ كلّ الدين إذا قلنا إنّه جاء لكلّ البشر، فهذا المعنى لم يتحقّق مع أي واحد من الأنبياء الإلهيين عليهم السلام حتّى في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمّة الطاهرين عليهم السلام

وقد ورد في النصوص المعتبرة والشواهد المقبولة ما يدلّ بصراحة على أنّ جميع الأنبياء الإلهيين عليهم السلام حتّى نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السلام كانوا منذ البداية يتحرّكون لتحقيق هذه الغاية وتجسيد هذا الهدف النهائي المقدّس.

---

١. سورة الصف، الآية ٩.

وبعبارة أخرى أنّ جميع أولئك الذوات المقدّسة من الأنبياء الإلهيين كانوا من المنتظرين الواقعيين، يعني كما أنّ الأنبياء السابقين بشّروا أقوامهم بنبوّة نبيّ الإسلام وخاتم الأنبياء ﷺ، كذلك فإنّ أصل هذه البشارة، تتلخص بظهور الإمام الحجّة ابن الحسن عليه السلام وذلك أنّ الرسالة الأصليّة لبشارة جميع الأنبياء الإلهيين عليهم السلام أنّه بعد ظهور آخر الأنبياء الإلهيين وخاتمهم ﷺ فإنّ أحد أولاده وذريّته والموصوف من قِبل جميع الأنبياء عليهم السلام بشخصه سيكون هو المصلح العالمي للبشريّة في نهاية المطاف، وسيظهر المصلح والمنقذ ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

النتيجة أنّ «مسألة الانتظار» تعدّ واحدة من أعمق المفاهيم الدينيّة الواردة في جميع الأديان الإلهيّة وتعتبر من أدقّ البحوث الكلاميّة والحوادث التي ستقع في آخر الزمان، ولذلك لا يمكن اعتبار هذه المسألة مجرّد حكماً مندوباً وعملاً مستحباً إلى جانب المستحبّات الأخرى الواردة في الشريعة الإسلاميّة.

النقطة الثانية: واجبات الانتظار الحقيقي في نظر الروايات

وما نستوحيه من المفاهيم الواردة في الروايات الشريفة، أنّ الإيمان بدون انتظار لا يعتبر إيماناً كاملاً، يعني أنّ المؤمن إذا لم يكن منتظراً فإنّه لا يملك قطعاً الإيمان الحقيقي ولا يعيش الإيمان في أعماق قلبه ونفسه، يعني أنّ خصوصيّة:

ـ «**الإيمان بدون انتظار**»: هذه الحالة التي تصل بالإنسان إلى الحدّ الأدنى من التدين بأن يقول: «يكفي حفظ الإيمان ويجب على الإنسان المؤمن فقط الإتيان بالواجبات واجتناب المحرّمات ورعاية الأحكام الشرعيّة» وفي هذه الصورة من الواضح أنّ مثل التدين والانتظار لدى هؤلاء الأشخاص لا يكون باعثاً على الحركة والنشاط والحيويّة في طريق التكامل المعنوي وسلوك طريق الإيمان والقرب إلى الله تعالى.

ولكن خصوصيّة:

ـ **«الإيمان المقترن بالانتظار»**: ومثل هذا الإيمان يدعو الإنسان بالحدّ الأقصى لأن يفكر ويعتقد أنّه: «لا يجب عليه فقط أن يحفظ إيمانه وأن يأتي بالواجبات الشرعيّة ويجتنب المحرّمات بل بوصفه مسلماً ومؤمناً يجب عليه أن يتحرّك في طريق تحقّق مقاصد الله تعالى وغاياته من خلق السموات والأرض وإرسال الرسل وإنزال الكتب السماويّة وأن يأمل ويتمنى ذلك اليوم الذي يتحقّق فيه الصلاح والخير والعدل على صعيد الفرد والمجتمع»، وفي هذه الصورة فمن البديهي أنّ الانتظار في هذا الشخص سيؤدي إلى تثوير عناصر الخير في نفسه ويتسبّب في سوقه في طريق الخير والحقّ والصلاح ولا يجد في نفسه استقراراً أبداً ولا يشعر بالبرود والخمود من أجل تحقيق هذه الغاية السامية.

أجل، فالانتظار في الدين الإسلامي يريد من المسلم والمؤمن أن يعيش مثل هذه الحالة من الانتظار الإيجابي والمثمر لا الانتظار الذي يجعل الإنسان منزوياً ومتكاسلاً ويخلق فيه حالة من العزلة والخمود والترقب بعيداً عن الحركة والحيوية في خطّ تأييد الحقّ والدفاع عن أهل الحقّ، ومن هذه الجهة ورد في الروايات الشريفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«أَحَبُّ الأَعمَالِ إِلىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ إِنتِظارُ الفَرَجِ»[١]، و**«أَفضَلُ أَعمَالِ أُمَّتِي إِنتِظارُ الفَرَجِ»**[٢]، و**«إِنتِظارُ الفَرَجِ عِبَادَةٌ»**[٣] و**«أَفضَلُ العِبَادَةِ إِنتِظارُ الفَرَجِ»**[٤]،

---

١. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٥٢، ص ١٣٣، الباب ٢٢.

٢. الزام الناصب، اليزدي الحائري رحمه الله، ص ١٣٧؛ بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٥٢، ص ١٢٢.

٣. المصدر السابق.

٤. نهج الفصاحة، ص ٧٨؛ ينابيع المودة، القندوزي، ج ٣، ص ١٦٩.

و«أَفضَلُ جِهَادِ أُمَّتِي إِنتِظارُ الفَرَجِ»[١].

وكذلك وردت مثل هذه التعبيرات في كلمات أميرالمؤمنين الإمام عليعليه السلام حيث قال:

«انتظرُوا الفَرَجَ وَلَا تَيأَسُوا مِن رَوْحِ اللهِ فَإِنَّ أَحَبَّ الأَعمَالِ إِلىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ إِنتِظارُ الفَرَجِ»[٢].

وطبعاً ربّما يقول أحدهم: إنّ «روح الله» يطلق على الإمام الحجّة المنتظر، كما ذكر ذلك مشهور الفقهاء، ولكن يبدو أنّ مفهوم الفرج والظهور هو «روح الله»، يعني أنّ الحقيقة والهدف الأصلي للباري تعالى في ذلك يتمثّل في الظهور، وهكذا ما ورد في كلام آخر للإمام أميرالمؤمنينعليه السلام في بيان فضيلة المنتظر وأنّه كالشهيد في سبيل الله قالعليه السلام:

«المُنْتَظِرُ لأَمرِنَا كَالمُتَشَحِّطِ بِدَمِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ»[٣].

أي أنّ الشخص الذي ينتظر حكومة العدل الإلهيّة فهو بمثابة الشهيد المتشحط بدمه في سبيل الله.

وكذلك ما ورد في كلمات الإمام زين العابدينعليه السلام أنّ المنتظرين هم أفضل أهل زمانهم، يقول الإمام:

«إِنَّ أَهلَ زَمَانِ غَيبَتِهِ، القَائِلُونَ بِإِمَامَتِهِ، المُنْتَظِرُونَ لِظُهُورِهِ، أَفضَلُ أَهْلِ كُلِّ زَمَان»[٤].

---

١. تحف العقول، ابن شعبة الحراني رحمه الله، ص ٣٣؛ بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٥١، ص١٥٦.

٢. نوارد الأخبار فيما يتعلّق بأصول الدين، محمّد محسن الفيض الكاشاني رحمه الله، ص ٢٤٩.

٣. كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق رحمه الله، ج ٢، ص ٦٤٥.

٤. رياض الأبرار في مناقب الأئمّة الأطهار، نعمة الله الجزائري، ج ٣، ص ١٢٨

أو ما ورد في كلام الإمام الصادق عليه السلام من أنّ المنتظرين هم أولياء الله تعالى، قال عليه السلام:

«طُوبَىٰ لشِيعَةِ قَائِمِنا المُنْتَظِرِينَ لِظُهُورِهِ فِي غَيبَتِهِ وَالمُطِيعِينَ لَهُ فِي ظُهُورِهِ أُولَئِكَ أَولياءُ اللهُ الَّذِينَ لا خَوفٌ عَلَيهِمْ وَلا هُمْ يَحزَنُونَ»[١].

وكذلك ما ورد في رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام في بيان المنتظر، وأنّ المنتظر لو مات كان حاله حال من جاهد بين الإمام القائم، بل كالمجاهد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول عليه السلام:

«مَنْ مَاتَ مُنْتَظِراً لِهَذا الأَمْرِ كَانَ كَمَنْ كَانَ مَعَ القَائِمِ فِي فُسطَاطِهِ لا بَلْ كَانَ كَالضَّارِبِ بَينَ يَدَي رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله بِالسَّيفِ»[٢].

أجل، فالانتظار الذي جرى التأكيد عليه في الروايات الشريفة ليس بأن يجلس المنتظر في زاوية بيته ولا يتحرّك أبداً في سبيل خدمة الإسلام والمسلمين ونصرة الحقّ وأهله ودفع الباطل ومواجهة قوى الظلام والشرّ، وليس بأن يكون المنتظر أجنبياً ولا يعلم بما يتدبّره أعداء الإسلام من مؤامرات ودسائس ضد الإسلام والمسلمين ولايهمّه ذلك ويعيش اللامبالاة في حياته، لأنّه أساساً في الثقافة الدينيّة الواردة في دائرة الروايات الشريفة، فإنّ مثل هذا العمل لا يطلق عليه انتظار، وأساساً فإنّ هذا الانتظار ليس بمقصود أهل البيت عليهم السلام ولا يدخل في الثقافة الدينيّة التي يهتمّ لها أئمّة أهل البيت عليهم السلام بل إنّ الانتظار الحقيقي هو ما ورد في كلمات الإمام الخميني قدس سره حيث قال:

«إنّ الحياة إنّما تكون لها قيمة فيما لو وقف الإنسان في مقابل الظلم والظالمين وبقبضة يده ضرب بها على فم أنصار الباطل وأزلام الشرّ ولا

---

١. كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق رحمه الله، ج ٢، ص ٣٥٧.

٢. المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٣٨..

يسمح بأن ينتشر الظلم في أجواء المجتمع البشري، هذا هو الذي يملك قيمة حقيقيّة، نحن مكلّفون شرعاً، وليس الأمر بأن نكون الآن منتظرين لظهور الإمام المهدي (سلام الله عليه) ونجلس في زاوية البيت ونأخذ بيدنا ونقول (عجلّ الله فرجه الشريف) وندعو الله تعالى بتعجيل الفرج، يجب عليكم توفير الأرضيّة للازمة لظهور الإمام المهدي عليه السلام وتوفير الملكات والآليات لتوحّد المسلمين ولتكونوا قوّة واحدة ضد الباطل وفي ذلك الوقت سيظهر الإمام عليه السلام»[١].

هذا هو الانتظار الحقيقي المطلوب من المؤمن، لا الانتظار الذي يخلق في الإنسان حالة من العزلة والانزواء ويجعله يبتعد عن الحوادث والتحديات في المجتمع الإسلامي ولا يعلم بما يجري وبما يحيكه أعداء الدين وقوى الظلام ضد الإسلام والمسلمين.

وعلى ضوء ذلك، فالانتظار الذي يترتّب عليه ثواب عظيم، هو الانتظار الذي يجعل المؤمن يتحرّك في سبيل تحقّق الدين بشكل كامل في جميع المجتمعات البشريّة، بل إنّ هذا الانتظار هو الذي يسوق الإنسان المؤمن ويدفعه لتأسيس وتشكيل الحكومة الإسلاميّة في واقع الحياة.

النقطة الثالثة: نقاط ضعف الانتظار والمنتظِرين

إنّ الأشخاص الذين قرأوا تاريخ ايران المعاصر يعلمون جيداً أنّ جماعة قبل الثورة الإسلاميّة كانوا ولا يزالون يعتقدون بفهم سطحي وخاطيء ممّا يستوحونه من الروايات الشريفة وأنّه يجب قبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام إشاعة الفساد والتحلل الأخلاقي ومظاهر الانحراف والزيغ في أجواء المجتمع الإسلامي، في حين أنّ هذا

---

١. صحيفة النور، الإمام الخميني قدس سره، ج ١٨، ص ٢٦٩.

الفهم ليس فقط مجرّد ادّعاء ساذج للمفاهيم الدينيّة الدقيقة لغرض خداع عوام الناس، بل يوحي بشدّة أنّ هذا الفهم يستبطن حركة أعداء الإسلام ضد المسلمين ويهدف في إلقائه بهذه المفاهيم الخاطئة في الذهنيّة العامّة إلى إشاعة التحلل وتقوية عناصر الشر والانحراف بين المسلمين، لأنّ أعداء الإسلام في مؤامراتهم على الإسلام والمسلمين يتحرّكون على صعيد تحريف المفاهيم الدينيّة العميقة والمتجذرة للإسلام.

أجل، إنّ أعداء الإسلام وأعداء البشريّةيتحرّكون دوماً على صعيد تحريف المفهوم الأصيل للإنتظار الذي بشّر به جميع الأنبياء الإلهيين عليهم السلام وعلموا على تكريسه في ذهنيّة المؤمنين ومن أجله بعثوا من قِبل ربّ العالمين، وبذلك كانوا هم من أوّل المنتظرين الحقيقيين، ولكن الشياطين وأعداء الدين الإلهي يعلمون أنّ تلك الذوات المقدّسة كانوا بالمعنى الصحيح والحقيقي للكلمة منتظرين حقيقيين: «فهم المنتظرون لظهور الدين الإلهي الشامل في جميع مناطق المعمورة» و«المنتظرون لتحقّق الهداية لجميع أبناء البشر»، و«المنتظرون للبلوغ النهائي للمجتمع البشري من حيث العقل والفهم» وأخيراً «المنتظرون لحكومة الفضائل الأخلاقيّة والقيم الإنسانيّة في أجواء المجتمع البشري»، ومن هذه الجهة كان أعداء الدين يسعون لتحريف مفهوم الانتظار ولا زالوا يعملون على تشويش هذه العقيدة في أذهان الناس.

النقطة الرابعة: بيان مراتب الانتظار بالنسبة للمنتظرين

وعلى ضوء ذلك، وطبقاً لما تقدّم بيانه من مفهوم الانتظار، فالمنتظر له مراتب مختلفة بمقدار فهمه ودركه لمفهوم الانتظار، وهذه المراتب عبارة عن:

ـ **المرتبة الأُولى: انتظار الرسل والأنبياء الإلهيين عليهم السلام**: إنّ جميع الأنبياء والرسل الإلهيين عليهم السلام قبل بعثة النبي الأكرم وخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله كانوا ينتظرون ظهور خاتم

الأنبياءﷺ وخاتم الأوصياءعليه السلام، كيما تثمر رسالتهم وتتحقّق غاياتهم في جميع أبعادها وعلى مختلف المستويات الفرديّة والاجتماعيّة.

ـ **المرتبة الثانية: انتظار رسول الإسلام المعظم**ﷺ: النبي الأكرمﷺ ينتظر أيضاً تحقّق الغاية من رسالة الأنبياء السابقينعليهم السلام في جميع أبعادها وظهور ثمرة أعمالهم ومساعيهم في اخراج الناس من الظلمات إلى النور.

ـ **المرتبة الثالثة: انتظار الأئمّة الأطهار**عليهم السلام: فهؤلاء الأنوار الإلهيّة ينتظرون أيضاً أن تتحقّق الغاية من رسالة النبي الأكرمﷺ والأنبياء السابقينعليهم السلام على جميع المستويات والصعد.

ـ **المرتبة الرابعة: انتظار العلماء والفقهاء والمراجع العظام**: وهؤلاء أيضاً يعيشون حالة الانتظار وقلوبهم زاخرة بالأمل والتوقّع لظهور الإمام خاتم الأوصياءعليه السلام لكي تتحقّق الثمرة والغاية من إرسال الرسل والأنبياء الإلهيينعليهم السلام في أجواء المجتمعات البشريّة.

ـ **المرتبة الخامسة: انتظار الناس العاديين**: فهم أيضاً ينتظرون بقيّة الله الأعظمعليه السلام، فبظهور الإمام المهديعليه السلام تتجسد آمال الأئمّة المعصومينعليهم السلام والأنبياء الإلهيينعليهم السلام على أرض الواقع العملي.

النقطة الخامسة: انكشاف الآثار الواقعيّة للانتظار بعد عصر الظهور

والبديهي أنّ التحقّق الكامل لحكومة الدين وكمال التدين في واقع الفرد والمجتمع، سيظهر ويتجلّى بعد زمان ظهور الإمام المهديعليه السلام، وهذه هي حقيقة الانتظار، سواء أطلقنا عليه اسم المدينة الفاضلة أو اسم المجتمع العادل أو اخترنا له اسماً آخر، فهذه من خصوصيّات الدين الإسلامي، لأنّ الإسلام دين جامع وكامل ويستوعب جميع أبعاد الإنسان والمجتمع البشري وسوف تتحقّق جميع أبعاده وتفاصيله في المجتمع البشري في عصر الظهور، كما وردت الإشارة إلى هذه

الحقيقة في بعض الروايات الشريفة وذكرت النصوص الدينيّة بعض خصوصيّات تلك المرحلة، وهي عبارة عن:

الخصوصيّة الأولى: إقامة العدل ورفع الظلم

على سبيل المثال ورد في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ في بيان خصوصيّة ذلك الزمان، وهي عدم وقوع الظلم وإقامة العدل ورفع الظلم، قال ﷺ:

«المَهْدِي مِنْ وُلدِي تَكُونُ لَهُ غَيبَةٌ، إذا ظَهَرَ يَملأ الأرضِ قِسطَاً وَعَدلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوراً وَظُلمَاً»[1].

وطبعاً يبدو أنّ إقامة العدل والقسط بذلك المفهوم الواسع يعتبر وجهاً من وجوه ذلك الزمان في عصر الظهور والوجه الآخر له أنّه في ذلك الزمان لا يقع ظلم أصلاً، وأساساً لا يمكن أن يتحرّك شخص بشكل عادي على صعيد إلحاق ظلم بشخص آخر.

الخصوصيّة الثانية: إقرار النظم والأمن

يقول الإمام عليّ عليه السلام في بيان هذه الخصوصيّة في ذلك الزمان:

«تَمشِي المرأَةُ بَينَ العِراقِ وَالشَّامِ لا تَضَعُ قَدَمَيها إلّا عَلىٰ نَبَاتٍ وَعَلىٰ رَأسِها زَنْبِيلُها (زينتها) لا يُهَيِّجُها سَبْعٌ وَلا تَخَافُهُ»[2].

الخصوصيّة الثالثة: تكامل الإنسان من الجهة الأخلاقيّة والعقلانيّة

يقول الإمام الباقر عليه السلام في بيان حالات ذلك الزمان أنّ الإنسان يصل إلى ذروة تكامله الأخلاقي والعقلاني، ويقول عليه السلام:

«إذا قَامَ قَائِمُنا وَضَعَ اللهُ يَدَهُ عَلىٰ رُؤُوسِ العِبادِ فَجَمَعَ بِها عُقُولَهُمْ وَكَمُلَتْ

---

١. ينابيع المودة، القندوزي، ج ٣، ص ٧٨.

٢. تحف العقول، الحراني رحمه الله، النص ١١٥.

بِها أَحلامَهُمْ»[١].

الخصوصيّة الرابعة: فتح أبواب العلم

يقول الإمام الصادق عليه السلام في بيان معالم ذلك الزمان أنّ العلوم والمعارف الجديدة ستفتح أبوابها على الناس، يقول عليه السلام:

«العِلْمُ سَبعَةٌ وَعِشرُونَ حَرفاً، فَجَمِيعُ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ حَرفَانِ فَلَم يَعْرِفِ النَّاسُ حَتّىٰ اليَومَ غَيْرَ الحَرفَينِ فَإِذا قَامَ قَائِمُنا أَخْرَجَ الخَمَسَةَ وَالعِشرِينَ فَبَثَّها فِي النَّاسِ»[٢].

الخصوصيّة الخامسة: إزالة العصيان والمعصية الإلهيّة

يقول الإمام الصادق عليه السلام في بيان خصوصيّات ذلك العصر، بأنّه لا يقع ذنب ومعصية في ذلك الزمان ويتحقّق بذلك الركن الأساس في العبوديّة لله تعالى، يقول عليه السلام:

«وَلا يَعْصُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَرْضِهِ»[٣].

وهذا يعني أنّ البشريّة في ذلك الزمان لا ترتكب المعصيّة في جميع نقاط المعمورة، لأنّ البشر يصلون إلى مرتبة من النضج والكمال النفسي والعقلي بحيث لا يسمح الواحد لنفسه أن يرتكب ذنباً أو يقترف معصية، رغم أنّه من الممكن أن تحدث بعض الموارد أن يقوم بعض الأفراد بارتكاب المعصية على شكل استثناء من القاعدة إلّا أنّ الكلام في الأصل والقاعدة الأساسيّة في ذلك الزمان أنّ نوع

---

١. الكافي، الشيخ الكليني رحمه الله، ج ١، ص ٢٥؛ بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج٥٢، ص٣٢٨ مع اختلاف، كمال الدين، الشيخ الصدوق رحمه الله، ج ٢، ص ٦٨٥.

٢. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٥٢، ص ٣٣٦.

٣. منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر عليه السلام، آية الله العظمى الحاج الشيخ لطف الله الصافي الكلبايكاني دامت بركاته، ص ٤٩٧، ح ٨.

البشر يصل إلى مرحلة لا يقترف الذنب والمعصية فيما بينه وبين الله تعالى.

الخصوصيّة السادسة: أوج التكامل الديني

وإحدى الخصوصيّات الأخرى في عصر الظهور، الرشد والكمال في شخصيّة الناس من الجهة العباديّة والدينيّة، لأنّ البشر فيما قبل عصور الظهور لا يعلمون بشكل صحيح كيف يعبدون الله عزّ وجلّ، وبعبارة أخرى إنّ الناس وطيلة تاريخ البشريّة كانوا يأتون بالعبادة بالاقتران مع أحد المتغيّرات المتوفّرة في الاعصار المختلفة، إلى أن وصل الأمر إلى عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وفي ذلك العصر استطاع المسلمون، ومن خلال تربية الإسلام بوصفه آخر دين إلهي وباشراف نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وبوصفه آخر نبي من الأنبياء الإلهيين عليهم السلام وكذلك من خلال تربية الأئمّة الطاهرين عليهم السلام بوصفهم آخر الهداة الإلهيين، استطاع أولئك المسلمون أن يعبدوا الله تعالى عبادة لم يكن لها مثيل في الشرائع الإلهيّة السابقة، فكانت عبادة المسلمين أفضل أنواع العبادة في الأقوام البشريّة، ومن هذه الجهة لم يتمكن أحد من الأقوام البشريّة أن يعبدوا الله تعالى كما يعبده المسلمون، ولكن أكمل أنواع العبادة سوف يتحقّق في عصر ظهور الإمام المهدي عليه السلام، لأنّه في ذلك الزمان يصل الدين والعبادة والإيمان إلى مراحله العليا، وهذا هو الأمر الذي سعى إليه الدين الإسلامي في مجال تربية الناس وتوثيق الرابطة فيما بينهم وبين الله تعالى من خلال العبادة، وعلى هذا الأساس فالأشخاص الذين يرون أنّ الدين في عصر الظهور ليس سوى أمراً شخصيّاً وفرديّاً ويتحدد بالعلاقة بين الإنسان وربّه، فهم بعيدون جدّاً عن فهم المباني الدينيّة الصحيحة والعقائد السليمة لهذا الدين.

أجل، إنّ جميع الأنبياء الإلهيين عليهم السلام وأتباعهم عاشوا حالة الانتظار طيلة التاريخ البشري، ومعلوم أنّ مثل هذا الانتظار لم يكن مجرّد توقع ظهور الإمام صاحب الزمان عليه السلام ولغرض إقامة ركعتين من الصلاة خلفه، بل هو إنتظار لتجسيد أحكام

الدين وتعاليم السماء في واقع الحياة البشريّة وفي أبعاد الدين الواسعة، يعني أنّ هذا الانتظار هو الحالة التي تدفع الإنسان نحو «الحركة والحماسة في سبيل الله» وتدعوه لـ «التفكّر والتدبّر في آيات القرآن» و«الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» و«فتح قمم المعرفة العقلانيّة والعلميّة»، و«اصلاح النفس وتهذيبها من الشوائب» و«التحلّي بالكثير من الفضائل الأخلاقيّة والمثل الإنسانيّة».

أجل، فهذا الانتظار هو الانتظار الذي يدعو إليه الإسلام بأن يتحلّى به الإنسان في واقع الحياة، وفي الواقع أنّ الخطباء والعلماء إذا فتحوا للناس هذا البعد من الدين وشرحوا لهم هذا المفهوم وقالوا إنّ الإسلام العزيز يريد من الإنسان مثل هذا الانتظار في آخر الزمان، فإنّ الناس سوف ينجذبون حتماً إلى الدين والإسلام.

الأمر الثاني: لمحة من الصفات العامّة للمنتظرين في كلام الإمام الرضا عليه السلام

وبالنسبة للخصوصيّات التي يتمتع بها الإنسان المنتظر، فمن البديهي أنّ الكثير من الخصوصيّات ورد ذكرها في الروايات الشريفة، وبعضها تقدّم الكلام عنه في البحوث السابقة، ولكن في هذا المجال نرى من اللازم الإشارة إلى بعض الخصوصيّات المهمّة الواردة ضمن رواية مطولة من كلام الرضا عليه السلام، وهذه الخصوصيّات عبارة عن:

الخصوصيّة الأولى: التقوى والورع والعفّة

وإحدى هذه الخصوصيّات التي يتمتع بها المنتظر الحقيقي، التقوى والورع والعفّة، كما ورد في كلام الرضا عليه السلام أنّه قال:

«وَأَنَّ مِن دِينِهِمُ الوَرَعَ والعِفَّةَ»[١].

وفي هذا المجال يقول الإمام الصادق عليه السلام ضمن حديث مطوّل ومع تأكيده على

---

١. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ١٠، ص ٣٦٠.

دور الورع والعفّة في حفظ الدين وتطهير الإنسان من شوائب الدنيا والنوازع النفسيّة، يقول عليه السلام:

«... مَنْ سُرَّ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَصحابِ القَائِمِ فَلْيَنتَظِرْ وَلْيَعْمَلْ بِالوَرَعِ... وَهُوَ مُنْتَظِرٌ فَإِنْ مَاتَ وَقَامَ القَائِمُ بَعْدَهُ كَانَ لَهُ مِنَ الأَجرِ مِثْلَ أَجرِ مَنْ أَدْرَكَهُ فَجِدُّوا وَانْتَظِرُوا هَنِيئاً لَكُمْ أَيَّتُها العِصَابَةُ المَرحُومَةُ»[١].

وعلى ضوء ذلك، فإنّ حالة التقوى والورع والنزاهة تعتبر مفتاحاً للفلاح وحسن العاقبة للمنتظرين، ومن هذه الجهة يقول الإمام الكاظم عليه السلام في رواية:

«لَيْسَ مِنْ شِيعَتِنا مَنْ خَلَا ثُمَّ لَمْ يَرُعْ قَلبُهُ»[٢].

الخصوصيّة الثانية: الصدق والصلاح

ومن أهم وأبرز الخصوصيّات التي يتمتع بها الإنسان المنتظر من المؤمنين والشيعة صفتين ساميتين هما: «الصدق والصلاح» كما قال الإمام الرضا عليه السلام في هذه الرواية:

«وَأَنَّ مِن دِينِهِمُ...الصِّدقَ وَالصَّلاحَ»[٣].

أجل، فهاتان الخصلتان بالنسبة للإنسان المنتظر تحظيان بأهميّة بالغة بحيث تبتني عليهما أساس النظم والانسجام والاستقرار في المجتمع الإسلامي المنشود، ومن خلال تقوية وتكريس هاتين الصفتين في نفوس الناس والمنتظرين لظهور الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام يتمّ حلّ الكثير من المشكلات والتعقيدات في المجتمع الإسلامي بواسطة التحلّي بهاتين الخصليتين، وبذلك يتمّ ضمان سعادة المجتمع البشري ضمن تحقّق حالة الانتظار الحقيقي.

---

١. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٥٢، ص ١٤٠.
٢. المصدر السابق، ج ٤٨، ص ٤٥.
٣. المصدر السابق، ج ١٠، ص ٣٦٠.

الخصوصيّة الثالثة: السعي والأمانة للبر والفاجر

وإحدى الخصوصيّات الأخرى التي يتمتع بها المنتظرون فيما ورد من كلام الإمام الرضا عليه السلام هي السعي وبذل الجهد ومراعاة الأمانة لجميع الناس الصالح والطالح منهم، تقول الرواية:

«وَأَنَّ مِن دِينِهِمُ... الإِجتِهادَ وَأَدَاءَ الأَمَانَةِ إِلىٰ البَرِّ والفَاجِرِ»[١].

وطبقاً لهذه الرواية، فالمنتظر الحقيقي هو الذي يسعى في واقع الحياة لأداء هذه التكاليف العباديّة، ويبذل جهده في تحقيق هذا الغرض، ويحافظ على أداء الأمانة حتّى بالنسبة إلى الأشخاص الفاسقين والفاجرين، فلا يدعوه ذلك إلى ترك التحلّي بهذه الخصلة الحميدة، وبعبارة أخرى إنّ الأمانة قد رسخت في نفس هذا الإنسان المؤمن والمنتظر إلى درجة أنّه لا يرتكب أي خيانة للأمانة من أي جهة كانت، فيرى نفسه ملتزماً بأداء الأمانة مهما كان الطرف الآخر، فبديهي أنّ أحد هذه الأمانات هي حفظ الحالة الروحية للانتظار في جميع شؤون الحياة، ومن هذه الجهة يقول الإمام الصادق عليه السلام في بيان بليغ ورائع في توكيده على لزوم توفير هذه الخصلة في المنتظرين:

«إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيّاً إِلَّا بِصِدْقِ الحَدِيثِ وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ إِلىٰ البَرِّ وَالفَاجِرِ»[٢].

الخصوصيّة الرابعة: السجود الطويل وإحياء الليل بالعبادة

الخصوصيّة الأخرى التي ينبغي أن تتوفر في الشخص المنتظر، العبادة والمناجاة مع معبود عالم الوجود وبخاصّة في أعماق الليل وعندما يرخي الليل سدوله فيجد

---

١. المصدر السابق، ج ١٠، ص ٣٦٠.

٢. الكافي، الشيخ الكليني رحمه الله، ج ٢، ص ١٠٤.

«أصحاب القلوب» لذة ليس لها مثيل وغير قابلة للتوصيف لهذه الحالة في مناجاتهم مع خالقهم في أعماق الليل، وبذلك يتّصف المنتظرون بمثل هذه الصفة وهذه الحالة كما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام في توصيف المنتظرين بشكل خاص:

«وَأَنَّ مِن دِينِهِمُ... طُولُ السُّجُودِ وَالقِيامِ بِاللَّيلِ»[١].

أجل، هؤلاء الأخيار حصلوا على توفيق إحياء الليل بالعبادة وطول السجود، وذلك ببركة قطرات المحبّة الإلهيّة التي سكبت على قلوبهم فأحيتها وعلى نفوسهم فطهّرتها، فعاشوا بنفوس طاهرة وقلوب نقيّة، بحيث إنّ جميع ما في الدنيا يبدو في نظرهم صغيراً وحقيراً وتافهاً، ورمز نجاح جميع الأنبياء والأولياء والصالحين والعلماء يكمن في مناجاتهم وعباداتهم في الليل، وأساساً فإنّ العنايات الربانيّة والإمدادات الغيبيّة على الأنبياء الإلهيين تحدث في أوقات السحر، كما يقول الحافظ الشيرازي أنّ النجاح والتوفيق رهن بإحياء الليل:

ـ إنّ كلّ كنز للسعادة وهبه الله لحافظ..

ـ فهو ببركة الدعاء وذكر السحر.

الخصوصيّة الخامسة: اجتناب المحرّمات

الشخص الذي يريد لنفسه أن يكون منتظراً حقيقياً، فيجب عليه الابتعاد عن كلّ ما يكرهه إمام زمانه ويجتنب كلّ عمل لا يرضى به الله تعالى، وبعكس ذلك يسعى للاتيان بكلّ عمل يقرّبه من مولاه ومحبوبه ويؤدّي إلى توثيق علاقته ورابطته مع إمامه، ومن هذه الجهة يقول الإمام الرضا عليه السلام في وصف المنتظرين:

«وَأَنَّ مِن دِينِهِمُ... اجْتِنَابَ المَحارِمِ»[٢].

---

١. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ١٠، ص ٣٦٠.

٢. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ١٠، ص ٣٦٠.

وعلى هذا الأساس ورد في التوقيع المبارك للإمام المهدي عليه السلام يقول فيه:

«فَمَا يَحْبِسُنا عَنْهُمْ إِلّا مَا يَتَّصِلُ بِنا مِمّا نَكْرَهُهُ وَلا نُؤْثِرُهُ مِنْهُمْ»[١].

الخصوصيّة السادسة: انتظار الفرج مع الصبر

وإحدى خصوصيّات الإنسان المنتظر، الصبر على مشقّة انتظار الظهور، كما وردت الإشارة إلى هذا المعنى في كلام الإمام الرضا عليه السلام حيث يقول:

«وَأَنَّ مِن دِينِهِمُ... انْتِظَارَ الفَرَجِ بِالصَّبرِ»[٢].

وكذلك ما ورد في رواية أخرى عن الإمام الرضا عليه السلام أيضاً في بيان أهميّة هذا الموضوع يقول:

«مَا أَحْسَنَ الصَّبْرَ وَانْتِظَارُ الفَرَجِ، أَمَا سَمِعتُمْ قَولَ اللهِ تَعَالىٰ ﴿ارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾[٣]، ﴿فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنْ الْمُنتَظِرِينَ﴾[٤]، فَعَلَيكُمْ بِالصَّبرِ، فَإِنَّمَا يَجيُ الفَرَجُ عَلَىٰ اليَأْسِ...»[٥].

أجل، فأحد الأركان المهمّة جدّاً في مدرسة أهل البيت عليهم السلام «الصّبر» وترتبط هذه الخصلة الأخلاقيّة في معناها العميق بحالة نقطة الانطلاق، يعني طبقاً لهذه الرؤية فالإنسان المنتظر يجب عليه أن يتحلّى بالصبر في أداء واجباته الدينيّة والإلهيّة وكذلك يتحلّى بفضيلة الصبر بالنسبة لأمر الصبر ولا ينبغي أن يشعر باليأس من رحمة الله في ظهور آخر حجّة إلهيّة عليه السلام، وبسبب وجود حالات ومظاهر الظلم والجور في هذه الدنيا فإنّه يقول لنفسه والعياذ بالله أنّ جميع أتعاب الأنبياء

---

١. الاحتجاج، الشيخ الطبرسي رحمه الله، ج ٢، ص ٤٩٨.

٢. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ١٠، ص ٣٦٠.

٣. سورة هود، الآية ٩٣.

٤. سورة الأعراف، الآية ٧١.

٥. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٥٢، ص ١١٠.

العظام عليهم السلام لم تثمر في تحسين حالة البشر ولم تصل إلى النتيجة المرجوة ولم تحقّق الغاية الإلهيّة من إرسال الرسل والأنبياء، ومن هذه الجهة يشير الإمام الصادق عليه السلام إلى الثواب الجزيل والأجر العظيم لحالة الانتظار والصبر في سبيل ظهور وتحقّق الدولة الكريمة المهدويّة ويقول عليه السلام:

«أَلَا تَعلَمْ أَنَّ مَنِ انْتَظَرَ أَمرَنَا وَصَبَرَ عَلىٰ مَا يَرىٰ مِنَ الأَذىٰ وَالخَوفِ هُوَ غَداً فِي زُمرَتِنا»[1].

الخصوصيّة السابعة: المعاشرة الجميلة مع عباد الله

والسمة الأخرى من سمات الإنسان المنتظر «المعاشرة الجميلة مع عباد الله» كما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام

«وَأَنَّ مِن دِينِهِمُ... حُسْنَ الصُّحبَةِ وَحُسْنَ الجِوارِ وَبَذْلَ المَعرُوفِ»[2].

وطبقاً لهذه الرواية، فالمنتظر الحقيقي هو الذي يعيش مع الناس ويعاشرهم بآليات حسن الخلق والسلوك الحسن والمعاملة الجميلة، وطبعاً ربّما يطرح هذا السؤال وهو: أساساً ما هي العلاقة بين «حسن الصحبة» وحالة الانتظار؟

الجواب: إنّ الإنسان وبسبب ارتباطاته وعلاقاته الاجتماعيّة الحسنة يستطيع أن يحلّ الكثير من مشكلاته ومشكلات الآخرين، ويجد له سبيل الهداية والخلاص من الأزمات والتحديات التي يعيشها في حياته وما يواجهه من ظروف صعبة، فحسن الصحبة والخلق الحسن مع الناس يساهم في إيجاد المكارم الأخلاقيّة وإزالة الرذائل الأخلاقية أيضاً.

الخصوصيّة الثامنة: عدم الأذى والإضرار بعباد الله

إنّ إضرار الإنسان بنفسه وبالآخرين من عباد الله يعدّ من الرذائل الأخلاقيّة وهو

---

١. الكافي، الشيخ الكليني رحمه الله، ج ٨، ص ٣٦.

٢. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ١٠، ص ٣٦٠.

عامل مهمّ في إيجاد التوتر وهدم التعادل والتوازن في الحياة الفرديّة الاجتماعيّة لأفراد البشر، ومن هذه الجهة يقول الإمام الرضاعليه السلام في وصف المنتظرين:

«وَأَنَّ مِن دِينِهِمُ... كَفَّ الأذىٰ»[١].

وعلى ضوء ذلك، فالأشخاص الذين يقولون: لابدّ من زيادة حالة الفسق والفجور والظلم والجور على الأرض حتّى يعجّل ذلك في ظهور الإمام المهديعليه السلام فهؤلاء لا يمكنهم قطعاً فهم وتبرير هذا المقطع من الرواية الشريفة عن الإمام الثامنعليه السلام، لأنّه طبقاً لهذه الرواية من كلام الإمام الرضاعليه السلام، فإنّ المنتظر الحقيقي هو الشخص الذي لا يرتكب أي أذى وظلم للآخرين سواءً في بيته وأهله أو مع أصدقائه وأقربائه وسائر المواطنين من أبناء بلده ودينه وكافة أفراد البشر من أبناء نوعه بل حتّى بالنسبة للكافرين لا يرضىٰ بأن يلحقهم أي أذى وظلم، ومن هذه الجهة يقول الإمام عليعليه السلام:

«مِنْ أَمَارَاتِ الخَيرِ الكَفُّ عَنْ الأَذىٰ»[٢].

أي من علامات الفلاح والفضيلة للإنسان أن يمتنع عن أذى الآخرين والإضرار بهم.

الخصوصيّة التاسعة: بسط الوجه

وأحد الحقوق التي يجب على المؤمنين بالنسبة لأخيه، وبالإمكان أن نعدّ هذا الحقّ من خصوصيّات المنتظرين الحقيقيين: «طلاقة الوجه وحسن البشر في مواجهة الناس وأن تكون هذه الحالة ناشئة من عمق وجود الإنسان وصدقه واخلاصه»، كما أنّ المؤمن ينظر إلى هذه الحالة بوصفها عبادة إلهيّة وأمر ديني، وفي

---

١. بحار الأنوار، العلّامة المجلسيرحمه الله، ج ١٠، ص ٣٦٠.

٢. تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم عبدالواحد الآمدي، ص ٤٥٦.

الواقع أنّ أهم العناصر التي تمنح أعمال وأقوال المنتظرين قيمة أخلاقيّة وإيمانيّة هي هذه الصفة الأخلاقية من طلاقة الوجه مع الناس، وهذا هو ما ورد في كلام الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال:

«وأَنَّ مِنْ دِينِهِم... بَسطَ الوَجْهِ»[١].

أجل، لا ينبغي أن يكون هذا الخُلق الحسن منطلقاً من عوامل ماديّة من قبيل تكريم الأثرياء وتعظيم أصحاب السلطة والقدرة، بل ينبغي أن يتحلّى المؤمن بهذه الصفة الأخلاقيّة الحميدة من موقع الصلاح والصفاء والصدق والمحبّة للأفراد وامتثال الأمر الإلهي، وليس فقط تستطيع هذه الصفة الحميدة من تقوية محبّة ومودّة المؤمنين بالنسبة لإمام عصرهم عليه السلام وتوثيق هذه العلاقة والرابطة، بل بإمكانها أن تجذب سائر قلوب المسلمين للإمام المهدي المنتظر عليه السلام، بل أعلى من ذلك أيضاً، فمن شأن هذه الفضيلة أنّ تؤدّي إلى معرفة عامّة الناس بأهل البيت عليهم السلام وتعميق مودّتهم لهم، وهذا هو أحد الأهداف المقدّسة للإنتظار الإيجابي والحيوي كما هو مقصود الروايات الشريفة.

الخصوصيّة العاشرة: النصيحة والرحمة للمؤمنين

إنّ المسلم مرآة أخيه المسلم،عندما يرى خطأ أو زلة من أخيه المسلم لا يسارع بالتهجم عليه وتوبيخه، بل يسعى لإرشاده ونصيحته ويتعامل معه بآليات الرحمة والمداراة كما ورد في كلام الإمام الرضا عليه السلام قوله:

«وأَنَّ مِنْ دِينِهِم... النَّصِيحَةَ وَالرَّحمَةَ لِلمُؤمِنِينَ»[٢].

ومن هذه الجهة نرى أنّ الإمام الجواد عليه السلام يقول في صفة المؤمنين:

---

١. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ١٠، ص ٣٦٠.

٢. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ١٠، ص ٣٦٠.

«المُؤمِنُ يَحتَاجُ إِلىٰ ثَلاثِ خِصالٍ: تَوفِيقٍ مِنَ اللهِ وَوَاعِظٍ مِنْ نَفْسِهِ، وَقَبُولٍ مِمَّنْ يَنْصَحُهُ»[١].

الأمر الثالث: إثبات مسألة المهدويّة ومناقشة أدلّة المنكرين

رأينا جليّاً أنّ مسألة المهدويّة، كما أنّها قابلة للإثبات بالأدلّة العقليّة النقليّة، فكذلك بالنسبة لأدلّة المنكرين، فهي قابلة للنقد والردّ عقلاً ونقلاً أيضاً، والآن من الجدير بيان هذا الموضوع ضمن نقطتين:

ـ النقطة الأُولى: إثبات مسألة المهدويّة ضمن محورين

إنّ مسألة المهدويّة قابلة للإثبات من الجهة العقليّة والنقليّة أيضاً:

ـ المحور الأوّل: الإثبات العقلي

مضافاً إلى أنّ مسألة الانتظار وظهور الإمام المنتظَر عليه السلام وتحقّق غاية الخلقة، هي من البحوث النقليّة، ولكن لا شكّ في إمكان اعتبارها من البحوث العقليّة أيضاً، لأنّ العقل يقول: إنّه يجب أن يأتي زمان على البشريّة بحيث يكون دين الله هو المهيمن والفاعل والمؤثر بشكل كامل على جميع البشر.

وبعبارة أخرى، إنّ هذه المسألة يمكن طرحها في قالب سؤال: أساساً ما هي الغاية من إرسال الرسل وبعث الأنبياء من قِبل الباري تعالى، هل أنّ هدف الذات المقدّسة أنّه بعد أن يرسل الرسل والأنبياء فإنّ غالبيّة الناس في العالم لا يؤمنون ولا يذعنون ولا يقبلون دعوة الحقّ ولا يعترفون بالدين الإلهي، ثمّ ينتهي العالم وينتهي معه كلّ شيء، أو أنّ الهدف من إرسال الرسل والأنبياء ستتحقّق قبل انتهاء هذا العالم وأنّ جميع الناس سيعتنقون الدين الإلهي؟

وفي مقام الجواب عن السؤال أعلاه، ينبغي القبول بهذه الحقيقة، وهي أنّه لا شك

---

١. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٧٨، ص ٢٥٨.

أنّ الفرض الأوّل يستلزم اللغوية والعبثيّة، واللغويّة أو العبثيّة لا تنسجم ولا تتناسب مع الحكمة الإلهيّة، لأنّ العقل يحكم بكلّ وضوح على هذا لأمر، وهو لزوم أن يأتي زمان في هذه الدنيا تتحقّق فيه الغاية الإلهيّة من تشريع الشرائع وإرسال الرسل للناس، وعلى ضوء ذلك فإنّ مسألة المهدويّة تعدّ من المسائل العقليّة البديهيّة.

ـ المحور الثاني: الإثبات النقلي

= أ) **من حيث الآيات القرآنيّة:** ويستفاد من الآيات الكريمة بوضوح إثبات مسألة المهدويّة، لأنّ الآيات الواردة في القرآن الكريم يمكنها حتّى بدون أن تكون هناك رواية تؤيد هذه المسألة، إثبات مسألة المهدويّة، ويستطيع المحقّقون المحترمون لغرض الاطلاع أكثر على هذا الموضوع مراجعة الدراسات المفصلة في هذا المجال[١].

= ب) **من حيث الروايات:** وكذلك يمكن الاستفادة من الروايات الشريفة أيضاً في إثبات مسألة المهدويّة، لأنّه ورد في مسألة المهدويّة ما يقرب من ٦ آلاف رواية مذكورة في كتب الشيعة وأهل السنّة.

وعلى ذلك فالأحاديث المتعلّقة بالإمام المهدي عليه السلام تعتبر من الأحاديث الصحيحة والمتواترة، وفي هذا المجال ادّعى الكثير من أهل السنّة التواتر في الأحاديث، يعني أنّ مسألة المهدويّة لا تختصّ بالشيعة فقط، وهنا نستعرض كلام بعض العلماء الكبار من أهل السنّة الذين تحدّثوا في هذه المسألة:

= أبومحمّد الحسن بن علي بن خلف البربهاري الحنبلي (٢٣٣ ـ ٣٢٩ هـ ق) في كتابه «شرح السنّة» يقول فيما يخصّ هذه المسألة:

«والإيمان بنزول عيسى بن مريم عليه السلام ينزل فيقتل الدجال ويتزوج

---

١. الجدير بالذكر أنّ سماحة الاستاد دامت بركاته ألقى لحدّ الآن أكثر من أربعين درساً وجلسة دراسية حول آيات المهدويّة في القرآن الكريم.

ويصلّي خلف القائم من آل محمّد صلّى الله عليه (وآله) وسلّم ويموت ويدفنه المسلمون»[١].

= الحسن بن محمّد بن الحسين أبري السجستاني الشافعي (... ـ ٣٦٣ هـ ق) في كتابه «مناقب الإمام الشافعي» يقول:

«وقد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم بذكر المهدي وأنّه من أهل بيته وأنّه يملك سبع سنين وأنّه يملأ الأرض عدلاً وأنّ عيسى عليه السلام يخرج فيساعده على قتل الدجال، وأنّه يؤم هذه الأُمّة ويصلّي عيسى خلفه في طول قصّته وأمره»[٢].

= أبوالقاسم علي بن الحسن بن عساكر الشافعي (٤٩٧ ـ ٥٧١ هـ ق) ينقل في كتابه «تاريخ مدينة دمشق»:

«والأحاديث في التنصيص على خروج المهدي أصح إسناداً وفيها بيان كونه من عترة النبي»[٣].

= عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي (٥٠٨ ـ ٥٨١) يقول في كتابه «الروض الأنف في شرح السيرة»:

«ومن سؤودها أيضاً أنّ المهدي المبشر به آخر الزمان من ذريّتها فهي مخصوصة بهذا كلّه والأحاديث الواردة في أمر المهدي كثيرة»[٤].

---

١. شرح السنّة، حسن بن البربهاري، ص٢٧ وطبقات الحنابلة، محمّد بن أبي يعلي، ج ٢، ص ٢٠.

٢. المناقب المنيف في الصحيح الضعيف، محمّد بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي، ص ١٢٢؛ تهذيب التهذيب، أحمد بن على العسقلاني الشافعي، ج ٩، ص ١٢٦.

٣. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل علي بن حسن الشافعي، ج ٤٧، ص ٥١٨.

٤. الروض الأنف في شرح السيرة النبويّة، لأبن هشام عبدالرحمن بن عبدالله الخثعمي السهيلي، ج ١، ص ٢٨٠.

ويقصد بالضمير في «من ذريّتها» فاطمة الزهراءعليها السلام حيث وردت البشارة بأنّ المهديعليه السلام يكون من ذريّتها.

= فخر الدين عبدالله بن محمّد بن يوسف بن محمّد الكنجي المعروف بحافظ الكنجي الشافعي (م ٦٥٨ هـ ق) يقول في كتابه «البيان في أخبار صاحب الزمان»:

«تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفىصلى الله عليه وآله في أمر المهدي»[١].

= أبوحامد عزالدين المعتزلي المعروف بابن أبي الحديد (٥٨٦ ـ ٦٥٦ هـ ق) يقول في كتابه «شرح نهج البلاغة»:

«وقد وقع اتّفاق الفرق من المسلمين أجمعين على أنّ الدنيا والتكليف لا ينقضي إلّا عليه»[٢].

= أبوعبدالله محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي المالكي (٥٧٨ ـ ٦٧١) هـ ق) يقول في كتابه «الجامع لأحكام القرآن» في ذيل الآية ٣٣ من سورة التوبة:

«قال البيهقي في كتاب البعث والنشور... والأحاديث التي قبله في التنصيص على خروج المهدي وفيها بيان كون المهدي من عترة رسول الله صلّى الله عليه و(آله) وسلّم أصحّ إسنادا، قلت: قد ذكرنا هذا وزدناه بياناً في كتابنا (كتاب التذكرة) وذكرنا أخبار المهدي مستوفاة والحمدلله»[٣].

= تقي الدين أحمد بن شهاب الدين الحرّاني الدمشقي الحنبلي ابن تيميّة يعترف

---

١. البيان في أخبار صاحب الزمان، الكنجي الشافعي، الباب ١١؛ ومنتخب الأثر، آية الله العظمى لطف الله الصافي الكلبايكاني دامت بركاته، حاشية ص ٥.

٢. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ٩٦.

٣. الجامع لأحكام القرآن، محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ج ٨، ص ١٢٢؛ والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ص ١٢٠٥.

في كتابه «منهاج السنّة النبويّة»:

«إنّ الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة رواها أبوداود والترمذي وأحمد وغيرهم من حديث ابن مسعود وغيره»[١].

= حافظ ابن حجر العسقلاني الشافعي (٧٧٣ ـ ٨٥٢) يقول في كتابه «فتح الباري بشرح صحيح البخاري»:

«تواترت الأخبار بأنّ المهدي من هذه الأُمّة وأنّ عيسى عليه السلام سينزل ويصلّي خلفه»[٢].

= محمّد بن عبدالرحمن السخاوي (٨٣١ ـ ٩٠٢ هـ ق) يقول في كتابه «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث»:

«أنّها وصلت إلى حدّ التواتر»[٣].

= عبدالرحمن بن كمال أبي بكر بن محمّد سابق الدين الخضيري السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١ هـ ق) المعروف بالسيوطي يقول في كتابه «الحاوي للفتاوى»:

«الأحاديث الواردة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله هي نص على خروج المهدي ومن أولاد فاطمة وهي ثابتة وقد ثبتت هذه الأحاديث وقابلة للاستناد، والأخبار مستفيضة مع كثرة الرواة لها عن النبي صلى الله عليه وآله في أمر ظهور المهدي عليه السلام، وهو الشخص من أهل بيت النبي ويحكم سبع سنوات ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً»[٤].

= محمّد بن عبدالرسول الشافعي البرزنجي (١٠٤٠ ـ ١١٠٣ هـ ق) يقول في

---

١. منهاج السنّة النبويّة، ابن تيميّة، ج ٤، ص ٢١١.
٢. فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج ٦، ص ٣٩٣ ـ ٣٩٤.
٣. نظم المتناثر من الحديث المتواتر، محمّد بن جعفر الكتاني، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٨.
٤. نظم المتناثر من الحديث المتواتر، محمّد بن جعفر الكتاني، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٨.

كتابه «الإشاعة لأشراط الساعة» مشيراً في عدّة موارد من هذا الكتاب إلى تواتر أحاديث المهدويّة:

«واعلم أنّ الأحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها لا تكاد تنحصر... قد علمت أنّ أحاديث وجود المهدي وخروجه آخر الزمان وأنّه من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة بلغت حدّ التواتر المعنوي فلا معنى لانكارها... وغاية ما ثبت بالأخبار الصحيحة الكثيرة الشهيرة التي بلغت حدّ التواتر المعنوي وجود الآيات العظام التي منها بل أوّلها خروج المهدي وأنّه يأتي في آخر الزمان من ولد فاطمة يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً»[١].

= شمس الدين محمّد بن أحمد سالم السفاريني النابلسي الحنبلي (١١١٤ ـ ١١٨٨ هـ ق) في كتابه «لوائح الأنوار البهيّة وسواطع الأسرار الأثريّة» في شرح كتاب «الدرة المضيئة في عقد الفرقة المرضيّة»:

«وقد كثرت بخروجه الروايات حتّى بلغت حدّ التواتر المعنوي وشاع ذلك بين علماء السنّة حتّى عدّ من معتقداتهم»[٢].

= محمّد بن علي صبّان الشافعي المصري (...ـ ١٢٠٦ هـ ق) يقول في كتابه «إسعاف الراغبين في سيرة وفضائل أهل بيته الطاهرين»:

«تواترت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله بخروجه وأنّه من أهل بيته وأنّه يملأ الأرض عدلاً»[٣].

---

١. الإشاعة لاشراط الساعة، محمّد بن عبدالرسول الحسيني الشهرزوري البرزنجي، ص ٨٧، ص ١١٢.

٢. نظم المتناثر من الحديث المتواتر، محمّد بن جعفر الكتاني، ص ٢٢٥ إلى ٢٢٨.

٣. إسعاف الراغبين في حاشية نور الأبصار، محمّد صبّان، ص ١٤٠.

= القاضي محمّد بن علي الشوكاني الصنعاني (١١٧٣ ـ ١٢٥٠ هـ ق) يقول في كتابه «التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجّال والمسيح» ضمن إثبات تواتر الروايات الواردة بالنسبة للإمام المهدي عليه السلام، وأنّ الإمام المهدي عليه السلام هو المصلح الموعود للعالم وبقيّة الله وهو من أولاد وذريّة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ويقول:

«والأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها... متواترة بلا شكّ ولا شبهة، بل يصدق وصف التواتر على ما هو دونها على جميع الاصلاحات المحرزة في الأصول، وأمّا الآثار عن الصحابة المصرحة بالمهدي فهي كثيرة أيضاً... إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك»[١].

= محمّد صديق حسن خان البخاري القنوجي(١٢٤٨ـ١٣٠٧ هـ ق) وهو عالم سلفي المسلك هندي يقول في كتابه «الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة»:

«الأحاديث الواردة في المهدي على اختلاف رواياتها كثيرة جدّاً تبلغ حدّ التواتر المعنوي وهي في السنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد»[٢].

= السيّد مؤمن بن السيّدحسن مؤمن الشبلنجي الشافعي (١٢٥٠ ـ ١٣٠٨ هـ ق) يقول في كتابه «نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار صلى الله عليه وآله»:

«تواترت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه من أهل بيته وأنّه يملأ الأرض عدلاً»[٣].

---

١. غاية المأمول في شرح التاج الجامع للأصول، محمّد البطاشي، ج ٥، ص ٣٢٧؛ وموسوعة الإمام المهدي عليه السلام، ص ٣٩١أو يقول في مسألة نزول النبي عيسى عليه السلام: «فتقرر أنّ الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة والأحاديث الواردة في الدجّال متواترة والأحاديث الواردة في نزول عيسى متواترة».

٢. الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة، محمّدصديق خان البخاري القنوجي، ص ١٢٢ ـ ١٤٥ ـ ١٤٦.

٣. نور الأبصار، السيّد مؤمن الشبلنجي الشافعي، ص ١٧١.

= أبوعبدالله محمّد بن جعفر إدريس المشهور بـالكتاني (... ـ ١٣٤٥ هـ ق) يقول في كتابه «نظم المتناثر من الحديث المتواتر»:

«خروج الموعود المنتظر الفاطمي... وقد نـقل غـير واحـد عـن الحـافظ السخاوي أنّها متواترة... »[١].

= الشيخ منصور بن علي ناصف (... ـ ١٣٧١ هـ ق) يقول فـي كـتابه «التـاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول»، من العلماء الكبار المعاصرين «شيخ جامعة الأزهر»:

«اشتهر بين العلماء سلفاً وخلفاً أنّه في آخر الزمان لابدّ من ظهور رجل من أهل البيت يسـمى المـهدي يسـتول عـلى المـمالك الإسـلاميّة ويـتبعه المسلمون ويعدل بينهم ويؤيد الدين، وبعده يظهر الدجال وينزل عـيسى عليه السلام فيقتله أو يتعاون عيسى مع المهدي عـلى قـتله، وقـد روى أحاديث المهدي جماعة من خيار الصحابة وخرجها أكابر المحدّثين كأبي داود، والترمذي، وابن ماجه، والطبراني، وأبي يعلي، البزاز، والإمام أحمد، والحاكم رضى الله عنهم أجمعين، ولقد أخطأ من ضعّف أحاديث المهدي كلّها كان كابن خلدون وغيره، وما روى من حديث: لا مهدي إلّا عيسى بن، فضعيف كما قاله البيهقي والحاكم وغيرهما»[٢].

= محمّد ناصر الدين الآلبـاني (١٣٣٣ ـ ١٤٢٠ هـ ق) مـن عـلماء الشـافعيّة ووهابي المسلك يقول في كتابه «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشـيء مـن فـقهها وفوائدها»:

«وما مثل هؤلاء إلّا كمثل من ينكر عقيدة نزول عيسى عليه السلام وفـي

---

١. نظم المتناثر من الحديث المتواتر، محمّد بن جعفر الكتاني، ص ٢٢٥ إلى ٢٢٨.

٢. التاج الجامع للأصول الشيخ منصور بن علي ناصف، ج ٥، ص ٣١٠.

آخر الزمان التي تواتر ذكرها في الأحاديث الصحيحة... وأكاد أقطع أنّ كلّ من أنكر عقيدة المهدي ينكرها أيضاً، وبعضهم يظهر ذلك من فلتات لسانه وإن كان لا يبيّن وما مثل هؤلاء المنكرين جميعاً عندي إلّا كما لو أنكر رجل أُلوهيّة الله عزّ وجلّ بدعوى أنّه ادّعاها بعض الفراعنة»[١].

ـ النقطة الثانية: ردّ أدلة المنكرين ضمن محورين:

ـ المحور الأوّل: بيان أدلة المنكرين

بالرغم من وجود أدلّة عقليّة ونقلية كثيرة جدّاً على مسألة المهدويّة ولكن مع الأسف أنّ بعض الأشخاص المغرضين أو الجاهلين تحركوا على صعيد انكار هذه العقيدة الإسلاميّة الأصيلة، والشخص الذي رفع لواء هذا التيار هو أبوزيد عبدالرحمن بن محمّد بن خلدون الخضرمي المعروف بابن خلدون (٧٣٢ ـ ٨٠٨ هـ ق) وهو معروف من المؤرخين وعلماء الاجتماع العرب وليس له باع في علم الحديث.

يقول ابن خلدون في كتابه: «**العِبَر وديوانُ المبتدَأ والخبر في أيّام العرب والعَجم والبَربر ومَن عاصرهم مِن ذَوي السُّلطان الأكبر**» بعد ذكر بعض الروايات المتعلّقة بالمهدويّة ونقد سندها، ورغم اعترافه بأنّ مسألة الاعتقاد بالمهدي مورد اتفاق جميع المسلمين في القرون المتمادية، ولكن مع غاية العجب لجأ إلى التشكيك في مسألة المهدويّة، وطبعاً جاء بعده أيضاً وبخاصّة في المرحلة المعاصرة بعض أتباعه ومقلّديه مثل محمّد رشيد ابن علي الرضا بن محمّد القلموني (١٢٨٢ ـ ١٣٥٤ هـ ق) في تفسير

---

١. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمّد ناصر الدين آشقودري الآلباني، ج ١، ص ٤٣.

«المنار»[١]، وأحمد بن أمين إبراهيم الطباخّ المصري (١٣٠٤ ـ ١٣٧٤ هـ ق) في كتبه «المهدي والمهدويّة» و«ضحى الإسلام» وآخرون من الكتّاب المعاصرين الذين اتبعوا ضلالة ابن خلدون ووضعوا إنكار عقيدة المهدويّة على رأس أعمالهم ونشاطاتهم العلميّة حسب الظاهر، وضمن البحث في هذه المسألة تمسّكوا بخيوط العنكبوت التي نسجها ابن خلدون في مسألة المهدي عليه السلام، وغفلوا عن أنّ المحطة الكبيرة التي تصوّروها وقصدوا التحليق منها، هي أضعف محطة وأوهى مستند.

وعلى أيّة حال، فإنّ ابن خلدون يذكر في القسم الأوّل من الفصل الثالث والخمسين في الجزء الرابع من كتابه تحت العنوان: «**في أمر الفاطمي وما يذهب إليه الناس من شأنه وكشف الغطاء عن ذلك، القسم الأوّل**» يعترف بأنّه:

«**اعلم أنّ في المشهور بين الكافّة من أهل الإسلام على ممرّ الأعصار أنّه لابدّ في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الإسلاميّة ويسمّى بالمهدي... ويكون خروج الدجّال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره... وأنّ عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجّال أو ينزل معه فيساعده على قتله ويأتمّ بالمهدي في صلاته....**»[٢].

وبعبارة أخرى، إنّ ابن خلدون في ذات كونه يعترف في مقدّمة كلامه أنّ جميع المسلمين في جميع القرون السالفة متّفقون على ظهور رجل من ذريّة النبي

---

١. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج ١، ص ٣٩٣، يقول: «الترجمة بعداً....»، وكذلك يقول في تفسير المنار، ج ٩، ص ٤٩٩؛ ويقول: «ترجمة بعداً...».

٢. ابن خلدون، ص ٢٤٥.

الأكرم صلى الله عليه وآله في آخر الزمان واسمه المهدي عليه السلام، وكذلك يخرج رجل يسمّى الدجّال، وينزل النبي عيسى عليه السلام، ومع اعترافه هذا بأنّ الروايات المتعلّقة بالإمام المهدي عليه السلام كثيرة في كتب الحديث لدى أهل السنّة، يقول:

«فنقول إنّ جماعة من الأُمّة خرجوا أحاديث المهدي منهم الترمذي وأبوداود والبزّاز وابن ماجة والحاكم الطبراني وأبو يعلي الموصلي وأسندوها إلى جماعة من الصحابة مثل علي وابن عباس وابن عمر وطلحة وابن مسعود وأبي هريرة وأنس وأبي سعيد الخدري وأُم حبيبة وأُم سلمة وثوبان وقرّة بن إياس وعلي الهلالي وعبدالله بن الحارث بن جزء بأسانيد»[١].

ومع هذه الحال يقول إنّ أكثر الأحاديث المتعلّقة بالإمام المهدي عليه السلام من جهة السند ضعيفة وقابلة للنقد، لأنّه يعتقد بوجود بعض الأشخاص في سند هذه الروايات متهمون بالنسيان والغفلة.

«ربّما يعرض لها المنكرون كما نذكره إلّا أنّ المعروف عند أهل الحديث أنّ الجرح مقدّم على التعديل فإذا وجدنا طعناً في بعض رجال الأسانيد بغفلة أو بسوء حفظ أو ضعف أو سوء رأي تطرق ذلك إلى صحة الحديث...»[٢].

وفي نهاية كلامه وبعد التحقيق في سند هذه الروايات يضيف ابن خلدون:

«فهذه جملة من الأحاديث التي خرجها الأئمّة في شأن المهدي وخروجه آخر الزمان وهي كما رأيت لم يخلص منها من النقد إلّا القليل والأقل منه»[٣].

---

١. ابن خلدون، ص ٢٤٥.

٢. المصدر السابق.

٣. المصدر السابق.

ـ المحور الثاني: ردّ أدلّة المنكرين

بالرغم من أنّه تبيّن من مطاوي الكلام المتقدّم ردّ نظريّة ابن خلدون وأتباعه، ولكن نرى من اللازم هنا بيان عدّة أجوبة في ردّ منهج ابن خلدون ومقلّديه في هذا الموضوع:

=الجواب الأوّل: عدم الحاجة لبحث السند في الروايات المتواترة

وخلافاً لرأي ابن خلدون وأتباعه، فإنّ الرواية المتواترة لا حاجة لها بدراسة سندها، على هذا الأساس فإنّ ادّعاء ابن خلدون في التحقيق السندي للروايات المتواترة يحكي عن ضعفه العلمي في علم الدراية، لأنّه من المعلوم أنّ مسألة تحقيق السند إنّما تكون في مورد رواية خبرالواحد، ولكن بالنسبة للروايات المتواترة فلا حاجة لها أبداً بتحقيق السند، وبديهي أنّ ما يستند اليه المسلمون فيما يخصّ عقيدتهم بالإمام المهدي عليه السلام لا يعود لعدّة روايات من أخبار الآحاد الضعيفة، بل هذا الأمر مورد اتّفاق جميع المسلمين إلى درجة أنّ أكثر من مئتي عالم من علماء أهل السنّة كتبوا في هذا الموضوع، بشكل مستقل أو غير مستقل، وفي قرون مختلفة، ومن جملة من تحدّث وكتب في هذا الموضوع في القرون التالية:

= القرن الثالث:

كتاب «**صاحب الزمان**» تأليف أبو العنبس محمّد بن إسحاق بن إبراهيم الكوفي قاضي صمرة (م ٢٧٥ هـ ق)،كتاب «**أخبار المهدي**» تأليف عباد بن يعقوب الرواجني (... ـ ٢٥٠ هـ ـ ق)،كتاب «**أحاديث المهدي**» أبوبكر بن أبي خيثمة (.. ـ ٢٧٩ هـ ق) كتاب «**المهدي**» تأليف أبوداود السجستاني (... ـ ٢٧٥ هـ ق) و...

= القرن الرابع:

كتاب «أحاديث المهدي» أبوالحسين أحمد بن جعفر المنادي الحنفي (٢٥٦ ـ ٣٣٦ هـ ق) و...

= القرن الخامس:

كتاب «ذكر المهدي ونعوته في حقيقة مخرجه، أربعين حديث في المهدي»، وكتاب «مناقب المهدي»، وكتاب «نعت المهدي» تأليف أبونعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني (م ٤٣٠ هـ ق) و...

= القرن السادس:

كتاب «الأربعون حديثاً في المهدي»، تأليف الحافظ أبوالعلاء محمّد بن عطّار الهمداني (٤٨٨ / ٤٨٣ ـ ٥٦٧ / ٥٦٩ هـ ق)، وكتاب «الأربعون حديثاً في المهدي» تأليف سراج الدين المحدّث البغدادي من أعلام القرن السادس هـ ق و...

= القرن السابع:

كتاب «أحوال صاحب الزمان» تأليف سعدالدين محمّد بن مؤيد الحموني (٥٨٦ ـ ٦٥٠ هـ ق)، وكتاب «العرف الوردي في أخبار المهدي» تأليف يوسف بن يحيى الدمشقي الشافعي (م ٦٨٥ ـ هـ ق)، وكتاب «البيان في أخبار صاحب الزمان» تأليف محمّد بن يوسف الكنجي الشافعي ((م ٦٥٨ هـ ق) وكتاب «عقد الدرر في أخبار المهدي المنتظر» تأليف يوسف بن يحيى السلمي الدمشقي الشافعي المغربي (م ٦٨٥ ـ هـ ق).

= القرن الثامن:

كتاب «المهدي» تأليف ابن قيم الجوزي (م ٧٥١ هـ ق)، كتاب «أحاديث المهدي» تأليف ابن كثير القرشي (م ٧٧٤ هـ ق) و...

= القرن التاسع:

كتاب «القول المختصر في علامات المهدي المنتظر»، تأليف شهاب الدين

أحمد بن محمّد الهيثمي الشافعي (م٨٢٩ هـ ق)، كتاب «القول المختصر في علامات المهدي المنتظر» تأليف شهاب الدين ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ ـ ٨٥٢ هـ ق) و....

= القرن العاشر:

كتاب «رسالة في المهدي» تأليف ابن حجر المكي (... ـ ٩٧٣ هـ ق) كتاب «العرف الوردي في أخبار المهدي» وكتاب «علامات المهدي» وكتاب «نبذة من علامات المهدي» تأليف جلال الدين السيوطي (م٩١١ هـ ق) كتاب «القول المنتصر في علامات المهدي المنتظر» تأليف أحمد بن حجر الهيثمي المكي (م٩٧٣ هـ ق) كتاب «المهدي إلى ما في ورد في المهدي» تأليف محمّد بن طولون الدمشقي (م ٩٥٣ هـ ق) «ارتقاء العرف» تأليف شمس الدين محمّد بن عبدالرحمن السخاوي (م٩٠٤ هـ ق) كتاب «البرهان في علامات مهدي آخر الزمان وفتح المغيث بشرح الفية الحديث» وكتاب «تلخيص البيان في أخبار مهدي آخر الزمان» تأليف الملا علي المتقي الهندي (م ٩٧٥ هـ ق)، كتاب «تلخيص البيان في أخبار / علامات مهدي آخر الزمان» تأليف ابن كمال باشا الخنفي (م٩٤٠ هـ ق)و...

= القرن الحادي عشر:

كتاب الرد من حكم وقضى أنّ المهدي جاء ومضى» وكتاب «المشرب الوردي في مذهب / أخبار المهدي» ورسالة «مهدي من آل الرسول» تأليف الملا علي بن سلطان القاري الحنفي (م ١٠١٤ هـ ق) كتاب «فوائد الفكر في المهدي المنتظر» وكتاب «فرائد الفواد» وكتاب «مرآة الفكر في المهدي المنتظر» تأليف الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الشافعي (م ١٠٣٣ هـ ق) كتاب «النجم الثاقب في بيان أنّ المهدي من أولاد أبي طالب» تأليف

شمس الدين محمّد بن عبدالرحمن العقيلي الشافعي (م ١٠٠١ هـ ق) كتاب «العواصم عن الفتن القواصم» تأليف علي بن برهان الدين الحلبي (٩٧٥ ـ ١٠٤٤ هـ ق) كتاب «تلخيص البيان في علامات مهدي آخر الزمان» تأليف حنيف الدين عبدالرحمن المرشدي العمري الحنفي (م ١٠٧٣ هـ ق) و...

= **القرن الثاني عشر:**

كتاب «الأحاديث القاضية بخروج المهدي» تأليف محمّد بن إسماعيل أمير اليماني (١٠٩٩ ـ ١١٨٢ هـ ق) كتاب «الهدية الندية للأُمّة المحمديّة فيما جاء في فضل الذات المهديّة» تأليف قطب الدين مصطفى بن كمال الدين البكري الحنفي (م١١٦٢ هـ ق) كتاب «العرف الوردي في دلائل المهدي» تأليف عيدروس، وجيه الدين أبي الفضل عبدالرحمن مصطفى اليمني الحضرمي التريمي الشافعي (١١٣٥ ـ ١١٩٢ هـ ق) و...

= **القرن الثالث عشر**

كتاب «التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجّال والمسيح» تأليف القاضي محمّد بن علي الشوكاني (م ١٢٥٠ هـ ق) كتاب «الهدية المهدوية» تأليف أبوالرجاء محمّد الهندي حيدر آبادي (م ١٢٩٠ هـ ق) و...

= **القرن الرابع عشر:**

كتاب «أبراز الوهم من كلام ابن حزم» تأليف أحمد بن صديق البخاري (م١٣٤٨ هـ ق) كتاب «تحديد النظر في أخبار المهدي المنتظر» تأليف محمّد بن عبدالعزيز بن مانع بن محمّد بن عبدالله بن محمّد بن إبراهيم الوهيبي (١٣٠٠ ـ ١٣٨٥ هـ ق) كتاب «العرف الوردي في شرح القطر الشهدي في أوصاف المهدي» تأليف محمّد بن محمّد بن أحمد الحسيني البليسي (م ١٣٠٨ هـ ق)، كتاب «القطر الشهدي في أوصاف المهدي» تأليف

شهاب الدين أحمد بن أحمد بن إسماعيل الحلواني الشافعي (م ١٣٠٨ هـ ق) كتاب «ابراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون» و«المرشد المبدي لفساد طعن ابن خلدون في أحاديث المهدي» تأليف أحمد بن محمّد بن صديق الغماري الشافعي المغربي (م ١٣٨٠ هـ ق)، كتاب «النظم الواضح المبين» تأليف عبدالقادر بن محمّد بن محمّدسالم المجلسي (١٢٤١ ـ ١٣٣٧ هـ ق)، كتاب «الجواب المقنع المحرر في الردّ على من طعن وتبحر بدعوى أنّه عيسى ابن المهدي المنتظر» تأليف الشيخ محمّد حبيب الله بن مايابّى الجكني الشنقيطي (١٢٩٥ ـ ١٣٦٣ هـ ق) و...

= **القرن الخامس عشر:**

كتاب «تنوير الرجال في ظهور المهدي والدجّال» تأليف رشيد الراشد التادفي الحلبي بن مصطفى الحنبلي (١٢٩٨ ـ ١٤١٠ هـ ق) كتاب «عقيدة أهل السنّة والأثر في المهدي المنتظر» عبدالحسين بن حمد العباد (١٣٥٣ ـ ١٤١٨ هـ ق) تأليف رئيس الجامعة الإسلاميّة في المدينة المنورة «الفتوى في مسألة المهدي المنتظر» تأليف الشيخ محمّد منتصر الكتاني مدير المجمع الإسلامي في المدينة المنورة، كتاب «المهدي» تأليف إدريس بن محمّد بن العابد الحسيني العراقي (١٣٣٦ ـ ١٤٣٠ هـ ق) استاذ جامعة قزويين الواقعة في مدينة فاس في دولة المغرب و...

الجواب الثاني: مناقشة الكثير من العلماء أهل السنّة لرأي ابن خلدون

لقد واجه تحليل ابن خلدون للروايات والأحاديث الواردة في مسألة المهدي إشكالات كثيرة طرحت من قِبل أهل السنّة، وفي مقام الجواب عن هذه الرؤية قام بعضهم بتأليف كتاب مستقل في الردّ على ابن خلدون وذهب بعض آخر أيضاً إلى اختصاص فصل خاص بهذه المسألة في مطاوي كتبهم ومؤلفاتهم، وعلى أية حال،

فالعنصر المشترك في جميع هذه الكتب والمؤلفات التأكيد على الخطأ الفاحش الذي وقع فيه ابن خلدون في هذه المسألة، وهنا نستعرض بعض كلمات هؤلاء العلماء:

= أحمد بن محمّد بن صديق الغماري الشافعي المغربي (... ـ ١٣٨٠ هـ ق) يذكر في كتابه «إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون» إشكالات ابن خلدون ويجيب عنها بالتفصيل، على سبيل المثال يقول:

«إن ابن خلدون ليس له مكان في هذا الوادي... ولا سهم له في هذا المجال، إذن فكيف يمكن الاعتماد عليه في تحقيق هذه المسائل»[١]

= صديق حسن خان القنوجي، الذي يذكر بالتفصيل نظرية ابن خلدون في كتابه «الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة» ويتعرّض لنقدها وردّها، يقول:

«فلا معنى للريب في أمر ذلك الفاطمي الموعود المنتظر المدلول عليه بالأدلّة بل إنكار ذلك جرأة عظيمة في مقابلة النصوص المستفيضة المشهورة البالغه حدّ التواتر»[٢]

= محمّد بن ناصر الدين الآلباني في «رسالة حول المهدي» تمّ نشرها في مجلة «التمدن الإسلامي، يقول:

«أمّا مسألة المهدي فليعلم أنّ في خروجه أحاديث كثيرة صحيحة قسم كبير منها له أسانيد صحيحة... وخلاصة القول إنّ عقيدة خروج المهدي عقيدة ثابتة متواترة عنه ـ صلّى الله عليه وسلم ـ يجب الإيمان بها لأنّها من أمور الغيب والإيمان بها من صفات المتقين، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا

---

١. إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون، الغماري، ص ٤٤٣.

٢. الإذاعة لما كان أو يكون بين يدي الساعة، محمّد صديق خان البخاري القنوجي، ص ١٢٢ ـ ١٤٥ - ١٤٦.

رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[١] وإنّ إنكارها لا يصدر إلّا من جاهل أو مكابر»[٢].

= محمّد بن جعفر الأدريسي المشهور بالكتاني في كتاب «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» يقول:

«ولولا مخافة التطويل لأوردت هاهنا ما وقفت عليه من أحاديثه لأنّي رأيت الكثير من الناس في هذا الوقت يتشككون في أمره ويقولون يا ترى هل أحاديثه قطعيّة أم لا؟ وكثير منهم يقف مع كلام ابن خلدون ويعتمده مع أنّه ليس من أهل هذا الميدان والحقّ الرجوع في كلّ فن لأربابه».

الجواب الثالث: اعتراف ابن خلدون بصحّة أربع روايات معارضة لرأيه

ومن بين مئات بل آلاف الأحاديث والروايات الواردة في المنابع الروائيّة لأتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام ومصادر أهل السنّة فقد قام ابن خلدون بانتقاء القليل من الروايات الواردة في هذا الشأن ونقدها وتمحيصها والحكم على هذه الروايات المعدودة وإيجاد التشكيك فيها، ومعلوم أنّ مثل هذا العمل خالٍ من الدقّة العلميّة وبعيد من الانصاف ولا يعدّ لدى أهل العلم والخبرة عمل علمي.

ومع ذلك لم يلتزم ابن خلدون في إظهار رأيه في موضوع المهدويّة حتّى بالمنهج الذي ارتضاه لنفسه، لأنّه بحسب تصريحه ونقله أنّه توجد من بين هذه الروايات الكثيرة أربع روايات صحيحة ومقبولة وقد ذكرها في هذا الفصل، والمهم أنّه يؤكد على صحّة سندها ووثاقة رواتها في أسنادها، ولكنّه للأسف أصرّ على إلتزام جانب الخطأ في الحكم.

---

١. سورة البقرة، الآية ٢ و ٣.

٢. مجلة التمدن الإسلامي الدمشقيّة، العدد ٢٧ و ٢٨، السنة ٢٢، ص ٦٢٢ ـ ٦٢٦.

وهنا نستعرض هذه الروايات الأربع التي استند إليها ابن خلدون وحكم بموجبها.

الرواية الأُولى:

«...أمّا الترمذي فخرج هو وأبوداود بسنديهما إلى ابن عباس من طريق عاصم عن أبي النجود أحد القرّاء السبعة إلى زر بن حبيش عن عبدالله بن مسعود عن النبي... لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم لطول الله ذلك اليوم، حتّى يبعث الله فيه رجلاً منّي...»[١].

وبعد أن يذكر ابن خلدون أسناد هذا الحديث بطرق أخرى يقول:

«وكلاهما حديث حسن صحيح»[٢]

الرواية الثانية:

«ما رواه الحاكم من طريق سليمان بن عبيد، عن أبي الصديق الناجي عن رسول الله.. قال: يخرج آخر أُمّتي المهدي يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها ويعطي المال صحاحاً»[٣].

وبعد أن يذكر ابن خلدون هذا الحديث ينقل عن قول الحاكم النسيابوري أنّه قال في سند هذا الحديث:

«حديث صحيح الاسناد»[٤].

الرواية الثالثة:

«... ورواه الحاكم أيضاً من طريق عوف الأعرابي عن أبي الصديق الناجي

---

١. ابن خلدون، المقدّمة، ص ٢٤٦.

٢. المصدر السابق.

٣. المصدر السابق، ١٤٩.

٤. المصدر السابق، ١٤٩.

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله...: لا تقوم الساعة حتّى تملأ الأرض جوراً وظلماً وعدواناً، ثمّ يخرج من أهل بيتي رجل يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً»[١].

وبعد أن يذكر ابن خلدون هذا الحديث يقول بدون أي توضيح:

«قال فيه الحاكم هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»[٢].

الرواية الرابعة:

«وخرج أبوداود أيضاً عن أُم سلمة من رواية صالح أبي الخليل عن صاحب له عن (وخرج أبوداود أيضاً عن أُم سلمة من رواية صالح (بن) أبي الخليل عن صاحب له عن أُم سلمة قال ﷺ: يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكّة، فيأتيه ناس من أهل مكّة فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام فيبعث إليه بعث من (أهل) الشام، فيخسف بهم البيداء بين مكّة والمدينة، فإذا رأى الناس ذلك، أتاه أبدال أهل الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه (بين الركن والمقام) ثمّ ينشأ رجل من قريش أخواله كلب، فيبعث إليهم بعثاً فيظهرون عليهم وذلك بعث كلبٍ والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلبٍ فيقسّم المال ويعمل في الناس بسنّة نبيّهم صلّى الله عليه وسلم ويُلقي الإسلام بجرانه على الأرض فيلبث سبع سنين وقال بعضهم تسع سنين»[٣].

وبعد أن يذكر ابن خلدون هذا الحديث، يعترف بهذه الحقيقة ويقول:

---

١. ابن خلدون، المقدمة، ص ١٤٨.

٢. المصدر السابق.

٣. المصدر السابق، ص ٢٤٧.

«... ثمّ رواه أبوداود من رواية أبي خليل عن أبي عبدالله بن الحارث عن أُم سلمة... ورجاله رجال الصحيحين لا مطعن فيهم ولا مغمز»[١].

وعلى ضوء ذلك، فالصحيح أنّه ينبغي على ابن خلدون في الحدّ الأدنى أن يذعن لهذه الروايات الأربع التي ثبت له صحّة أسانيدها ويعترف بهذه النتيجة الحاسمة في إثبات موضوع المهدويّة ويكتفي بهذه الروايات الصحيحة، ومعلوم أنّه طبقاً لهذا المنهج أنّ ابن خلدون يستطيع بشكل طبيعي أن يجعل سائر الأحاديث الصحيحة مؤيدة لهذا الموضوع أيضاً فيما لو تحرّك في عمليّة الحكم واختيار الموقف من موقع الانصاف والتحقيق العلمي، لأنّ الكثير من المسائل الاعتقاديّة يكفي في إثباتها هذا المقدار أيضاً.

الأمر الرابع: الظهور المفاجيء أو بعد وقوع العلامات

وإحدىٰ النقاط المهمّة في البحث الحاضر فيما يتّصل بوقوع الظهور من حيث كيفيّة تحقّق الظهور، وهنا توجد مسألتان، وهما عبارة عن:

المسألة الأُولى: وقوع الظهور بعد تحقّق علاماته

لقد ورد في كتب الحديث والمصادر الروائيّة أكثر من ألفي علامة للظهور ومن علامات يوم القيامة أيضاً، وبالإمكان تقسيمها، أربعة أقسام: «الفتن» و«الملاحم» و«علائم الظهور» و«أشراط الساعة»، والآن إذا أردنا أن نجعل هذا البحث مبنى للتحقيق وأساس للدراسة ينبغي القول إنّه توجد في المنابع الروائيّة طائفتان من علامات الظهور، وهي عبارة عن:

الطائفة الأُولى: العلامات الحتميّة[٢]

أمّا العلامات الحتميّة لظهور الإمام المهدي عليه السلام فتقال للعلامات التي ستحدث

---

١. ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٤٧.

٢. أُنظر: الغيبة، الشيخ النعماني رحمه الله، ص ٣٠٠ «من الأمر المحتوم».

قطعاً كما هو الموافق لبعض الروايات، والتي يبلغ عددها خمس علامات، بعضها يحدث قبل ظهور الإمام، وبعضها يحدث بعد ظهوره وفي زمان حكومته، ولكن تطلق على هذه العلائم بشكل تسامحي على هذه العلامات الخمس أنّها علامات الظهور، ينقل عمر بن حنظلة في هذا الصدد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«خَمْسُ عَلَامَاتٍ قَبْلَ قِيامِ القَائِمِ الصَّيحَةُ وَالسُّفيَانِيُّ وَالخَسفُ وَقَتلُ النَّفسِ الزَّكِيَّةِ وَاليَمَانُيُّ»[١].

وعلى ضوء ذلك، نرى من اللازم بهذه المناسبة أن نتحدّث بشيء من الاختصار عن كلّ واحدة من هذه العلامات:

أ) الصيحة أو النداء السماوي

الصيحة، أصلها من «يصح» وتعني «الصوت العالي والصراخ»[٢]، أو الصيحة أو النداء السماوي الوارد في الروايات الشريفة بوصفه إحدى العلامات الحتميّة لظهور الإمام المهدي عليه السلام، وتعني النداء الواضح والمرتفع الذي يتضمن الاقرار ومشروعيّة وحقانيّة النهضة الإلهيّة للإمام صاحب الزمان عليه السلام بحيث يصل هذا النداء إلى جميع أفراد البشر في العالم من كلّ قومٍ ولغة ويفهمه جميع الناس، لأنّ الإمام الصادق عليه السلام قال:

«.. عِامٌّ يَسْمَعُ كُلُّ قَوْمٍ بِلِسانِهِم»[٣].

وطبعاً فإنّ الأحاديث الشريفة صرحت بأنّ هذا النداء يصدر من قِبل جبرئيل عليه السلام[٤]، وطبقاً لبعض الروايات أنّ هذا النداء يسمع في ليلة الثالث عشر من

---

١. كمال الدين، الشيخ الصدوق رحمه الله، ج ٢، ص ٦٤٩.
٢. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي عليه السلام، ج ٦، ص ٣٠٧.
٣. كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج ٢، ص ٦٥٠.
٤. إثبات الهداة، الشيخ الحرّ العاملي رحمه الله، ج ٣، ص ٧٣٥.

شهر رمضان المبارك[١].

ب) خروج السفياني

وإحدى الحوادث التي ستقع في عالم البشر قبل ظهور منقذ الأُمّة الإسلاميّة ومصلح العالم، ظهور رجل يدعى بالسفياني وهو شخص مجرم وجبّار ويصل نسبه لبني أُميّة ويكون خروجه علامة من العلامات الحتميّة لظهور الإمام المهدي عليه السلام ويعتبر هذا الشخص من أشدّ الأشخاص إجراماً وقساوة وسفكاً للدماء، بمعنى أنّه لا يوجد أي شيء من العاطفة والإنسانيّة في قلبه، ويقتل الناس بدم بارد كما تقتل الحشرات ويرتكب أفضع الجرائم وأسوء الجنايات في حقّ البشريّة، ويتبوأ مرتبة خاصّة في قساوة القلب ودناءة الطبع، يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إِنَّ أَمْرَ السُّفيَانِيِّ مِنَ الأَمرِ المَحتُومِ وَخُرُوجُهُ فِي رَجَبٍ»[٢].

ج) قتل النفس الزكيّة

وإحدىٰ العلامات الحتميّة للظهور والتي ستقع قبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام في مدّة خمسة عشر ليلة ومكانها في المسجد الحرام وبين الركن والمقام، هي استشهاد شاب طاهر يدعى بـ «النفس الزكيّة»، وطبعاً فإنّ وجه تسميته بالنفس الزكيّة، وإنّ هذا الشاب سيقتل بدون أي ذنب اقترفه وسبب شهادته مجرّد أنّه أبلغ الناس شفوياً بقرب خروج المهدي وطلب من أهل مكّة الانضمام إلى حركة الإمام المهدي عليه السلام ومدّ يد العون له.

د) الخسف في البيداء (خسف الأرض تحت أقدام جيش السفياني)

الخسف في اللغة يعني إنهيار بقعة من الأرض[٣]، والبيداء في اللغة تعني الصحراء

---

١. الغيبة، الشيخ النعماني رحمه الله، ص ٢٥٤؛ عقد الدرر في أخبار المنتظر، يوسف بن يحيى المقدسي الشافعي السلمي، ص ١٠٥.

٢. كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق رحمه الله، ص ٦٥٠.

٣. مجمع البحرين، فخرالدين الطريحي، ج ١، ص ٦٤٦.

أو الأرض الواسعة الخالية من السكان والماء والعلف، ومثل هذه الأرض توجد على أطراف مكّة والمدينة، وعلى ضوء ذلك، فالمراد من الخسف في البيداء: يعني إنهيار الأرض تحت أقدام جيش السفياني، وهذا الخسف ورد في الأحاديث الشريفة أنّه من العلامات الحتميّة للظهور.

وفي بيان هذه العلامة ورد أنّ جيش السفياني عندما يخرج من المدينة لحرب الإمام المهدي عليه السلام ويتوجّه هذا الجيش إلى مكة المكرمة ويصل إلى الصحراء الواقعة بين مكّة والمدينة، فإنّ الأرض تفتح فمها وتبلع أفراد جيش السفياني وتنطبق عليهم، وطبعاً فإنّ هذه الحادثة ستقع بعد شهر واحد من ظهور الإمام المهدي عليه السلام، ومن هذه الجهة فإنّ الخسف في البيداء ليس من علامات الظهور بل من علامات قيام المهدي عليه السلام.

هـ) قيام اليماني

وبالتزامن مع حركة السفياني في الشام بوصفه ألد أعداء الإمام المهدي عليه السلام سيخرج رجل من أولا «زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام أخ الإمام محمّد الباقر عليه السلام» في اليمن لتأييد ودعم الإمام صاحب الزمان عليه السلام ويقال له: «السيّد اليماني»[1]، ومن هذه الجهة ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«وَلَيْسَ فِي الرّاياتِ أَهدَى مِنْ رَايَةِ اليَمانِي هِي رَايَةُ هُدىً لأَنَّهُ يَدْعُو إِلىٰ صاحِبِكُمْ»[2].

الخلاصة أنّ المستفاد من بعض المصادر الروائيّة أنّ بعض علامات الظهور حتميّة، بمعنى أنّه إذا لم تقع هذه العلامات ولم تحدث هذه الحوادث فلا يتحقّق ظهور الإمام صاحب الزمان عليه السلام.

---

١. الغيبة، الشيخ النعماني رحمه الله، ص ١٧١؛ بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٥٢، ص ٢٣٢؛ أعلام الورى الطبرسي رحمه الله، ص ٤٢٩.

٢. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٥٢، ص ٢٣٢.

الطائفة الثانية: العلامات غير الحتميّة

ورد في بعض الروايات، من طرق الخاصّة والعامّة، علامات لظهور الإمام المهدي عليه السلام بوصفها العلامات غير الحتميّة، لأنّ هذه العلامات لا ترتبط بالضرورة بظهور الإمام عليه السلام بمعنى أنّها تبيّن ظرف «تحقّق الظهور» لا أنّها شرط «لتحقّق الظهور»، يعني من الممكن أن لا تقع بعض هذه العلامات أصلاً، ومع ذلك يتحقّق الظهور، وكذلك من الممكن أن تحدث بعض هذه العلامات ولكنّه الظهور لا يتزامن معها.

وطبعاً فإنّ مسألة العلامات غير الحتميّة وخاصّة في هذا العصر الذي حدثت فيها ثورات مهمّة في بعض البلدان الإسلاميّة أو في حال حدوث مثل هذه الثورات، أو وقوع قضايا مدمرة ومزلزلة كما يحدث اليوم في بلد سورية، فهو بحث يستدعي الاهتمام الجاد والعميق.

وبعبارة أخرى، يعتقد بعض المفكّرين أنّ بعض هذه الحوادث الواردة في عدد من الروايات والمصادر التاريخيّة بوصفها من علامات الظهور من قبيل «السيّد الحسني» أو«السيّد الخراساني»... لا ترتبط بشكل أو بآخر بالعلامات الحتميّة للظهور، يعني أنّهم يقولون إنّ العلامات الحتميّة يتزامن مع تحقّقها ووقوعها ظهور الإمام المهدي عليه السلام ويكون هذا الأمر محرزاً لدى الكثير من الأفراد، ولكن العلامات غير الحتميّة هي العلامات التي يمكن أن تطرح بوصفها إحدى القرائن على العلامات الحتميّة، رغم وجود بحوث خاصّة كثيرة حول هذه العلامات والتي يجب التحقيق فيها في محلّها المناسب، وكذلك مسألة هل أنّ السيّد الحسني أو السيّد الخراساني شخصيتان مستقلتان أو هما عبارة عن شخصيّة واحدة، أو أساساً هل أنّ أدلّة السيّد الحسني معتبرة أم لا، لأنّ بعض المحقّقين ذهبوا إلى أنّ أدلة السيّد الحسني ضعيفة جدّاً وغير قابلة للاعتماد.

وعلى ضوء ذلك، فالقارىء العزيز يمكنه التحقيق في هذه المسألة، وكذلك الرجوع إلى الروايات الواردة في هذا الشأن، وبخاصّة الرواية المطولة التي نقلها المرحوم العلّامة المجلسي﵀ في كتابه الشريف «بحار الأنوار» حول علامات آخر الزمان.

وطبعاً إنّ بحث علامات الظهور هو بحث مفصل يستدعي التحقيق والتمعن في محلّه وموارده.

المسألة الثانية: وقوع الظهور بصورة المفاجئة

وفي تقديري أنّ اللازم، بدلاً من بحث علامات الظهور، ينبغي في البداية البحث والتحقيق في القواعد الكليّة في باب الظهور ثمّ الكلام في فروع هذه المسألة وتفاصيلها، لأنّه كما أنّ لكلّ موضوع محكمات أو أصول ومتشابهات أو فروع، فكذلك بالنسبة لظهور الإمام المهدي﵇ أيضاً، حيث نرى في الروايات الشريفة وجود قواعد كليّة أو أصول مسلّمة، وكذلك قواعد جزئيّة أو فروع غير مسلّمة، فينبغي التحقيق في هذه الأمور وتحليلها بدقّة، ومن هذا المنطلق وطبقاً لتصريح بعض الأحاديث الشريفة فيما يتّصل بظهور الإمام المهدي﵇ فثمّة عدّة أصول مسلّمة وقواعد الكليّة:

الأصل الأوّل: فجائيّة الظهور

أوّل أصل من هذه الأصول، أنّ ظهور الإمام المهدي﵇ سيكون «فجائياً» و«بغتة» كما هو الحال في يوم القيامة، يعني كما أنّ القرآن الكريم أشار إلىٰ أنّ يوم القيامة سيحدث بغتة وفجأة قوله تعالى:

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[١].

---

١. سورة الزخرف، الآية ٦٦.

أو آية أخرى:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي... لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً...﴾[١].

وهكذا بالنسبة لظهور الإمام المهدي عليه السلام حيث ورد في الروايات الشريفة التأكيد على فجائيّة الظهور، لأنّ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام يروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«قَالَ الحَسْنُ بنُ عَلِيٍّ صَلَواتُ اللهِ عَلَيهما: سَأَلْتُ جَدِّي رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله عَنِ الأَئَمَّةِ بَعْدَهُ. فَقَالَ صلى الله عليه وآله: الأَئَمَّةِ بَعْدَي عَدَدَ نُقبَاءِ بَنِي إسرائِيلَ اثنَا عَشَرَ... قلتُ: يَا رَسُولَ اللهَ فَمَتىٰ يَخْرُجُ قَائِمَنا أَهلَ البَيتِ؟ قَالَ: إِنَّمَا مَثَلُهُ كَمَثلِ السَّاعَةِ ثَقُلتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا يَأتِيكُمْ إِلّا بَغتَةً»[٢].

وجاء في رواية عن الإمام الرضا عليه السلام أيضاً ما يقرب من هذا المضمون:

«إِنَّ النَّبِيَّ صَلّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قِيلَ لَهُ: يارَسُولَ اللهِ مَتىٰ يَخْرُجُ القَائِمُ مِنْ ذُرِيَّتِكَ؟ فَقَالَ: مَثَلُهُ مَثلُ السّاعَةِ لا يُجلّيها لِوَقْتِها إلّا هُوَ ثَقُلتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا يَأتِيكُمْ إِلّا بَغتَةً»[٣].

وعلى ضوء ذلك، يمكن القبول بهذا الأصل بوصفه أمراً وارداً في النصوص الدينيّة، حيث يحتمل أنّ الناس يستيقظون في الصباح في حين أنّ ذلك هو يوم ظهور الإمام المهدي عليه السلام، يعني من الممكن أنّ الناس ليس لهم علم واطلاع عن بعض علامات الظهور وفي ذات الوقت يحدث الظهور، وربّما وفق للقاعدة القرآنيّة: ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ...﴾[٤]، أن يحدث لبعض علامات الظهور البداء، لأنّه لا

---

١. سورة الأعراف، الآية ١٨٧.

٢. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٣٦، ص ٣٦١.

٣. عيون أخبار الرضا٧، الشيخ الصدوق رحمه الله، ج ٢، ص ٣٧٣.

٤. سورة الرعد، الآية ٣٩.

يوجد دليل معتبر ومتقن أنّه بمحض وقوع العلامات الحتميّة فسوف يحدث الظهور مباشرة وحتماً وربّما بعد خمسين أو بعد مائة سنة.

الأصل الثاني: عدم العلم بوقت الظهور

والأصل الثاني المسلّم كما ورد في الروايات الشريفة، عدم تعيين وقت خاصّ لظهور الإمام المهدي عليه السلام، يعني لا توجد أي رواية تصرح بزمان ظهور الإمام عليه السلام، بل الروايات الواردة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السلام تقرر:

أوّلاً: إنّ بعض هذه الروايات تنتقد التصريح بالإخبار عن وقت الظهور وتكذّب من يعيّن وقتاً للظهور.

ثانياً: ورد التأكيد في هذه الروايات أنّه لا أحد من الأئمّة الأطهار عليهم السلام تحدّث عن هذا الأمر وقرر زماناً معيّناً للظهور، وعلى سبيل المثال ورد في رواية عن الفضيل بن يسار عن الإمام الباقر عليه السلام عند ما سئل الإمام عن هذه المسألة: «هل لهذا الأمر وقت؟». فقال الإمام الباقر عليه السلام في جوابه:

«كَذَّبَ الوَقَّاتُونَ، كَذَّبَ الوَقَّاتُونَ، كَذَّبَ الوَقَّاتُونَ»[1].

أي أنّ كلّ من يعيّن وقتاً للظهور فإنّه يكذب.

أو ما ورد في رواية منذر الجوّاز، عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«كَذَّبَ الموقتُونَ مَا وَقَّتْنَا فِيمَا مَضىٰ وَلَا نُوَقِّتُ فِيمَا يَستَقبِلُ»[2].

وطبقاً هذا التحليل فإنّ مسألة «يأتي بغتة» و«كذب الوقاتون» تعتبر أصلاً من الأصول المسلّمة في مسألة الظهور، ويمكن القول إنّ الأصل الأساس للظهور هو

---

١. الغيبة، الشيخ الطوسي رحمه الله، ص ٤٢٥.

٢. الغيبة الشيخ الطوسي رحمه الله، ص ٢٦٢؛ الكافي، الشيخ الكليني رحمه الله، ج ١، ص ٣٦٨؛ بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٥٣، ص ١٠٣؛ ومعجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام، ج ٣، ص ٣٧٧.

هذين الأصلين، أمّا العلامات غير الحتميّة وحتّى العلامات الحتميّة فهي متفرّعة على هذين الأصلين، ومن هذه الجهة يمكن أحياناً أن تقع بعض علامات الظهور، ولكن لا يتحقّق الظهور مباشرة بعدها، بمعنى أنّه مع تحقّق هذه العلامات فالإنسان يحصل له ظنّ بظهور الإمام المهدي عليه السلام وأنّ ظهوره قريب، ولكن حتّى مع وجود هذه العلامات لا يمكن القول إنّ ظهور الإمام سيقع بعد سنتين أو عشر أو حتّى خمسين سنة، بل ربّما تقع هذه العلامات ويكون الظهور بعد مئتي سنة، وبالتالي لا يمكن القول أنّ الظهور سيقع بعد حوادث مهمّة كما نشاهده من حوادث في سورية وبعض البلدان الإسلاميّة، رغم أنّ مثل هذه الحوادث ربّما تعدّ من مصاديق علامات الظهور.

وبعبارة أخرى، كما ذكر المرحوم محسن الفيض الكاشاني في كتابه «علم اليقين»[1] فإنّ كاتب هذه السطور يرىٰ أنّ أحد الأسباب في عدم ذكر وقت معيّن للظهور، هو أنّه من الممكن وطبقاً للآية الشريفة: ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ...﴾[2]، أنّ الإرادة الإلهيّة تعلّقت بتحقّق العلامات القطعيّة والمعيّنة للظهور، ولكن ربّما تكون هذه الإرادة الإلهيّة من جملة العالم المحو والإثبات، وهو عالم الذي يتعرّض من جانب الذات المقدّسة للمحو والتغيير والتبديل، ومن هذه الجهة وطبقاً للتحقيق في هذه المسألة، يجب ضم الأصول الكليّة والعلامات القطعيّة وغير القطعيّة بعضها إلى بعض ثمّ القيام بدراسة مستوعبة لها.

وتأييداً لهذا الكلام ورد في الرواية عن داود بن أبي القاسم عن الإمام الجواد عليه السلام أنّ الراوي يقول: جئت إلى الإمام الجواد عليه السلام وكان الحديث عن السفياني وحتميّة قيامه، فقلت للإمام الجواد:

---

١. علم اليقين في أصول الدين، محمّد محسن الفيض الكاشاني رحمه الله، ج ١، ص ١٧٧ و ١٧٨.
٢. سورة الرعد، الآية ٣٩.

«هَلْ يَبدُو للهِ فِي المَحتُوم؟».

فقال الإمام عليه السلام:

«نعم»[١].

وعلى ضوء ذلك، لا يستفاد من الروايات الشريفة أنّ الظهور سيتحقّق مباشرة بعد تحقّق العلامة الفلانيّة وفي الزمان الفلاني، لأنّ هذا المعنى لا ينسجم مع قول الإمام «كذب الوقّاتون» أو «يأتي بغتة»، وقد تتبادر إلى الذهن هذه النقطة أيضاً، وهي أنّه لو كانت جملة «يأتي بغتة» و«كذب الوقاتون» بوصفها أصلاً مسلّماً ومقبولاً لدى الباحثين فحينئذٍ ما هو الدليل الذي يمكن بيانه في أنّ الله تعالى جعل لظهور الإمام المهدي عليه السلام علامات حتميّة وأخرى غير حتميّة، لأنّه:

أوّلاً: إنّ بعض العلامات، التي وقعت مورد بحث الباحثين والمحقّقيين، هي من زمرة «الاسرائيليات» يعني أنّ جماعة من المتظاهرين بالمهدويّة وعلى إمتداد التاريخ ممّن ادعوا المهدويّة جعلوا بعض هذه العلامات ودسّوها في الروايات والنصوص الدينيّة.

ثانياً: على فرض القبول بعلامات الظهور، فينبغي في البداية التمسّك بالأصول المسلّمة للظهور.

الأمر الخامس: لمحة تاريخيّة عن انحراف المهدويّة وأسبابها

بالنسبة لمنشأ ظهور الانحرافات والخرافات في مسألة المهدويّة وطرق التصدي لها توجد مسائل عدّة في هذا الباب، وهي عبارة عن:

المسألة الأُولى: تاريخ مدّعي المهدويّة

إنّ الأشخاص، الذين ادّعوا المهدويّة على إمتداد تاريخ الغيبة الكبرى وبأهداف

---

١. الغيبة، الشيخ النعماني رحمه الله، ص ٣١٥، الباب ١٨، ح ١٠.

وغايات مختلفة ليسوا بقليلين، وطبعاً فإنّ هؤلاء الأشخاص يمكن تقسيمهم إلى فئات مختلفة حسب دوافعهم ونواياهم من هذا الادّعاء ومن ذلك:

ـ **المسلمون المنحرفون:** هؤلاء كانوا يهدفون من ادّعائهم وطرحهم أنفسهم لهذا المقام إلى استغلال العقيدة الخالصة لدى المسلمين بقضيّة المهدي ومصادرة هذه العقيدة لصالحهم ولتحقيق مآربهم، ومن جملة هؤلاء الأشخاص يمكن الإشارة إلى «منصور الدوانيقي الخليفة العباسي» وما ادّعاه بالنسبة لولده مهدي العباسي (١٦٩ هـ ق)، والإيحاء للناس بأنّ ولده هو المهدي الموعود، يقول أبوالفرج الاصفهاني (٢٨٤ ـ ٣٥٦ هـ ق)، في كتابه الأغاني في هذا الصدد:

«عن الفضل بن إياس الهذلي الكوفي، أنّ المنصور كان يريد البيعة للمهدي، وكان ابن جعفر يعترض عليه في ذلك، فأمر باحضار الناس فحضروا، وقامت الخطباء فتكلّموا، وقالت الشعراء فأكثروا في وصف المهدي وفضائله، وفيهم مطيع بن إياس، فلمّا فرغ من كلامه في الخطباء وإنشاد الشعراء قال للمنصور: ياأميرالمؤمنين حدثنا فلان عن فلان أنّ النبيّ ﷺ قال: «منّا مهدي بن عبدالله وأُمّه من غيرنا، ويملؤها عدلاً كما ملئت جوراً»، وهذا العباس بن محمّد أخوك يشهد على ذلك، ثمّ قبل على العباس، فقال له: أنشدك الله هل سمعت هذا؟ فقال: نعم؛ مخافة من المنصور، فأمر المنصور الناس بالبيعة للمهدي، قال: لمّا انقضى المجلس وكان العباس بن محمّد لم يأنس به، قال: أرأيتم هذا الزنديق إذ كذّب على الله ورسوله (ص) حتّى استشهدني على كذبه فشهدت له خوفاً، وشهد كلّ من حضر عليَّ بأنّي كاذب؟!»[1].

---

١. الأغاني، أبوالفرج الإصفهاني، ج ١٢، ص ٨١.

وطبعاً فإنّ هذا الكاتب يشير في كتابه الآخر «مقاتلين الطالبيين» إلى إعتراف منصور الدوانيقي بأنّه استغل هذه العقيدة الإسلاميّة الأصيلة لدى المسلمين يقول:

«عن مسلم بن قتيبة قال: قال: عبدالله بن الحسن: أرسل إليَّ أبو جعفر فدخلت عليه، فقال: قد خرج محمّد بن عبدالله وتسمى بالمهدي، والله ما هو به، وأخرى أقولها لك لم أقلها لأحد قبلك ولا أقولها لأحد بعدك، وابني والله ما هو بالمهدي الذي جاءت به الرواية، ولكنّي تيمنت به وتفاءلت به»[١].

ـ **اليهود المنافقون:** الذين كانوا يهدفون إلى تسديد ضربة قاصمة للإسلام والمسلمين، ومن هذه الجهة عملوا على تربية بعض الأشخاص بوصفهم المهدي لكي يستفيدوا منهم في المستقبل في طعن الدين الإسلامي، ومن جملة هؤلاء الأفراد، وهم كثرون في التاريخ، يمكن الإشارة إلى علي بن محمّد الباب (١٢٣٥ ـ ١٢٦٦ هـ ق) وهو من مؤسسي الفرقة البابيّة والتي تولدت منها الفرقة البهائيّة، ويعترف علي بن محمّد الباب في كتابه «بهاء الله والعصر الجديد» وهو من المصادر الرئيسيّة الضالّة للفرقة البهائيّة، بهذه الحقيقة ويقول:

«ثمّة عداوة شديدة وخصومة برزت بسبب الإعلان عن البابيّة، واشتدت وتضاعفت عندما صرّح ذلك المصلح الشاب!! وهو المهدي الموعود بأنّ رسول الأكرم صلى الله عليه وآله قد وعد بظهوره»[٢].

وكذلك ورد في كتاب «حضرة النقطة الأُولى» ما يلي:

«وقد صرّح حضرة الأعلى!! في مجلس ولي العهد ناصر الدين الميرزا شاه،

---

١. مقاتل الطالبيين، أبوالفرج الإصفهاني، ص ١٢٣.

٢. بهاء الله والعصر الجديد، الدكتور اسلمنت، ص ٢٢.

وفي حضور العلماء بمقامه بوصفه القائم الموعود ونداء الحقّ لأسماعهم»[١].

وطبعاً فإنّ محمّد بن علي الباب قد تاب بعد ذلك لأوّل المرّة في مدينة شيراز عن هذا التصرف المنحرف وذكر ذلك في كتب الفرقة البهائيّة كما يلي:

«لعنة الله على من اعتقد بأني وكيل الإمام الغائب، لعنة الله على من اعتقد بأني اعتقد أنني باب الإمام، لعنة الله على من قال بأنني انكر نبوّة رسول الله ﷺ، لعنة الله على من ادعى بأنني منكر للأنبياء الإلهيين، لعنة الله على من يدعي بأنني منكر للإمام أميرالمؤمنين وسائر الأئمّة الأطهار»[٢].

ولكن وبتحريك عناصر خفيّة من اليهود الموجودين في سفارة روسيا[٣] استمر

---

١. حضرة النقطة الأُولى، ص ٢٨٦، ولمزيد من الإطلاع بالنسبة لهذا الادّعاء، أُنظر: تلخيص تاريخ نبيل الزرندي، أو تلخيص مطالع الأنوار، عبدالحميد الاشراق الخاوري، ص ٢١١٧ و ٣٢٠ و ٥٤٨، ونقطة الكاف، الميرزا جاني الكاشاني، ص ١٣٥ و ١٣٧ و ٢٠٧، ٢٠٩، وحضرة النقطة الأُولى مؤسسة ملي مطبوعات آمري، ص ٢٩٠ و٣٤٣؛ والفرائد، أبوالفضل الرضائي الكلبايكاني، ص ١٠ و ١٦، والكواكب الدرية في مآثر البهائيّة، عبدالحسين آيتي، ج ١، ص ٣٩.

٢. تخليص ت اريخ نبيل الزرندي اشراق الخاوري، ص ١٣٢.

٣. ينقل ديميتري ايوانوويج دالكوروكف (١٧٩٧ ـ ١٨٦٧م) المشهور بكنياز دالكوركي وهو الوزير المختار لروسية في طهران عن موقفه وكتاباته بالنسبة لاعدام الباب، ويقول: «إذا كانوا يبقون السيّد علي بن محمّد بن رضا المشهور بالباب في طهران ويطرح عليه بعض الأسئلة فأنا أعلم يقيناً أنّ السيّد يطرح بعض المسائل مما يؤدي إلى فضيحة ففكرت أن أقوم بهلاك السيّد في خارج طهران وبعد ذلك أُثير أزمة وضوضاء، ولذلك جئت إلى محمّد شاه وقلت له هل أنّ السيّد الذي ظهر في تبريز وادعى أنّه صاحب الزمان صادق في كلامه؟ فقال الشاه: لقد كتبت إلى ولي العهد بحضور العلماء أن يقوم بتحقيق في هذا الشأن، وأن انتظر وصول خبر أن يقوم ولي العهد باحضاره وفي مقابل العلماء يبيّن ويظهر عجزه وضعفه وبالتالي يتوب في هذا المجلس، فرأيت أنّ أتعابي لمدّة عدّة سنوات ستذهب هباءً منثوراً، فقلت للشاه: إنّ ☜

الباب في دعواه وتسبّب في جرّ الكثير من الناس إلى هوة الانحراف والضلالة، ومن هذه الجهة تحرك علماء الدين والمراجع في ذلك الوقت على صعيد محاكمته في مدينة تبريز بسبب جرائمه وحكم عليه بالسجن، ثمّ إنّه كتب مرّة ثانية توبته وتوجد منها لحدّ الآن نسخة أصليّة في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي في ميدان بهارستان في طهران، وجاء في هذه النسخة:

«رسالة التوبة لعلي محمّد الباب: فداك روحي الحمد لله كما هو أهله ومستحقه في إظهار فضله ورحمته على أية حال على كافة العباد، شهد الله من عنده فإنّ هذا العبد الضعيف لا يقصد ما يخالف رضا الله تعالى وأهل ولايته، رغم أنّه بنفسه هو ذنب صرف، ولكن بما أنّ قلبي موافّق لتوحيد الباري تعالى ونبوّة رسولهﷺ وولاية أهل الولاية، ولساني مقرّ بكلّ ما نزل من عند الله، فلذا أرجو رحمة الله تعالى ولا أُريد أن أرتكب خلاف رضا الحقّ، وإذا صدرت منّي كلمات أو من قلمي ما يخالف رضا الله، فليس غرضي العصيان، وعلى أية حال فإنّي أستغفر الله وأتوب إليه وأنّ هذا العبد لا يملك العلم المطلق المنوط بادعائه، استغفر الله وأتوب إليه من أن ينسب إليّ هذا الأمر وبعض المناجاة والكلمات التي جرت على لساني ولا تدلّ على أي أمر ولا أدعي النيابة الخاصّة للإمام حجّة الله عليه السلام، فهو محض ادعاء باطل، وأنّ هذا العبد لم يدع هذا الادّعاء ولا ادّعاء آخر، ولهذا أرجو من ألطاف الحضرة الشاهنشائية أن يبسط ألطافه وعناياته ورأفته لهذا الداعي...»[1].

☞ الأشخاص الكاذبين والعملاء يجب أن يلاقوا جزاءهم»، (الذكريات السياسيّة للجاسوس الروسي كينياز دالكوركي، نشر الصبروي، قم).

١. كشف الغطاء، أبوالفضل الرضائي الكلبايكاني، ص ٢٠٢ و ٢٠٥.

ولكنّه حتّى في سجن چهريق في مدينة أُرومية لم يترك هذه الأباطيل والأراجيف، وقد كتب كتاب «البيان في نسخ أحكام شريعة الإسلام»، وعلى ضوء ذلك أُعيدت محاكمته مرّة ثانية وفي آخر المطاف وبعد أن وصلت فتنة البابيين إلى ذروتها وبمساعي الميرزا تقي خان أميركبير حكم عليه بالإعدام، وأخيراً تمّ اعدامه مع أحد مريده في مدينة تبريز في يوم الثامن والعشرين من شعبان المعظم سنة ١٢٦٦ هـ ق، وذهبت روحه إلى الدرك الأسفل من النار، ولكن بهذا العمل ترك هذا الشخص سنّة سيئة لم تنته بموته ولن تختتم بعده بل إنّ الحكومات الاستعماريّة وبخاصّة حكومة بريطانيا وأتباعها لم يتركوا أفكار هذا الرجل المنحرفة واليوم نرى أنّ الفرقة الضالّة البهائيّة حلّت محلّها وهي أيضاً وليدة الفكر الإستعماري.

أجل، فإنّ أساس مفهوم المهدويّة، بما أنّه مفهوم أصيل ومقدّس ومتجذر في دائرة التعاليم الإسلاميّة، فمن الطبيعي أنّه يقع على مرور الزمان مورد استغلال من قبل أعداء الإسلام في الداخل والخارج وستتراكم عليه الخرافات والأشكال الزائفة، وعقيدة المهدويّة بدون أن أقصد التشبيه، حالها حال ثمرة جيدة التي تتعرّض لهجوم الحشرات المضرّة والمؤذية.

وطبعاً لا ينبغي الغفلة عن هذه الحقيقة، وهي أنّ جوهر الدين أساساً وبنظرة عامّة يقع عادة مورد هجوم العقائد الباطلة وأتباع فرق الضلالة، ومن الطبيعي أن تحيط بالعقائد الحقّة للدين بعض الخرافات والأفكار غير الواقعيّة، وإن كانت هذه الظاهرة قد تزداد أو تقلّ في بعض الأزمنة والأمكنة بالنسبة لفهم العامّة من الناس.

المسألة الثانية: عوامل ظهور الخرافات والانحرافات حول فكرة المهدويّة

ومن بين العوامل والأسباب لظهور الخرافات حول فكرة المهدويّة نذكر هنا بعض العوامل والعلل التي لها دور أكثر من سائر العوامل الأخرى، وهي عبارة عن:

العامل الأوّل: عدم تبيين صحيح الحقيقة المهدويّة من قِبل علماء الدين

أوّل علّة لظهور الخرافات في فكرة المهدويّة هو أنّ علماء الدين لم يبيّنوا حقيقة

المهدويّة للناس، بل إكتفوا بتفهيم الناس المعنى الإجمالي لهذه العقيدة، وهذا الأمر ترتب عليه الكثير من الأخطاء، لأنّه عندما يقال للناس عقيدة معيّنة بشكل إجمالي، فإنّ هؤلاء الناس ـ شاؤوا أو أبوا ـ سوف يتحرّكون بطرق شتى بدلاً من حركتهم في مسير واضح ومشخّص، ومن هذه الجهة فإنّ كبار علماء الدين سعوا بجد في آثارهم ومدوناتهم إلى ذكر جميع التفاصيل والجزئيات فيما يتعلّق بمسألة الإمام المهدي عليه السلام، وطبعاً هؤلاء العلماء عملوا بواجبهم وتكليفهم بشكل صحيح في زمانهم، ولكن للأسف إنّ هذه العقيدة لم تبيّن بشكل واضح لعامّة الناس ولأهل الفكر والنظر، وهذا بدوره تسبّب في بروز آثار خطيرة وتداعيات مخرّبة في المجتمع الإسلامي، وهنا نستعرض بعض هذه التداعيات والآثار المخربة:

الأثر الأوّل: اتساع دائرة الفهم الخاطئ لفكرة المهدويّة

وأوّل أثر وثمرة لعدم التبيين الصحيح لمسألة المهدويّة هو أنّ الكثير من الناس العاديين وحتّى بعض طلبة العلوم الدينيّة وطلّاب الجامعات يملكون رؤية خاطئة من عقيدة ظهور الإمام المهدي عليه السلام، والتي تقوم على أساس جملة من الاستنباطات الخاطئة من النصوص الواردة، منها ما ورد من أعمال العنف واستخدام آليات العنف بدون حدّ وقتل الكثير من الناس، بمعنى أنّ مسألة المهدويّة تتلخّص في هذه الرؤية بأنّ الإمام بقيّة الله الأعظم عليه السلام سيظهر يوماً ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، ولكن من أجل تحقيق هذا الهدف فإنّ الإمام عليه السلام سيقوم بقتل الكثير من الناس، في حين أنّ هذه الرؤية للمهدويّة غير صحيحة قطعاً، ولا تجد لها في النصوص الدينيّة الإسلاميّة ما يؤيدها، وأساس فإنّ مثل هذه الأمور غير مطروحة في قيام الإمام المهدي عليه السلام.

الأثر الثاني: تغيير المستوى الفكري والمعرفي للمخاطبين

والأثر الثاني لعدم بيان مسألة المهدويّة بشكل صحيح، تغيير المستوى الفكري

والمعرفي للمخاطبين، هذا الأصل الإسلامي الأصيل، وفي مقام بيان هذا الأثر السلبي يمكن الإشارة إلى المشكلات العقائديّة التي واجهت الذهنيّة العامّة والشبّان في بلدنا، أي في سنوات ١٣٨٤ ـ ١٣٩٢ هـ ش، لأنّ المحقّقين والعلماء المخلصين يعلمون جيداً أنّ عدم الفهم الصحيح لمسألة المهدويّة لهذه السنوات المذكورة أدّى إلى خلق مشكلات فكريّة وثقافيّة في بلدنا الإسلامي وكيف أنّ أفكار الشبّان من الجيل الثالث والرابع للثورة الإسلاميّة قد أصابه الإرباك والخلل.

الأثر الثالث: إيجاد روحية الاكتفاء ومحوريّة الذات بدلاً من اتباع الفقهاء والعلماء

والأثر الثالث لعدم التبيّن الصحيح لمسألة المهدويّة، وأحياناً يصل الأمر بسبب عدم التبيين الصحيح لهذه الحقيقة أنّ الإنسان ينزلق في منحدر محوريّة الذات وتصوّر الاكتفاء الذاتي للفكر والعقيدة والعقائد الدينيّة بحيث إنّه ربّما يقول لنفسه «أنا أستطيع لوحدي أن أفهم ما ورد في القرآن الكريم والروايات الشريفة من معالم الدين وتعاليم الشريعة ولا حاجة لي بالرجوع إلى مرجع التقليد أو رجل الدين» واليوم نرى وللأسف أنّ هذه الظاهرة غير السليمة موجودة في الجو العامّ ولا يمكن انكارها.

وعلى ضوء ذلك، فعندما لا يتحرّك العلماء والخطباء لبيان تعاليم الدين الإسلامي في مسألة المهدويّة ولا يقومون بمكافحة الانحرافات الفكريّة وحالات الزيغ المعرفي لدى الشبّان بشكل خاصّ، فليس فقط تتراكم حول هذا الركن الركين للدين الخرافات اللامتناهية بالمعنى الواقعي للكلمة، بل سوف تترتّب عليها مثل هذه الآثار السلبية والتداعيات الخطيرة.

وبعبارة أخرى رغم أنّ علماء الدين يسعون دوماً لأداء وظيفتهم الدينيّة في نشر مفهوم المهدويّة بشكلها الصحيح، ولكن يجب الاعتراف بهذه الحقيقة، وهي أنّ أصحاب الشأن الإعلامي ومن يتولى أجهزة الإعلام ونشر الفكر والثقافة لم يتمكنوا

من تبيين المفاهيم الإلهيّة والإنسانيّة للناس بشكلها الصحيح، ومن هذه الجهة نرى أنّ أجهزة الإعلام بالمعنى الأعم وبما يشمل الإذاعة والتلفزيون ومنابر الجمعة إلى العلماء وأستاذة الجامعات والحوزات العلميّة والخطباء والمثقفين والنخبة من المفكّرين يجب عليهم أن يدخلوا إلى ميدان الجهاد الإعلامي والتبليغي ويتحرّكوا على صعيد بيان القيم الإلهيّة والمهدويّة والمفاهيم والعقائد الدينيّة كما بيّنها أكابر علماء هذه الأُمّة للناس.

القرّاء الأعزاء يعلمون جيداً بأنّه في الآونه الأخيرة ظهر قرص ليزري «CD» بشكل منظم ومرتب ومشكوك أيضاً وانتشر بشكل واسع في أوساط الناس بعنوان «الظهور القريب جدّاً»[1]، ويحمل هذا القرص في مضامينه أفكاراً باطلة وغير مستندة من أوله إلى آخره ويهدف إلى تخريب ذهنيّة الناس النقيّة في دائرة الإمامة والمهدويّة.

وطبعاً قبل أن تبادر المراكز الدينيّة المرتبطة بالحوزة العلميّة بالردّ على هذا القرص أتذكر أنّ أحد المدرسين في إحدى ثانويات طهران أخبرني من خلال الانترنيت عن انتشار واسع وتوزيع مجاني لهذا القرص على مستوى المدارس والثانويات في العاصمة وطلب منّي أن أُبدي رأيي في محتويات هذا القرص وبعد

---

١. هذا الفيلم «الظهور القريب جدّاً» انتشر في أواخر ١٣٨٩ هـ ش، وبدعم مشكوك من بعض المسؤولين في الدولة، وقد انتشر في مختلف المدن وفي دائرة واسعة وبشكل واسع جدّاً، وكان يوزع بصورة مجانية، وفي هذا اللوح المضغوط أو القرص الليزري هناك محاولة لتطبيق عصر آخر الزمان على هذه المرحلة الراهنة ويوحي للمخاطب أنّ الشخصيات الدينيّة والسياسيّة هم الذين ورد ذكرهم في الروايات، وطبعاً فإنّ المحتوى غير العلمي وغير الديني لهذا القرص، وقد واجه مخالفة صريحة من الكثير من مراجع الدين وعلماء الحوزة العلميّة في قم والنجف، ولكن هذه الفئة الضالّة لم تتوقّف عند هذا الحدّ واستمرت بنشر هذا القرص حتّى أنّها أقدمت على نشر القسم الثاني من هذا القرص المذكور في الأسواق.

مشاهدة القرص المذكور تبيّن لي أنّ مضامين هذا القرص لا يمكن أن تكون مقبولة لدى الدين والنصوص الدينيّة، لأنّ الكثير من المسائل المطروحة في هذا القرص ليس لها أساس ديني صحيح بل هي مجرّد أفكار باطلة وخاوية، ولكن كما تقدّم بيانه أنّ هذا القرص تمّ تكثيره ونشره بشكل واسع في البلد وللأسف لم يكن تأثيره سوى تغيير المستوى المعرفي والفكري لبعض الشبّان من قليلي الإطلاع أو من غير المطّلعين على المسائل الدينيّة، وطبعاً كان القائمون على هذا القرص يسعون إلى أن يوحوا للمخاطبين في هذا الفيلم المذكور وكأنّ المجتمع الديني يتجه في طريق غير طريق أهل البيت عليهم السلام ويسلك سبيلاً مخالفاً لتعاليم أهل البيت عليهم السلام ومن هذه الجهة ينبغي أن تتّخذ في مقابل هذا العمل مواقف علميّة وشفافة، ولحسن الحظ رأينا الاستجابة من جهات مختلفة في عمليّة التصدي لهذا العمل.

وطبقاً لهذه الرؤية فإنّ اتساع رقعة المتلقين للأفكار الخاطئة في مسألة المهدويّة أو تغيير المستوى الفكري للمخاطبين، أو تشكيل روحية الاكتفاء ومحوريّة الذات دون الحاجة إلى الرجوع إلى علماء الدين، كلّها من جملة آثار وتداعيات عدم التبيين الصحيح لهذا الأصل الديني الأصيل والذي هو مورد اتفاق جميع المذاهب الإسلاميّة، لأنّ تطبيق بعض العلامات المذكورة في بعض الروايات على بعض الأشخاص المعاصرين لا يقوم إلّا على أساس الظن والتخمين وهو خطأ من الأساس، فالتالي يترتّب عليه هذه النتائج السلبيّة، كما أنّ تطبيق النفس الزكيّة على أحد الشهداء في العراق، أو السيّد الحسني والخراساني على شخصيّة محترمة في بلدنا ايران، أو تطبيق السيّد اليماني على أحد رجال الدين المجاهدين في لبنان، أو تطبيق شعيب بن صالح على شخص آخر، وتطبيق السفياني على ملك إحدى البلدان العربيّة المجاورة، والخلاصة إنّ عدم التبيين والتفهيم الصحيح لمسألة المهدويّة يؤدّي إلى ترتّب آثار سيّئة ومخرّبة وأحدها عدم التفكيك بصورة علميّة

بين العلامات الحتميّة وغير الحتميّة للظهور، في حين أنّه على أساس التحقيق فإنّ العلامات الحتميّة للظهور محكومة بأصول وكليات من قبيل «يأتي بغتة» و«كذب الوقّاتون» كما تقدّم بيانها قبل قليل، لأنّه طبقاً للأصل القرآني: ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ...﴾[١]، فمن الممكن أن يحصل البداء حتّى في العلامات الحتميّة، وبالتالي إمكانيّة تبديلها من خلال المشيئة الإلهيّة فكيف الحال بالعلامات غير الحتميّة؟

العامل الثاني: سوء استغلال المال والمقام

السبب الثاني والمنشأ لظهور وتشكّل الخرافات حول هذه العقيدة المهدويّة الأصيلة، يتمثّل في «الاستغلال السيىء للمال» أو «الاستغلال السيىء للمقام» لأنّ مسألة المهدويّة تعتبر من المسائل التي اقترنت دوماً باستغلال التيارات والأشخاص بأشكال مختلفة، وذلك أنّ بعض الأشخاص يتحرّكون على صعيد استغلال هذه العقيدة من أجل كسب المال والثروة، وأشخاص آخرون يتحرّكون أيضاً على صعيد استغلال هذه العقيدة في قلوب الناس لكسب المقام والمكانة الاجتماعيّة والسلطة السياسيّة والامتيازات الأخرى التي تتوفّر لهم من خلال استغلال عقيدة المهدويّة، لأنّ هؤلاء الأشخاص هم أساساً من الطالبين للمكانة والجاه ومن الذين يستغلون الفرص لتعزيز مكانتهم حتّىٰ لو كان على حساب الدين والتدين، وعلى هذا الأساس نرى من اللازم توضيح وبسط الكلام في كلّ واحدة من هاتين المسألتين:

أ) الاستغلال السيىء للمال

إنّ مسألة سهم الإمام عليه السلام والخمس كانت محط أنظار الانتهازيين حتّى منذ عصر الأئمّة الأطهار عليهم السلام ولحدّ الآن وبدوافع تحصيل المال والوجوه الشرعيّة من الناس بهذا العنوان وتحت هذه العقيدة الدينيّة، إلى درجة أنّ البعض واجه انحرافات جديّة

---

١. سورة الرعد، الآية ٣٩.

على مستوى العقيدة والأخبار التاريخيّة والروايات الكثيرة في هذا المجال تتحدّث عن بعض وكلاء الأئمّة الأطهار عليهم السلام في المدن والقصبات الذين اتهموا باستغلال المال من هذا الوجه، وأقدم الأئمّة الطاهرون عليهم السلام على خلع هؤلاء الأشخاص من الوكالة الشرعيّة، وفي الكثير من الموارد نرىٰ بعض الأشخاص، ونظراً لمحبّة الناس لأهل البيت عليهم السلام، يدّعون لأنفسهم الوكالة عن الأئمّة عليهم السلام ليتسنى لهم استلام الوجوه الشرعيّة وأخذ الأموال تحت عناوين مختلفة من الناس، وقد واجهوا ردّة فعل شديدة من الأئمّة عليهم السلام أو من قبل وكلائهم الحقيقيين، على سبيل المثال أورد المؤرخون عن فرقة الواقفة، أنّهم اقترحوا ادّعاء المهدويّة للإمام موسى بن جعفر عليه السلام وأنّه هو القائم بالعدل والقسط وذكروا في مقام الجواب عن سؤال ورد في بعض الروايات من «**أنّ الإمام لا يغسله إلّا الإمام**»[1] أو في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام إلى بعض أصحابه أنّه قال: «احسبوا أيّام الاسبوع» فحسبوا إلى يوم السبت فأشار الإمام عليه السلام إلى الإمام الكاظم عليه السلام وقال: «**سبت السبوت وشمس الدهر... وهو سابعكم قائمكم هذا**»[2]، وبهذه الصورة تمسّكوا بمثل هذه الروايات ليقولوا أنّ الإمام ـ السابع وهو الإمام الكاظم ـ هو الإمام القائم.

وعلى ضوء ذلك، ربّما يتوهمّ الكثير من الأشخاص السذج أنّ الدافع لهم على طرح هذه المسألة مجرّد دافع مذهبي وثقافي، في حين أننا مع التمعّن والتدقيق في عمل المؤسسين لهذه الفرقة يتبيّن أنّ منهجهم يتضمّن دوافع خفيّة وأنّهم يهدفون إلى إخفاء نواياهم الماديّة والدنيويّة تحت هذا الغطاء الشرعي حسب الظاهر، وذلك بسبب وجود أموال وثروات كثيرة جمعت من الوجوه الشرعيّة عند زياد بن مروان القندي وعثمان بن عيسى الرواسي، وهما من وكلاء الإمام موسى الكاظم عليه السلام في

---

١. الكافي، الشيخ الكليني رحمه الله، ج ١، ص ٣٨٤.

٢. الملل والنحل، الشهرستاني، ج ١، ص ١٥٠.

الكوفة، وعندما كان الإمام الكاظم عليه السلام في السجن كانا يتلاعبان بهذه الأموال الشرعيّة ويتعاملان بها ويشتريا البيوت والعقارات بهذه الأموال، ومن هذه الجهة فبعد ما سمعا خبر استشهاد الإمام الكاظم عليه السلام في سجن هارون الرشيد (لعنة الله عليه) وطلب الإمام الرضا عليه السلام ردّ هذه الأموال إليه، قام عثمان بن عيسى الرواسي بكتابة رسالة إلى الإمام الرضا عليه السلام وفيها يتحدّث بسوء أدب وبكلمات بذيئة وأنكر استشهاد والده الإمام الكاظم عليه السلام وأشاع بين الناس أنّ الإمام الكاظم عليه السلام هو الإمام القائم والمهدي والموعود الذي يجب على الناس أن ينتظروا ظهوره ولن يستشهد في سجن هارون، ورد في التاريخ أنّه:

«مَضىٰ أَبُوإبرَاهِيمَ وَعِنْدَ زِيادٍ القَنْدِي سَبعُونَ أَلْفَ دِينارٍ وَعِنْدَ عُثمَانَ بنِ عِيسىٰ الرَّوَاسِي ثَلاثُونَ أَلفَ دِينارٍ...ومَسكَنُهُ بِمصْرَ فَبَعَثَ إِلَيهِم أَبُوالحَسَنِ الرِّضا عليه السلام أَنْ احمِلُوا مَا قِبَلَكُمْ مِنَ المَالِ وَمَا كَانَ اجتَمَعَ لأَبِي عِنْدَكُم مِنْ أَثَاثٍ... فَإِنّي وَارِثُهُ وَقَائِمٌ مَقَامَهُ وَقَدِ اقتَسَمنا مِيراثَهُ وَلا عُذرَ لَكُمْ فِي حَبسِ مَا قَدِ اجْتَمَعَ لِي وَلِورَّاثِهِ قِبَلَكُمْ أَو كَلامْ يُشْبِهُ هَذا، فأَمّا ابنُ أَبِي حَمزَةَ فَإِنَّهُ أَنْكَرَهُ وَلَمْ يَعتَرِفْ بِمَا عِنْدَهُ، وَكَذَلِكَ زِيادٌ القَنْدِيُّ، وَأَمَّا عُثمَانُ بنُ عِيسىٰ فَإِنَّهُ كَتَبَ إِلَيهِ أَنَّ أَبَاكَ صَلَواتُ اللهِ عَلَيهِ لَمْ يَمُتْ وَهُوَ حَيٌّ قَائِمٌ ومَنْ ذَكَرَ أَنَّهُ مَاتَ فَهُوَ مُبْطِلٌ وَاعْمَلْ عَلىٰ أَنَّهُ قَدْ مَضىٰ كَمَا تَقُولُ، فَلَمْ يَأمُرْنِي بِدَفعِ شَيءٍ إِلَيكَ...»»[1].

هذا، وقد ذكر الشيخ الطوسي رحمه الله في بيان الباعث لرؤساء وزعماء الفرقة الواقفة، يعني، ابن أبي حمزة البطائني وزياد بن مروان القندي وعثمان بن عيسى الرواسي، أنّ غايتهم من ذلك حبّ المال والثروة التي تجمعت لديهم، ونقل الشيخ الطوسي رحمه الله عن أشخاص موثوقين قولهم:

---

١. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٤٨، ص ٢٥٣، وج ٤٨، ص ٢٦٦.

«طمعوا في الدنيا ومالوا إلى حطامها واستمالوا قوماً فبذلوهم شيئاً ممّا اختانوه من الأموال»[١].

ب) الاستغلال السيىء للمقام

كما تقدّم آنفاً، فإنّ الاستغلال السيىء للانتهازيين والنفعيين من مسألة غيبة الإمام المهدي عليه السلام لغرض كسب مواقع اجتماعيّة ومكانة سياسيّة وامتيازات كثيرة ليست بالمسألة الجديدة، بل كانت هذه الظاهرة، ومنذ السنوات الأُولى للغيبة الكبرى ولحدّ الآن، سارية في الوسط الديني والاجتماعي، وفي هذا المجال نرى أحياناً أنّ هؤلاء الانتهازيين وبدافع من كسب المقامات الدنيويّة والماديّة يشبثون بهذا الغطاء الديني، وأحياناً أخرى وبسبب وجود نقص عاطفي واجتماعي لدى هؤلاء الانتهازيين، يتحرّكون على صعيد اكتساب مقامات معنوية من خلال استغلال هذه العقيدة لدى الناس، وعلى هذا الأساس نرى من اللازم استيفاء البحث والكلام في كلا هاتين الفئتين:

الأوّل: كسب المقامات الإلهيّة

وأحد البواعث الكامنة لدى هؤلاء الانتهازيين في استغلال مسألة المهدويّة، هي الجهات الإلهيّة الكامنة في مثل هذه القضايا، لأنّ بعض هؤلاء الانتهازيين يترصدون الفرص المناسبة لاظهار أنفسهم بأنّهم مرتبطين بالعالم العلوي ولهم ارتباط غيبي مع السماء وأنّهم يستطيعون فعل الأمور الغريبة التي لا يستطيعها أحد من الناس العاديين، ومن هذا الطريق قاموا باضلال الكثير من المؤمنين بعقيدة المهدويّة، هؤلاء أحياناً يقعون بشكل لا إرادي بيد قوى الاستعمار والهيمنة الخارجيّة ويكونون عاملاً أساسياً لتنفيذ الغايات والأهداف المشؤومة للمستعمرين من خلال جمع

---

١. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٤٨، ص ٢٥٢.

المريدين من السذج حولهم وادّعاء المهدويّة بل حتّى ادّعاء الأُلوهيّة أيضاً.

وبديهي أنّ هؤلاء الأشخاص يقومون بجذب الأشخاص المستعدين بآليات مدروسة وسياسات سيكولوجية، بحيث إنّهم في البداية يدّعون الارتباط بالإمام المهدي عليه السلام ويدّعون البابيّة، ثمّ عندما يجتمع حولهم بعض الأتباع والمريدين يدّعون أنّهم المهدي وينشرون دعوتهم بين الناس.

بعبارة أخرى، هؤلاء الأشخاص ومن خلال استغلال المكانة الإلهيّة للإمام المهدي عليه السلام يدّعون لأنفسهم إرتباطهم بعالم اللاهوت ويقومون بتحريف عقائد المؤمنين بالمهدي ويخدعون السذج والبسطاء من الناس، وفي نهاية المطاف يستفيدون من جهل عوام الناس والأفراد الظاهريين والسطحيين من ضيقي الفكر وعديمي البصيرة ليصلوا إلى غايتهم في تحصيل الجاه والمقام في الدنيا والتوصل إلى أهدافهم الدنيويّة الحقيرة، ممّا يتسبّب في تعميق الفرقة والانحراف عن الإسلام، وثمّة نماذج كثيرة في واقع التاريخ لمثل هذه المجاميع والأشخاص، وطبعاً في العصر الراهن، وبسبب تدخل قوى الاستعمار وبشكل منظم، فقد زاد عدد هؤلاء الأشخاص والمجاميع الانتهازيّة.

الثاني: كسب المقامات الدنيويّة

رأينا أنّ إحدى العلل والعوامل التي أدّت إلى تشكّل الخرافات والموهومات حول عقيدة المهدويّة، كسب المقام والمكانة الاجتماعيّة والقدرة السياسيّة من جهة بعض الانتهازيين والأشخاص الضالين، لأنّ هؤلاء الأشخاص أساساً يتحرّكون بدافع طلب الجاه والمنافع والامتيازات الماديّة والدنيويّة.

وطبعاً فإنّ المسار التاريخي لهذه الظاهرة يعود إلى زمان شروع الغيبة الصغرى، لأنّ في هذه المرحلة ظهر أشخاص يدّعون الوكالة عن الإمام صاحب الزمان عليه السلام ولكنّهم واجهوا الموقف الحاسم من قِبل الإمام المهدي عليه السلام، على سبيل المثال ما ورد

في التوقيع الصادر من الإمام المهدي عليه السلام فيما يخصّ «أحمد بن هلال الكرخي العبرتائي» (١٨١ ـ ٢٦٧ هـ ق)[١]، الذي كان يمثّل تياراً معروفاً في ذلك الوقت، فأزاح هذا التوقيع الستار عن هذا الانحراف الكبير، وقد كان أحمد هذا من أهالي قرية كبيرة تدعى «عبرتا» في منطقة «النهروان» التي تقع بين محافظة واسط وبغداد وكان في زمان موته له من العمر سبع وثمانون سنة، وعلى ضوء ذلك، فإنّه أدرك خمسة أئمّة من أهل البيت عليهم السلام هم: الإمام الرضا، والإمام الجواد، والإمام الهادي، والإمام العسكري والإمام صاحب الزمان عليهم السلام، وعاش سبع سنوات في مرحلة الغيبة الصغرى وكان يفتخر بأنّه حجّ بيت الله أربع وخمسين مرّة، منها خمسون مرّة حجّ مشياً على الأقدام[٢] ولكن مع الأسف انتهى أمره بعد وفاة عثمان بن سعيد العمري رحمه الله إلى حدّ أنّه لم يكتف بادّعاء النيابة الخاصّة بل تحرّك على مستوى إنكار سفارة محمّد بن عثمان العمري[٣]، وأخيراً أعلن عن عدائه للأئمّة الأطهار عليهم السلام، ومن هذه الجهة ظهر التوقيع من الإمام صاحب الزمان في بداية الأمر يخاطب فيه محمّد بن عثمان أن يحذر الشيعة من أحمد بن هلال ويوصي نوابه في العراق بذلك:

«إحذَرُوا الصُّوفِي المتَصَنِّع»[٤].

ومع هذه الحال، وحسب ما ورد في الروايات، أنّ بعض الأصحاب إلتقى بأحمد ابن هلال وتبعه في مسلكه وكان الأمر مجهولاً بالنسبة لهم، ولذا أنكروا التوقيع المذكور في حقّ ابن هلال إلى أن مات ابن هلال وأجبر الشيعة قاسم بن علاء الأذربيجاني، وهو من وكلاء الإمام صاحب الزمان عليه السلام، لغرض المزيد من الاطمئنان

---

١. رجال النجاشي، الشيخ النجاشي رحمه الله، ج ١، ص ٢١٨، الفهرست، الشيخ الطوسي رحمه الله، ص ٥٠.
٢. اختيار معرفة الرجال، الشيخ الكشي، ج ٢، ص ٨١٦.
٣. الغيبة، الشيخ الطوسي رحمه الله، ص ٢٥٦.
٤. اختيار الرجال، الشيخ الكشي رحمه الله، ج ٢، ص ٨١٦.

أن يراجع مرّة أخرى ويستخبره عن هذا الموضوع، وعلى هذا الأساس ظهر التوقيع الثاني للإمام صاحب الزمان عليه السلام وفيه توكيد على ذمّ ابن هلال ولعنه، فقال عليه السلام في التوقيع المذكور:

«.. قَدْ كَانَ أَمْرُنا نَفَذَ إِلَيكَ فِي المُتَصَنِّعِ ابنِ هَلالٍ لا رَحِمَهُ اللهُ بِمَا قَدْ عَلِمْتَ لَمْ يَزَلْ لا غَفَرَ اللهُ لَهُ ذَنْبَهُ وَلا أَقَالَهُ عَثْرَتَهُ دَخَلَ فِي أَمْرِنا بِلا إِذْنٍ مِنّا وَلا رَضى يَستَبِدُّ بِرأيِهِ... لا يَمْضي مِنْ أَمرِنَا إياه إِلّا بِمَا يَهواهُ وَيُرِيدُ أَرْدَاهُ اللهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَصَبَرنا عَلَيهِ حَتّى بَتَرَ اللهُ عُمْرَهُ بِدَعوَتِنا وَكُنّا قَدْ عَرَّفنَا خَبَرَهُ قَوماً مِنْ مَوالِينا فِي أَيّامِهِ لا رَحِمَهُ اللهُ وَأَمَرناهُمْ بِإلقَاءِ ذَلِكَ إِلى الخُلّصِ مِنْ مَوَالِينا وَنَحنُ نَبرَأُ إِلى اللهِ مِنْ ابنِ هِلالٍ لا رَحِمَهُ اللهُ وَمِمَّنْ لا يَبرَأ مِنْهُ، وَأَعلِمِ الإِسحَاقِيّ سَلَّمَهُ اللهُ وَأَهلَ بَيتِهِ مِمَّا أَعلَمَناكَ مِنْ حَالِ أَمرِ هَذا الفَاجِرِ وَجَمِيعَ مَنْ كَانَ سَأَلَكَ وَيَسْأَلُكَ عَنْهُ مِنْ أَهلِ بَلَدِهِ وَالخارِجِينَ وَمَنْ كَانَ يَسْتَحِقُ أَنْ يَطَّلِعَ عَلى ذَلِكَ فَإِنَّهُ لا عُذْرَ لأَحَدٍ مِنْ مَوَالِينا فِي التَّشكِيكِ فِيمَا يَؤَدِّيهِ عَنّا ثِقاتُنا قَدْ عَرفُوا بِأَنّنا نُفاوِضُهُم سِرَّنا وَنَحْمِلُهُ إِيّاهُ إِلَيهِمْ وَعَرَفْنَا مَا يَكُونُ مِنْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ»[1].

الأمر السادس: إمكان رؤية الإمام المهدي عليه السلام في عصر الغيبة الكبرى

وإحدى المسائل في قضيّة المهدويّة، التي تمّ نفيها وردّها بصراحة، ادّعاء الارتباط بالإمام صاحب الزمان عليه السلام ورؤيته، والحال أننا نرى في هذه الأيّام وللأسف بعض الأشخاص يدّعون ما يناقض هذا الأصل، أي يدّعون الارتباط ورؤية الإمام المهدي عليه السلام، ومن هذه الجهة فأحد الأسئلة التي تطرح في هذا المجال هو: هل يمكن رؤية الإمام صاحب الزمان عليه السلام في عصر الغيبة الكبرى أم لا؟

---

١. اختيار معرفة الرجال، الشيخ الكشي رحمه الله، ص ٤٣٨؛ الغيبة، الشيخ الطوسي، ص ٢٢٤.

وفي مقام الجواب عن هذا السؤال ينبغي القول بوجود أربع نظريات أو أقوال في هذا المجال، وكلّ واحد من هذه الأقوال له أدلّة وشواهد لإثبات مدّعاه، وهذه الأقوال عبارة عن:

القول الأوّل: عدم إمكان الرؤية في عصر الغيبة الكبرى

فبعد شروع عصر الغيبة الكبرى لا يمكن بأي وجه رؤية الإمام بقيّة الله الأعظم عليه السلام، وأنّ باب الرؤية قد سدّ تماماً، ومن القائلين بهذا القول شخصيات معروفة وهم: ١. المرحوم أبوعبدالله محمّد بن جعفر النعماني المعروف بالشيخ النعماني رحمه الله، وهو ابن أبي زينب (م ٣٦٠ هـ ق) في كتابه «الغيبة»، ٢. الملا محمّد محسن الفيض الكاشاني رحمه الله (١٠٠٦ ـ ١٩٠ هـ ق) في كتابه «الوافي»؛ ٣. الشيخ جعفر بن خضر كاشف الغطاء رحمه الله (م ١٢٢٧ هـ ق) في رسالته «الحقّ المبين في تصويب المجتهدين وتخطئة الإخباريين».

القول الثاني: إمكان الرؤية في عصر الغيبة الكبرى

بعد شروع الغيبة الكبرى يمكن رؤية الإمام بقيّة الله الأعظم عليه السلام لجميع الناس، سواءً المسلم وغير المسلم والعادل والفاسق، وأنّ باب الرؤية مفتوح تماماً لجميع الناس.

القول الثالث: إمكان الرؤية في عصر الغيبة الكبرى للمتقين فقط

أي إمكان رؤية الإمام صاحب الزمان عليه السلام في عصر الغيبة الكبرى للصلحاء والزهّاد والعبّاد من الناس والأفراد الطاهرين والمتّقين فقط، وباب الرؤية موصد بالنسبة للأخرين، يعني أنّ القائلين بهذا القول اختاروا الحدّ الوسط في هذا المجال.

القول الرابع: عدم إمكان الرؤية الإختياريّة وإمكان الرؤية الاضطراريّة

فبعد شروع عصر الغيبة الكبرى لا يمكن رؤية الإمام الحجّة ابن الحسن عليه السلام بشكل اختياري، ولكن يمكن «الرؤية الاضطراريّة» و«عن غير اختيار» وبدون

تخطيط مسبق بحيث تتزامن هذه الرؤية مع عدم معرفة الشخص للإمام صاحب الزمان عليه السلام، وبشرط وثاقة واعتبار الناقل لهذه الواقعة، ومن القائلين بهذا القول ممن ذهب إلى أنّ الدليل على ذلك هو ما ورد في توقيع الإمام المهدي عليه السلام إلى علي بن محمّد السمري رحمه الله، ويمكن الإشارة إلى بعض الحوادث من هذا القبيل التي وقعت للمتقدّمين والمتأخّرين، وكذلك عدد غير محدود من المعاصرين ومنهم آية الله العظمى الشيخ فاضل اللنكراني رحمه الله.

مؤيدات القول الرابع

كما رأينا آنفاً أنّ القول الرابع يوافق بعض ما ورد من التوقيعات الصادرة من الإمام المنتظر عليه السلام، ومنها ما ورد في آخر توقيع للإمام المهدي عليه السلام إلى علي بن محمّد السمري رحمه الله والذي يستند إليه المرحوم الوالد (قدّس الله نفسه الزكيّة) حيث ذهب إلى عدم إمكانيّة الرؤية الاختياريّة بأي وجه في عصر الغيبة الكبرى لجميع الناس حتّى لمراجع التقليد أيضاً، وطرح هذا الإدّعاء من الرؤية ليس له وجه صحيح أبداً، لأنّ الإمام المهدي عليه السلام أشار في هذا التوقيع إلى عدّة نقاط مهمّة وقال:

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ يا عَلِيَّ بنَ مُحَمَّدٍ السِّمُرِيِّ أَعْظَمَ اللهُ أَجرَ إِخْوانِكَ فِيكَ، فَأَنَّكَ مَيِّتٌ مَا بَينَكَ وَبَينَ سِتَّةِ أَيَّامٍ فَاجْمَعْ أَمْرَكَ وَلَا تُوصِي إِلىٰ أَحَدٍ فَيَقُومَ مَقَامَكَ بَعْدَ وَفَاتِكَ، فَقَدْ وَقَعَتْ الغَيْبَةُ التَّامَّةِ فَلَا ظُهُورَ إِلّا بَعْدَ إِذنِ اللهِ تَعالىٰ ذِكْرُهُ وَذَلِكَ بَعْدَ طُولِ الأَمَدِ وَقَسْوَةُ القُلُوبِ وَامتِلاءِ الأَرضَ جَورَاً وَسَيأتِي إلى شِيعَتِي مَنْ يَدَّعِي المُشَاهَدَةَ أَلَا فَمَنْ ادَّعىٰ المُشَاهَدَةَ قَبْلَ خُرُوجِ السُّفيَانِيِّ وَالصَّيحَةِ فَهُوَ كَذَّابٌ مُفْتَرٍ وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ»[1].

---

١. بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٣٦١، ح ٧.

والنقاط الواردة في هذا التوقيع الشريف عبارة عن:

النقطة الأُولى: تبيين دستور العمل في عصر الغيبة الكبرى في هذا التوقيع

وكما نرى أنّ هذا التوقيع يشمل عدّة مقاطع مهمّة وهي،

المقطع الأوّل: علم الإمام عليه السلام فيما يتّصل بأحوال الأمّة

نقرأ في المقطع الأوّل في هذا التوقيع: «يا عَلِيَّ بنَ مُحَمّدٍ السِّمُرِيِّ أَعْظَمَ اللهُ أَجْرَ إِخْوانِكَ فِيكَ، فَأَنَّكَ مَيّتٌ مَا بَينَكَ وَبَينَ سِتَّةِ أَيَّامٍ فَاجْمَعْ أَمْرَكَ...».

المقطع الثاني: الإعلام عن نهاية النيابة الخاصّة

يقول الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام في المقطع الثاني: «وَلا تُوصِي إِلىٰ أَحَدٍ فَيَقُومَ مَقَامَكَ بَعْدَ وَفَاتِكَ...».

المقطع الثالث: الإخبار عن بداية الغيبة الكبرى

يقول الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام في المقطع الثالث: «فَقَدْ وَقَعَتْ الغَيبَةُ التَّامَّةِ...».

المقطع الرابع: الإخبار عن طول مدّة الغيبة الكبرى

وفي المقطع الرابع يقول الإمام صاحب الزمان عليه السلام: «فَلا ظُهُورَ إِلّا بَعْدَ إِذنِ اللهِ تَعالىٰ ذِكْرُهُ وَذَلِكَ بَعْدَ طُولِ الأَمَدِ وَقَسْوَةُ القُلُوبِ وَامتِلاءِ الأَرضَ جَوراً...».

المقطع الخامس: الإخبار عن ظهور المدّعين للمشاهدة في عصر الغيبة الكبرى

يقول الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام في هذا المقطع الخامس: «وَسَيأتِي إلى شِيعَتِي مَنْ يَدَّعِي المُشَاهَدَةَ...».

المقطع السادس: تكذيب من يدّعي الرؤية قبل ظهور العلامات الحتميّة

وأخيراً يقول الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام في المقطع السادس: « أَلَا فَمَنْ ادَّعىٰ المُشَاهَدَةَ قَبْلَ خُرُوجِ السُّفيَانِيِّ وَالصَّيحَةِ فَهُوَ كَذَّابٌ مُفْتَرٍ...».

النقطة الثانية: حتمية صدور التوقيع من قِبل الإمام المهدي عليه السلام

أمّا سند هذا التوقيع فهو سند معتبر، وله ما يقارب من خمسة عشر مدركاً وكلّها ذكرت في كتاب «كمال الدين وتمام النعمة»، أو نقلاً بشكل مباشر عن طريق الشيخ الصدوق رحمه الله، وفي اعتبار هذه الرواية تكفي هذه النقطة، وهي أنّ كبار العلماء من المتقدّمين والمتأخّرين من أصحاب الإماميّة كانوا يتحفّظون في نقل هذا التوقيع في كتبهم، وعلى ضوء ذلك، يستفاد من هذه النقول أنّه لا أحد من العلماء أشار إلى ضعف سند هذا التوقيع وأنّ هذا الحديث كان مورد اهتمامهم وعنايتهم، على سبيل المثال: الشيخ الصدوق رحمه الله نقل هذا التوقيع في كتابه «كمال الدين وتمام النعمة»[١]، وكذلك الشيخ الطوسي رحمه الله في كتابه «الغيبة»[٢]، والقطب الراوندي في كتابه «الخرائج والجرائح»[٣]، والشيخ الطبرسي رحمه الله في كتابه «إعلام الورى بأعلام الهدى»[٤]، والعلّامة المجلسي رحمه الله في كتابه «بحار الأنوار»[٥]، رغم وجود اختلاف يسير في هذه النقول والذي ليس له أهميّة تذكر، مثلاً قد ورد في بعض النسخ «**قد وقعتْ الغيبة التامّة**»[٦]، وفي البعض الآخر من النسخ عبارة:

---

١. كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق رحمه الله، ج ٢، ص ٥١٦.

٢. الغيبة، الشيخ الطوسي رحمه الله، ص ٣٩٥.

٣. الخرائج والجرائح» قطب الراوندي، ج ٣، ص ١١٢٨.

٤. إعلام الورى بأعلام الهداى» الشيخ الطبرسي رحمه الله، ص ٤٤٥.

٥. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٥١، ص ٣٦٠.

٦. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٥١، ص ١٥١؛ ج ٥٣، ص ٤١٨؛ والاحتجاج الطبري رحمه الله، ج ٢، ص ٤٧٨؛ إعلام الورى، الطبرسي رحمه الله، ص ٤٤٥؛ الخرائج والجرائح، قطب الراوندي رحمه الله، ج ٣، ص ١١٢٨؛ الصراط المستقيم، البياضي، ج ٢، ص ٢٤٦؛ الغيبة الشيخ الطوسي رحمه الله، ص ٤٩٥؛ وكشف الغمة، ج ٢، ص ٥٣؛ ومنتخب الأثر والأنوار المضيئة، عبدالكريم نيلي النجفي، ص ١٣٠.

«قد وقع الغيبة الثانية»[١] أو بعض النقول عبارة «سيأتي على شيعتي من يدعي المشاهدة» وفي بعض النسخ «وسيأتي سبعون».

وعلى ضوء ذلك، فادعاء «أنّ هذا التوقيع مرسل وضعيف» أو «إعراض المشهور عن التوقيع» غير صحيح لأنّه:

أوّلاً: إن ادّعاء الإرسال لهذا التوقيع لا يمكن أن يكون صحيحاً، لأنّ رواية التوقيع من حيث السند معتبرة ولا بحث فيها، لأنّ الشيخ الصدوقﷺ نقل هذه الرواية عن أبي محمّد الحسن بن أحمد المكتب، وهو نقلها عن علي بن محمّد السمريﷺ النائب الرابع للإمام المهديعليه السلام، وبما أنّ وفاة الشيخ الصدوقﷺ وقعت في عام ٣٨١ هـ ق، فعليه أنّ الشيخ الصدوقﷺ كان قد عاش الغيبة الصغرى وكان حيّاً في عصر النائب الرابع، وبالتالي يمكنه نقل هذه الرواية من النائب الرابع بواسطة واحدة، فهذه الرواية المذكورة ليس لها مشكلة الإرسال وتتمتع بصحّة السند، وطبعاً فالشيخ الصدوقﷺ نقل عن هذا الراوي عدّة روايت وأدعية أخرى أيضاً.

ثانياً: إنّ إعراض مشهور الفقهاء والمحدّثين، بالنسبة لرواية التوقيع ليس بقادح بها من هذه الجهة أيضاً، لأنّه:

أولاً: أساساً فإنّ إعراض المشهور في هذا المورد لا معنى له، وأنّ المعترضين أساساً غير ملتفتين إلى أصل ادّعائهم، لأنّ إعراض المشهور إنّما يكون معتبراً فيما لو كان في المسائل الفقهيّة والفتوائيّة لا في المسائل الاعتقاديّة.

ثانياً: بالنسبة لهذا التوقيع، الصادر من الإمام صاحب الزمانعليه السلام كيف يمكن الادّعاء بأنّ مشهور الفقهاء والمحدّثين أعرضوا عن هذا التوقيع، في حين أنّ

---

١. كمال الدين وتمام النعمة، ج ٢، ص ٥١٦.

إعراض المشهور إنّما يكون مقبولاً بعد البحث في مطاوي كتب الفقهاء وحصول اليقين أو الاطمئنان على عدم عملهم بما يوافق هذه الرواية أو الفتوى.

وعلى ضوء ذلك، فالسؤال الذي يطرح على هؤلاء المعترضين هو: أي واحد من الفقهاء صرّح بما يخالف هذا التوقيع بحيث إنّكم تدّعون إعراض المشهور عنه؟ أو أي واحد من الفقهاء ذكر كلاماً في كتابه بما يخالف هذا التوقيع وأنّ رؤية الإمام صاحب الزمان عليه السلام ممكنة؟ أساساً فإنّ هذه المسألة وهي إمكانيّة رؤية الإمام صاحب الزمان عليه السلام وعدمها لم تطرح في الكثير من كتب الفقهاء والمحدثّين حتّى يمكن إيجاد محمل صحيح لهذا الادّعاء.

النقطة الثالثة: مقطع «من يدّعي المشاهدة» هو الأصل في دلالة الرواية

وأهم مقطع في دلالة هذه الرواية على المطلوب، هو قوله: وسيأتي إلى شيعتي من يدعي المشاهدة، بمعنى أنّه سرعان ما يأتي بعض الأشخاص إلى الشيعة ويدّعون رؤيتي ومشاهدتي، وهؤلاء يفترون الكذب وكلامهم مجرّد افتراء.

وعلى هذا الأساس فإن دلالة هذه الرواية معتبرة وجليلة، وسماحة الوالد دام ظله أيضاً قد أكّد على دلالة هذه الرواية على المطلوب، والسؤال هو: ما هو المقصود بجملة «يدعي المشاهدة»؟ في هذا المورد هناك عدّة أقوال:

القول الأوّل: تعني الرؤية الاختياريّة

فالمراد من قوله عليه السلام في جملة «يدّعي المشاهدة» هو أنّه من الممكن أن يأتي أشخاص في الأزمنة التالية للغيبة الصغرى ويدّعون أنّهم حضروا وتشرفوا عند الإمام صاحب الزمان عليه السلام ومن هذه الجهة قال الإمام عليه السلام: «**أَلَا فَمَنْ ادَّعىٰ المُشَاهَدَةَ قَبْلَ خُرُوجِ السُّفيَانِيِّ وَالصَّيحَةِ فَهُوَ كَذَّابٌ مُفْتَرٍ**».

ردّ القول الأوّل من وجهة القول المختار

كما يتبيّن من مضمون هذه الرواية، إنّ هذا التوقيع الشريف يحمل ردّاً قاطعاً

للقول الأوّل، لأنّ الإمام المهدي عليه السلام قبل عبارة «يدعي المشاهدة» ذكر مقدّمة لكلامه وقال في البداية «**فقد وقعت الغيبة الثانية / التّامّة**» وتابع الإمام عليه السلام قوله: «**فَلا ظُهُورَ إلّا بعد إذنِ الله تَعالىٰ ذكرُهُ**»، بمعنى أنّ حالة الظهور العلني للإمام قد انتهت ولا أحد يستطيع رؤيتي ولا يعرفني بأنني حجّة الله على خلقه، وعلى ضوء ذلك، وطبقاً لهذا المقطع الشريف من الرواية، فإنّ ادّعاء المشاهدة باطل من أساسه.

القول الثاني: بمعنى النيابة الخاصّة

فالمقصود من قول الإمام في عبارة «يدّعي المشاهدة»، هو أنّ الناس في الأزمنة التالية بعد تمام الغيبة الصغرى ربّما يأتي أفراد منهم ويدّعون النيابة الخاصّة، كما ذهب إلى هذا القول بعض الأكابر من العلماء والمحقّقيين.

مناقشة القول الثاني حسب القول المختار

ويبدو أنّ القول الثاني مجانب للصواب أيضاً، لأنّ من المعلوم أنّ عبارة «مَن يدّعي المشاهدة» لا تعني «من يدّعي النيابة»، وبعبارة أخرى إنّ تطبيق معنى الكلمة «عن المشاهدة» على «النيابة» خلاف الظاهر.

النقطة الرابعة: عدم وجود دليل قطعي على تحقّق الرؤية في عصر الغيبة الكبرى

والنقطة الأخرى المستوحاة من هذا التوقيع الشريف، إنّه إذا لم تكن في مسألة رؤية الإمام صاحب الزمان عليه السلام سوىٰ هذه الرواية، والظاهر هي كذلك، وأساس، لا معنى لوجود دليل آخر، ففي هذه الصورة ينبغي القول إنّ جميع الأخبار الواردة في رؤية الإمام صاحب الزمان في عصر الغيبة الكبرى كانت مبتنية على الاحتمال، يعني لا يمكن أن يدّعي أحد بشكل قاطع ويقيني وقوع مثل هذه الرؤية.

وبعبارة أخرى، مع وجود البيان المحكم والنص الصريح للإمام المعصوم عليه السلام في هذا التوقيع المبارك الذي يخاطب به نائبه الرابع ويقول: «**وَلا تُوصِ إِلىٰ أَحَدٍ فَيَقُومَ**

مَقَامَكَ بَعْدَ وَفَاتِكَ»، مبني على غلق باب النيابة الخاصّة، ومن الطبيعي أنّ الإمام عليه السلام توقّع بعلم الإمام أنّه «وَسَيأتِي إِلىٰ شِيعَتي»، في المستقبل وبعد انتهاء عصر الغيبة الصغرى من يدّعي الرؤية وأنّ «باب ادّعاء الرؤية مفتوح»، ومن هذه الجهة أراد الإمام عليه السلام في قوله: «مَنْ يَدَّعي المُشاهَدة»، الحيلولة دون وقع الفتنة من «ادعاء المشاهدة» الفتنة التي استمرت وللأسف لحدّ هذا الزمان، لأنّه ظهر في العصور الماضية أشخاص كثيرون عملوا على تخريب أذهان الناس وعقيدتهم وادّعوا أنّهم تشرفوا بحضور الإمام بقيّة الله الأعظم عليه السلام وبهذه الطريقة سعوا إلى كسب «مكانة واعتبار اجتماعي» لأنفسهم، مثلاً ما حدث من ادّعاء شخص باسم «محمّد عرفانيان» في لقائه مع الإمام صاحب الزمان عليه السلام، وهو شخص معروف في طهران إلى حدّ أنّ بعض رجال الدين جاءوا مع عدد من تجّار طهران للقاء والدنا المعظم رحمه الله ولحسن الحظ لم يأذن لهم بلقائه، ولكنّهم قالوا لي: إنّ السيّد عرفانيان يصلّي صلاته في الصبح والظهر والعشاء خلف الإمام بقيّة الله الأعظم عليه السلام، أجل، فمثل هؤلاء الأشخاص وبهذه الألاعيب وبحيل خاصّة استطاعوا تخريب ذهنيّة الناس والحصول لأنفسهم على مكانة واعتبار في المجتمع[1].

---

١. سماحة الاستاذ دامت بركاته في خصوص حضور بعض الأشخاص من السذج والبسطاء والمخدوعين من قبل الشخص المذكور: ذكر أنّهم طلبوا اللقاء مع والده المرحوم سماحة آية الله العظمى الشيخ الفاضل اللنكراني قدس سره وقال: بعد أن اطلعت في يوم الاثنين ٢٢/٥/١٣٨٦ هـ ش، من طريق الأخبار وجود مسألة ادّعاء ارتباط شخص باسم محمّد عرفانيان بالإمام صاحب العصر عليه السلام وتبيّنت الأكاذيب والانحرافات التي أشاعها هذا الشخص بين الناس، تذكّرت لعدّة سنوات مضت أنّ هذا الشخص أرسل خمسة أفراد من طهران إلى قم وللأسف أنّ أحدهم كان شيخاً مسناً ومن طلبة العلوم الدينيّة، وسائر الأفراد كانوا من الكسبة والتجّار، وفي عصر أحد الأيّام جاءوا إلى مكتبي وقالوا: نحن نريد لقاء سماحة الشيخ الوالد ونريد ☜

☜ التحدّث معه بأمر مهم وخاص... فسألت هذه الجماعة عن مرادهم ما هو؟ في البداية امتنعوا من ذكر مرادهم وقالوا: نحن نريد لقاء سماحة الوالد فقط ولدينا أمر خاصّ جدّاً معه، ولكنني قلت لهم بشكل حاسم: إذا كان لكم أمر مهمّ فاذكروه لي وإلّا فاخرجوا من هنا، وبعد أن تشاوروا فيما بينهم لمدّة قصيرة قالوا: نحن نأتي من قبل شخص في طهران يدعى عرفانيان، وهذا هو الشخص الذي صلّى جميع صلواته اليوميّة في الأوقات الثلاثة خلف الإمام صاحب الزمان عليه السلام، والإمام عليه السلام قال له: أبلغ الشيخ الفاضل اللنكراني هذه الرسالة، وقالوا إنّ الإمام أرسل رسالة لأحد مراجع الدين الآخرين بواسطة هذا الشخص ونحن سبق أن جئنا إلى ذلك المرجع واستمع إلينا بشكل كامل وأصغى لكلامنا، وقلت لهم: يمكنكم أن تقولوا ما هي الرسالة التي أعطيتموها لذلك المرجع المحترم فأخرجوا لي ورقة مكتوب عليها بخط ردىء جدّاً وباللغة الفارسيّة، سماحة.. تخالف أُمّي الزهراء عليها السلام؟ يجب عليك أن تصدر فتوى وبسرعة بأنّك لا تمانع من ذكر الشهادة بعصمة فاطمة الزهراء عليها السلام في الصلاة وتسحب فتواك السابقة بعدم جواز ذلك، وقبل أن أوصل هذه الرسالة إلى الوالد الراحل رحمه الله قلت لهم: لماذا يكتب الإمام صاحب الزمان عليه السلام بالخط الفارسي، ولماذا خطّه سيىء إلى هذه الدرجة؟ والظاهر أنّه كانت هناك عدّة أخطاء أدبيّة في هذه الرسالة القصيرة، ولكني تجاوزت هذا الكلام وقلت لذلك الشيخ من رجال الدين: أنت سبق وأن درست في الحوزة العلميّة فلماذا تصدّق بهذه الأكاذيب، فقال: إنّ هذا الشخص يختلف تماماً عن سائر من يدعي الرؤية وأساساً لا يطلب الشهرة والمقام، فقلت له: ألم تقرأ أنّ الإمام صاحب الزمان عليه السلام قال لنائبه الخاصّ الرابع رحمه الله هذا المضمون وأنّه: لا أحد بعدك سيراني ويدّعي مشاهدتي، وكلّ من يدّعي المشاهدة والرؤية فكذبوه فهو مفتر كذّاب، هل ينبغي لي أن أقبل كلام الإمام صاحب الزمان عليه السلام أو كلام هذا الشخص؟ ولم يستطع ذلك الشيخ الجواب، وقال: أنت غير مطلع على الكثير من الحقائق وأنّ هذه الرسالة إذا وصلت لوالدكم المعظم فسوف تتبيّن لك حقائق كثيرة غير مطلع لحدّ الآن على وجود رابطة خاصّة بين والدك مع الإمام صاحب الزمان عليه السلام، والتفت إليَّ أحد الأفراد من تلك المجموعة وقال: سماحة الشيخ جواد هل تتذكرني؟ فقلت: كلّا، فقال: أنا كنت في عام ١٣٦١ ـ ١٣٦٢ في المدرسة الرضويّة ودرست عندك كتاب المعالم وكنت في ذلك الوقت طالباً وكنت أنت تملك في ذلك الزمان عقائد جيدة لماذا الآن تتكلّم ☜

النقطة الخامسة: ضرورة الالتفات إلى مسألة الواجبات بدلاً من التوغل في المسائل الانحرافيّة

النقطة الأخرى التي ينبغي الالتفات إليها، إنّ الواجب على العلماء والفقهاء الحقيقيين بيان وشرح أمثال هذه الروايات بشكل جيد لعامّة المسلمين وبخاصّة الشيعة منهم والقول إنّ الله تعالى أوصد فعلاً باب المشاهدة والرؤية إلى أن يفسح المجال لذلك حسب ما يراه صلاحاً، وبعد ذلك ستتحقّق الرؤية بظهور الإمام المهدي عليه السلام، ومن هذه الجهة الشيء الذي ينبغي على الشيعة الحقيقيين في عصر

☜ بهذا الكلام؟ فقلت له بتعجب: إذا لم تخرج من الحوزة العلميّة وواصلت دراستك بشكل صحيح فسوف لا تقع في مثل هذا الفخ، وأخيراً وبعد كلام كثير قالوا: لتكن أميناً جيداً وأوصل هذه الرسالة إلى والدكم وسوف تعلم ما هو جوابه؟ وقالوا: إنّ الرسالة هي أنّ الإمام صاحب الزمان عليه السلام قال للشيخ عرفانيان: «أوصل كلامي إلى الشيخ الفاضل اللنكراني وقل له أن يتذكّر تلك الليلة العاصفة»، فقلت لهم: سوف أذهب إليه غداً وأسمع منه الجواب وعليكم استلام الجواب غداً عند الظهر، وفي اليوم الثاني عندما حضرت عند والدي الراحل (رضوان الله تعالى عليه) ونقلت له القضيّة تأثر سماحة الوالد كثيراً «من هذا الادعاء» وقال: لماذا يتّخذ البعض من مسألة الإمام صاحب الزمان عليه السلام لعبة بأيديهم؟ لماذا يستغلون عقائد البسطاء من الناس؟ وأساساً كان سماحة الوالد يتألم بشدّة من نسبة هذه الادّعاءات الفراغة والكاذبة في زماننا وشيوع مثل هذه الأفكار الباطلة ويعتقد أنّ هذه الأمور من شأنها أن تقضي على أساس المذهب والدين، وقال في الجواب: أولاً انصح هؤلاء وقل لهم إنّ الشيخ عرفانيان الذي لم أره لحدّ الآن هو إنسان كذّاب ومفتر قطعاً وعليكم أن تخلصوا أنفسكم من الوقوع في مصيدته ولا تنخدعوا بأقواله وأكاذيبه. وثانياً: قل لهم إنني طيلة عمري عشت ليالي إعصاريّة كثيرة ولكن لا أتذكر أي خصوصية لها، وعندما نقلت هذا الجواب لسماحة الوالد إليهم، فإنّهم للأسف قالوا: نحن كنّا نتصوّر أنّ ارتباط سماحة الوالد بأمر الولاية ارتباط وثيق، ولكن تبيّن الآن أنّه ضعيف في أمر الولاية...؟

منقول من مركز الموقع الالكتروني المرحوم الفاضل اللنكراني رحمه الله بعنوان

http;//lankaran.ir/far/news/shoe-news.php?sid-news=24

الغيبة الكبرى الاهتمام به هو العمل بالتكاليف والواجبات التي فرضها الإسلام العزيز على المسلمين، ومنها «التمسّك بحبل الولاية والإمامة الإلهيّة» و«التمسّك بلباس التقوى والورع» و«السعي لكسب وتعميق المعرفة بالله تعالى وبأهل البيت الطيبين الطاهرين عليهم السلام وتوثيق العلاقة معهم»، و«الانتظار الواعي والفعّال» وكذلك الكثير من الواجبات والتكاليف الواردة في الأحاديث عن أهل البيت عليهم السلام، وكتب علماء الشيعة التي تدخل في مجال بيان «صفات الشيعة».

أجل، فإنّ شدّة الفتن، وخاصّة الفتنة الكبيرة التي تأخذ بلباب وعقول العامّة من الناس وهو ادّعاء «التشرف والرؤية» أو «تعيين وقت الظهور» وكذلك كثرة البلايا التي يواجهها المسلمون في العصر الراهن وزيادة المشاكل والانحرافات في عصر الغيبة الكبرى للإمام المهدي عليه السلام تقتضي أن يهتمّ المؤمنون وأتباع أهل البيت عليهم السلام الحقيقيون بتحلية أنفسهم بالفضائل الأخلاقيّة وتهذيب نفوسهم بدلاً من التوغل في هذه المسائل الانحرافيّة مثل مسألة ادّعاء الرؤية والتشرف بالحضور عند الإمام صاحب الزمان عليه السلام، أو بدلاً من الاهتمام بمسألة تعيين وقت الظهور للإمام الحجّة ابن الحسن عليه السلام كما يدّعي بعض الأشخاص أحياناً وأنّ وقت الظهور هو عامّ ١٤١٤ هـ ق أو ٢٠١٢ م أو...، لكن بعض مضي هذا الوقت والتاريخ يقومون بتمديد هذه المدّة إلى زمان آخر ويغضون النظر عن الوقت السابق، على سبيل المثال يقومون بتأجيل الظهور من عام ٢٠١٤ م إلى سنوات أخرى فينبغي العمل على تصحيح عقائد الناس وتنظيم أعمالهم وسلوكياتهم على أساس ما ورد في تعاليم أهل البيت عليهم السلام، والسعي لحفظ الهوية المعنويّة والدينيّة لأنفسهم، لأنّ الاهتمام بالأصول المذكورة في النصوص مثل: «يأتي بغتة» أو «كذب الوقّاتون» تبيّن أنّ الأئمّة الأطهار عليهم السلام كانوا أيضاً يواجهون مثل هؤلاء الجهّال والخبثاء الذين يتحرّكون بدلاً من العمل بوظائفهم وتعاليم يدينهم لتعيين وقت ظهور الإمام عليه السلام، وبديهي أنّ الأتباع

الحقيقيين للإمام المعصوم عليه السلام ليس لهم حقّ تعيين وقت الظهور، بل حتّى ليس لهم الحقّ القول: «إنّ زمان الظهور قريب جدّاً».

أجل، لا ينبغي الالتفات إلى دعوى المدّعين للرؤية والإرتباط الخاصّ بالإمام صاحب الزمان، بل يجب تكذيبهم والاهتمام بتهذيب النفس واصلاحها، وكذلك لا ينبغي تعيين وقت لظهور الإمام عليه السلام بل يجب العمل بالتكاليف الواردة في عصر غيبة ولي الله عليه السلام.

النقطة السادسة: لزوم الاهتمام بسيرة العلماء الكبار والتصدي لمدعي الرؤية

تبيّن من مجموع ما تقدّم في مسألة التوقيع الشريف للإمام صاحب الزمان عليه السلام لنائبه الرابع رحمه الله، أنّما نشاهده اليوم من الكتب التي تتحدّث عن قصص عن لقاء الإمام المهدي ورؤيته أو نقل كرامات في هذا المجال، فاقدة للدعامة والمستند الديني والروائي، وجميع النقول التي تتحدّث بتشرف ولقاء بعض الأفراد مع الإمام صاحب الزمان عليه السلام، إذا كانت على سبيل الاحتمال فربّما تكون مقبولة باعتبار وثاقة هؤلاء الأشخاص، ولكنّ هذه الدعاوي بشكل قطعي لا تكون مقبولة إطلاقاً، وأساساً فإنّ مساحة مسألة التشرف واللقاء بالإمام صاحب الزمان عليه السلام وأمثال هذه المسائل تؤدّي بنفسها إلى الاضرار بالدين وتوجيه ضربة قاصمة إلى إيمان الناس وتتسبّب في انحرافهم عن القضيّة الأصليّة وحقيقة الانتظار، لأنّ نفس لقاء المعصوم عليه السلام ورؤيته والحضور عنده ليس دليلاً على جلالة قدر ذلك الشخص وعلوّ مرتبته، لأنّ الكثير من المنافقين في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله تشرّفوا بالحضور لديه وشاهدوه وكان غرضهم من هذا اللقاء وحتّى الحديث والكلام الخاصّ مع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ليس سوى إحراز مكانة اجتماعيّة لأنفسهم بين الناس، على سبيل المثال الآيات ١٢ و١٣ من سورة المجادلة تشير إلى نوايا هؤلاء الأشخاص:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمْ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً

ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1].

وحتّى في زمان حضور الأئمّة الأطهار عليهم السلام نرى أنّ بعض الأشخاص التقوا بالأئمّة الطاهرين عليهم السلام وتحدّثوا معهم ولكن يتفق جميع العلماء أنّ نفس هذا اللقاء والكلام مع الإمام لا يعدّ دليلاً على وثاقة وحسن إيمان هؤلاء الأشخاص.

والآن قد يثار هذا السؤال المهم: أساساً لماذا يقوم هؤلاء الكتّاب والخطباء، بدلاً من بيان المضامين السامية والمعارف الجليلة لمفهوم الإمامة والولاية، بالحديث عن القشور والأمور الفارغة من المحتوى والمضمون وبذلك يعملون على إفراغ عقيدة المهدويّة من محتواها الغني وما تتضمّن من معارف عالية ومفاهيم سامية، وذلك من أجل إلفات نظر الناس إلى هذه القشور بدلاً من الاهتمام بالمضمون، فلابدّ في هذا المورد من بيان حقيقة الانتظار للناس أو شرح هذه الحقيقة وهي ماذا يريد الله تعالى والإمام صاحب الزمان عليه السلام من الشيعة؟ هل أن الله تعالى أراد من علماء الدين وأتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام البحث في هذه الأمور القشريّة والفاقدة للمضمون السليم؟ هل من الصحيح أن يقوم بعض الأشخاص في كلامهم وكتبهم بحرف تفكير الناس عن المسائل الأصليّة للإمامة والمهدويّة إلى الاهتمام بالمسائل الفرعيّة والهامشيّة؟

أجل، إنّ الآثار المخرّبة لمثل هذه الكتب وهذه المقولات التي تنتشر في الوسط الثقافي والديني وللأسف نرى أنّها تزداد وتتوسع يوماً بعد آخر، تسهم في إبعاد أذهان الشيعة عن الحقيقة النورانيّة للإنتظار، إلى درجة أنّ بعض مراجع الدين في

---

١. سورة المجادلة، الآية ١٢ و ١٣.

قم والنجف الأشرف أطلقوا شكاواهم العميقة من هذه الظاهرة السلبيّة، وعلى ضوء ذلك ينبغي أن تتحرّك الحوزات العلميّة المقدّسة وطلّاب الدين الأكارم ومراجع الدين وعلماء الإسلام لإصلاح هذا التيار الانحرافي ووضع خطط عاجلة بالتشاور فيما بينهم للتصدي لهذه الآفة الخطيرة، لأنّ هذا النحو من الكرامات التي يتحدّث بها بعض الكتّاب للناس ليس لها أساس من الواقع والحقيقة، وأساساً فمن العجيب أنّ بعض الأشخاص السذج والذين يعيشون سرعة التصديق وضيق الأُفق بعد سماعهم هذه الادعاءات الفراغة لا يفكّرون في أنفسهم بأنّه لماذا لم يطرح مثل هذه الأمور مراجع الدين والعلماء والفضلاء ولم تحدث لديهم مثل هذه الكرامات في مدح أنفسهم؟

ومن هذا المنطلق يجب على الكتّاب الأعزاء والخطباء المكرمين، ضمن اجتناب الحديث عن مثل هذه اللقاءات الموهومة والكرامات الفارغة، تكريس العمل بالتكاليف الشرعيّة في عصر الغيبة الكبرى وكتابة الأبعاد المختلفة لسيرة علماء الدين الكبار والحديث عن المراتب العالية من العبوديّة والإيمان والفضيلة لمراجع التقليد كيما يتعرّف الناس والسالكين طريق الحقيقة والباحثين عن المعرفة على هذه المسائل، لأنّ حياة وسيرة هؤلاء العظماء مليئة بحالات من الزهد والعبادة والعلم والعمل، ومن شأنها أن ترسم برنامجاً سليماً وطريقاً سالكاً لأتباع وشيعة الإمام المهدي عليه السلام، على سبيل المثال يمكن فتح باب الحديث عن السيرة العلميّة لهؤلاء العلماء لمواجهتهم للانحرافات الفكريّة في مجتمعهم ليكونوا قدوة عمليّة وأُسوة للناس في هذا المجال.

أ) سيرة سماحة آية الله العظمى السيّد البروجردي رحمه الله

وأحد عباد الله الخالصين هو سماحة آية الله العظمى السيّد البروجردي رحمه الله، فحياته وسيرته زاخرة بالتصدي المنطقي للانحرافات والخرافات، ومن شأنها أن

تكون نموذجاً جليلاً للمؤمنين الحقيقيين والمنتظرين الواقعيين.

مثلاً إحدى حالات تصدي ذلك المرجع العظيم لمظاهر الانحراف الفكري وإن كان حسب الظاهر صغيراً، هو أنّ المرحوم آية الله العظمى السيّد البروجردي رحمه الله عندما دخل إلى مكتبه الخاص الواقع إلى جوار بيته الكريم واشترك في جلسة للخطابة، واستمع لخطبة أحد الأشخاص الحاضرين في ذلك المجلس فقال هذا الخطيب بكلّ احترام: «من أجل سلامة الإمام صاحب الزمان عليه السلام وآية الله السيّد البروجردي نرجوا رفع الصوت بالصلوات على النبي صلى الله عليه وآله»، وفجأة ظهرت علامات الاستياء والانزعاج الشديد على وجه السيّد الروجردي وقام من مقامه وقال: «من أنا حتّى تذكر اسمي إلى جانب الإمام صاحب الزمان؟».

ب) سيرة سماحة آية الله العظمى الإمام الخميني رحمه الله

والآخر من عباد الله الحقيقيين والمنتظرين الواقعيين للإمام صاحب الزمان عليه السلام، هو سماحة الإمام الخميني رحمه الله، الذي تعتبر سيرته وحياته قدوة لسائر الناس وحياته زاخرة بما يلفت النظر من الفضيلة والشرف والكرامة، وطبعاً كاتب هذه السطور، لا يتحرّك في بيان هذه المسائل من مواقع التعصب والعشق لسماحته ولا بسبب حقّ الاستاذيّة للإمام الراحل على والده المكرم، بل ينطلق من فهم عميق بينه وبين الله تعالى فيما يراه في ذلك الإمام الراحل قدس سره من تجسد حقيقة الولاية والمهدويّة في مراتبها العليا، وهو الفهم الذي عجز عن دركه واستيعابه الكثير من الأكابر، والشاهد على صدق هذا المدّعى هو كيفيّة حياة الإمام الراحل الشخصيّة والسياسيّة والاجتماعيّة والعباديّة والعلميّة والثقافيّة والشعبيّة.

والآن السؤال هو: لماذا نرى أنّ مثل هذه الشخصيّة المشرقة وصاحب الضمير اليقظ والإيمان العميق ومع توفّر جميع الظروف المناسبة لدعوى ارتباطه ولقائه مع الإمام صاحب الزمان عليه السلام لم يطرح هذه المسألة في حين أنّه كان يستطيع بسهولة أن

يحرز لنفسه مثل هذه الكرامات، ولكن رأينا ورأىٰ الناس أنّ أحد المعالم البارزة لحياة هذا الشخص العظيم أنّه لم يكن يسمح لمثل هذه المسائل أن تدخل في حياته المباركة وتشغل حيزاً من شخصيّته، وأعلى من ذلك أنّه لم يسمح أبداً أن يتوهّم أحد من الناس بأنّه على ارتباط بالإمام صاحب الزمان عليه السلام، وفي هذا المجال نكتفي بنقل ثلاث حوادث فقط وهي عبارة عن:

الحادثة الأُولى: أشاع بعض الناس في بداية انتصار الثورة الإسلاميّة في ايران أنّهم رأوا صورة الإمام الخميني قدس سره على وجه القمر، وبمجرّد أن سمع الإمام الخميني قدس سره هذه الشائعة وبدون السكوت عليها أو استثمارها لصالحه، فتحرّك على صعيد التصدي الشديد لها وردّها.

الحادثة الثانية: بعد انتصار الثورة الإسلاميّة كان بعض الأشخاص يأتي للقاء الإمام الراحل قدس سره ويتحدّثون معه بكلمات مشحونة بالغلو والمدح والثناء، في حين أنّ الإمام الراحل قدس سره، وضمن مواجهته لمثل هذه التعبيرات، كان يفهم الطرف الآخر بأنّ المنتظر الحقيقي للإمام المهدي عليه السلام لا يستخدم أبداً مثل هذه التعبيرات المغالية في مواجهة الأشخاص المحترمين.

الحادثة الثالثة: في حياة الإمام الخميني قدس سره كان بعض الأشخاص الانتهازيين والجاهلين يدّعون الارتباط مع الإمام صاحب الزمان عليه السلام ويستغلون عواطف الناس وإحساساتهم النقيّة بالنسبة لمسألة المهدويّة، وفي أحد الموارد تحدّث الإمام الراحل قدس سره وبكثير من الدقّة والظرافة في إثبات خواء ادّعاء هؤلاء الأشخاص[1].

---

١. وقصّة هذا اللقاء ينقلها سماحة حجّة الإسلام السيّد مهدي إمام جمراني ويقول:... جاء رجلان إلى السيّد... وقالوا له: نحن بالنيابة عن الإمام صاحب الزمان عليه السلام مأمورون لكي نصل إلى خدمة الإمام الخميني قدس سره ونطرح مسائل مهمّة وحيويّة جداً، وذهب السيّد الجمراني إلى ☜

أجل، فإنّ روحيات الإمام الخميني‌ﷺ وأقواله في مواجهة الأفكار المنحرفة والعقائد الخرافية يجب أن تكون أُسوة ونموذجاً يقتدى به من قبل السالكين في طريق الحقّ والحقيقة.

ج) سيرة سماحة آية العظمى الفاضل اللنكراني‌ﷺ

وهكذا ما نراه من سيرة والدنا المعظمﷺ حيث إنّه إلى آخر لحظة من حياته

☜ الإمام الخميني‌ﷺ واستأذنه في قدوم هؤلاء عليه وقال له: هؤلاء يرجون لقاءك وربّما كان لهم بعض المسائل التي يطرحونها معكم... ولكن الإمام الخميني‌ﷺ وقال: أنا في هذه المسائل أعمى الباطن، وأنا لا أقبل بمثل هذه الادّعاءات ولا أحتاج إلى أن يخبرونني ببعض الأمور، ولكن هؤلاء أصرّوا على لقاء الإمام، وعندما رأى الإمام الخميني‌ﷺ إصرار هؤلاء على لقائه قال: ولكني في البداية أختبرهم، فإذا تبيّن من خلال الاختبار أنّهم صادقون فسوف استمع إلى كلامهم، فجاء هؤلاء وعددهم ثلاثة أشخاص رجلان وامرأة عند الإمام الخميني‌ﷺ، وعندما جلسوا أمامه قالوا: نحن مأمورون من قبل الإمام ولي العصر والزمان‌عليه السلام لكي نأتي إليكم ونطرح بعض المسائل، فقال الإمام‌عليه السلام: لا اصغي إلى كلامكم قبل أن أطرح عليكم عدّة أسئلة، فلو أنّكم أجبتم عليها فسوف أسمع لكلامكم، قال الإمامﷺ: ما هو الشيء الذي بالنسبة لي عزيز جدّاً وأنا أُحبّه كثيراً، فما هو؟ السؤال الثاني: أنا لدي ضالّة وقد افتقدت شيئاً في حياتي، فقولوا نا هو هذا الشيء وأين؟ السؤال الثالث‌عليهم السلام: ما هي العلاقة بين الحادث والقديم، أي الرابطة بين الحدوث والقدم، وأطلب منكم أن تسألوا صاحب الزمان‌عليه السلام وأتوني بجواب هذه الأسئلة، فقالوا: نعم، سوف نذهب إلى الإمام صاحب الزمان‌عليه السلام ونأتيكم بجواب هذه الأسئلة، وفقال الإمامﷺ: متى تأتون؟ فقالوا: الاسبوع القادم، فقال الإمام‌عليه السلام: لا بأس سوف انتظركم إلى الاسبوع القادم، وذهبوا وبعد مدّة جاءوا إلى الإمام، فقالوا: أمّا بالنسبة إلى السؤال الأوّل حيث قلتم ما هو الشيء الذي أُحبّه جدّاً، فهو ولدكم الكبير الحاج السيّد مصطفىﷺ الذي توفي سابقاً، والمورد الثاني: وهو الشيء الذي فقدتموه ولست أذكر ماذا قالوا للإمامﷺ في هذا المورد، وفي المورد الثالث: إنّ الإمام ولي العصر‌عليه السلام لم ير الجواب عنه صلاحاً، فقال الإمامﷺ: اذهبوا من هنا، فأنتم كذابون، فقام هؤلاء وخرجوا من بيت الإمام، ثمّ كتبوا رسالة للإمام الخميني‌ﷺ مليئة بالسباب والكلمات البذيئة.

المباركة اهتم بهذا الأمر المهم وتصدى لهذه الانحرافات الفكريّة والموهومات الزائفة، وبالنسبة لرواية التوثيق لعليّ بن محمّد السمري كان له اهتمام وعناية خاصّة بها، وكان يقول للعلماء والناس استناداً لهذا التوقيع: «كذب الوقاتّون وكذلك الأشخاص الذين يدّعون لقاء الإمام صاحب الزمان عليه السلام ورؤيته الاختياريّة»، بل إنّ سماحة الوالد تصدىٰ بشدّة للكتب التي تطبع وتنشر في زمانه وتتضمّن كرامات بعض الأشخاص وادعاءهم لرؤية ولقاء الإمام صاحب الزمان عليه السلام مثلاً بالنسبة لكتاب يتحدّث عن المرحوم رجب علي الخياط، يقول قدس سره: إنّ بعض الأمور في هذا الكتاب كذب، أجل، فالعالم الحقيقي هو الذي يعمل بحكم وظيفته الشرعيّة ويواجه مثل هذه البدع الخطيرة في زمانه ويتصدى لمثل هذه الانحرافات وعلى الأقل يتقدّم بالنصيحة لمنع نشر مثل هذه الكتب الفارغة والتي تحتوي على مثل هذه الادّعاءات الواهية.

والآن ألا ينبغي في مواجهة هذه الانحرافات والخرافات أن نقتديبسيرة هؤلاء العظماء ونجعلهم أُسوة وقدوة لنا في أعمال وأقوالنا؟ هل من الصحيح ما يدّعيه البعض بأنّ السيّد الفلاني يتناول فطوره وغداءه وعشاءه مع الإمام صاحب الزمان عليه السلام، هل صحيح ما يدّعيه البعض بأنّ الشيخ الفلاني يصلّي في الأوقات الثلاثة في كلّ يوم يصلّي خلف الإمام صاحب الزمان عليه السلام؟ هل صحيح ما يدّعيه البعض بأنّ السيّد الفلاني استخدم رياضة خاصّة وارتبط مع الإمام صاحب الزمان عليه السلام، وقد أذن له بأن يتحرّك على صعيد إضلال الناس واغوائهم؟ هل صحيح أنّ بعض الأشخاص من الأُميين يدّعون الارتباط مع عالم الغيب ومن خلال التمسّك ببعض الأعمال التي تخدع العوام والبسطاء من الناس، ومنها تأكيد على تعبير المنام وإشاعة أنّهم يتغدون مع الإمام صاحب الزمان عليه السلام أو يصلّون خلف الإمام صاحب الزمان عليه السلام أو يأخذون أحكام هذه من الذات المقدّسة عليه السلام وينشرون إشاعة أنّهم يستلمون المساعدة الماليّة من الإمام ولي العصر والزمان عليه السلام وبذلك

يستغلون تدين الناس وعواطفهم وحبّهم للدين ويتلاعبون بعقائدهم وأفكارهم وفي نهاية المطاف يتسبّبون في توهين عرى الإيمان وتشويه سمعة الدين وإساءة الظنّ بمذهب التشيع من قبل الشبّان وسائر المسلمين؟ الظاهر أنّ جواب أصحاب العقول النيرة واضح كالشمس، لأنّ هذه الادّعاءات باطلة ومجانبة للصواب قطعاً، ولو لم يتمّ التصدي لهذه الادّعاءات الموهومة ومواجهة هؤلاء المدعين الكذبة فسوف يتسبّب ذلك قطعاً في إضلال المجتمع الإسلامي وانحراف أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ومن هذه الجهة يجب على علماء البلاد وفضلاء الحوزة العلميّة التصدي لمثل هذه العقائد الخرافيّة والسلوكيات مغرضة.

النقطة السابعة: تعميق مسألة إشراف الإمام صاحب الزمان عليه السلام بدلاً من مسألة اللقاء والرؤية

إنّ التمنيات القلبيّة لجميع عشّاق الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام أن تقع أعمالهم مورد رضا هذا الإمام عليه السلام، وأساساً فالاعتقاد الصحيح، وطبقاً لما ورد في الآيات القرآنيّة والروايات الشريفة، أنّ الإمام عليه السلام يعلم بما يدور في أعماق قلوب الناس ويملك احاطة تامّة بأقوالهم وأعمالهم وسلوكياتهم وحتّى يعلم بنوايا شيعته ومريديه، وفي هذا المجال ورد في الرواية عن يعقوب بن شعيب قال: سألت من الإمام الصادق عليه السلام عن معنى الآية الشريفة ١٠٥ من سورة التوبة التي تقول:

﴿وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ...﴾[١].

فقال الإمام الصادق عليه السلام في جوابه:

«هُمُ الأئمّةُ»[٢].

وفي هذا المجال، فقد نقل الشيخ الطوسي رحمه الله بعض الروايات الشريفة التي تقرر أنّ

---

١. سورة التوبة، الآية ١٠٥.

٢. الكافي، الشيخ الكليني رحمه الله، ج ١، ص ٢١٩؛ تفسير نور الثقلين، العروسي الحويزي، ذيل الآية ١٠٥ سورة التوبة.

كتاب أعمال العباد يعرض على الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام في كلّ أُسبوع مرّتين في يوم الاثنين والخميس ويقرأ الإمام عليه السلام ما ورد في كتاب أعمالنا، تقول الرواية:

«إِنَّ الأَعمَالَ تُعْرَضُ عَلىٰ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فِي كُلِّ إثنَينِ وَالخَمِيسِ فَيَعْلَمُها وَكَذَلِكَ تُعْرَضُ عَلىٰ الأَئَمِّةِ عليهم السلام فَيَعْرِفُونَها»[1].

والآن السؤال هو: هل أنّ الاعتقاد بعلم وإشراف الإمام صاحب الزمان عليه السلام على أقوال الناس وأعمالهم وحتّى أفكارهم أقلّ شأناً من الحضور الظاهري له والتشرف بلقائه وخدمته، وبعبارة أخرى، إذا اعتقد الإنسان في خلوته بأنّ الإمام صاحب الزمان عليه السلام ناظر إلى أعماله وسلوكياته، فهل أنّ مثل هذه العقيدة أقلّ من التشرّف الظاهري بلقاءه؟

الجواب: من اليقين أنّ مثل هذا الاعتقاد أعلى وأسمى من مسألة التشرّف بلقاء الإمام صاحب الزمان عليه السلام وأهم وأكثر تأثيراً في حياة الإنسان، لأنّه ما أكثر الانتهازيين والمحتالين الذين ادّعوا التشرّف بلقاء الإمام صاحب الزمان عليه السلام دون أن يكون لهم ذرة من الاعتقاد باشراف الإمام صاحب الزمان وعلمه بأفعالهم وأعمالهم، ومن هذه الجهة لم يرحموا الناس في أموالهم ولا في أعراضهم ونواميسهم.

وعلى ضوء ذلك، فالمؤمن الحقيقي والمنتظر الواقعي هو ذلك الشخص الذي يتحرّك على صعيد تطبيق ما ورد عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام من تعاليم وأحكام أخلاقيّة وشرعيّة لا كلمة أكثر ولا كلمة أقلّ، وبديهي أنّ الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام بهذا التوقيع الشريف صرّح بنفي الرؤية والمشاهدة، إذن ما له قبس من الحقيقة وله قيمة دينيّة وأخلاقيّة هو أنّ جميع أفعال وأعمال المؤمنين والشيعة تعرض على

---

١. الكافي، الشيخ الكليني رحمه الله، ج ٥، ص ٣٢٩.

الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام وأنّ الإمام مطّلع عليها ويعلم بها.

والخلاصة، إنّه يجب على الكتّاب والخطباء، بدلاً من الانشغال بالمسائل والمواضيع الفارغة وعديمة الهوية الدينيّة ومن المجعولات والخزعبلات الباطلة، أن يتحدّثوا عن مسائل أصيلة ولها قيمة وأهميّة للناس وللدين ويبيّنون المسائل المفيدة للمنتظرين ويقولوا:

أيّها المنتظر! أنت أينما كنت في هذه الأرض، فإنّ آخر حجّة إلهيّة هو الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام ناظر إلى أعمالك وأفعالك، سواءً كنت في الخلوة أو في الجلوة، سواءً كنت لوحدك أو مع جماعة، وسواءً كنت في داخل البيت أو خارجه، وسواءً كنت في وضح النهار أو في غسق الليل.

نعم، فالإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام شاهد على أفعال وسلوكيات الشيعة، وما أعظمه من شاهد.

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الظهور، الوعد الالهي الحتمي

محاضرة في ذكرى ولادة الإمام ولي العصر عليه السلام

ما ستقرأه في المقالة السابعة:

* التحقيق في الآية الأُولى من سورة النحل التي تنطبق على موضوع المهدويّة، ضمن ثلاث نقاط: النقطة الأُولى: بيان شأن نزول الآية؛ النقطة الثانية: بيان التأويلات الواردة في ذيل الآية؛ النقطة الثالثة: بيان المراد من عبارة «أمر الله» الواردة في الآية الشريفة.

* ما ينبغي عمله في مراسيم إحياء ليلة النصف من شعبان، الدستور المعرفي: لزوم إعادة معرفة مفهوم الانتظار والوظائف المهمّة فيه، الدستور العملي: بيان عدّة أعمال في معرفة النفس، ومعرفة الإمام، ومعرفة الله، الصفة الأُولى: ليلة الإحياء واليقظة، الصفة الثانية: ليلة الرحمة، والغفران، والمغفرة والرضوان والتوبة والنعمة والجود والاحسان، الصفة الثالثة: ليلة الخلاص من جهنّم؛ الصفة الرابعة: ليلة تثبت المقدّرات وتقسيم الأرزاق؛ الصفة الخامسة: ليلة البذل والغفران الإلهي والعفو عن الذنوب، الصفة السادسة: ليلة الصلاة، وقراءة القرآن، والاستغفار والدعاء، الصفة السابعة: ليلة استجابة الدعاء وقبول الحوائج، الصفة الثامنة: ليلة الدعاء المخصوص للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله في ساحة الربوبية.

*الخلاصة ونتيجة البحث.

بسم الله الرحمن الرحيم

الظهور، الوعد الإلهي الحتمي

﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1]

ليلة النصف من شعبان ليلة عظيمة جدّاً من حيث الفضيلة واالكرامة وقد اعتبرها الأئمّة الطاهرون عليهم السلام أفضل ليلة بعد ليلة القدر، لأنّ الله تعالى في هذه الليلة المبارك يُنزل كرمه وفضله وألطافه على عباده ويغفر لهم بجوده.

وطبعاً ينبغي أن نشكر الله تبارك وتعالى لتوفيقه لنا بالمشاركة في مراسيم إحياء هذه الليلة المباركة، والدعاء والمناجاة في مسجد الإمام الحسن العسكري عليه السلام الذي تأسس بأمر هذا الإمام عليه السلام

موضوع البحث

لا شكّ أنّ زمان ظهور آخر الحجج الإلهيين المذخور للبشريّة والخفي عن الأنظار، لا يعلمه إلّا الله تعالى، ولكن ما هو مسلّم في دائرة المعتقدات الدينيّة أنّ الإمام المهدي عليه السلام سيظهر قطعاً في يوم من الأيّام ويحقّق بنهضته الإلهيّة حكومة العدل والقسط في أجواء المجتمعات البشريّة، لأنّ هذه المسألة هي مقتضى الأمر الإلهي والمشيئة الربّانيّة.

---

١. سورة النحل، الآية ١.

وفي هذا المجال توجد آيات وروايات كثيرة، وفي هذا البحث نستعرض مورداً واحداً منها ونعرضه على بساط البحث، ولكن قبل ذلك نبيّن عدّة نقاط مهمّة:

التحقيق في الآية الأُولى من سورة النحل وانطباقها على موضوع المهدويّة ضمن ثلاث نقاط:

وإحدى الآيات الشريفة التي أنزلها الله تبارك وتعالى على قلب نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله الآية الأُولى من سورة النحل المباركة، التي تتعلّق طبقاً لبعض التأويلات، بمسألة قيام الإمام المنتظر عليه السلام، وكما تقدّم أنّ الله تعالى في هذه الآية الشريفة يخاطب نبيّه الكريم:

﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1].

النقطة الأُولى: بيان شأن نزول الآية

في بيان شأن نزول هذه الآية فقد ذكروا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال للمشركين والكفّار: إذا لم تطيعوا أوامر الله تعالى سوف تبتلون بالعذاب الإلهي، ولكن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وآله: متى يحين العذاب الإلهي الذي تتوعدنا به، وأين هذا العذاب الإلهي الذي ما زلت تتوعدنا به؟ قالوا: دع العذاب ينزل علينا «ائتنا بعذاب»، وهنا نزلت الآية الأُولى من سورة القمر:

﴿اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾[2].

فالآية الشريفة تقول للنبي الكريم صلى الله عليه وآله، يارسولنا! إنّ الساعة ويوم القيامة قريب ومن علاماتها إنشقاق القمر، وهذا يشير إلى اقتراب وقوع يوم القيامة، ولكن عندما نزلت هذه الآية الشريفة، قال المشركون والكفّار: ربّما يكون العذاب في طريقه إلينا،

---

١. سورة النحل، الآية ١.

٢. سورة القمر، الآية ١.

ولذلك اتركوا أعمالكم، وقالوا: يجب أن نرى هل أنّ هذا العذاب وصل وأنّ يوم القيامة قريب التحقّق أم لا؟ وبالتالي أنّهم صبروا مدّة، ولكنه لا وجود للعذاب والقيامة، ومن هذه الجهة أنكروا مرّة ثانية نزول العذاب وتحقّق يوم القيامة، وقالوا لرسول الله ﷺ لا وجود ليوم القيامة، وهنا نزلت الآية الأُولى من سورة الأنبياء، تقول:

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾[١].

وهكذا استمر الحال إلى آخر المرحلة حيث نزلت الآية الأُولى من سورة النحل:

﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٢].

وهذا يعني أنّك أيّها النبيّ ﷺ قل لهم: أن لا يستجعلوا فإنّ أمر الله تعالى سيأتي بسرعة وكأنّه قد وقع فعلاً، ولا يتصوّروا أنّ يوم القيامة لا يتحقّق قريباً ولا وجود ليوم القيامة، وإذا كان المشركون يهدفون من ذلك إلى اتخاذ الأوثان شفعاء عند الله، فإنّ الله تعالى لا يقبل بشريك له، ولا تستطيع هذه الأوثان عمل أي شيء لهم[٣].

---

١. سورة الأنبياء، الآية ١.

٢. سورة النحل، الآية ١.

٣. تفسير الرازي، الفخر الزاري، ج ١٩، ص ٢١٧ ـ ٢١٨، يقول الفخر الرازي في هذا المجال: «إنّ رسول الله صلى الله عليه (آله و) سلّم كان يخوفهم بعذاب الدنيا تارة وهو القتل والاستيلاء عليهم كما حصل في يوم بدر، وتارة بعذاب يوم القيامة وهو الذي يحصل عند قيام الساعة، ثمّ إنّ القوم لما لم يشاهدوا شيئاً من ذلك احتجوا بذلك على تكذيبه وطلبوا منه الإتيان بذلك العذاب، وقالوا له: ائتنا به، وروي أنّه لما نزل قوله تعالى: «اقتربت الساعة وانشق القمر» (القمر، ١)، قال الكفّار فيما بينهم إنّ هذا يزعم أنّ القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما تعملون لننظر ما هو كائن فلمّا تأخّرت قالوا: ما نرى شيئاً ممّا تخوفنا به، فنزل قوله: «اقترب للناس حسابهم» (الأنبياء، ١)، فاشفقوا وانتظروا يومها فلمّا امتدت الأيّام قالوا: يا محمّد ما نرى شيئاً ممّا تخوفنا به فنزل قوله: «أتى أمر الله» فوثب رسول الله صلى الله عليه ☜

النقطة الثانية: بيان التأويلات الواردة في ذيل الآية الشريفة

ومن مراجعة مجموع الروايات الواردة في ذيل الآية الشريفة يتبيّن أنّ هذه الآية، وبحسب رواية صحيحة جدّاً وفي الحدّ الأعلى من الصحّة، أنّ المقصود بهذه الآية موضوع المهدويّة.

أمّا في بيان صحّة هذه الرواية فإنّ الشيخ الصدوق﵀ نقلها في كتابه الشريف (كمال الدين وتمام النعمة» ويكفي في ذلك هذه النقطة وهي أنّ الرواة الذين وقعوا في سلسلة هذه الرواية هم من أجلاء أصحاب الأئمّة الطاهرين﵈، ومن الأشخاص المحترمين جدّاً، من قبيل: الشيخ محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد القمي﵀ (.. ـ ٣٤٣ هـ ق)[١]، ومحمّد بن الحسن الصفّار﵀ (... ـ ٢٩٠ هـ ق)[٢]، ويعقوب بن يزيد الأنباري القمي﵀ (... ـ...)[٣]، ومحمّد بن زياد بن عيسى الأزدي

☜ (آله و) سلّم ورفع الناس رؤوسهم فنزل قوله: «فلا تستعجلوه» والحاصل أنّه عليه السلام لما أكثر من تهديدهم بعذاب الدنيا وعذاب الآخرة ولم يروا شيئاً نسبوه إلى الكذب».

١. أبوجعفر محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد القمي، هو أحد أكابر فقهاء الإماميّة ومحدّثيهم، الذي حمل لواء علوم آل محمّد بعد وفاة الشيخ الكليني﵀ (٢٣٨ هـ ق)، ووالد الشيخ الصدوق﵀ (٣٢٩ هـ ـ ق)، ويقول الشيخ النجاشي في وصف هذا العالم الجليل «**شيخُ القميين وفَقيههُم ومُتقدّمهم ووَجهَهم.. ثقة ثقة عَين مسكون إليهِ**»، (الرجال، الشيخ النجاشي﵀، ص ٣٨٣).

٢. محمّد بن الحسن بن فرّوخ الصفّار، من الفقهاء والمحدّثين الكبار في قم، وهو استاذ الشيخ الكليني﵀ والد الشيخ الصدوق﵀، ويعدّ ابن الوليد القمي﵀، وهو صاحب تأليفات وكتب كثيرة منها كتاب: «الردّ على الغلاة» وكتاب «المثالب»، وكتاب «بصائر الدرجات»، يقول عنه الشيخ النجاشي﵀: «أنّه جليل القدر»، ويقول: «كانَ وجهاً من أصحابِنا القُميين، ثقة عظيم القدر راجحاً، قليل السقط في الرواية». (الرجال، الشيخ النجاشي﵀، ص ٣٥٤).

٣. أبو يوسف يعقوب بن زيد بن حمّاد الأنباري القمي﵀، من الشخصيّات البارزة وصاحب ☜

المعروف بمحمّد بن أبي عمير (١٢٥ / ١٣٥ ـ ٢١٧ هـ ق)[١]، وأبان بن عثمان رحمه الله (... ـ ١٧٠ هـ ق)[٢]، وأبان بن تغلب رحمه الله (... ـ ١٤١ هـ ق)[٣].

وهذه الرواية ينقلها أبان بن تغلب رحمه الله عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

☜ مكانة عالية في الشيعة وكثير الرواية في الإماميّة، وهو استاذ أحمد بن إدريس القمي رحمه الله (٢٠٦ هـ ق)، وأحمد بن محمّد بن خالد البرقي القمي رحمه الله (.. ـ ٢٧٤ هـ ق)، الكثير من أجلاء الأصحاب، وقد أدرك ثلاثة من أئمّة أهل البيت عليهم السلام وهم: الإمام الرضا والإمام الجواد والإمام الهادي عليهم السلام، يقول عنه الشيخ النجاشي رحمه الله: «يعقوب بن يزيد أبويوسف.. أحد كتّاب المنتصر الخليفة العبّاسي، ثمّ ذهب إلى بغداد، وهو يتميّز بصفتين: الوجاهة والصدق. (الرجال، الشيخ النجاشي رحمه الله، ص ٥٤٠).

١. أبوأحمد محمّد بن زياد بن عيسى المعروف بـ«محمّد بن أبي عمير رحمه الله من محدثّي الإماميّة ومن أصحاب الإجماع الذي ليس عالم فقط في فقه الشيعة، بل في فقه أهل السنّة، وهو استاذ أحمد بن محمّد بن عيس رحمه الله، والفضل بن شاذان رحمه الله، وصفوان بن يحيى رحمه الله، والحسن بن محبوب رحمه الله،...، وكان له التوفيق لدرك أربعة أئمّة معصومين عليهم السلام، وهم: الإمام الصادق، والإمام الكاظم، والإمام الرضا والإمام الجواد عليهم السلام يقول الشيخ النجاشي رحمه الله في حقّه: «**جليل القدر، عظيم المنزلة عندنا، وعند المخالفين**». (الرجال، الشيخ النجاشي، ص ٣٢٦).

٢. أبان بن عثمان الأحمر البجلي رحمه الله من الشخصيّات البارزة للشيعة، ومن أصحاب الإجماع، وهو أُستاذ محمّد بن أبي عمير رحمه الله، ومحمّد بن زياد بيّاع رحمه الله، وحمّاد بن عيسى رحمه الله، والحسن بن محبوب رحمه الله، ويونس بن عبدالرحمن رحمه الله، والكثير من أكابر الأصحاب، ويعدّ من جملة شباب أصحاب الإمام الباقر والصادق عليهما السلام، ويرى الشيخ الكشي رحمه الله أنّه فقيه ومن أصحاب الإجماع. (الرجال، الشيخ الكشي، ص ٣٧٥ ـ ٧٠٥).

٣. أبوسعيد أبان بن تغلب بن رياح الجريري من أوثق فقهاء الإماميّة وأعظم الشخصيّات الفقهيّة للشيعة وقد أدرك ثلاثة من أئمّة أهل البيت عليهم السلام وهم: الإمام زين العابدين، والإمام الباقر، والإمام الصادق عليهم السلام، وفي جلالة شأنه يكفي أنّ الإمام الباقر عليه السلام خاطبه بقوله: «اجلس في مسجد المدينة وافتِ الناس فإنّي أُحبّ أن يُرى في شيعتي مثلك». (الفهرست، الشيخ الطوسي رحمه الله، ص ١٧)، وعندما وصل خبر وفاة أبان للإمام الصادق عليه السلام قال: «**أمّا والله لقَد أَوجَعَ قَلبي مَوتَ أبان**». (رجال، الشيخ النجاشي رحمه الله، ص ٧ ـ ١٠).

«أَوّلُ مَنْ يُبَايعُ القَائِمَعليه السلام جِبرَئِيلُ يَنْزِلُ عَلَيهِ فِي صُورَةِ طَيْرٍ أَبْيَضٍ[1] فَيُبَايعَهُ، ثُمَّ يَضَعُ رِجلاً عَلىٰ بَيتِ اللهِ الحَرام، وَرِجلاً عَلىٰ بَيتِ اللهِ المقَدسِ، ثُمَّ يُنادِي بِصَوتٍ طلق تسمعه الخلائق، أَتىٰ أَمرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ»[2].

وبعبارة أخرى طبقاً لهذه الرواية فإنّ ظهور الإمام القائمعليه السلام سيتحقّق في زمان ييأس فيه الكثير من المؤمنين من ظهوره، كما أنّ جماعة من صدر الإسلام يأسوا من وقوع يوم القيامة، وطرحوا ذلك بشكل إستفهام إستنكاري على رسول اللهصلى الله عليه وآله قالوا: متى يأتي العذاب الإلهي الذي تتوعدنا فيه، وأنّ أمر ظهور الإمام المهديعليه السلام يتأخّر إلى حدّ يكون هذه المسألة عجيبة عند الناس ويعيش الكثير منهم حالة اليأس من أصل ظهوره، ولكن فجأة يسمع جميع الناس في العالم النداء السماوي وهو صوت جبرئيلعليه السلام بحيث يشمل جميع مَن في السماوات والأرض، وهو من العلامات الحتميّة للظهور، ويقول إنّ أمر الله قد أتى فلا استعجلوه بل قد ورد في إحدى الروايت الواردة عن الإمام الباقرعليه السلام أنّ جبرئيلعليه السلام، مضافاً إلىٰ البشارة بظهور الإمام، يذكر اسمه واسم أبيه أيضاً ويبشّر جميع العالم بظهوره، هنا نستعرض مقطع من هذه الرواية الشريفة:

«عَنْ أَبِي جَعْفَرٍعليه السلام أَنَّهُ قَالَ:.... الصَّيحَةُ... صَيحَةُ جِبرِئِيلَ إِلىٰ هَذَا الخَلْقِ، ثُمَّ قَالَ: يُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ بِاسمِ القَائِمِعليه السلام فَيَسْمَعُ مَنْ بِالمَشْرِقِ وَمَنْ

---

١. أمّا ما هو المقصود من الطير الأبيض، هنا عدّة احتمالات: الاحتمال الأوّل: هو هذا الطير الدنيوي، الاحتمال الثاني: لعلّه بسبب نورانيّته فقد ورد تشبيهه بالطير الأبيض.

٢. كمال الدين، الشيخ الصدوقرحمه الله، ج ٢، ص ٦٧١؛ بحار الأنوار، العلّامة المجلسيرحمه الله، ج ٥٢، ص ٢٨؛ وتفسير العيّاشي، محمّد بن مسعود السمرقندي (العيّاشيرحمه الله)، ج ٢، ص ٢٥٣، وفي نسخة العيّاشي ورد قليل من الاختلاف «إنّ أوّل من يبايع القائم جبرائيل ينزل عليه في صورة طير أبيض فيبايعه، ثمّ يضع رجلاً على البيت الحرام، ورجلاً على البيت المقدّس، ثمّ ينادي بصوت رفيع، أتى أمر الله فلا تستعجلُوهُ».

بِالمَغْرِبِ لَا يَبْقَىٰ رَاقِدٌ إِلّا استَيقَظَ وَلَا قَائِمٌ إِلّا قَعدَ وَلَا قَاعِدٌ إِلّا قَامَ عَلىٰ رِجْلَيهِ... فَرَحِمَ اللهُ مَنْ اعْتَبَرَ بِذَلِكَ الصَّوتِ... فَلَا تَشُكُّوا فِي ذَلِكَ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا... وَعَلَامَةُ ذَلِكَ أَنَّهُ يُنادِي بِاسِمِ القَائِمِ وَاسِمِ أَبِيهِ...»[١].

وعلى هذا الأساس، مع غض النظر عن الروايات والأخبار التاريخيّة إذا أراد شخص إقامة دليل من القرآن الكريم فقط على ظهور الإمام المهدي عليه السلام ومن جملة الكثير من الآيات الشريفة الدالة على موضوع المهدويّة، يمكن الاستناد إلى الآية الأُولى من سورة النحل، وهذه الآية قد وردت رواية معتبرة جدّاً في تأويلها، وهي رواية أبان بن تغلب رحمه الله المبنية على أنّه سيأتي زمان يصل فيه نداء من السماوات يستوعب جميع الدنيا والعالم، وهو صوت جبرئيل عليه السلام، ويقرأ الآية الشريفة على الناس ويبشّر أهل العالم فرداً فرداً بظهور الإمام قائم آل محمّد عليهم السلام كما ورد في الآية التعبير عنه بـ ﴿أَمْرُ اللهِ﴾.

النقطة الثالثة: بيان المراد من قوله «أمر الله» في القرآن والآية الشريفة

النقطة الأُخرى التي ينبغي بيانها في هذا المورد، أنّ عبارة ﴿أَمْرُ اللهِ﴾ في هذه الآية الشريفة ماذا تقصد، وما هو المراد منها؟ في مقام الجواب ينبغي القول: من خلال الرجوع إلى القرآن الكريم يتبيّن أنّ ﴿أَمْرُ اللهِ﴾ يطلق على فعل من الأفعال الإلهيّة التي تصدر فقط من الإرادة المباشرة للذات الإلهيّة المقدّسة، ويتدخل الله مباشرة في تحقّقه، ولا يسمح لسائر مخلوقاته أن يتدخل فيها، فلا ينبغي لأحد الشكّ في أمر الله، لأنّه قطعي وحتمي سيتحقّق حتماً، ومن هذه الجهة أشار القرآن الكريم وفي موارد متعددة لهذه الحتميّة والقطعيّة بأنّها ﴿أَمْرُ اللهِ﴾، وذلك كما ورد في الآيات:

---

١. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٥٢، ص ٢٣٠؛ الغيبة، الشيخ النعماني رحمه الله، ص ٢٥٣.

﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً﴾ [١]، ﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ﴾ [٢]، ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ [٣]، ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ [٤]، ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ [٥]، ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [٦]، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً﴾ [٧]، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً﴾ [٨]، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾ [٩]،

---

١. سورة النساء، الآية ٤٨: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً﴾.

٢. سورة التوبة، الآية ٤٨: ﴿لَقَدْ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾

٣. سورة هود، الآية ٤٣: ﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنْ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنْ الْمُغْرَقِينَ﴾.

٤. سورة هود، الآية ٧٣: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾.

٥. سورة الرعد، الآية ١١: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾.

٦. سورة النحل، الآية ١: ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

٧. سورة الأحزاب، الآية ٧: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً﴾.

٨. سورة الأحزاب، الآية ٣٨: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً﴾

٩. سورة غافر، الآية ٧٨: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾.

﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ﴾ [١]، ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ﴾ [٢]، ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾ [٣].

وبعبارة أخرى أنّ ﴿أَمْرُ اللهِ﴾ هو الفعل الذي يتحقّق فقط بإرادة الذات الإلهيّة المقدّسة ولا دور للآخرين في تحقّقه، لأنّ ﴿إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾، وعلى ضوء ذلك، فقد ورد في القرآن الكريم مصاديق مختلفة لكلمة ﴿أَمْرُ اللهِ﴾، وبعض ما ورد في هذا الشأن عبارة عن:

ـ المصداق الأوّل: القرآن

وأحد مصاديق ﴿أَمْرُ اللهِ﴾ في القرآن الكريم، هو القرآن نفسه، لأنّ القرآن هو ارادة الله الحتميّة على لزومه للبشريّة، تقول الاية: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾، ومن هذه الجهة فإنّ الله تعالى هو الحافظ له كما ورد في الآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [٤].

ـ المصداق الثاني: يوم القيامة

وأحد المصاديق الأخرى لـ ﴿أَمْرُ اللهِ﴾، في القرآن الكريم هو «يوم القيامة»، لأنّ الإرادة الإلهيّة الحتميّة تعلقت بتحقّق هذا اليوم، ولا توجد إرادة أخرى غير إرادة الذات المقدّسة في حدوث هذه الظاهرة، ومن هذه الجهة فلا أحد غير الله تبارك

---

١. سورة الحجرات، الآية ٢٩: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

٢. سورة الحديد، الآية ١٤: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمْ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ وَغَرَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾.

٣. سورة الطلاق، الآية ٥: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً﴾.

٤. سورة الحجر، الآية ٩.

وتعالى يعلم بوقت وقوع يوم القيامة.

ـ المصداق الثالث: ظهور الإمام المهدي عليه السلام

والمصداق الآخر لـ ﴿أَمْرُ اللهِ﴾، في القرآن الكريم «ظهور الإمام المهدي عليه السلام» لأنّ الإرادة الإلهيّة الحتميّة فقط لها دور في تحقّق هذا الظهور ولا توجد إرادة أخرى غير الإرادة الإلهيّة في تحقّقه ووقوعه، ومن هذه الجهة فلا يعلم بزمان ظهور المنقذ الموعود عليه السلام وقيام الإمام المهدي غير الباري تبارك وتعالى.

ومن مجموع ما تقدّم من الآيات الكريمة نتوصل إلى هذه النتائج:

أوّلاً: إنّ القرآن الكريم أطلق عبارة ﴿أَمْرُ اللهِ﴾، على الأمور القطعيّة والحتميّة الإلهيّة.

ثانياً: إنّ الله تبارك وتعالى يهيىء الأرضيّة المناسبة لتحقّق أمره على أرض الواقع، ولا أحد بإمكانه منع تحقّق هذا الأمر الإلهي لأنّ ﴿إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾.

ثالثاً: إنّ ظهور الإمام المهدي المنتظر عليه السلام يعدّ أحد مصاديق ﴿أَمْرُ اللهِ﴾، ومن هذه الجهة فلا ينبغي لأحد أن يشكّ في هذه الحقيقة وبخاصّة المؤمنون الذي لا ينبغي لهم الشكّ في هذه المسألة الحاسمة والحتميّة، لأنّها من الأمر الإلهي المحتوم الذي سيتحقّق على أرض الواقع وسيحدث هذا حتماً في هذا العالم.

وطبقاً لهذا التحليل، إذا رأينا أنّ عالم الكفر في هذا العصر يتوهمون أنّهم يستطيعون منع حدوث هذه الظاهرة الحتميّة والحيلولة دون ظهور الإمام المهدي عليه السلام، أو إذا توهّموا أنّهم يستطيعون إنشاء حكومة أخرى بدلاً من الحكومة الإلهيّة والعالميّة للإمام المنتظر عليه السلام فهؤلاء يعيشون في خيالات الباطلة وموهومات فارغة ويتحرّكون في خطّ الضلالة البيّنة، وأنّ أوهامهم ليست سوى منامات وأضغاث أحلام، لأنّ ﴿إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾، ولا شكّ أنّ أمر الله سيتحقّق حتماً ولا أحد يستطيع أن يمنع حدوث أمر الذات المقدّسة، والنتيجة أنّ ظهور بقيّة الله الأعظم عليه السلام

من مصاديق ﴿أَمْرُ اللهِ﴾، وحينئذٍ يجب على الجميع أن يعدّوا أنفسهم لظهور هذه النعمة الإلهيّة الكبيرة.

الواجبات المعرفيّة والعمليّة لمراسيم إحياء ليلة النصف شعبان

وقد تبيّن من مباني الروايات الشريفة أنّ أحد المصاديق البارزة للاستعداد لظهور قائم آل محمّدﷺ يتجلّى ويتبلور في إحياء ليلة النصف من شعبان، لأنّ إقامه مراسيم إحياء هذه الليلة المباركة من النصف من شعبان يعني الاستحضار الحقيقي من قِبل الشيعة لإمامهم الغائبعليه السلام واستذكار واقعي لمظاهر المحبّة والمودّة تجاه الإمام المهديعليه السلام، ومعلوم أنّ هذا العمل يشكّل الأرضيّة الممهّدة لتحققّ حالة الانتظار البنّاء في أعماق وجود المؤمنين الحقيقيين، ومن هذه الجهة ينبغي في هذا الليلة المباركة الاهتمام بتوصيتين مهمّتين من الجهة المعرفيّة وكذلك من الجهة العمليّة، وهما عبارة عن:

التوصية المعرفيّة: لزوم تجديد مفهوم الانتظار وتطبيقاته

يستفاد جيداً من الروايات الواردة في مسألة الانتظار أنّه لا ينبغي أن يتصوّر المؤمن أنّه كما أنّ النوافل مستحبة ومندوبة فكذلك الانتظار مستحبّ أيضاً، فأنّ ما يستفاد من مجموع الروايات الواردة في باب الانتظار ظهور آخر حجّة إلهيّة على البشريّة يعدّ من مقدّمات الإيمان من بالله تبارك وتعالى وامتثال أوامره، وأنّ هذا المعتقد من الوعود الإلهيّة الحتميّة، وبديهي أنّ جميع الأنبياء الإلهيين العظامعليهم السلام كانوا في أعلى مرتبة من مراتب الإيمان والانتظار.

وعلى هذا الأساس، فبما أنّ ظهور الإمام المهديعليه السلام من جملة الوعد الإلهي المحتوم، فلذلك يجب أن يكون جميع الأنبياء الإلهيين العظامعليهم السلام من جملة المنتظرين الحقيقيين، وهم كذلك في الواقع، لأنّ جميع الأنبياء الإلهيينعليهم السلام كانوا

مكلّفين بابلاغ أقوامهم برسالتهم ودعوتهم الإلهيّة، وأنّهم ليسوا مقدّمة فقط لتحقّق الرسالة الإلهيّة والظهور الإلهي العامّ في واقع المجتمعات البشريّة، بل كانوا مقدّمة لذلك الزمان الذي يمتد فيه الدين والإيمان والعلم بجميع أبعاده الواسعة، إلى جميع المجتمعات البشريّة في عصر الظهور، وعلى سبيل المثال، كان النبي عيسى عليه السلام بوصفه أحد الأنبياء العظام من جملة المنتظر الحقيقيين لظهور آخر منقذ لعالم البشريّة لأنّه ورد في القرآن الكريم بصراحة، إنّه بعد ما تآمر اليهود على قتل هذا النبي العظيم عليه السلام فإنّ الله تعالى عرج به إلى السماء، والآن وقد مضت أكثر من ألفي عام على هذه الحادثة لا زال النبي عيسى عليه السلام في السماء ينتظر ذلك اليوم الذي يظهر فيه الإمام المهدي عليه السلام وينزل من السماء، والقرآن الكريم يشير إلى هذه الحقيقة ويقول:

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾[1].

وجاء في المصادر الروائيّة لدى الشيعة وأهل السنّة، روايات تتحدّث عن نزول النبي عيسى عليه السلام من أجل نصرة الإمام المهدي عليه السلام وتأييده، ومن ذلك ما رواه أبوهريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا المجال أنّه قال:

«كَيفَ أَنْتُمْ إِذا نَزَلَ ابْنُ مَريَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُم»[2].

أو ما رواه أبوامامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وآله في مسألة نزول النبي عيسى عليه السلام

---

١. سورة النساء، الآية ١٥٧ و ١٥٨.

٢. صحيح مسلم، مسلم بن الحجّاج النيسابوري، ج ١، ص ١٢٣؛ صحيح البخاري، محمّد بن إسماعيل البخاري، ج ٤، ص ١٧٢؛ ومسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل الشيباني، ج ٢، ص ٦٣٢.

واقتدائه في الصلاة بالإمام المهدي عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«هُمْ (العَرب) يَومَئِذٍ قَلِيلٌ وَجُلُّهُمْ بِبَيتِ المَقْدِسِ وَإِمَامُهُمْ مَهْدِي رَجُلٌ صَالِحٌ، فَبَينَما إِمَامُهُم قَدْ تَقَدَّمَ يُصلِّي بِهِم الصُّبحَ، إِذ يَنزلُ عِيسىٰ بنُ مِريمَ حِينَ كَبَّرَ لِلصُّبحِ، فَرَجَعَ ذَلِكَ الإِمَامُ يَنكِصُ، لِيَتَقدَّمَ عِيسىٰ يُصلّي بِالنّاسِ، فَيَضَعُ عِيسى يَدَهُ بَينَ كِتفَيهِ فَيَقُولُ: تَقَدَّم فَصلّها، فَإِنَّها لَكَ أُقِيمتْ، فَيصُلِّي بِهِم إِمَامُهُم»[1].

أجل، فمعنى الإنتظار في المفاهيم الدينيّة المقدّسة والذي يعدّ أمل الأنبياء الإلهيين عليهم السلام ومضمون تطلّعاتهم في واقع الحياة البشريّة، إلى حدّ أنّ عيسى المسيح عليه السلام بعد عروجه إلى السماء وبقائه آلاف السنين سوف ينزل ويقتدي بكلّ فخر بالإمام المهدي عليه السلام، فليس الغرض من ذلك أنّ الإنسان يتهاون في واجباته الاجتماعيّة ويسلب من نفسه المسؤوليّة الدينيّة عمّا يجري في محيطه الاجتماعي ولا يهتمّ بما يحدث في العالم من ثورات شعبيّة ويقظة دينيّة وحالات المواجهة مع قوى الشرّ والظلم والضلام ويختار الجلوس في زاوية بيته ويحبّ العزلة والاعتزال على تحمّل المسؤوليّة ويرى أنّ الأفضل أن يعمل على تهذيب نفسه والعمل لوحده بعيداً عن ضوضاء المجتمع ويخلو للدعاء والمناجاة مع الإمام المهدي عليه السلام، بل إنّ معنى الإنتظار في نظر الأنبياء العظام من آدم عليه السلام إلى الخاتم صلى الله عليه وآله، وكما ورد في الروايات الشريفة والنصوص الدينيّة بوصفها «أفضل العبادات»، و«أفضل المعاملات»، هو أنّ الإنسان المؤمن يعيش دوماً هاجس الدين وانتشاره إلى كافّة المجتمعات البشريّة ويترصد لوقت يتحقّق فيه الوعد الإلهي بأن يهيمن هذا الدين على العالم ويعتنق جميع أفراد البشر الدين الإسلامي وبذلك يصلون إلى كمالهم

---

١. سنن ابن ماجة، محمّد بن يزيد بن عبدالله بن ماجة القزويني، ج ٢، ص ٥٢٦، ح ٤٠٧٧؛ مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل الشيبائي، ج ٤، ص ٣٤٤؛ ج ٥، ٢٥٠، و ج ٤، ص ٣٠٧.

المعنوي والإلهي المنشود في هذه الدنيا ويتحرّكون على صعيد نيل المراتب العالية من العلم والعمل والعقل والأخلاق تحت لواء الإمام المعصوم عليه السلام.

وبعبارة أخرى، إنّ معنى الإنتظار هو أنّ المنتظر يعيش في قلبه الشوق والعشق لدين الله ويسعى للدفاع عنه والمحافظة عليه ويرى نفسه مستعداً لأن يحرق نفسه كالشمعة من أجل أن يبقى دين الله حيّاً طريّاً ومؤثراً في أجواء المجتمع وقلوب الناس، وهذا يعني أنّ الإنسان المنتظر عندما يرى أعداء الإسلام يحشدون قواهم لتسديد ضربة لدين الله أو إضرار به، فإنّه يتحرّك من خلال زيادة معرفته الدينيّة، با ـ مل بالوظيفة الإلهيّة في مقابلهم والتصدي لهم، ومع مرور الزمان يتحرّك للتخطيط المناسب في مسألة الدفاع عن دين الله ونصرة الدين على أساس من البرنامج العميق ومن موقع الوضوح، وهذا الكلام، هو ما ورد في المنابع الروائيّة والأدلّة الدينيّة من أنّ الإنتظار جزء من مقوّمات الإيمان، والإنسان المؤمن بدون التحلّي بالملكة الانتظار فإنّه فاقد للإيمان الصحيح.

فهنيئاً للأشخاص الذين يعيشون الإنتظار الحقيقي ويدركون معنى الانتظار في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وهنيئاً لحال الأشخاص الذين يهتّمون بنشر العلم ورفع راية الإسلام والتصدي للمخالفين والمعاندين، وهنيئاً لحال الأشخاص الذين يهدفون في حياتهم إلى إيصال النفع لجميع أبناء البشر من مائدة المواهب والمعارف الدينيّة والتعاليم الإسلاميّة، أجل، هنيئاً لحال المنتظرين الذين إذا وقع الظهور في زمان حياتهم فسوف ينالون غايتهم وينتفعون بذلك في حياتهم، ولو أنّ الظهور تحقّق بعد رحليهم وموتهم فلا يجدون ضرراً من ذلك، لأنّ الإمام الباقر عليه السلام قال في وصف هؤلاء:

«مَا ضَرَّ مَنْ مَاتَ مُنْتَظِراً لأَمْرِ أَلّا يَمُوتَ فِي وَسَطِ فُسطَاطِ المَهْدِيِّ وَعَسْكَرِهِ»[1].

---

١. الكافي، الشيخ الكليني رحمه الله، ج ١، ص ٣٧٢.

أجل، فالإنتظار البنّاء، الذي يعدّ من أحلى المعاملات وأفضل العبادات، وأنّ جميع الأنبياء الكرام والأولياء العظام عليهم السلام كانوا يطمحون إليه والتحلّي به في حياتهم، فإنّه يتّصف بهذه الصفات والخصوصيّات، ومع أنّ مثل هذا الانتظار هو أحد المصاديق البارزة والصحيحة لدرك قائم آل محمّد عليه السلام، وأساساً فإنّ كلّ أُمّة تعيش هذه الحالة فإنّها من أكرم الأُمم البشريّة.

وقد ورد في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«طُوبَىٰ لِمَنْ أَدْرَكَ قَائِمَ أَهْلَ بِيتِي وَهُوَ مُقتَدٍ بِهِ قَبْلَ قِيامِهِ يَتَولّىٰ وَلِيَّهُ وَيَتَبَرأُ مِنْ عَدُوِّهِ وَيَتَولَّى الأَئِمَّةَ الهَادِيَةَ مِنْ قَبْلِهِ أُولَئِكَ رُفَقائِي وَذَوُو وُدِّي وَمَوَدَّتِي وَأَكْرَمُ أُمَّتِي عَلَيَّ قَالَ رِفَاعَةُ وَأَكرَمُ الخَلَقِ اللهِ عَلَيَّ»[١].

التوصية العمليّة: بيان عدّة أعمال لمعرفة النفس، ومعرفة الإمام، ومعرفة الله

بالنسبة لأهميّة، وكرامة، وفضيلة، وجلالة الإحياء في الليلة النصف من شعبان وارتباط حالة الإنتظار لآخر منقذ للبشريّة عليه السلام بالصلاة والعبادة والتذكّر والدعاء والتوبة وتلاوة القرآن و...، فقد وردت رواية مهمّة عن خاتم الإنبياء وأحبّ الخلق إلى الله النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، يتحدّث فيها عن الأعمال الخاصّة والخصوصيّات المهمّة لهذه الليلة، والتدبّر في هذه الرواية الشريفة مهمّ جدّاً للمنتظرين ومفتاح لحّل الكثير من مشكلاتهم، وهذه الخصوصيّات عبارة عن:

الخصوصيّة الأُولى: ليلة الإحياء واليقظة

أوّل صفة وخصوصيّة ليلة النصف من شعبان، كما وردت في كلام رسول الله صلى الله عليه وآله في مطلع هذه الرواية أنّه قال: كنت في ليلة النصف من شعبان، أرغب في الراحة

---

١. الغيبة، الشيخ الطوسي رحمه الله، ص ٤٥٦، وكمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق رحمه الله، ج ١، ص ٢٨٦.

وإذا بملك من الملائكة المقرّبين وهو جبرئيل قد نزل عليَّ وقال:

«يَامُحَمَّدُ أَتَنَامُ فِي هَذِهِ اللَّيلِهِ، فَقُلْتُ: يَا جِبرَئِيلُ وَمَا هَذِهِ اللَّيلَةُ؟ قَالَ: هِي لَيلَةُ النِّصفِ مِنْ شَعبَانَ قُمْ يَامُحَمَّدُ فَأَقَامَنِي».

إذاً، فأوّل عمل يجب القيام به في هذه الليلة المباركة إحياء هذه الليلة واليقظة وعدم النوم، ومعلوم أنّ الإحياء هنا يقع في النقطة المقابل للإماتة، ومن هذه الجهة فإنّ الليل بالنسبة للإنسان لا يخرج عن حالتين: إمّا هو وقت للنوم والوفاة الموقتة أو هو وقت لليقظة والحيويّة والحياة، وعلى هذا الأساس فإنّ إحياء ليلة النصف من شعبان يعني أنّ الإنسان يحيى قلبه في هذه الليلة بالعبادة والتقرب إلى الله تعالى، وإحياء ذكر الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام، وبذلك يكتسب الحياة المعنويّة من خلال المناجاة والدعاء والذكر، وما أحلى هذه الليلة، وهي ليلة النصف من شعبان من أجل تجديد العهد المعنوي والميثاق الإلهي مع الله تعالى ومع الإمام صاحب الزمان عليه السلام.

الخصوصيّة الثانية: ليلة الرحمة، الرضوان، المغفرة، الفضل، التوبة، النعمة، الجود والإحسان

الخصوصيّة الثانية لليلة النصف من شعبان والمستفاد من هذه الرواية، وتعدّ من فضائل ومختصات هذه الليلة الكريمة أنّ جبرئيل عليه السلام بعد أن ذهب بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله إلى البقيع أظهر له حقائق مهمّة لفضيلة هذه الليلة، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا الصدد:

«ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلىٰ البَقِيعِ ثُمَّ قَالَ لِي: ارْفَع رَأَسَكَ فَإِنَّ هَذِهِ اللَّيلَةُ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوابُ السَّماءِ فَيُفتَحُ فِيها أَبوابُ الرَّحمَةِ وَبَابُ الرِّضوَانِ وَبَابُ المَغفِرَةِ وَبَابُ الفَضلِ وَبَابُ التَّوبَةِ وَبَابُ النِّعمَةِ وَبَابُ الجُودِ وَبَابُ الإِحسَانِ»[1].

---

١. إقبال الأعمال، ابن طاووس، ج ٣، ص ٣٢٠.

الخصوصيّة الثالثة: ليلة العتق والخلاص من جهنّم

والخصوصيّة الثالثة من ليلة النصف من شعبان، المستفادة من هذه الرواية: إنّ الله تعالى في هذه الليلة الكريمة يحرر ويعتق الناس من نار جهنّم، لأنّ كلّ إنسان يعيش في جهنّم أعماله التي اكتسبها بنفسه، ولا أحد يمكنه أن يدّعي أنّه لم يقترف ذنباً ولم يرتكب معصية، وليس مقصّراً أمام الله تعالى، وعلى هذا الأساس نرى أنّ النبي الأكرمﷺ في سياق هذه الرواية أشار إلى خلاص الناس وتحريرهم من جهنّم الذنوب والمعاصي وقال:

«يَعْتِقُ اللهُ فِيهَا بِعَدَدِ شُعُورِ النِّعَمِ وَأَصوافِها».

وعلى ضوء ذلك، فكما أنّ ليلة القدر هي ليلة الإقرار بالتقصير والاعتراف بالذنوب والتوبة والإنابة إلى الله تعالى، وهي ليلة الخلاص من جهنّم الأنانيّة والذنوب، فكذلك ليلة النصف من شعبان أيضاً، فهي ليلة الإقرار والاعتراف بالتقصير والمعصية، وهي الليلة التي يجب على الإنسان أن يتوجّه إلى الله تعالى وينفتح عليه بالاعتراف والإنابة ويقول: أنا لا أملك شيئاً لنفسي، ولا أملك حتّى الجرأة للدفاع عن نفسي وأعمالي، وليس لي القدرة على تحمّل نار جهنّم، بل أستطيع فقط أن اعترف لك ياإلهي بهذا اللسان القاصر والعاجز بأنني مذنب وأعترف بالتقصير.

وطبقاً لهذا المقطع من الرواية الشريفة، فإنّ هذه الليلة هي الليلة التي يشعر فيها الإنسان عند طلوع الفجر بأنّه تخلّص من جهنّم أعماله السيّئة وسلوكياته الذميمة.

الخصوصيّة الرابعة: ليلة تثبيت المقدّرات وتقسيم الأرزاق

الخصوصيّة الرابعة لهذه الليلة من النصف من شعبان، كما يستفاد من هذه الرواية، هي أنّ الله تعالى في هذه الليلة الزاخرة بالأنوار والبركات الإلهيّة، والأسرار الغيبيّة، يقرر ويقدّر ما يجري على الإنسان في حياته ويقسّم فيها الأرزاق على الناس

وخاصّة الأرزاق المعنويّة، يقول النبي الأكرمﷺ في سياق هذه الرواية:

«ويُثَبِّتُ اللهُ فَيهَا الآجَالَ وَيُقَسِّمُ فِيهَا الأرزاقَ مِنَ السَّنَةِ إِلى السَّنَةِ وَيُنْزِلُ مَا يَحْدُثُ فِي السَّنَةِ كُلِّها»[١].

الخصوصيّة الخامسة: ليلة الكرم الإلهي والصفح والعفو وغفران الذنوب

إنّ بعض الأعمال العباديّة والأفعال الخيرة الصادرة من الإنسان، لها من القدرة والتأثير بحيث إنّها تستطيع محو الذنوب السابقة والمعاصي الماضية وتقترن بغفران الذنوب من قِبل الله تعالى، وإحياء ليلة النصف من شعبان وهو أحد هذه الأعمال العباديّة التي يجعل الله تعالى فيها مثل هذا التأثير الإيجابي في حياة الإنسان، يقول النبي الأكرمﷺ في هذه الرواية:

«يا مُحَمَّدُ! مَنْ أحْياها بتكبير وبِتَسْبيح وتَهْليلٍ ودُعاءٍ وصَلاةٍ وقِراءَةٍ وتَطَوعٍ وَاسْتِغْفارٍ كانَت الجَنَّةُ لَهُ مَنْزِلاً ومَقِيلاً، وَغُفِرَ اللهُ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه وما تَأخَّرَ».

الخصوصيّة السادسة: ليلة الصلاة وقراءة القرآن والاستغفار والدعاء

وإحدى الخصوصيّات الأخرى لهذه الليلة الشريفة، هي أنّ الأعمال العباديّة الخاصّة الواردة فيها، من قبيل: الصلاة، تلاوة القرآن، التسبيح والتهليل والتقرّب إلى الله تعالى لها من الثواب العظيم إلى درجة أنّ هذا الثواب يساوق ثواب المجاهدين في سبيل الله، يقول النبي الأكرمﷺ في هذه الرواية:

«يا مُحَمَّدُ مَنْ صَلّىٰ فِيهَا مَائَةَ رَكعَةٍ يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكعَةٍ فَاتِحَةَ الكِتَابِ مَائَةَ مَرَةٍ وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ عَشْرَ مَرّاتٍ فَإِذا فَرَغَ مِنْ الصَّلاةِ قَرَأَ آيَةَ الكُرسِيِّ عَشْرَ مَرَّاتٍ وَفَاتِحَةَ الكِتابِ عَشْرَاً وَسَبَّحَ اللهَ مَائَةَ مَرَّةٍ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَائَةَ كَبِيرةٍ مُوبِقَةٍ

---

١. إقبال الأعمال، ج ٣، ص ٣٢٠.

مُوجِبَةٍ لِلنَّارِ، وأَعطىٰ بِكُلِّ سُورَةٍ وَتَسبِيحَةٍ قَصْرَاً فِي الجَنَّةِ وَشَفَّعَهُ اللهُ فِي مَائَة مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَشَرَكَهُ فِي ثَوابِ الشُّهَداءِ وَأَعْطاهُ مَا يُعطِي صَائِمي هَذَا الشَّهرِ وَقَائِمي هَذه اللّيلةِ مِنْ غَيرِ أَنْ يَنقُصَ مِنْ أُجُورِهِم شَيئاً فَأَحيِها يامُحَمَّدُ وَأَمُرْ أُمَّتَكَ بِإِحيَائِها وَالتَّقَرُّبِ إِلىٰ اللهِ تعالى بِالعَملِ فِيها فَإِنَّها لَيلَةٌ شَرِيفَةٌ».

وعلى ضوء ذلك، فالصلاة التي يترتّب عليها كلّ هذا الثواب الجزيل والأجر العظيم في هذه الليلة مقتبسة من هذه الرواية الشريفة، وإن كان المرحوم السيّد بن طاووس﵀ لم يذكرها في كتابه «إقبال الأعمال» وكذلك لم يذكرها المرحوم الشيخ عباس القمي﵀ في كتابه الشريف «مفاتيح الجنان»، وطبعاً فإنّ النبي الأكرمﷺ أشار في رواية أخرى في ذيل هذا الحديث الشريف إلى الآثار والبركات المهمّة لهذه الصلاة وقال:

«مَنْ صَلَّىٰ هَذِهِ الصَّلاةِ فِي هَذِهِ الليلة نَظَرَ اللهُ إِلَيهِ سَبعِينَ نَظرَةً وَقضَىٰ لَهُ بِكُلِّ نظْرَةٍ سَبْعِينَ حَاجَةً أَدْنَاهَا المَغْفِرَةِ»[1].

---

١. ونقل السيّد بن طاووس﵀، في إقبال الأعمال ج ٣، ص ٣٢٠ هذه الرواية بهذه الصورة: «مَنْ صَلَّىٰ هَذِهِ الصَّلاةَ فِي هَذِهِ اللَّيلَةِ نَظَرَ اللهُ إِلَيهِ سَبعِينَ نَظرَةً وَقضَىٰ لَهُ بِكُلِّ نظْرَةٍ سَبْعِينَ حَاجَةً أَدْنَاهَا المَغْفِرَةِ، ثُمَّ لَوْ كَانَ شَقِيّاً فَطْلَبَ السَّعَادَةَ لأَسعَدَهُ اللهُ يَمحُوا اللهُ مَا يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتَابِ، وَلَو كَانَ وَالِدُاهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَدَعَا لَهُمَا أُخْرِجَا مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ لا يُشرِكا باللهِ شَيئاً، وَمَنْ صَلَّىٰ هَذِهِ الصَّلاةَ قَضىٰ اللهُ لَهُ كُلِّ حَاجَةٍ طَلَبَ وَأَعَدَّ لَهُ الجَنَّةَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذنٌ سَمِعَتْ، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالحَقِّ نَبِيّاً، مَنْ صَلَّىٰ هَذِهِ الصَّلاةَ يُرِيدُ بِها وَجْهَ اللهِ تَعالىٰ جَعَلَ اللهُ لَهُ نَصيباً فِي أجرِ جَمِيعِ مَنْ عَبَدَ اللهَ تِلْكَ اللَّيلَةِ وَيَأمُرُ الكِرامِ الكَاتِبِينَ أَنْ يَكْتُبُوا لَهُ الحَسنَاتِ وَيَمْحُو عَنْهُ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ لا يَبقىٰ لَهُ سَيِّئَةً وَلا يَخرُجُ مِنَ الدُّنيا حَتَّىٰ يَرىٰ مَنْزِلَهُ مِنَ الجَنَّةِ وَيَبعَثُ اللهُ إِلَيهِ مَلائِكَةً يُصافِحُونَهُ وَيُسَلِّمُونَ عَلَيهِ وَيَخْرُجُ يومَ القِيَامَةِ مَعَ الكِرامَ ☜

الخصوصيّة السابعة: ليلة استجابة الدعاء وقضاء الحوائج

لا شكّ أنّ استجابة الدعاء، وطبقاً لهذه الرواية، يعتبر أحد بركات وثمرات إحياء هذه الليلة المباركة في النصف من شعبان، كما أشار إلى ذلك النبي الأكرمﷺ في هذا الحديث الشريف بعد أنّ ذكر مقام ومنزلة إحياء هذه الليلة ودرك حقيقتها بواسطة الملائكة، أشار إلى استجابة الدعاء في هذه الليلة وقال:

«وَقَدْ أَتَيتُكَ يامُحَمَّدُ وَمَا فِي السَّمَاءِ مَلكٌ إِلّا وَقَدْ صَفَّ قَدَمَيهِ فِي هَذِهِ اللَّيلَةِ بَيْنَ يَدَي اللهِ تَعالىٰ قَالَ فَهُمْ بَينَ رَاكِعٍ وَسَاجِدٍ وَداعٍ وَمُكَبِرٍ وَمُسْتَغْفِرٍ وَمُسَبِّحٍ، يامُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ تَعالىٰ يَطَّلِعُ فِي هَذِهِ اللّيلِ فَيَغْفِرُ لِكُلِّ مُؤمِنٍ قَائِمٍ يُصلِّي وَقَاعِدٍ يُسَبِّحُ وَراكِعٍ وَسَاجِدٍ وَذَاكِرٍ وَهِي لَيلَةٌ لا يَدعُو فَيهَا دَاعٍ إِلّا استُجِيبَ لَهُ وَلا سَائِلٌ إِلّا أُعطِي وَلا مُسْتَغْفِرٌ إِلّا غُفِرَ لَهُ وَلا تَائِبٌ إِلّا تِيبَ عَليهِ مَنْ حُرِمَ خَيرَها يامُحَمَّدُ فَقَدْ حُرِمَ»[1].

أجل، فإنّ ليلة النصف من شعبان هي من جملة الليالي المباركة والزاخرة بالألطاف الإلهيّة في حياة الإنسان، وقد زادها فضيلة وشرفاً ولادة الإمام صاحب الزمانعليه السلام وأنّ استجابة الدعاء أحد بركات هذه الليلة، يقول الإمام الصادقعليه السلام في هذا المجال نقلاً عن قول والده الإمام الباقرعليه السلام أنّه قال:

«فَإِنَّها لَيْلَةٌ آلىٰ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ علىٰ نَفْسِهِ أن لا يَرُدَّ سائِلاً فِيها مَا لَمْ يَسْأَلِ اللهَ الْمَعْصِيَةَ»[2].

☜ البِررِةِ فَإِنْ مَاتَ قَبلَ الحَولِ مَاتَ شَهِيداً ويُشَفَّعُ فِي سِبعِينَ أَلفاً مِنْ المُوحِّدِينَ فَلا يَضْعُفُ عَنْ القِيامِ تِلْكَ اللّيلَةِ إِلّا شَقِيٌّ».

١. ونقل السيّد بن طاووسرحمه الله، في إقبال الأعمال ج ٣، ص ٣٢٠؛ بحار الأنواررحمه الله، ج ٩٥، ص ٤١.

٢. وسائل الشيعة، الشيخ الحرّ العامليرحمه الله، ج ٨، ص ١٠٦.

الخصوصيّة الثامنة: ليلة توجّه النبي الأكرمﷺ للدعاء والمناجاة في المحضر الربوبي

بديهي أنّ أفضل دعاء من بين الأدعيّة هو دعاء النبي الأكرمﷺ وأهل بيته الطاهرينعليهم السلام، وفي المرتبة الثانية دعاء الأنبياء السابقين، فهذه الأدعية مقبولة عند الله تعالى ومستجابة، في حين أنّه ورد في ذيل هذه الرواية الشريفة أنّ النبي الأكرمﷺ ذكر دعاءً خاصّاً بهذه الليلة من النصف من شعبان، حيث يحتوي هذا الدعاء على مضامين عالية ومعارف سامية، ولا شكّ أن قراءة هذا الدعاء والعمل به يتسبّب في جلاء القلب وزيادة أنواره وصفاء السريرة وطهارة الروح، وهذا الدعاء عبارة عن:

«اللّٰهُمَّ اُقْسِمْ لَنا مِنْ خَشْيَتِكَ ما يَحُولُ بَيْنَنا وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ، وَمِنْ طاعَتِكَ ما تُبَلِّغُنا بِهِ رِضْوانَكَ، وَمِنَ الْيَقينِ ما يَهُونُ عَلَيْنا بِهِ مُصيباتُ الدُّنْيا، اللّٰهُمَّ أَمْتِعْنا بِأَسْماعِنا وَأَبْصارِنا وَقُوَّتِنا ما أَحْيَيْتَنا، وَاجْعَلْهُ الْوارِثَ مِنّا، وَاجْعَلْ ثارَنا عَلىٰ مَنْ ظَلَمَنا، وَانْصُرْنا عَلىٰ مَنْ عادانا، وَلا تَجْعَلْ مُصيبَتَنا في دينِنا، وَلا تَجْعَلِ الدُّنْيا أَكْبَرَ هَمِّنا، وَلا مَبْلَغَ عِلْمِنا، وَلا تُسَلِّطْ عَلَيْنا مَنْ لا يَرْحَمُنا، بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ»[1].

الخلاصة ونتيجة البحث

النتيجة بعد التحقيق في هذه الخصوصيّات المعرفيّة والعمليّة في هذه الليلة المباركة، هي:

أوّلاً: إنّ المؤمن المنتظر يجب عليه فهم هذه الحقيقة وتطبيق نفسه على المعايير الواردة عن أهل البيتعليهم السلام فيما يخّص حقيقة الانتظار وحقيقة الإمامة،

---

١. بحار الأنوار، العلّامة المجلسيرحمه الله، ج ٩٥ ص ٤١٤.

وتنظيم سلوكياته على هذا الأساس.

ثانياً: يجب على المؤمن المنتظر أن يعلم أنّ الله تبارك وتعالى وبواسطة المولود الموعود في هذه الليلة المباركة، يمنح عناياته الوافرة وعطاياه الجزيلة إلى عباده بعد الإتيان بأعمال وعبادات هذه الليلة، منها أنّ الله تبارك وتعالى سينظر إلى هذا الشخص سبعين مرّة بنظر الرحمة واللطف، وفي كلّ نظرة سيقضي له سبعين حاجة أقلها غفران ذنوبه والصفح عن سيّئاته، ومن هذه الجهة يجب عليه في هذا الليلة أن يسأل الله تعالى حوائج مهمّة أخرى أيضاً، على سبيل المثال:

الحاجة الأُولى: طلب معرفة الذات الإلهيّة المقدّسة

وإحدى الحاجات التي يجب على المنتظرين في هذه الليلة المباركة أن يطلبوها من الله تعالى «معرفة الله تعالى»، أجل، فالمنتظر في هذه الليلة يجب أن يتواصل مع الباري تعالى بالدعاء والمناجاة ويقول للذات المقدّسة: إلهي لقد مضى شطر من عمري وأنا المقصّر والمذنب أتوسّل إليك وأعترف لك بالربوبيّة ولكنّي لم أسمع منك ولم أتمكن أن أعرفك حقّ معرفتك، وبهذا الدعاء إن شاء الله تنفتح أمام الإنسان مساحة في نيل المعرفة وتتوفّر له الأرضيّة لتعميق ارتباطه مع الله تعالى.

وبعبارة أخرى، فالشخص المنتظر في هذه الليلة المباركة يجب أن يطلب من الله تعالى معرفته وتعميق ارتباطه معه، لأنّ عدم معرفة الله تعالى يساوق عدم معرفة رسول الله ﷺ وعدم معرفة رسول الله ﷺ يساوق عدم معرفة حجّة الله عليه السلام، وطبقاً للروايات الواردة في هذا المجال فإنّ عدم معرفة حجّة الله تعني الضلالة والانحراف عن طريق الحقّ والإيمان والعبوديّة، كما ورد هذا المعنى في روايات باب الغيبة في الدعاء الشريف:

اللّٰهُمَّ عَرِّفْني نَفْسَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْني نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ رَسُولَكَ، اللّٰهُمَّ عَرِّفْني رَسُولَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْني رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ، اللّٰهُمَّ

عَرِّفْني حُجَّتَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْني حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِيني»[١].

أجل، فالإنسان المؤمن يجب عليه بعد الانتهاء من هذه الأيّام والليالي المباركة وبخاصّة ليلة النصف من شعبان التي ينظر فيها الله تعالى بعد الصلاة الواردة سبعين مرّة إلى هذا الإنسان فيقضي له سبعين حاجة أن يدعو الباري تعالى بهذا الدعاء: «اللّٰهُمَّ عَرِّفْني نَفْسَكَ... عَرِّفْني رَسُولَكَ... عَرِّفْني حُجَّتَكَ...»، فيكرر هذا الدعاء مرات عديدة ويطلب من الله تعالى باصرار وإلحاح أن يفتح أبواب معرفة وأن يهب لعقله فهم هذه الحقيقة الإيمانيّة، لأنّ هناك الكثير من القضايا والمسائل لا يعلمها الإنسان ويعيش بعيداً عن مضمونها، ومع توفّر المعرفة الإلهيّة تنفتح أمامه باب فهم هذه المضامين العالية، نعم، إنّ مفهوم أن ينظر الله إليه سبعين مرّة عجيب جدّاً، ولا يستطيع المؤمن أن يدرك هذا المضمون العميق بشكل دقيق ويحصل له تصوّراً سليماً من هذه المفاهيم السامية الواردة في هذا الدعاء.

الحاجة الثانية: طلب توفيق الارتباط القلبي مع الإمام صاحب الزمان عليه السلام

والحاجة الأخرى من الحاجات التي ينبغي للإنسان المنتظر أن يطلبها من الباري تعالى، أن يوفّقه للإتيان بعدّة واجبات مهمّة في حياته وهي:

١. أن يسأل الله تبارك وتعالى أن يوفّقه بأن يعيش دائماً في محضر الإمام عليه السلام ويرى نفسه حاضراً ويطابق حياته مع معايير الإمام المنتظر عليه السلام، وينظم سلوكياته على هذا الأساس.

٢. أن يسأل الله تبارك وتعالى أن يوفّق الجميع لهذه الكرامة حتّى يستطيع أولاده وأهل بيته وسائر أرحامه من توثيق العلاقة وتقوية الارتباط فيما بينهم وبين الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام وأن يمنحهم هذا الفهم والإيمان بأن يعيشوا دوماً في محضر هذا الإمام عليه السلام.

---

١. الكافي، الشيخ الكليني رحمه الله، ج ١، ص ٣٣٧ الباب في الغيبة.

٣. أن يطلب من الله تعالى خلق حركة بنّاءة في المجتمع الإسلامي وإيجاد نشاط بنّاء ومؤثر فيما يتعلّق بالارتباط الوثيق بين الناس والإمام المنتظر عليه السلام لأنّ طريق الرشد ورقي المجتمع الإسلامي يمرّ فقط من خلال الارتباط مع الإمام بقيّة الله الأعظم عليه السلام.

وعلى هذا الأساس، ومن أجل بناء حركة صحيحة في هذا المسار ينبغي مراجعة سيرة أولياء الدين وأهل المعرفة وكيف كان ارتباطهم مع الإمام الحجّة ابن الحسن عليه السلام وكيف كانوا يناجونه ويرتبطون به من موقع اتّخاذه أُسوة وقدوة في حياتهم وفي سلوكياتهم وتعاملهم مع الآخرين، مثلاً بدلاً من إنشاد أو قراءة الأشعار الفارغة، يقرؤون كأشعار دقيقة وعميقة المعنى أشعار المرحوم الكاشاني رحمه الله، في محادثته مع الإمام الغائب عليه السلام حيث تزخر هذه الأبيات الشعريّة بللطائف الدقيقة والمعاني الجميلة، فالشاعر الذي يتحلّى بحلة الانتظار ينشد أبياتاً من مواقع الذوق الزاخر بالإيمان والمليء بالشوق والعشق للإمام المنتظر عليه السلام:

فَنهَض فِدَاكَ النَّفسُ مِنْ مُحتَجَبٍ ... أَدْمَىٰ القُلُوبَ وَقَرَّحَ الأجفَانَا

فَأَنِر بِطَلعَتِكَ السَّعِيدَةِ أَعيُناً ... فَقَدَتْ هُدَاكَ فَأظْلَمَتْ أَنسانا

طَالَ الغيابُ وَكُلُّ نَفسٍ ترتَجِي ... فَرَجاً فَحقِّق بِالظُّهُورِ رَجَانا

ختام الكلام

وآخر نقطة ينبغي بيانها في هذا المقال، هي:

أولاً: يعتقد كاتب هذه السطور أنّه يجب على الجميع أن يتقدّموا بالشكر الوافر من صميم قلوبهم للمتولّين والمسؤولين على مهرجان إحياء النصف من شعبان، الذين استطاعوا بحركتهم الثقافيّة وإمكاناتهم التبليغة والإعلاميّة أو يلفتوا نظر بعض الناس على الأقل إلى فضيلة هذه الليلة العظيمة ولا يغفلوا عن بركاتها وثمراتها، وإن

شاء الله سيكون الإعلام الديني في هذا المجال يصل إلى حدٍّ ينال فيه جميع الناس التوفيق لدرك كرامة هذه الليلة، وعلى ضوء ذلك، ومن أجل تحقيق هذا الهدف المقدّس ينبغي المشاركة والمساهمة في إحياء هذا العمل الإلهي ودعم القائمين على هذا المهرجان بما يسعهم.

ثانياً: إنّ أحد أهم أدعية الشيعة في عصر الغيبة، وأكثرها تأثيراً، الدعاء لتجعيل فرج مولانا الإمام صاحب الزمان عليه السلام حيث يجب في هذه الليلة المباركة أن يولي هذا الأمر عناية أكثر من خلال إحياء هذه الليلة في الدعاء والعبادة، ومن هذه الجهة فقد ورد التأكيد على قراءة هذا الدعاء في ليلة القدر أيضاً، ونقرأه الآن سوية:

«اللّـهُمَّ كُنْ لِوَلِيِّكَ الْحُجَّةِ بْنِ الْحَسَنِ، صَلَوٰاتُكَ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آبٰائِهِ، في هٰذِهِ السّٰاعَةِ، وَفي كُلِّ سٰاعَةٍ، وَلِيّاً وَحٰافِظاً، وَقٰائِداً وَنٰاصِراً، وَدَليلاً وَعَيْناً، حَتّىٰ تُسْكِنَهُ أَرْضَكَ طَوْعاً، وَتُمَتِّعَهُ فيهٰا طَويلاً»[1].

نسأل الله تبارك وتعالى وفي مراسيم إحياء ليلة النصف من شعبان، أن ينزل بركاته وألطافه على جميع أفراد البشر، وبخاصّة المؤمنين والمنتظرين للإمام صاحب الزمان عليه السلام إن شاء الله.

اللّهم، عجلّ في ظهور ولّي نعمتنا الإمام المهدي عليه السلام واجعلنا جميعاً من أعوانه وأنصاره.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

١. مصباح المتهجّد: للشيخ الطوسي رحمه الله، ص ٦٣٠.

بركات وخصوصيّات النّصف من شعبان

محاضرة أُلقيت في ذكرىٰ إحياء النّصف من شعبان،
مسجد الإمام الحسن العسكري عليه السلام

ما ستقرأه في المقالة الثامنة:

* معرفة فضائل النّصف من شعبان.
* سيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام في ليلة النّصف من شعبان.
* دعاء النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام في ليلة النّصف من شعبان.
* ختام الكلام.

بسم الله الرحمن الرحيم

بركات وخصوصيّات النّصف من شعبان

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[1]

«السَّلامُ عَلىٰ بَقِيَّةِ اللهِ في بِلادِهِ، وَحُجَّتِهِ عَلىٰ خَلْقِهِ، وَالْوَلِيِّ لِلْأَمْرِ، وَالْمُؤْتَمَنِ عَلَى السِّرِّ، السَّلامُ عَلَى الْمَهْدِيِّ الَّذي وَعَدَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِهِ الْأُمَمَ، أَنْ يَجْمَعَ بِهِ الْكَلِمَ، وَيَلُمَّ بِهِ الشَّعَثَ، وَيَمْلَأَ بِهِالْأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً»[2]

موضوع البحث

على أساس ما ورد في الكثير من آيات القرآن الكريم وبشكل صريح ومنها:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[3].

فإنّ الله تبارك وتعالى قد وعد بأن يرث العباد الصالحون الأرض وما عليها،

---

١. سورة القصص، الآية ٥.

٢. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٩٨، ص ٢٦٢؛ وقريب من هذا المضمون في البلد الأمين والدرع الحصين، الشيخ الكفعمي رحمه الله، ص ١٨٦؛ والمصباح، الشيخ الكفعمي رحمه الله، ص ٤٩٧.

٣. سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.

وكذلك ورد في الروايات المعتبرة عن الأئمّة الطاهرين عليهم السلام أنّ العباد الصالحين هم الإمام صاحب الزمان عليه السلام وأصحابه الكرام، على سبيل المثال ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير هذه الآية الشريفة، قال:

«هُمْ أَصْحَابُ المَهْدِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ»[١].

وطبعاً فالبشريّة لا تعلم بوقت ظهور آخر موعود لإنقاذ الناس من الظلم والجور وإحقائق العدل، بل لا يستطيع أحد أن يعيّن زمان ظهوره المبارك، لأنّه وبحسب المنابع الروائيّة للإماميّة، فإنّ ظهور الإمام المهدي عليه السلام سيقع بغتة، بحيث إنّ جميع الناس يقولون: كيف وقع الظهور؟ ولكن أخيراً يتحقّق أحد طموحات وآمال المنتظرين في ذلك الزمان المبارك ويدركون هذه الظاهرة المباركة، ومن هذه الجهة ورد في روايات المعصومين عليهم السلام أنّ إحدى ضروريّات الإدراك الصحيح لهذه المسألة والفهم العميق لمسألة المهدويّة يتمثّل في سعي المنتظرين لتجهيز أنفسهم والاستعداد الكامل لتحقّق ذلك اليوم، وطبعاً من الواضح وجود طرق متعددة لبيان كيفيّة الاستعداد لهذا اليوم من قبل المؤمنين المنتظرين، ولكن من بين هذه الطرق، معرفة فضائل وخصوصيّات هذا اليوم، وهو يوم ولادة الإمام المهدي الموعود عليه السلام ومعرفة آدابه ومناسكه الدينيّة، من قبيل إحياء ليلة النصف من شعبان ووقت ولادة المولود عليه السلام، ويسعى كاتب هذه السطور في هذه المقالة استجلاء بعض زوايا هذا الموضوع وتسليط الضوء على الموارد المهمّة منه، ونأمل أنّ الله تعالى يوفّق الجميع ليكونوا من أنصار وأصحاب هذا الإمام عليه السلام إن شاء الله.

معرفة فضائل النّصف من شعبان

وبحسب ما ورد في الروايات المعتبرة، التي استند إليها علماء الشيعة الكبار، فإنّ

---

١. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ١٤، ص ٣٣.

ليلة النصف من شعبان هي ليلة عظيمة جدّاً، ولكنّها تأتي في المرتبة الثانية بعد ليلة القدر، فلا توجد ليلة سوى ليلة القدر تساويها في الفضل والأهميّة والمنزلة، على سبيل المثال ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه نقل عن الإمام الباقر عليه السلام في جوابه عن سؤال شخص عن فضيلة ليلة النصف من شعبان فقال:

«هِيَ أَفْضَلُ اللَّيلة بَعْدَ لَيْلَةِ القَدْرِ، فِيها يَمْنَحُ اللهُ العِبَادَ فَضْلَهُ وَيَغْفِرُ لَهُمْ بِمَنِّهِ فَاجْتَهِدُوا فِي القُرْبَةِ إلى اللهِ تَعَالىٰ فِيها، فَإِنَّها لَيْلَةٌ آلىٰ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلىٰ نَفْسِهِ أن لا يَرُدَّ سائِلاً لَهُ فِيها مَا لَمْ يَسْأَلِ مَعْصِيَةَ»[1].

وعلى هذا الأساس فلعلّ الكثير من الخصوصيّات التي قررها الله تبارك وتعالى في ليلة القدر قد قدّرها أيضاً في ليلة النصف من شعبان، على سبيل المثال كما ورد في الروايات أنّ أرزاق الناس ومقدّراتهم ستكتب وتقدّر في ليلة القدر، فكذلك ورد في بعض الروايات أنّ مقدّرات الناس طيلة سنة كاملة ستقدّر في ليلة النصف من شعبان أيضاً، ومن ذلك ما ورد في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

«فَقَالَ: أَتَدرِينَ أيَّ لَيْلَةٍ هذِه؟ لَيْلة النِّصْفِ مِنْ شَعْبانَ فِيها تُنْسَخُ الأَعمَالُ وتُقْسَمُ الأَرْزاقُ وفِيها تُكْتَبُ الآجَالُ ويَغْفِرُ اللهُ تَعَالىٰ»[2].

وكذلك ما رواه كميل بن زياد النخعي عن الإمام أميرالمؤمنين علي عليه السلام قال: كنت في مسجد البصرة عند مولاي أميرالمؤمنين عليه السلام ومعه جماعة من أصحابه فسأله أحدهم عن معنى الآية ٤ من سورة الدخان، ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[2]، فقال الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام في جوابه:

---

١. وسائل الشيعة، الشيخ الحرّ العاملي رحمه الله، ج ٨، ص ١٠٦.

٢. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٩٥، ص ٤١؛ ومصباح المتهجد، الشيخ الطوسي رحمه الله، ص ٨٣٩؛ إقبال الأعمال، السيّد بن طاووس رحمه الله، ص ٧٠.

٢. سورة الدخان، الآية ٤.

«لَيلَةُ النِّصفِ مِنْ شَعْبَانَ وَالَّذِي نَفسُ عَلِيٍّ بِيَدِهِ إِنَّهُ مَا مِنْ عَبْدٍ إِلّا وَجَمِيعُ مَا يَجْرِي عَلَيهِ مِنْ خَيرٍ وَشَرٍّ مَقْسُوم لَهُ فِي النِّصفِ مِنْ شَعْبَانَ إِلىٰ آخِرِ السَّنَةِ فِي مِثلِ تِلْكَ اللّيلَةِ المُقْبِلَةِ وَمَا مِنْ عَبْدٍ يُحْيِيها وَيَدعُو بِدُعَاءِ الخَضِرعليه السلام إِلّا أُجِيبَ لَهُ»[1].

أجل، فقد ورد في هذه الروايات أنّ ليلة النصف من شعبان كليلة القدر، من جهة هطول أمطار الرحمة الإلهيّة والبركات الربانيّة وأنّ الناس جميعاً ستشملهم الألطاف الغيبيّة، وهي ليلة الصفح والمغفرة والتوبة من قِبل الله تعالى على عباده، كما ورد هذا المعنى في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«فَإِنَّ هَذِهِ لَيلَةٌ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوابِ السَّماءِ فَيُفتَحُ فِيها أَبوابُ الرَّحمَةِ وَبَابُ الرِّضوَانِ وَبَابُ المَغفِرَةِ وَبَابُ الفَضلِ وَبَابُ التَّوبَةِ وَبَابُ النِّعمَةِ وَبَابُ الجُودِ وَبَابُ الإِحسَانِ»[2].

وطبعاً فيما يتّصل بالفارق بين ليلة القدر وليلة النصف من شعبان في تعيين مصير الناس وتقدير أرزاقهم يقول السيّد بن طاووس (٥٨٩ ـ ٦٦٤ هـ ق)، في كتابه إقبال الأعمال ضمن بيان عدّة احتمالات يقول:

«... لعلّ المراد أن قسمة الآجال والأرزاق التي يحتمل أن تمحى وتثبت ليلة نصف شعبان والآجال والأرزاق المحتومة ليلة القدر، أو لعلّ قسمتها في اللوح المحفوظ ليلة نصف شعبان وقسمتها بتفريقها بين عباده ليلة القدر أو لعلّ قسمتها في ليلة الدر وفي ليلة النصف من شعبان أن يكون معناه أنّ الوعد بهذه القسمة في ليلة القدر كان في ليلة نصف شعبان فيكون معناه أنّ قسمتها ليلة القدر كان ابتداءً الوعد به أو تقديره ليلة نصف شعبان كما لو

---

١. إقبال الأعمال، السيّد بن طاووس رحمه الله، ص ٧٠٦.

٢. مستدرك الوسائل، المحدّث النوري رحمه الله، ج ٦، ص ٢٨٥.

أنّ سلطاناً وعد إنساناً أن يقسّم عليه مالاً (الأموال) في ليلة القدر وكان وعده به ليلة نصف شعبان فيصحّ أن يقال عن الليلتين أن ذلك قسم فيهما»[١].

وعلى ضوء ذلك، فالنقطة المهمّة المستفادة من هذه الروايات الشريفة والواردة في منابع أهل السنّة والشيعة، هي أنّ ليلة النصف من شعبان بذاتها تتوفّر فيها عنوان مقدّس ولها فضيلة وقيمة كبيرة، ولكنّ وقوع ولادة آخر حجّة إلهيّة عليه السلام في هذه الليلة زاد من فضيلتها ومنزلتها وقداستها، ونقرأ في أحد الأدعية هذا المعنى من زيادة قيمة ليلة النصف من شعبان بسبب هذه الولادة المباركة في هذه الليلة كما ورد في العبارة التالية:

«اللّٰهُمَّ بِحَقِّ لَيْلَتِنا هٰذِهِ وَمَوْلُودِها وَحُجَّتِكَ، وَمَوْعُودِهَا الَّتي قَرَنْتَ اِلىٰ فَضْلِها فَضْلاً، فَتَمَّتْ كَلِمَتُكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِكَ، وَلا مُعَقِّبَ لِأُياتِكَ، نُورُكَ الْمُتَأَلِّقُ، وَضِيآؤُكَ الْمُشْرِقُ، وَالْعَلَمُ النُّورُ في طَخْيآءِ الدَّيْجُورِ، الْغائِبُ الْمَسْتُورُ، جَلَّ مَوْلِدُهُ، وَكَرُمَ مَحْتِدُهُ، وَالْمَلآئِكَةُ شُهَّدُهُ، وَاللهُ ناصِرُهُ وَمُؤَيِّدُهُ إِذٰا آنَ مِيعادُهُ، وَالْمَلآئِكَةُ اَمْدادُهُ، سَيْفُ اللهِ الَّذي لا يَنْبُو، وَنُورُهُ الَّذي لا يَخْبُو، وَذُوالْحِلْمِ الَّذي لا يَصْبُوا، مَدارُ الدَّهْرِ، وَنَوامِيسُ الْعَصْرِ، وَوُلاٰةُ الْأَمْرِ، وَالْمُنَزَّلُ عَلَيْهِمْ ما يَتَنَزَّلُ في لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَأَصْحابُ الْحَشْرِ وَالنَّشْرِ، تَرٰاجِمَةُ وَحْيِهِ، وَوُلاٰةُ اَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، اللّٰهُمَّ فَصَلِّ عَلىٰ خاتِمِهِمْ وَقآئِمِهِمْ، اَلْمَسْتُورِ عَنْ عَوالِمِهِمْ، وَأَدْرِكْ بِنا أَيّامَهُ، وَظُهُورَهُ وَقِيامَهُ، وَاجْعَلْنا مِنْ أَنْصارِهِ، وَاقْرِنْ ثارَنا بِثارِهِ، وَاكْتُبْنا في اَعْوانِهِ وَخُلَصآئِهِ، وَأَحْيِنا في دَوْلَتِهِ ناعِمِينَ، وَبِصُحْبَتِهِ غانِمِينَ، وَبِحَقِّهِ قآئِمِينَ، وَمِنَ السُّوٓءِ سالِمِينَ، يا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ، وَالْحَمْدُلِلّٰهِ

---

١. إقبال الأعمال، السيّد بن طاووس رحمه الله، ص ٧٠١.

رَبِّ الْعالَمِينَ، وَصَلَّى اللّٰهُ عَلىٰ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ خاتَمِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَعَلىٰ أَهْلِ بَيْتِهِ الصّادِقِينَ، وَعِتْرَتِهَ النّاطِقِينَ، وَالْعَنْ جَمِيعَ الظّالِمِينَ، واحْكُمْ بَيْنَنا وَبَيْنَهُمْ يا أَحْكَمَ الْحاكِمِينَ»[١].

وينقل الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه الإمام الباقر عليه السلام أنّ الإمام عليّ عليه السلام كان يحبّ أربع ليالي من السنة ويفرغ نفسه للعبادة في هذه الليال، وهي ليلة عيد الفطر، وليلة عيد الأضحى، وليلة النصف من شعبان، وليلة النصف من رجب، جاء في بعض النسخ:

«كَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ يُفَرِّغَ الرَّجُلُ نَفْسَهُ فِي السَّنَةِ أَرْبَع لَيالٍ، أَوّلَ لَيْلَةٍ مِنْ رَجَبٍ ولَيلَةَ النَّحْرِ ولَيلَةَ عِيد الفِطْرِ وَلَيلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبان»[٢].

وأعلى من ذلك، يستفاد من بعض الروايات أنّ الأئمّة الأطهار عليهم السلام ذكروا أنّ الله تعالى قرّر لليلة ببركة وجود النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وفي هذه الليلة فتح باب رحمته وغفرانه على عباده وجعل هذه الليلة هي ليلة من النصف من شعبان احتراماً أهل البيت عليهم السلام أنّه وإن وردت وأدعية خاصّة في ليلة معيّنة قبل ولادة الإمام صاحب الزمان عليه السلام في ليلة النصف من شعبان، ولكن باعتبار واحترام وجود أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام وبخاصّة الإمام صاحب الزمان عليه السلام، جرى تكريم وتعظيم هذه الليلة المباركة، لأنّ فيها وجود درة تاج الأنبياء والأولياء الإلهيين عليهم السلام وفيها ولد من يحقّق جميع طموحات أهل البيت عليهم السلام وينجز جميع ما تحرّك من أجل الأنبياء والأولياء عليهم السلام وهو الإمام المنتظر صاحب الزمان عليه السلام، ولهذا المجال يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«وأنَّها اللّيلَةُ الّتي جَعَلَها اللهُ لَنا أَهْلَ البَيْتِ بإزاءِ مَا جَعَلَ لَيْلَةَ القَدْرِ لِنَبِيِّنا صلى الله عليه وآله

---

١. المصباح، الشيخ الكفعمي رحمه الله، ص ٥٤٥؛ البلد الأمين، الشيخ الكفعمي رحمه الله، ١٨٧.

٢. وسائل الشيعة، الشيخ الحرّ العاملي رحمه الله، ج ٧، ص ٤٧٨.

فَاجْتَهِدوا في دُعاءِ الله والثَّناءِ عَلَىٰ اللهِ فَإِنَّهُ مَنْ سَبَّحَ اللهَ تَعالىٰ فِيهَا مَائَةَ مَرَّةٍ وَحَمِدَهُ مَائَةَ مَرَّةٍ وَكَبَّرَهُ مَائَةَ مَرَّةٍ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا سَلَفَ مِنْ مَعَاصِيهِ وَقَضَى اللهُ لَهُ حَوائِجَ الدُّنْيا والآخِرَةِ مَا الْتَمَسَهُ وَمَا عَلِمَ حَاجَتَه إِلَيهِ وَإِنْ لَمْ يَلْتَمِسْهُ مِنَّةً وَتَفَضُّلاً عَلَىٰ عِبَادِهِ»[1].

أجل، فببركة آخر الحجج الإلهيين عليهما السلام أضحت مكانة هذه الليلة العزيزة عند الله تعالى شريفة وعالية جدّاً، بحيث يقول الإمام الرضا عليه السلام في هذا الصدد:

«مَنِ اسْتَغفَرَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعالىٰ فِي شَعبَانَ سَبْعِينَ مَرّةً غَفَرَ اللهُ ذُنُوبَهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثلَ عَدَدِ النُّجُومِ»[2].

ومن الخصوصيّات الأخرى في ليلة النصف من شعبان أنّها أفضل زمان لتقوية العلاقة بين الإنسان وربّه وتوثيق الرابطة بين الله وعبده، كما ورد في سيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه كان في هذه الليلة يكثر من الدعاء والمناجاة والسجود الطويل، وفي هذا المجال يروي الشيخ الطوسي رحمه الله عن حمّاد بن عيسى رحمه الله وهو يروي عن أبان بن تغلب رحمه الله هذه الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام فيها يتحدّث عن حالات رسول الله صلى الله عليه وآله في ليلة النصف من شعبان قال:

«كانَ رَسولُ اللهِ صَلّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ عِنْدَ إحدىٰ أزْواجِه فَلَمّا انْتَصَفَ لَيْلُ النِّصْفِ مِن شَعْبانَ قَامَ صَلّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ عن فِراشِها، فَلمّا انْتَبَهَتْ وَجَدَتْ رَسُولَ اللهِ قَدْ قَامَ عَنْ فِراشِها فَدَخَلها مَا يَتَداخلُ النِّساء وَظَنَّتْ أَنَّهُ قَدْ قَامَ إِلىٰ بَعضِ نِسائِهِ، فَقامَت وتَلَفَّفَتْ بِشَمْلَتِها... فَقَامَتُ تَطلُبُ رَسولَ اللهِ صَلّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ فِي حُجرِ نِسائِهِ حُجرَةً حُجرَةً، فَبينَما هِي كَذَلِكَ إِذ نَظَرَتْ إِلىٰ

---

١. الأمالي، الشيخ الطوسي رحمه الله، ص ٢٩٧؛ مصباح المتهجّد: الشيخ الطوسي رحمه الله، ص ٧٦٢؛ بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٩٤، ص ٨٥.

٢. الأمالي، الشيخ الصدوق رحمه الله، ص ١٧؛ وإقبال الأعمال، السيّد بن طاووس رحمه الله، ص ٦٨٥.

رَسُولُ الله صَلّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ ساجِداً كَثَوْبٍ مُتَلَبِّدٍ بِوَجْهِ الأَرْضِ فَدَنَتْ مِنهُ قَرِيباً فَسَمِعَتْهُ يَقُولُ:

سَجَدَ لَكَ سَوادي وَخَيالي، وَآمَنَ بِكَ فُؤادي، هذِهِ يَدايَ وَما جَنَيْتُهُ عَلىٰ نَفْسي، يا عَظِيمُ تُرْجىٰ لِكُلِّ عَظِيمٍ، اِغْفِرْ لِيَ الْعَظِيمَ، فَاِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذَّنْبَ الْعَظِيمَ اِلَّا الرَّبُّ الْعَظِيمُ.

ثمّ رفع رأسه، ثمّ عاد ساجداً فسمعته يقول:

أَعُوذُ بُنُورِ وَجْهِكَ الَّذي أَضاءَتْ لَهُ السَّمٰواتُ وَالْأَرَضُونَ، وَانْكَشَفَتْ لَهُ الظُّلُماتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الْأَوَّلِينَ وَالْأٰخِرِينَ، مِنْ فُجأَةِ نَقِمَتِكَ، وَمِنْ تَحْوِيلِ عٰافِيَتِكَ، وَمِنْ زَوٰالِ نِعْمَتِكَ، اللّٰهُمَّ ارْزُقْني قَلْباً تَقِيّاً نَقِيّاً، وَمِنَ الشِّرْكِ بَرِيئاً، لا كٰافِراً وَلا شَقِيّاً.

ثمّ عفَّر خدَّيهِ فِي التُّراب وقال:

عَفَّرْتُ وَجْهي فِي التُّرابِ، وَحُقَّ لي أَنْ أَسْجُدَ لَكَ.

فَلمّا هَمَّ رَسُولُ اللهِ صَلّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ بالانْصِرافِ هَرْوَلَتْ إلى فِراشِها. وأتىٰ النَّبيُّ صَلّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ فِراشِها وَإِذا لَها نَفَسٌ عَالٍ فَقالَ لَها رَسُولُ الله: ما هذا النَّفَسُ العالِي؟ أَما تَعْلَمِينَ أَيُّ لَيْلَةٍ هذِه؟ هَذِه لَيْلة النِّصْفِ مِنْ شَعْبانَ فِيها تُقْسَمُ الأَرْزاقُ وفِيها تُكْتَبُ الآجَالُ وفِيها يُكْتَبُ وَفْدُ الحاجِّ وأَنَّ اللهَ لَيَغْفِرُ فِي هَذِه اللَّيلَةِ مِنْ خَلْقِهِ أَكثرِ مِنْ عَدَدِ شَعرِ مَعزي كَلَب ويُنَزِّلُ اللهُ مَلائِكَتَهُ مِن السَّماءِ إلىٰ الأَرْضِ بِمَكَّةَ»[1].

أجل، كان رسول الله ﷺ كثير الدعاء وكثير السجود في ليلة النصف من شعبان وكان يتضرع إلى الله تعالى باكياً في سجوده، ثمّ يرفع رأسه من السجود ويسجد مرّة

---

١. إقبال الأعمال: السيّد بن طاووس رحمه الله، ص ج ٣، ٣٢٥.

ثانية وبعد ساعة أخرى يرفع رأسه من السجود ثمّ يمرغ وجهه بالتراب ويدعو الله تعالى ويتضرع إليه في حالة من الخشوع والخضوع والبكاء ويترنم بعبارات عميقة في دعائه ومناجاته مع ربّه.

وجاء في رواية نقلها السيّد بن طاووس في كتابه «إقبال الأعمال» وفيها عبارات عميقة وبليغة جدّاً في هذا الشأن وتدعو الإنسان للتأمل والتدبّر فيها، لأنّ رسول الله ﷺ يقول في هذه الرواية أنّ جبرائيل عليه السلام جاءني وقال:

«يَامُحَمَّدُ أَتَنَامُ فِي هَذِهِ اللَّيلِ فَقُلْتُ: يَا جِبرَئِيلُ وَمَا هَذِهِ اللَّيلَةُ؟ قَالَ: هِي لَيلَةُ النِّصفِ مِنْ شَعبَانَ قُمْ يَامُحَمَّدُ فَأَقَامَنِي، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلىٰ البَقِيعِ ثُمَّ قَالَ لِي: ارْفَع رَأسَكَ فَإِنَّ هَذِهِ اللَّيلَةُ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوابِ السَّماءِ فَيُفْتَحُ فِيها أَبوابُ الرَّحمَةِ وَبَابُ الرِّضوَانِ وَبَابُ المَغفِرَةِ وَبَابُ الفَضلِ وَبَابُ التَّوبَةِ وَبَابُ النِّعمَةِ وَبَابُ الجُودِ وَبَابُ الإِحسَانِ، يَعْتِقُ اللهُ فِيهَا بِعَدَدِ شُعُورِ النِّعَمِ وَأَصوافِها، ويُثَبِّتُ اللهُ فَيهَا الآجَالَ وَيُقَسِّمُ فِيهَا الأَرزَاقَ مِنَ السَّنَةِ وَيُنْزِلُ مَا يَحْدُثُ فِي السَّنَةِ كُلِّها».

والتعابير الواردة في هذه الرواية تستدعي التأمّل، لأنّ الرواية تقول: في هذه الليلة تفتح أبواب الرحمة، وتفتح أبواب الرضوان، وأبواب المغفرة والتوبة على العباد، فالأشخاص الذين يريدون أن ينالوا مقام الرضا ويصلوا إلى مرتبة عالية من رضوان الله تعالى، فعليهم أن يستثمروا هذه الليلة المباركة، لأنّ فيها تفتح أبواب رضوان الله تعالى وفضله ولطفه وجوده وإحسانه، فجميع أبواب الرحمة الإلهيّة تنفتح على مصراعيها أمام العباد، وأنّ الله تبارك وتعالى يحرر ويعتق الكثير من الناس من نار جنهّم بعدد شعر الحيوانات، وهو عدد لا يحصى من الكثرة، وأنّ مقدّرات الإنسان وما هو مقدار حياته وحتّى يحين أجله ومقدار رزقه في هذه الدنيا سيتمّ تقديره في هذه الليلة المباركة، ثمّ إنّ جبرئيل عليه السلام قال:

«يَامُحَمَّدُ مَنْ أحْياها بِتَسْبِيحٍ وتَهْلِيلٍ وتَكْبيرٍ ودُعاءٍ وصَلاةٍ وقِرَاءَةٍ وَتطوُّعَ واسْتِغْفارٍ وكانَت الجَنَّةُ لَهُ مَنْزِلاً ومَقِيلاً، وَغَفَرَ اللهُ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه وما تَأخَّرَ».

والأشخاص الذين ينشغلون في هذه الليلة بالتكبير والتسبيح والتهليل والإستغفار و... فإنّ محلّهم ومنزلهم الجنّة: «كانَت الجَنَّةُ لَهُ مَنْزِلاً ومَقِيلاً»، إذن فهذه الليلة هي ليلة التكبير، ليلة التحميد، وينبغي على الإنسان مهما أمكن أن يردد هذه الأذكار ويقول: «الحمد لله سبحان الله لا حول ولا قوّة إلّا بالله، واستغفر الله»، وهكذا يحيى هذه الليلة الفضيلة بهذه الأذكار، والشخص الذي ينطق لسانه بهذه الأذكار فإنّ الله تعالى سيغفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، ثمّ إنّ جبرئيل عليه السلام قال:

«يا مُحَمَّدُ مَنْ صَلّىٰ فِيهَا مَائَةَ رَكعَةٍ يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكعَةٍ فَاتِحَةَ الكِتَابِ مَائَةَ مَرَةٍ وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ عَشْرَ مَرّاتٍ فَإِذا فَرَغَ مِنْ الصَّلاةِ قَرَأَ آيَةَ الكُرسِي عَشْرَ مَرَّاتٍ وَفَاتِحَةَ الكِتابِ عَشْرَاً وَسَبَّحَ اللهَ مَائَةَ مَرَّةٍ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَائَةَ كَبِيرةٍ مُوبِقَةٍ مُوجِبَةٍ لِلنَّارِ، وأَعطىٰ بِكُلِّ سُورَةٍ وَتَسبِيحَةٍ قَصْرَاً فِي الجَنَّةِ وَشَفَّعَهُ اللهُ فِي مَائَة مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَشَرَكَهُ فِي ثَوابِ الشُّهَداءِ وَأَعْطاهُ مَا يُعطِي صَائِمي هَذَا الشَّهرِ وَقَائِمي هَذهُ اللّيلةِ مِنْ غَيرِ أَنْ يَنقُصَ مِنْ أُجُورِهِم شَيئاً فَأَحيِها يَامُحَمَّدُ وَأَمُرْ أُمَّتَكَ بِإِحيَائِها وَالتَّقَرُّبِ إِلىٰ اللهِ بِالعَمَلِ فِيها فَإِنَّها لَيلَةٌ شَرِيفَةٌ».

ثمّ إنّ جبرئيل الأمين عليه السلام علّم النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله الصلاة المعروفة لهذه الليلة، ونأمل من الإخوة والأخوات الأعزاء إن شاء الله بالاتيان بهذه الصلاة، وهي من مائة ركعة يعني خمسون ركعة يعني في كلّ صلاة ركعتين، وفي كلّ ركعة يقرأ المصلّي بعد قراءة سورة الحمد عشر مرّات سورة التوحيد، بحيث يكون المجموع قراءة ألف مرّة لسورة التوحيد، ثمّ ذكر جبرئيل فضائل هذه الصلاة وبركاتها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله،

وقال: «يارسول الله لو صلّى أحد هذه الصلاة ثمّ قرأ بعد الصلاة آية الكرسي عشر مرات وقرأ فاتحة الكتاب عشر مرّات، وقال مائة مرّة: «سبحان الله»، فإنّ الله تبارك وتعالى سيغفر له ذنب من الذنوب الكبيرة يستحق على كلّ ذنب منه دخول جهنّم، وبكلّ سورة قصراً في الجنّة، ثمّ قال: كلّ من صلّى هذه الصلاة فإنّ الله تعالى سيجعله يشفع في مائة نفر من أهله وذويه ويشركه في ثواب الشهداء وثواب الأشخاص الذين صاموا في شهر شعبان، ثمّ قال جبرئيل: يارسول الله عليك بإحياء هذه الليلة والانشغال بالدعاء والمناجاة مع الله تعالى وأُمر أُمّتك بإحياء هذه الليلة أيضاً، وقال جبرئيل عليه السلام: يارسول الله! هذه الليلة ليلة شريفة وعظيمة، ثمّ قال جبرئيل عليه السلام:

«وَلَقَدْ أَتَيتُكَ يٰامُحَمَّدُ وَمَا فِي السَّمَاءِ مَلكٌ إِلّا وَقَدْ صَفَّ قَدَمَيهِ فِي هَذِهِ اللَّيلَةِ بَيْنَ يَدَي اللهِ تَعالىٰ قَالَ فَهُمْ بَينَ رَاكِعٍ وقائمٍ وَسَاجِدٍ وَداعٍ وَمُكَبِرٍ وَمُسْتَغْفِرٍ وَمُسَبِّحٍ يٰامُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ تَعالىٰ يَطَّلِعُ فِي هَذِهِ اللّيلِ فَيَغْفِرُ لِكُلِّ مُؤمِنٍ قَائِمٍ يُصلِّي وَقَاعِدٍ يُسَبِّحُ وَراكِعٍ وَسَاجِدٍ وَذَاكِرٍ وَهِي لَيلَةٌ لا يَدعُو فَيهَا دَاعٍ إِلّا استُجِيبَ لَهُ وَلا سَائِلٌ إِلّا أُعطِي وَلا مُسْتَغْفِرٌ إِلّا غُفِرَ لَهُ وَلا تَائِبٌ إِلّا تِيبَ عَليهِ مَنْ حُرِمَ خَيرَها يٰامُحَمَّدُ فَقَدْ حُرِمَ»[1].

أجل، يقول جبرئيل عليه السلام في هذه الرواية: يارسول الله صلى الله عليه وآله جئتك بخبر فضيلة هذه الليلة وأعمالها وصلواتها وأدعيتها، ولكنّك لا تعلم ماذا يحدث في السماء؟ فالملائكة يعيشون أجواء العبادة وهم بين راكع وساجد وداع ومستغفر، وفي حال القيام والقعود، فلو أنّ أحداً من أرباب القلوب ينظر إلى السماء وسوف يرى عبادة الملائكة وتسبيحهم وتكبيرهم، وقول جبرئيل هذا لغرض أن لا يجد الإنسان العابد

---

١. إقبال الأعمال، السيّد بن طاووس رحمه الله، ج ٣، ص ٣٢٠؛ بحار الأنوار رحمه الله، ج ٩٥، ص ٤١.

في نفسه حالة من الغرور والعجب ويتصوّر أنّه لوحده يسهر في هذه الليلة ويحييها بالعبادة والاستغفار والدعاء، كلّا فملائكة السماوات وعددهم أضعاف مضاعفة من جميع البشر على سطح الكرة الأرضيّة كلّهم مشغولون بالصلاة والركوع والسجود والاستغفار والتكبير والتسبيح، ثمّ قال جبرئيل عليه السلام: يارسول الله صلى الله عليه وآله إنّ الله تعالى ينظر إلى الناس، فكلّ مؤمن يقف للصلاة بين يدي الله تعالى فستشمله رحمة الله تعالى وغفرانه، وكلّ مَن قال: «سبحان الله» وكلّ مَن يذكر الله تعالى في حال الركوع أو السجود فسينال رضوان الله وعفوه، وهذه الليلة من الليالي العظيمة الذي يضمن فيها الله تعالى، استجابة الدعاء لعباده.

والآن السؤال هو: ما هو الدعاء الذي ينبغي قراءته في هذه الليلة الكريمة؟ الدعاء لضمان العاقبة الحسنة للإنسان المؤمن، فعمر الإنسان يمرّ بسرعة وينتهي ونحن لا نعلم ما هو مصيرنا في آخر المطاف وما هي عاقبة أمرنا وماذا سنكون عليه عندما يحين أجلنا؟ هل نبقى على ديننا وإيماننا إلى ذلك الوقت، أو لا سمح الله نغادر هذه الدنيا في حالة الكفر والشرك؟ وأساساً فإنّ أحد الأنبياء الإلهيين عليهم السلام: قال في دعائه، إلهنا! توفّنا مسلمين، كما أنّ وصيّة جميع الأنبياء العظام: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[1]، أي أنّ الأنبياء عليهم السلام كانوا يطلبون من الله عزّ وجلّ أن يتوفاهم وهم على الإسلام والإيمان، أي تكون عاقبة أمرهم ونهاية حياتهم على خير، كما ورد في القرآن الكريم:

﴿تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[2]

أجل، يجب على المسلم أن يدعو لنيل رضا صاحب هذه الليلة الحقيقي وهو

---

١. سورة آل عمران، الآية ١٠٢.

٢. سورة يوسف، الآية ١٠١.

الإمام الحجّة ابن الحسن العسكري عليه السلام، وأعلى من ذلك أنّه يجب على المنتظر الواقعي في هذه الليلة المباركة أن يستغفر لنفسه الأشهر الكثيرة من شعبان التي تمرّ عليه وتذهب، وعدد ليالي النصف من شعبان التي مضت من عمره ولم يهتم لها، ولكن ينبغي أن يجلس ويفكّر في نفسه ما هي قابلياته وإمكاناته ليحظى بارتباط حقيقي مع إمامه المنتظر وصاحب الزمان الإمام المهدي الموعود عليه السلام، هل أنّ المنتظِر للإمام المهدي عليه السلام سأل من نفسه لحدّ الآن أنّه عندما يقوم إلى الصلاة وينتهي منها، هل أنّ الإمام صاحب الزمان عليه السلام بعد الانتهاء من صلاته دعا الله تعالى أن يقبل صلاة هذا الشخص، أو أنّه لا سمح الله يقول له: أنت بهذه الصلاة ليس فقط أهنت نفسك واسقطت سمعتك، بل عملت على تزييف مكانة وسمعة أهل البيت عليهم السلام أيضاً، فما هذه الصلاة التي صلّيتها؟

إذن المسلم الحقيقي يجب أن يسأل نفسه دوماً: هل أنّه حظى في النصف من شعبان، الذي يمرّ عليه في كلّ سنة وينتهي، بمرتبة من القرب والدنو من الإمام المهدي عليه السلام؟ وهل نال في هذه الليلة الكريمة مرتبة أقرب إلى الإمام عليه السلام؟ وما مقدار التفاته إلى الإمام المنتظر وإلى حقيقة إمامة أهل البيت عليهم السلام؟ أجل، فالمؤمن الحقيقي يجب أن يسأل نفسه في كلّ لحظة ما مقدار الحجب التي زالت عن قلبه وبصيرته، وما مقدار ما عمله من تهذيب نفسه وتطهير روحه، وما مقدار النورانيّة الحاصلة في صحيفة أعماله إثر إحيائه لهذه الليلة وعبادته؟ لأنّ أحد الوعود الإلهيّة للأشخاص الذين يسعون إلى إحياء هذه الليلة المباركة بالعبادة والتضرع والذكر والدعاء أنّه تعالى سيؤتيهم صحيفة أعمالهم يوم القيامة بأيمانهم.

إذن فهنيئاً للأشخاص الذين اهتموا وسعوا لإحياء هذه الليلة مع الالتفات إلى مكانة هذه الليلة ومنزلتها وفضيلتها، لأنّ الله تعالى يقول: كلّ إنسان يجلس في هذه الليلة ويشتغل بالذكر والدعاء فسوف يكون موردال عفو الإلهي، وكلّ دعاءٍ صحيح

يدعو به الإنسان المؤمن في هذه الليلة سيكون مورد الاستجابة، وكلّ ما يطلب هذا الإنسان المؤمن في هذه الليلة فسوف يستجيب له الله تعالى ويؤتيه سؤله ويقضي حاجته، ومن هذه الجهة لا ينبغي للمنتظِر للإمام المهدي عليه السلام أن يطلب من الله تعالى الأمور الدنيويّة التافهة الرخيصة التي يعطيها الله تعالى للكفّار فيما لو طلبوها من الله، يجب على المؤمن في هذه الليلة أن يسأل الله تعالى الأمور التي يصعب تحصيلها على الإنسان العادي ولا يستجيب الله تعالى لدعاء أي إنسان بسرعة ويسر، يجب على كلّ إنسان أن يقول مع نفسه: إلهي لقد جئتك في هذه الليلة راغباً إليك فاغفر لي واعف عنّي وطهر قلبي من شوائب الذنوب والمعاصي، نعم يجب على الإنسان الالتفات في هذه الليلة إلى أهميّة البكاء وخشوع القلب وليعلم أنّ الله تعالى سيقبل توبته، والعجيب أنّه كما ورد بالنسبة لشهر رمضان المبارك أنّ المسكين في هذا هو من يمضي عليه شهر رمضان ولا ينال غفران الله، كما هو الحال في ليلة النصف من شعبان أيضاً، فقد وردت في الروايات عبارات مشابهة لما ورد في روايات شهر رمضان، وتقدّم قول جبرئيل عليه السلام في الرواية: يارسول الله! المحروم من غفران الله في هذه الليلة هو البائس والمحروم والشقي.

سيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام في ليلة النصف من شعبان

وتبيّن من مجموع ما تقدّم أنّه لا ينبغي للمؤمنين والمسلمين الغفلة عن بركات هذه الليلة الفضيلة وهي الليلة النصف من شعبان، بل لابدّ من الانشغال فيها وإحيائها بالدعاء والعبادة والذكر والصلاة، كما ورد ذلك في سيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمّة الطاهرين عليهم السلام.

دعاء النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في ليلة النصف من شعبان

طبقاً لما ورد في الروايات الشريفة فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يدعو الله تعالى في هذه الليلة المباركة بهذا الدعاء:

«اللّٰهُمَّ اقْسِمْ لَنا مِنْ خَشْيَتِكَ ما يَحُولُ بَيْنَنا وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ، وَمِنْ طاعَتِكَ ما تُبَلِّغُنا بِهِ رِضْوانَكَ، وَمِنَ الْيَقينِ ما يَهُونُ عَلَيْنا بِهِ مُصيباتُ الدُّنْيا، اللّٰهُمَّ أَمْتِعْنا بِأَسْماعِنا وَأَبْصارِنا وَقُوَّتِنا ما أَحْيَيْتَنا، وَاجْعَلْهُ الْوارِثَ مِنّا، وَاجْعَلْ ثارَنا عَلىٰ مَنْ ظَلَمَنا، وَانْصُرْنا عَلىٰ مَنْ عادانا، وَلا تَجْعَلْ مُصيبَتَنا في دينِنا، وَلا تَجْعَلِ الدُّنْيا أَكْبَرَ هَمِّنا، وَلا مَبْلَغَ عِلْمِنا، وَلا تُسَلِّطْ عَلَيْنا مَنْ لا يَرْحَمُنا، بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ»[١].

أجل، وأحد أدعية النبي الأكرمﷺ في هذه الليلة هو: إلهي! أسألك أن تهب لنا من خشيتك وتجعلنا نعيش حالة التقوى والخشية منك في قلوبنا، بحيث تمنعنا هذه الخشية من ارتكاب الذنب واقتراف معصية، وتكون حاجزاً بيننا وبين معصيتك.

الآن السؤال هو: لماذا نجد بعض المسلمين في مواجهتهم للمعصية لا يتذكّرون الله تعالى؟ وبعبارة أخرى، لماذا نرى بعض الأشخاص عندما ـ لا سمح الله ـ يواجهون المعصية، لا يجدون خشية وخوفاً في ارتكابهم للمعصية؟ الجواب: إنّ الله تبارك وتعالى لم يرزق الكثير من الناس هذه الحالة من الخشية، ومن هذه الجهة يجب أن نسأل الله تبارك وتعالى هذه الحالة وتمنعنا من التورط في الذنب، وطبقاً لهذا التحليل فالشخص الذي يشعر عندما يواجه حالات المعصية وارتكاب الذنب، أنّ قلبه يخفق وأنّ دموعه تجري ويطأطىء برأسه خجلاً من الله تعالى ويهيمن الحياء على وجوده كافة، فيجب أن يعلم أنّ هذه الحالة من الخشية والخوف من الله تعالى هي لطف من ألطاف الباري تعالى رزقه الله إيّاه، وأساساً من أجل ذلك ورد في الحديث الشريف أنّ رسول اللهﷺ قال: إلهي! اقسم للمسلمين في هذه الليلة من خشيتك بحيث إنّهم عندما يواجهون حالة المعصية والذنب فإنّ هذا الخوف والخشية يقع حاجزاً ومانعاً بينهم وبين ارتكاب المعصية وبالتالي

---

١. مصباح المتهجد وسلاح المتعبّد، الشيخ الطوسيرحمه‌الله، ج ٢، ص ٥٦٨.

لا ينزلقون في وادي الخطيئة.

ونقرأ في هذا الدعاء الشريف والعميق المعنى للنبي الأكرمﷺ أنّه قال: إلهي! أسألك في هذه الليلة المباركة أن تهب لي من طاعتك ما أبلغ به رضوانك، فلا أطلب منك أن أؤدي عدّة ركعات من الصلاة وأيّام من الصيام وأحسب ذلك طاعة لك واطلب منك ثواب ذلك في يوم القيامة، بل أنا أطلب منك تلك الطاعة الخاصّة التي تقرّبني كلّ لحظة من رضوانك أكثر، فأنا أُريد الحصول على مقام رضاك... إلهي! ورزق المؤمنين من اليقين بحيث يهون عليهم المصائب والأزمات التي يواجهونها في حياتهم وتكون يسيرة عليهم، لأنّ مقام اليقين لا يناله أحد بيسر وسهولة، والكثير من الناس يغفلون هذا المقام، ولكن مع ذلك فإنّ المسلمين والمؤمنين ينبغي أن يسألوا الباري تعالى أن يهبهم مرتبة الوصول إلى مقام اليقين، وقد ورد هذا المعنى من جملة أدعية النبي الأكرمﷺ في هذه الليلة المباركة، إلهي! لا تعرض بوجهك الكريم عنّا، لأنّ نظر الله تعالى وعناياته وألطافه بل شعاع من لطفه وعنايته تعالى يكفي لتنوير عالم الوجود أجمع، فهذا الدعاء من أدعية أولياء الله، الذين يسألون الله تعالى أن لا يعرض بوجهه الكريم عنهم.

دعاء أهل البيتعليهم السلام في ليلة النصف من شعبان

وطبقاً لما ورد في بعض الروايات الأخرى، وكذلك الصلوات الواردة في هذه الليلة عن أبي يحيى الصنعاني وثلاثين راوٍ آخر من الرواة المعتمدين ومن الثقاة، حيث نقل أحدهم عن الإمام الباقرعليه السلام والإمام الصادقعليه السلام بأنّه: عندما تحلّ ليلة النصف من شعبان تصلّي صلاة أربع ركعات بهذه المناسبة، بأن تأتي في كلّ ركعة بسورة الحمد وبعدها تقرأ مائة مرّة سورة التوحيد وبعد الانتهاء من الصلاة يدعو هذان الإمامان الصادقانعليهما السلام بهذا الدعاء:

«اللّهُمَّ إِنّي اِلَيْكَ فَقيرٌ، وَمِنْ عَذابِكَ خائِفٌ مُسْتَجيرٌ، اللّهُمَّ لا تُبَدِّلْ اِسْمي،

وَلَا تُغَيِّرْ جِسْمِي، وَلَا تَجْهَدْ بَلَآئِي، وَلَا تُشْمِتْ بِي أَعْدَآئِي، أَعُوذُ بِعَفْوِكَ مِنْ عِقَابِكَ، وَأَعُوذُ بِرَحْمَتِكَ مِنْ عَذَابِكَ، وَأَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُبِكَ مِنْكَ، جَلَّ ثَنَآؤُكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ، وَفَوْقَ مَا يَقُولُ الْقَآئِلُونَ»[1].

والآن طبقاً لما نقله المرحوم السيّد بن طاووس رحمه الله في كتابه «إقبال الأعمال» أنّ ثلاثين من الرواة نقلوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ الشخص إذا نجح في الاتيان بصلاة الليل في ليلة النصف من شعبان، فإنّ الله تبارك وتعالى سينظر إليه سبعين مرّة.

ويعتقد كاتب هذه السطور أساساً لا يمكن فهم عظمة هذا المعنى والمفهوم وما هو السرّ في هذه الصلاة بحيث إنّ الشخص الذي يوفّق للإتيان بها في ليلة النصف من شعبان فإنّ الله ينظر إليه سبعين مرّة وفي كلّ نظرة يقضي له سبعين حاجة وأقلها غفران الذنوب، تقول الرواية:

«مَنْ صَلَّىٰ هَذِهِ الصَّلَاةِ فِي هَذِهِ اللَّيلَةِ نَظَرَ اللهُ إِلَيهِ سَبعِينَ نَظرَةً وَقضَىٰ لَهُ بِكُلِّ نظْرَةٍ سَبْعِينَ حَاجَةً أَدْنَاهُ المَغْفِرَةِ»[2].

هنيئاً لجميع الأشخاص الذين أحيوا هذه الليلة من النصف من شعبان وبخاصّة هنيئاً لأولئك الأشخاص يقبعون في نقطة من هذه الكرة الأرضيّة لا يعلم بهم أحد من الناس وهم مشغلون بإحياء هذه الليلة وأداء المناسك والأعمال الواردة في هذه الليلة وهم يناجون ربّهم ويكشفون عن فقرهم إلى الله تعالى ويعترفون بذنوبهم ويدعون الله: إلهي! أنا محتاجون إليك وخائفون من عذابك ومتلجئون إليك ولائذون بحضرتك، وأساساً فإنّ أفضل دعاء في طواف بيت الله الحرام للحجاج هو هذا الدعاء: إلهي أنا متلجيء إليك ولائذ ببيتك، إلهي! لا تبدّل اسمي ولا تسلب رضاك

---

١. مصباح المتهجّد: الشيخ الطوسي رحمه الله، ص ٨٣٠؛ بحار الأنوار: العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٩٤، ص ٨٨.

٢. ونقلها السيّد بن طاووس رحمه الله، في إقبال الأعمال ج ٣، ص ٣٢٠.

ونظرك عنّي واجعلني من زمرة الصالحين، ولا تجعلني في زمرة الفاسقين، إلهي! لا ترفع اسمي من المسلمين وتجعله في زمرة الكافرين، إلهي! لا ترفع تمحو اسمي من المتقين وتجعله في غير المتقين، إلهي! عندما أُفكر في عقابك ألوذ بعفوك وصفحك، إلهي! أعوذ بكرمك من عذابك، إلهي! أعوذ بك منك، أعوذ بك من خطيئاتي وممّا اقترفته يداي.

وكما هو معلوم فإنّ في هذه الأدعية معارف كثيرة، منها الإذعان بوحدانيّة الله تعالى، والاعتراف بالمعاد والنبوّة والإمامة والاقرار بجميع الفضائل والقيم الأخلاقيّة الإلهيّة وغير ذلك من المعارف التي يعجز القلم عن بيانها ويقصر اللسان عن وصفها.

وتأييداً لما ورد آنفاً، يمكن الاستناد إلى دعاء الإمام الصادق عليه السلام فيما يخصّ ليلة النصف من شعبان الذي رواه إسماعيل بن الفضل الهاشمي، وهذا الدعاء يحتوي على مضامين توحيديّة عالية ومفاهيم إيمانيّة ومعرفيّة قيمة في كيفيّة ارتباط المخلوق بالخالق جلّ وعلا، وهذا الدعاء هو:

«اللّٰهُمَّ أَنْتَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، اَلْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، الْخالِقُ الرّازِقُ، اَلْمُحْيِي الْمُمِيتُ، الْبَدِيءُ الْبَدِيعُ، لَكَ الْجَلالُ وَلَكَ الْفَضْلُ، وَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الْمَنُّ، وَلَكَ الْجُودُ وَلَكَ الْكَرَمُ، وَلَكَ الْأَمْرُ وَلَكَ الْمَجْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ، وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ، يا واحِدُ يا أَحَدُ، يا صَمَدُ يا مَنْ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ، صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاْغفِرْ لي وَارْحَمْني، وَاكْفِني ما أَهَمَّني، وَاقْضِ دَيْني، وَوَسِّعْ عَلَيَّ في رِزْقي، فَإِنَّكَ في هٰذِهِ اللَّيْلَةِ كُلَّ أَمْرٍ حَكِيمٍ تَفْرُقُ، وَمَنْ تَشاءُ مِنْ خَلْقِكَ تَرْزُقُ، فَارْزُقْني وَأَنْتَ خَيْرُ الرّازِقِينَ، فَإِنَّكَ قُلْتَ وَأَنْتَ خَيْرُ الْقائِلِينَ النّاطِقِينَ: وَاسْئَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ. فَمِنْ فَضْلِكَ أَسْئَلُ، وَإِيّاكَ قَصَدْتُ، وَابْنَ نَبِيِّكَ اعْتَمَدْتُ، وَلَكَ رَجَوْتُ، فَارْحَمْني يا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ»[1].

---

١. مصباح المتهجّد، الشيخ الطوسي رحمه الله، ج ٢، ص ٨٤٤.

كلمة أخيرة

لقد تبيّن من مجموع ما تقدّم أنّ ليلة النصف من شعبان، بغض النظر عن ولادة الإمام صاحب الأمر والزمان عليه السلام فيها، فإنّها تتمتّع بقيمة سامية ومرتبة عالية جدّاً، وطبعاً فإنّ ولادة الإمام المنتظر عليه السلام في هذه الليلة زاد من فضيلتها وشرفها أضعافاً مضاعفة، وعلى ضوء ذلك، فالأشخاص الذين يوفّقون لإحياء هذه الليلة المباركة ينبغي لهم الالتفات إلى أنّهم نالوا توفيقاً عميقاً من الله تعالى، لأنّ الكثير من عباد الله وحتّى الكثير من المسلمين يعيشون الغفلة وربّما الغفلة التامّة عن فضيلة هذه الليلة، ولكن الله تبارك وتعالى يخصّ بعض عباده بعناياته وألطافه الغيبيّة ويجعلهم يلتفتون إلى أهميّة وكرامة هذه الليلة ويسعون إلى إحيائها بالصلاة والعبادة والقيام والقعود والركوع والسجود والدعاء والتسبيح والتهليل والتكبير والتحميد.

ينبغي على الجميع أن يسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل جميع المسلمين من جملة عباده الصالحين الذين يسعون لإحياء ليلة النصف من شعبان ويوفّق جميع المنتظرين ليكونوا من أصحاب وأنصار الإمام الحجّة عليه السلام، ويجعل جميع الشيعة في زمرة عباده الصالحين ويستجيب لهم دعاءهم.

إلهي! نسألك في ليلة النصف من شعبان، أن توفّق المسلمين وجميع المؤمنين بإحياء هذه الليلة بأفضل وجه، ويوفّقهم للعبادة والصلاة والمناجاة والتضرّع وتفتح قلوبهم عليك وتنظر إليهم بنظر اللطف والرحمة، إلهنا! نسألك أن تهب لجميع المسلمين أفضل عناياتك وألطافك وتدخلهم في رحمتك الواسعة.

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المهدويّة ومستقبل العالم في ظلّ القرآن

محاضرة في مؤتمر الإمام المهدي عليه السلام بالنسبة لمستقبل العالم،
أُلقيت في جامعة الكوفة في العراق

ما ستقرأه في المقالة التاسعة:

* التحقيق الدلالي في الآية ٤١ من سورة الحج التي تدلّ على مسألة المهدويّة، ودراسة ثلاث مواضيع فيما يخصّ مفردات الآية، ومناقشة سبع احتمالات في (الذين إن مكّنّاهم في الأرض» في نظر أهل السنة.

* بيان آراء المفسّرين من أهل السنّة في الاحتمال الأوّل ومناقشته: أ) مناقشة نظرية الفخر الرازي؛ ب) بيان نظريّة إسماعيل بن كثير؛ ج) بيان نظرية الآلوسي، الإشكالات الواردة على الآلوسي.

* بيان النظريّة الصحيحة في تفسير الآية، ضمن أربع نقاط، مناقشة عدّة روايات فيما يخصّ الآية ٤١ من سورة الحجّ، بيان نقطتين مهمّتين حول حجيّة الروايات.

* مناقشة نظريّة العلّامة الطباطبائيﷺ فيما يخصّ الآية الشريفة، بيان أدلته في ردّ نظريّة أهل السنّة في قوله تعالى: «الذين إن مكّنّاهم».

* مناقشة بعض الإشكالات الواردة على نظرية العلّامة الطباطبائي.

*بيان نقطتين أخيرتين.

بسم الله الرحمن الرحيم

المهدويّة ومستقبل العالم في ظلّ القرآن

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[1].

موضوع البحث

إنّ المحقّقين والباحثين في آيات القرآن الكريم يعلمون جيداً بوجود آيات كثيرة في القرآن تقرّر بصراحة بالغة مسألة المنقذ والمصلح لعالم البشريّة الإمام بقيّة الله الأعظم عليه السلام، بحيث إنّ هذه الآيات الشريفة تطرح هذا المفهوم بوصفه أمراً مسلّماً وحادثة حتميّة ستقع بشكل حتمي في المستقبل.

وطبعاً ورد في الروايات الشريفة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام ما يؤكد هذا المعنى، وقد ذهب المفسّرون من الشيعة والسنّة إلىٰ صحّة هذا المفهوم المستنبط من القرآن والسنّة، ومن هذه الجهة نسعى في هذا المقال لتقديم «بحث ولائي حول هذه الآيات القرآنيّة في موضوع المهدويّة»[2].

---

١. سورة الحج، الآية ٤١.

٢. في المؤتمر العالمي لـ «الإمام المهدي ومستقبل العالم» الذي أُقيم في جامعة الكوفة في ☜

البحث الدلالي في الآية ٤١ من سورة الحج التي تدلّ على مسألة المهدويّة

ومن جملة الآيات التي تدلّ على مسألة المهدويّة وعصر الظهور، الآية ٤١ من سورة الحج حيث يقول تبارك وتعالى في هذه الآية:

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[١].

وبعبارة أخرى، إنّ الله تبارك وتعالى في هذه الآية الشريفة يقرّر هذه الحقيقة، وهي أنّ الأشخاص الذين نمنحهم القدرة والسلطة على الأرض سوف يتحرّكون على صعيد الإتيان بأربعة أعمال أساسيّة، وهي عبارة عن، «إقامة الصلاة»، «إتيان الزكاة» و«الأمر بالمعروف» و«النهي عن المنكر»

ولكن كما هو واضح أنّ هذه الآية الشريفة تحتوي على جملة شرطيّة هي عبارة عن: ﴿إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾، والتوصيات الأربع اللاحقة المذكورة في هذه الآية مرتبة على هذا الشرط، ومن هذه الجهة لابدّ في بداية الأمر الالتفات في هذا المجال إلى ثلاث نقاط كمقدّمة.

بيان ثلاث نقاط مهمّة

كما أسلفنا آنفاً، وقبل الورود في تفاصيل البحث، ينبغي في بداية الأمر تقديم

☜ العراق في ٣١ / اردبيهشت إلى ٢ / خرداد ١٣٩٢ هـ ش وبحضور شخصيات دينيّة بارزة ومشاركة أكثر من ستمائة عالم ديني من بلدان، ايران، العراق، مصر، الكويت، لبنان، وسورية، وتمّ تقديم مقالات تخصصيّة عدّة في مسألة المهدويّة لمدّة ثلاثة أيّام وإحدى هذه المقالات المقالة التي قدمت من قبل آية الله الاستاد الشيخ الحاج محمّد جواد الفاضل اللنكراني دامت بركاته وموضوع المقالة: «بحث في دلالة الآية ٤١ من سورة الحج على موضوع المهدويّة».

١. سورة الحج، الآية ٤١.

ثلاث نقاط مهمّة كمقدّمة فيما يتصّل بمدلول هذه الآية الشريفة، ثمّ استعراض المعنى اللغوي والاصطلاحي في الكلمات الواردة في هذه الآية:

النقطة الأُولى: ادّعاء اختصاص الآية بالخلفاء الأربعة من قِبل المفسّرين من أهل السنّة

أوّل نقطة ينبغي بحثها فيما يتعلّق بتفسير هذه الآية الشريفة، هي أنّ مفسّري أهل السنّة يعتقدون بأنّ هذه الآية الشريفة تنطبق فقط على عصر الخلفاء الراشدين بعد النبي الأكرمﷺ، وفي هذا المسار ذهبوا إلى حدّ ليس فقط أنّهم نسبوا بعض التفاسير والرؤى الموهومة للمفسّرين المتقدّمين من الشيعة بل أصروا على رأيهم هذا أيضاً.

وبعبارة أوضح، إنّ غالبيّة أهل السنّة ذهبوا في تفاسيرهم إلى أنّ هذه الآية الكريمة مختصّة بالخلفاء الراشدين، وادعوا أنّ المصداق الأساس للمتمكنين في الأرض من أصحاب القدرة والسلطة من هؤلاء المؤمنين والصالحين هم الخلفاء الأربعة الذين استلموا زمام السلطة والخلافة بعد رسول اللهﷺ، وهؤلاء الخلفاء الأربعة هم الذين عملوا بهذه التوصيات الأربع الواردة في هذه الآية الكريمة، ثمّ إنّ المفسّرين الذين ادّعوا هذه الدعوى بدون دليل أصرّوا على أنّ المفسّرين المتقدّمين من الشيعة ذهبوا إلى أنّ هذه الآية مختصّة بزمان خلافة أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام القصيرة، ثمّ إنّهم حكموا من جانب واحد بعدم قبولهم لهذا التفسير وأصرّوا على شمول المفهوم القرآني لكافّة الخلفاء الراشدين الأربعة، ومن المعلوم أنّ الإماميّة لا حاجة لهم لردّ هذا الادّعاء من قبل علماء أهل السنّة، لأنّه لا يوجد أي أثر لمثل هذا القول وهذه النظريّة في تفاسير الشيعة.

وطبقاً لهذه الرؤية فإنّ المفسّرين من أهل السنّة كفخر الدين الرازي (٥٤٤ – ٦٠٦ هـ ق) في «التفسير الكبير / لسان الغيب»، وإسماعيل بن عمر بن كثير

المعروف بابن كثير (٦٩٢ إلى ٦٩٨ ـ ٧٧٤ هـ ق) في «تفسير القرآن العظيم / المعروف بتفسير ابن كثير»، وشهاب الدين محمود الآلوسي (١٢١٧ ـ ١٢٧٠ هـ ق) في تفسيره «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم»، أرادوا جعل هذه الآية الشريفة من جملة الأدلة على حقانيّة وإمامة الخلفاء الأربعة بعد رسول الله ﷺ، وفي هذا المجال يقول الفخر الرازي:

«ودَلّت الآية على إمامة الأربعة»[١].

ولكن من خلال البحث في مطاوي هذه الآية الشريفة، يتبيّن بطلان هذا الادّعاء.

النقطة الثانية: مناقشة بحث فقهي في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الحكّام أو عامّة الناس

النقطة الثانية فيما يتّصل بمدلول هذه الآية الشريفة، أنّه يمكن من خلال هذه الآية استفادة مسألة فقهيّة بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الحكّام والولاة.

وبعبارة أخرى، هنا يوجد بحث فقهي ينطلق من هذه الآية الشريفة، وذلك أنّ بعض الفقهاء ذهبوا إلى أنّ هذه الآية إذا أمكن استنباط وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منها فإنّ هذه الوظيفة لا تقصد عامّة الناس، أي أنّ متعلّق التكليف ليس أفراد المجتمع، بل يختّص الوجوب بالحكّام والولاة الذين يستطيعون من خلال سلطتهم وقدرتهم امتثال هذا الأمر الإلهي، في حين أنّه يمكن أن يصل أحد الفقهاء إلى هذه النتيجة وهي، أنّه إذا أمكن استنباط وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الآية الشريفة فإنّ هذا الوجوب يتعلّق بالحكّام فقط لا بعامّة الناس، وهذه النقطة المهمّة سنبحثها في البحوث الآتية.

---

١. مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، ج ٢٣، ص ٢٣١.

النقطة الثالثة، مناقشة بحثين في دلالة الآية الشريفة في نظر مفسّري الإماميّة

النقطة الثالثة فيما يتّصل بمدلول هذه الآية الشريفة، والتي يجدر مناقشتها هنا هي: هل أنّ هذه الآية الشريفة تدلّ على الفرضية المطروحة آنفاً وما ذكره أكابر المحدّثين والمفسّرين من الإماميّة، أم لا؟

وعلى هذا الأساس فلابدّ في دلالة هذه الآية الشريفة على الفرضيّة المطروحة من بيان ومناقشة قضيتين مهمّتين وهما:

القضيّة الأُولى: إنّ هذه الآية بذاتها، وبغض النظر عن الروايات هل تدلّ على مسألة المهدويّة والإمام صاحب الزمان عليه السلام، أم لا؟

القضيّة الثانية: هل يمكن تطبيق هذه الآية الكريمة بواسطة الروايات على الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام وبدون ذلك لا يمكن تطبيق هذه الآية على المطلوب؟

بيان ثلاثة مسائل في مفردات الآية

كما تقدّم من طرح ثلاث نقاط كمقدّمة لمناقشة مدلول هذه الآية الشريفة، والآن ينبغي البحث في مفردات هذه الآية المباركة فيما يتّصل بثلاث مسائل، ومسألتان منها تتّصل بالمفردات الواردة في هذه الآية، والمسألة الثالثة ترتبط بأحد المقاطع المذكورة في هذه الآية الشريفة، وهذه المسائل عبارة عنه

المسألة الأُولى: مناقشة ثلاثة احتمالات أدبيّة في كلمة «الذين»

وأوّل مسألة في بيان مفردات هذه الآية الشريفة ترتبط ببيان المكانة الأدبيّة لكلمة «الذين» الواردة في الآية الشريفة وبيان القول المختار في هذه المسألة، وفي هذا المجال ثمّة ثلاث احتمالات يمكن طرحها هنا، الاحتمال الأوّل والثاني منها ذكر في أكثر التفاسير، وهذه الاحتمالات الثلاثة هي:

الاحتمال الأوّل: «الذين» منصوب محلًا وهو بدل من «من ينصره»

الاحتمال الأوّل في كلمة ﴿الَّذِينَ﴾ في هذه الآية الشريفة، أنّها في موضع

«النصب» يعني عنها «بدل» من عبارة ﴿يَنصُرُهُ﴾ الواردة في الآية السابقة: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنصُرُهُ﴾[١]، ثمّ جاءت هذه الآية بعد ذلك لتقول: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾، والنتيجة أنّ الموصول وما جاء بعده يكون في موضع النصب وهو بدل من: ﴿مَنْ يَنصُرُهُ﴾.

الاحتمال الثاني: «الذين» وصف للآية السابقة وبدل من «الذين أُخرجوا من...»

والاحتمال الثاني تكون كلمة ﴿الَّذِينَ﴾ في هذه الآية الشريفة وصف لـ ﴿الَّذِينَ﴾ الواردة في الآية السابقة، يعني ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٢].

الاحتمال الثالث: «الذين» صفة لـ «المقاتلين والمجاهدين في سبيل الله»

الاحتمال الثالث أن تكون ﴿الَّذِينَ﴾ الواردة في هذه الآية الشريفة، صفة لـ «المقاتلين والمجاهدين في سبيل الله»، وعلى هذا الأساس فالاحتمال الثالث رغم أنّه يقترب شيئاً قليلاً عن الاحتمال الأوّل، ولكنّه يختلف عنه لأنّ الكلام الإلهي في الآية السابقة ناظر إلى الأشخاص الذين يقومون في سبيل الله ويقاتلون في سبيله، ومن هذه الجهة يقول: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، والمشكلة الكامنة في هذه الصورة هو أنّ جملة ﴿مَنْ يَنصُرُهُ﴾ عنوان عامّ يعود إلى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ...﴾، ولكن الآية تحدّثت عن نصر خاصّ، بمعنى أنّ كلمة ﴿الَّذِينَ﴾ صفة للمجاهدين في سبيل الله، وهم الذين يدافعون عن الدين في سبيل الله وكذلك

---

١. سورة الحج، الآية ٤٠.

٢. سورة الحج، الآية ٤٠.

يقاتلون في سبيل الله، وهذا المعنى هو المقصود من الآية التاسعة والثلاثين من سورة الحج التي تقول في مطلعها: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ أَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[١]، ثمّ تتابع الآية الكلام وتقول: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾..

النتيجة أنّ كلمة ﴿الَّذِينَ﴾ يقصد بها المدافعون والمقاتلون في سبيل الله، الذين تمكّنوا في الأرض وانتصروا على أعدائهم واستلموا مقاليد الأمر ولا يكونون مثل الأشخاص من أهل الدنيا الذين ما إن يستلموا السلطة والقدرة فإنّهم يستخدمون سلطتهم وقدرتهم لتحصيل الأمور الماديّة والدنيويّة واشباع نوازعهم النفسيّة وأهوائهم، بل هؤلاء من زمرة الأشخاص الذين وردت التعبير عنهم في القرآن الكريم إذا رزقهم الله تعالى السلطة والقدرة في الأرض واستلموا زمام الحكم والسلطة فسوف يقيمون الصلاة ويأتون الزكاة ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وأخيراً فإنّ جميع الأمور تعود إلى الله تعالى كما تقول الآية: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.

القول المختار في مورد الاحتمالات الثلاثة في «الذين»

وحسب التحقيق في هذه الآية الشريفة نرى أنّ الاحتمال الثالث أقرب إلى الواقع يعني أنّ المعنى الأقرب من الاحتمالات الثلاث في كلمة «الذين» وهو الاحتمال الثالث الذي أشرنا إليه آنفاً.

البحث الثاني: مناقشة نقطتين في جملة «مكّنّاهُم»

البحث الثاني في بيان مفردات هذه الآية الشريفة والتي ينبغي مناقشتها، جملة

---

١. سورة الحج، الآية ٣٩.

﴿مَكَّنَّاهُمْ﴾، ففي هذا المورد ثمّة عدّة نقاط مهمّة موجودة في هذه الجملة وربّما يستفيد بعض الفقهاء من هذه النقاط الموجودة في هذه الجملة وما تتضمن من كلمات بعض الشروط المترتبة على مسألة وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والآن السؤال هو: لماذا استخدم الباري تعالى في هذه الآية الشريفة عبارة: ﴿مَكَّنَّاهُمْ﴾، وأساساً ماذا يعني بالتمكين؟ وهل أنّه يقصد جميع أقسام القدرة والسلطة، أو ما هي خصائص التمكين في الأرض؟

ومن أجل الإجابة عن الأسئلة المذكورة ينبغي الفات النظر إلى النقاط التالية:

النقطة الأُولى: بحث لغوي في كلمة «مكّنّ»

للتوصل إلى نتيجة صحيحة ومقبول بداية لابدّ من مراجعة كتب اللغة، ليتبيّن معنى كلمة «مكّن» يقول أرباب اللغة في هذا المجال:

أ) يقول أحمد بن محمّد الفيومي (... ـ ٧٧٠ هـ ق) في كتابه «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي» بالنسبة للمعنى اللغوي لـ«مكّن»:

«مكّن فلان عند السلطان مكانة وزان ضخم ضخامة عظم عنده وارتفع»[١].

ويتابع كلامه بالقول:

«ومكّنته من الشيء تمكيناً وجعلت له عليه سلطاناً وقدرة»[٢].

والنتيجة وبحسب هذا الرأي، فإنّ كلمة «تمكين» لا تطلق على جميع أقسام القدرة بل التمكين خاصّ، وهو أن يكون للشخص عند السلطان مكانة وقدرة.

ب) إسماعيل بن حمّاد الجوهري الفارابي (... ـ ٣٩٣ هـ ق) يقول في كتابه

---

١. المصباح المنير، الفيومي، ج ٢، ص ٥٧٧.

٢. المصدر السابق.

«الصحاح في اللغة» بالنسبة إلى تمكن وأنّه تعني الحضور المقتدر بالاستقرار والثبات، يقول في هذا المجال:

«والمكن بيض الضّب»[١].

وبعبارة أخرى، كما أنّ الضبّ «السحلية» يجعل بيضه في الأرض يحفر حفرة ثم يغطي بيضه بالتراب يعمل على مراقبتها لمدّة أربعين يوماً، ولذلك يطلق على هذا العمل للضبّ كلمة «مكّن»، أو القدرة على حفظ البيض.

والآن السؤال الذي يطرح هنا هو: لماذا اطلقت كلمة «مكّن» على بيض الضبّ؟

الجواب: إنّ الضبّ بما أنّه يستقر في مكان الخاص ولذلك يقال عنه «مكّن» بمعنى أنّه من الممكن أن يستقر ويثبت في تلك الحفرة من أجل وضع بيضه فيها، ومن هذه الجهة قيل عنه «مكّن».

ج) فخرالدين الطريحي (٩٧٩ ـ ١٠٨٥هـ ق) في كتابه «مجمع البحرين ومطلع النيرين» يقول مشير إلى معنى «مكّن»:

«الناس على مكانتهم أي على استقامتهم وعلى استقرارهم»[٢].

النقطة الثانية: مناقشة مادّة «مكّنة» في القرآن

التحقيق في أصل وجذر كلمة «مكّن» في آيات القرآن الكريم يتبيّن أنّ لهذه الكلمة في الكتاب الإلهي معاني أخرى تشبه هذا الأصل، وهنا نلفت النظر إلى عدّة موارد:

أ) مكّن بمعنى مكان الإستقرار والثبات

يقول الباري تعالى في الآية ١٣ من سورة المؤمنون:

---

١. الصحاح في اللغة، الجوهري، ج ٦، ص ٢٢٠٥.

٢. مجمع البحرين، الطريحي، ج ٦، ص ٣١٧.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾.

وطبقاً لهذه الآية الشريفة فإنّ النطفة جعلت في «مكين» يعني أننا جعلناه بقدرة في مكان محفوظ، وعبارة «في قرار مكين» بمعنى أنّ الرحم مكان له القدرة على حفظ النطفة.

ب) مكّن بمعنى الحكم القوي والمستقر

يقول الله تبارك وتعالى في الآية ٥٤ من سورة يوسف:

﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾.

وطبقاً لهذه الآية الشريفة فإنّ ملك مصر قال للنبي يوسف عليه السلام أنت الآن لدينا صاحب مكانة وأمين، يعني أنّك تملك قدرة ثابتة في أرض مصر.

والنتيجة وجد في كلمة مكين معنى الثبات والاستقرار.

ج) مكّن بمعنى المكان المستقر والثبات

يقول الله تبارك وتعالى في الآية ١٩ و ٢٠ من سورة التكوير:

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾

وطبعاً هناك آيات أخرى وردت فيها كلمة «مكين» ومادة «مكنة» الوجه المشترك بينها وبين الآيات السابقة وبخاصّة عندما تكون هذه المادة من باب تفعيل يعني مكّنته، أو من باب إفعال يعني أمكنه، فيكون المعنى «الاستقرار المقترن بالقدرة».

إذ فمن ضروريات الاستقرار القدرة والقوّة، ففي هذه الصورة إذا كان الإنسان يملك استقراراً، ولا أحد من المخلوقين يستطيع الاخلال في هذا الأستقرار يعني أنّ الشخص يستطيع حفظ استقراره، وفي هذه الصورة يطلق عليه «السلطنة» أو «التمكين».

بيان القول المختار بالنسبة لاستعمالات القرآن لمادّة مكن

ويتبيّن من مجموع ما تقدّم الكلام فيه، إنّ التمكين يعني الاستقرار والقدرة التي تستلزم تكويناً لـ «السلطنة» ولكن يمكن أن يقال إنّ تفسير التمكين بالسلطنة هو لازم المعنى، أي أنّ المعنى الأصلي لكلمة التمكين ليست هي السلطنة بل إنّ السلطنة من ضروريات ومن لوازم التمكين، والنتيجة:

أوّلاً: إنّ معنى كلمة مكّن هو الاستقرار المقترن بالقدرة والقوّة، ومن ضروريات الاستقرار في البعد الوجودي السلطنة والحكومة، ولازمها الشدّة في بعض الحالات.

ثانياً: يتبيّن ممّا تقدّم ذكره معنى كلمة «مكّنّاهم» بشكل إجمالي أيضاً.

البحث الثالث: مناقشة عدّة احتمالات في جملة «في الأرض»

الموضوع الثالث في دراسة مفردات الآية الشريفة، التحقيق حول هذا السؤال، وهو أنّ «الألف واللام» الموجودة في كلمة «الأرض» ما هو نوعها ومن أي أنواع «الألف واللام»؟ وفي مقام الجواب: ينبغي القول بوجود احتمالين في هذا المجال وهما:

الاحتمال الأوّل: أنّ « الـ » للعهد

وهذا يعني أنّ الألف واللام في كلمة «الأرض» للعهد، يعني يقصد بها أرض معيّنة وخاصّة وأنّ أولئك الأشخاص المذكورين في هذه الآية الشريفة ومن يمكنهم الله تعالى سيكون ذلك في أرض خاصّة، وبالتالي يكون معنى الآية:

«الذين إن مكّنّاهم في قسم محدود من الأرض، فسوق يقيمون الصلاة....»

الاحتمال الثاني: أنّ « الـ » للجنس

وهذا الاحتمال يعني أنّ الألف واللام في كلمة «الأرض» لبيان جنس الأرض التي سيتحقّق فيها التمكين والسلطنة لأولئك الأشخاص، لا أنّها أرض معيّنة

ومحدود، وفي هذه الصورة يكون معنى الآية:

«الذين إن مكّنّاهم في جميع الأرض وتسلطوا على كافّة بقاع الأرض فسوف يقيمون الصلاة و...»

القول المختار: في هذين الاحتمالين في البحث الثالث

ومعلوم أنّ المقصود من الألف واللام في الآية الشريفة هو: «جنس الأرض»، يعني هذا التمكين سيتحقّق في أي نقطة من الأرض يصدق عليها هذا العنوان، وبعبارة أخرى، وفقاً لهذا الاحتمال فإنّ الأرض تشمل جميع الأقطار وبقاع الأرض، ولا تختصّ ببقع منها، وعلى هذا الأساس وطبقاً لهذه التفسير أنّ التمكين ينتج عدّة أمور من قبيل «إقامة الصلاة» و«ايتاء الزكاة» و«التواصي والأمر بالمعروف» و«النهي عن المنكر» وطبعاً سيأتي في البحوث التالية ما هو المقصود من الآية الشريفة في كلمة المعروف والمنكر، وهل أنّه يشمل «مطلق المعروف والمنكر» أو «معروف خاصّ ومنكر خاصّ»، لأنّه لا شك أنّ مقصود من الآية الشريفة، من الصلاة والزكاة هي الواجبات المعيّنة والواردة في الشريعة.

مناقشة سبعة احتمالات في «الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ» في نظر المفسّرين من أهل السنّة

بعد أن تبيّنت معاني المفردات المذكورة في الآية الشريفة بمقدار معيّن، نرى من اللازم استعراض كلمات أهل السنّة في هذا المجال، ليتبيّن هل أنّ استنباط القضايا المفروضة منها ممكن وميسور، أم لا؟

والواقع أنّ المحقّقين والباحثين الذين يعترفون وبعلم ومعرفة الفخر الرازي ويأنسون بتفسيره كلما بحثوا وتعمّقوا في الأدلّة التي يقدّمها في تفسيره فسوف يدركون نقاط الضعف العلميّة فيه أكثر، وعلى أية حال فهذه الاحتمالات عبارة عن:

الاحتمال الأوّل: الخلفاء الأربعة فقط

وفي هذا المجال يقول محمّد بن أحمد القرطبي (٥٧٨ ـ ٦٧١ هـ ق) في تفسير «الجامع لأحكام القرآن»:

«أربعة من أصحاب رسول صلّى الله على (وآله) وسلّم لم يكن في الأرض غيرهم»[١].

طبقاً لهذا القول مصداق هذه الآية الشريفة ينحصر بأربعة أشخاص وكلّهم قد غادر الدنيا، والنتيجة لا يوجد أي مصداق لهذه الآية المباركة في عصرنا الراهن وأنّ مصداق هذه الآية قد انتهى، ونرىٰ أنّ أهل السنّة ومنهم الفخر الرازي فيما يخصّ الآية ٥٥ من سورة النور وفيها يقول تبارك وتعالى:

﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً...﴾.

نرى أنّهم يصرّون على أنّ مراد الباري تعالى من قوله: ***﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾***، هم الخلفاء الأربعة، بمعنى أنّ الله تعالى في هذه الآية الكريمة وعد الأشخاص الأربعة بالحكومة على الأرض.

ولكن المفسّرين من أهل السنّة لا يجدون جواباً مقبولاً في مقابل السؤال المطروح في مصداق هذه الآية الشريفة ***﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً...﴾***، وأنّها لا يوجد لها مصداق الآن، ولا يوجد له مصداق في أي زمان، لأنّهم يقولون بأنفسهم أنّ عمر وعثمان قتلا وأنّ أميرالمؤمنين عليه السلام استشهد أيضاً، وكلّ هؤلاء الخلفاء لم يحقّقوا الحكومة والأمن المذكور في هذه الآية الشريفة، والأنكى من ذلك أنّ أهل

---

١. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج ١٢، ص ٧٢.

السنّة يرون بشكل خاطىء فيما يخصّ الآية ٥٥ من سورة النور، وكذلك رأيهم بالنسبة للآية ٤١ من سورة الحجّ حيث يصرّون على هذا المعنى، والقرطبي أيضاً يعدّ من هؤلاء الأشخاص الذين أصروا على هذه النظريّة الخاطئة، وكذلك عبدالله البيضاوي (... ـ ٧١٦ هـ ق) في تفسير «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» أيضاً هو أحد هؤلاء المفسّرين الذين أيدوا هذه المقولة، يقول البيضاوي في هذا المجال:

«فيه دليل على صحّة أمر الخلفاء الراشدين إذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين»[1].

ومن الواضح طبعاً، أنّ السبب في ظهور هذا الرأي بين علماء أهل السنّة هو أنّهم لم يشاهدوا طيلة سنوات متمادية من حكومة الأمويين والعباسيين والأُمراء المنصوبين من قبل هؤلاء الخلفاء، أنّهم عملوا بالتعاليم والدساتير الإلهيّة الأربعة الواردة في هذه الآية الشريفة، ومن هذه الجهة ذهب غالبيّتهم إلى اختيار هذا الاحتمال وأنّ هذه الآية الشريفة تتحدّث عن الخلفاء الأربعة الذين تولّوا زمام الحكم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

الاحتمال الثاني: المهاجرين، والأنصار والتابعين

المقصود من الموصول الذي يعود عليه كلمة «الذين» في هذه الآية الشريفة هم المهاجرون والأنصار والتابعون[2].

الاحتمال الثالث: هم أصحاب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله

وهذا الاحتمال يرى بأنّ المقصود من الموصول جميع أصحاب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وهذا القول ذهب إليه ابن عباس وقال:

---

١. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج ٣، ص ١٤٦.
٢. الجامع لأحكام القرآن، ج ١٣، ص ٧٣.

«المقصود هو كافّة أصحاب النبي وليس أمّة النبي كما قال قتادة بأنّ المقصود هو أصحاب النبي»[١].

الاحتمال الرابع: الذين يقيمون الصلوات الخمسة اليوميّة

المقصود من الموصول في هذه الآية الشريفة هم «أصحاب الصلوات اليوميّة الواجبة»، وذهب إلى هذا القول عكرمة[٢].

الاحتمال الخامس: أُمّة النبي الأكرمﷺ

فنقل أبوالعالية أنّ المقصود من الموصول، أُمّة النبي الأكرمﷺ في عصر قوّة المسلمين وقدرتهم، يعني عندما تحقّق أُمّة النبي الأكرمﷺ النصر والغلبة على جميع الأقوام من غير المسلمين، ونقل القرطبي:

«هم هذه الأُمّة إذا فتح الله عليهم أقاموا الصلاة»[٣].

والنتيجة، وطبقاً لهذا القول، إذا لم تحقّق الأُمّة الإسلاميّة الغلبة على سائر الأقوام البشريّة ولم تتولّى زمام الحكم والسلطة على المجتمعات البشريّة، أو بعبارة أخرى «إنّ قول الآية بأنّ الله تعالى ينصرهم ويمكنّهم في الأرض هو كناية عن حكومة وسلطة أُمّة النبي الأكرمﷺ على سائر المجتمعات البشريّة.

الاحتمال السادس: مطلق الحكّام المسلمين

المقصود من الموصول هنا هو مطلق الحكّام المسلمين، سواءً جاءوا إلى الحكم بطريقة مشروعة وحكموا بتعاليم الإسلام أو كانوا حكّاماً غير مشروعين، وقد ذهب إلى هذا القول عبدالله بن يسار أبي نجيح (.. ـ ١٣١ هـ ق) وقال:

---

١. الجامع لأحكام القرآن، ج ١٣، ص ٧٣.

٢. المصدر السابق.

٣. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج ١٣، ص ٧٣.

«إنّ المراد هو الولاة»[١].

يعني أنّ المقصود من كلمة ﴿الَّذِينَ﴾ في هذه الآية الشريفة هم الحكّام المسلمون.

الاحتمال السابع: الحكّام المسلمون الذين يملكون المشروعيّة في حكمهم

والمقصود من كلمة ﴿الَّذِينَ﴾ في هذه الآية هم «الحكّام المسلمون الذين يكون حكمهم مشروعاً» وقد ذهب إلىٰ هذا القول الضحّاك بن قيس الفهري حيث قال:

«هو شرط شرطه الله عزّ وجلّ على من آتاه الملك»[٢].

أي قوله في الآية ﴿مَكَّنَّاهُمْ﴾ عبارة عن شرط اشتراطه الله تعالى على السلطان والحاكم لشرعنة حكمه وسلطانه.

كما يتبين أنّ الاحتمال السابع يقترب من الاحتمال السادس، بمعنى أنّه وفقاً لقول الضحّاك فإنّ ﴿مَكَّنَّاهُمْ﴾ تعود على الشخص الذي يمنحه الله السلطة والحكومة على الناس، ولكن طبقاً لقول ابن أبي نجيح فإنّ ﴿مَكَّنَّاهُمْ﴾ هم ولاة المسلمين وحكّامهم، سواءً أعطاهم الله هذا السلطان أو استلموا السلطة بآليات القوّة والغلبة، وبعبارة أخرى أنّ الفرق بين الاحتمال السادس والسابع هو أنّ الاحتمال السادس عامّ تقريباً والمقصود من أولياء الأمور هم الأشخاص الذين استلموا زمام الحكومة بالقوّة أو بالحقّ، أمّا في الاحتمال االسابع فإنّ المقصود فقط هم الولاة من أصحاب الحقّ في ولايتهم ويملكون المشروعيّة والحقانيّة الإلهيّة في سلطتهم.

---

١. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج ١٣، ص ٧٣، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم، الآلوسي، ج ٩، ص ١٥٧.

٢. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج ١٣، ص ٧٣.

توضيح آراء المفسّرين من أهل السنّة في الاحتمال الأوّل ومناقشته

وأحد النقاط المهمّة في هذا الرأي هو: هل أنّ هذه الآية الشريفة، وطبقاً لرأي أهل السنّة، تنطبق على الخلفاء الأربعة بعد رسول الله ﷺ أم لا؟ وأيضاً يجب التحقيق في الأساس الذي يقوم عليها دليل أهل السنّة على هذا المدّعى وما هو المبنى لذلك؟

وقد رأينا في البحوث السابقة أنّ هذه المسائل تحتاج أحياناً إلى بعض الترتيب، وينبغي في البداية أن يتبيّن رأي المفسّرين الشيعة في هذا المجال، ثمّ نستعرض كلام مفسّري أهل السنّة، ولكن بسبب أنّ أهل السنّة ذكروا في هذا المجال مسائل مختلفة وأقوال متنوعة، فمن هذه الجهة نرى من اللازم بداية بيان أقوالهم وآرائهم وبالتالي رأينا في هذا المقال تغيير المنهج والاسلوب المتبع عادة، وطبقاً لهذه الرؤية، مع الرجوع لتفاسير أهل السنّة فنرى أنّهم ذهبوا إلى رؤية فيما يخصّ تفسير سورة النور لا يمكن بأي وجه الالتزام بها، وذلك في قوله تعالى في الآية ٥٥ من هذه السورة المباركة: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾، فأهل السنّة يحصرون هذا الوعد الإلهي للمؤمنين بالأشخاص الذين كانوا في بداية ظهور الإسلام، ومن هذه الجهة فإنّهم يذهبون إلى أنّ ذلك العصر قد انتهى وأنّ تاريخ الآية الشريفة قد انتهى أيضاً، وهنا نرى في الواقع وقوعهم بخطأ فاحش بالنسبة لتفسير القرآن الكريم:

أ) توضيح نظرية الفخر الرازي

يقول الفخر الرازي: إنّ الله تعالى قد أعطى للخلفاء الأربعة بعد رسول الله ﷺ زمام الحكم، وعلى ضوء ذلك يجب عليهم العمل بالتوصيات الأربعة الوارد في هذه الآية الشريفة:

بداية من اللازم استعراض كلام الفخر الرازي ومناقشته حيث يقول:

«مكّـن الله الخـلفاء الأربـعة فكـان مـن الواجب بأن يـقوموا بـالأعمال الأربعة»[١].

وطبقاً لهذا الرأي فإنّ الله تبارك وتعالى قد وصف المهاجرين بأنّهم إذا مكّنهم الله تعالى في الأرض وأعطاهم زمام الأمور ومقاليد السلطة فإنّه يجب عليهم العـمل بهذه الأوامر الأربعة الواردة في هذه الآية، وهي عبارة عن: إقامة الصـلاة، وايـتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

مناقشة قول الفخر الرازي

ومقتضى التحقيق أنّ هذا الرأي للفخر الرازي لا يمكن قبوله، وفـي مـقام ردّه والإجابة عنه، قيل: إنّ كلمة ﴿الَّذِينَ﴾ صفة للمقاتلين والمدافعين عن الإسلام، ويقول الفخر الرازي في حصيلة كلامه:

«فإنّ الله تعالى قال في هذه الآية إذا مكّنّا المـهاجرين فـعليهم أن يأتـوا بأربعة أمور: وهي إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر وقد ثبت أنّ الله تعالى مكّن الأئمّة الأربعة من الأرض وأعطاهم السلطنة عليها فوجب كونهم آتين بهذه الأمور الأربعة»[٢].

وكذلك قال بصراحة:

«وإذا كانوا آمرين بكلّ معروف وناهين عن كلّ منكر وجب أن يكونوا على الحقّ، فمن هذا الوجه دلّت الآية على إمامة الأربعة ولا يجوز حمل هـذه الآية على علي عليه السلام وحده، لأنّ الآية دالّة على الجمع[٣] **وتـقول: ﴿الَّـذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ...﴾»**[٤].

---

١. مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، ج ٢٣، ص ٢٣١.

٢. المصدر السابق.

٣. المصدر السابق.

٤. المصدر السابق،

ب) بيان قول إسماعيل بن كثير

يقول إسماعيل بن كثير: إنّ هذه الآية تدلّ على صحّة أفعال الخلفاء الراشدين.

وكما ذكر المؤرخون فإنّ ابن كثير كان يعيش في القرن الثامن، والفخر الرازي كان يعيش في القرن السابع، وهذه النظريّة في مورد الآية الشريفة كانت هي المشهورة مسبق في أوساط أهل السنّة إلى حدّ أنّ ابن كثير يقول في هذا الصدد:

«الآية دليل على صحّة أمر الخلفاء الراشدين».

ج) قول الآلوسي

يقول الآلوسي: إذا كانت الآية خاصّة بالمهاجرين إذن فالسلطة على الأرض تختصّ بهم، وهذه القدرة والسلطة تحقّقت في عصر الخلفاء الأربعة، يقول شهاب الدين الآلوسي في تفسيره «روح المعاني»:

«قالوا: وفيه دليل على صحّة أمر الخلفاء الراشدين.. لأنّ الآية مخصوصة بالمهاجرين لأنّهم المخرجون بغير حقّ والممكنون في الأرض منهم الخلفاء دون غيرهم، فلو لم تثبت الأوصاف الباقية لزم الخلف في المقال، تعالى الله سبحانه عنه، لدلالته على أنّ كلّ ممكن منهم يلزمه التوالي لعموم اللفظ (ويقصد المهاجرين)، ولمّا كان التمكين واقعاً (أي حكم الأربعة) تمّ الاستدلال دون نظر إلى استدعاء الشرطيّة الوقوع (فإن نذهب إلى القول كما قيل في النحو بأنّها جملة شرطية في موضع التقدير ولا يتحتم بأنها وقعت بالفعل بل إنّها ممكن الوقوع)... فإنّ لزوم التالي مقتضى اللفظ لا محالة ولمّا وقع المقدّم (وهو تمكن الأربعة) لزم وقوعه (أي التالي) أيضاً (يعني أنّ الأربعة عملوا بالأمور الأربعة)، وفي ثبوت التالي ثبوت حقّية الخلافة البتة وهي واردة على صيغة الجمع المنافية

للتخصيص بعليّ وحده رضي الله تعالى عنه»[١].

مناقشة قول الآلوسي

وبالإمكان إيراد بعض الإشكالات على استدلال الآلوسي في رأيه وتفسيره لهذه الآية الشريفة، ويمكن أن نردّ بذلك مدّعى أهل السنّة أيضاً في قولهم، وهذه الإشكالات عبارة عن:

الإشكال الأوّل: تمكّن الخلفاء الأربعة من قبل الله تعالى هو أوّل الكلام

إنّ تسلط الخلفاء الأربعة وامتلاكهم لزمام الأمور ومقاليد الحكم من قِبل الله تعالى هو أوّل الكلام ومحلّ النقاش، لأنّ بعضهم وصلوا إلى سدة الحكم بآليات التزوير والخداع، ومن هذه الجهة لا يمكن القبول بأنّ سلطتهم على الأرض من الله تعالى، وظاهر الشرطيّة أنّها ناظرة إلى هذه الجهة.

وبعبارة أخرى، إنّ الدليل الذي يقرّر أنّ جميع المسلمين يقولون بأنّ الله تعالى قد مكّن وسلط هؤلاء الأربعة على الأرض هو من قبيل المصادرة على المطلوب، لأنّه أساساً إنّ مقولة أنّ جميع هؤلاء الخلفاء الأربعة استلموا سلطتهم من قِبل الله غير واضح، بل بإجماع المسلمين أنّ هذا الأمر لم يقع من قِبل الله تعالى بل حدث استلام السلطة من قِبل بعضهم باستغلال الظروف وبآليات الكذب والمكر والخداع واستغلال بسطاء العامّة من الناس.

الإشكال الثاني: ﴿إِنْ مَكَّنَّاهُمْ﴾ وصف للجمع لا لأشخاص معينين

والإشكال الثاني الذي يعترض على هذا القول وأهمّ من إشكال الأوّل، هو أنّ جملة ﴿إِنْ مَكَّنَّاهُمْ...﴾ في الآية الشريفة هي وصف للجمع لا لأشخاص بعينهم، وتوضيح ذلك أنّ الله تعالى قد وصف جماعة بقول: ﴿إِنْ مَكَّنَّاهُمْ...﴾، لا أشخاصاً

---

١. روح المعاني، الآلوسي، ج ٩، ص ١٦٤.

معينين، لأنّ الله تعالى يقول في حقّهم: إذا آتيناهم السلطة والحكومة فإنّهم سيقومون بالأفعال التالية، يعني أنّ الله تعالى يقول في هذه الآية: إنّ الله سيعطي القدرة والسلطة لجماعة على الأرض ليقوموا بهذه الأعمال الأربعة الأساسيّة.

وبعبارة أخرى، يجب أن نقول لأهل السنّة الذين يقولون إنّ أبابكر بعد رحلة النبي الأكرمﷺ استلم زمام القدرة والسلطة، لا يجوز هنا استخدام عبارة ﴿مَكَّنَّاهُمْ﴾، لأنّ جماعة في سقيفة بني ساعدة هم الذين جعلوا أبابكر حاكماً من خلال وضع أحاديث على لسان النبيﷺ وترهيب الناس وتخويفهم، أجل فإنّ أبابكر قد أصبح متمكّناً ومتسلطاً في حادثة سقيفة بني ساعدة ولكن ليس من قِبل الله تعالى.

وعلى ضوء ذلك، فإنّ القول الصحيح والمختار أن يقال، وخلافاً لرأي أهل السنّة، إنّ هذه الآية الشريفة ليست ناظرة إلى شخص خاص أو إلى أفراد معينين وتجعلهم مخاطبين لهذه الآية، وطبعاً هناك رواية وردت في حقّ الإمام عليعليه السلام في ذيل الآية الشريفة «وهم راكعون» رغم أنّها ناظرة إلى الجمع ولكن مصداق هذه الآية مشخّص وواضح ولا يشمل سوى الإمام عليعليه السلام، يعني أنّ تطبيق مصداق هذه الآية الشريفة وبحسب الشواهد التاريخيّة ينحصر فقط في شخص الإمام عليعليه السلام رغم أنّ مفهوم الآية عامّ وجاءت الكلمة بصورة الجمع، يعني أنّها استعملت في ذلك المعنى العامّ رغم أنّها في الخارج ليس لها سوى مصداق واحد.

وفي تقديري أنّ المقصود من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾، يجب أن يأخذ بنظر الاعتبار آية أخرى تقول: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾، لأنّه عندما يتمّ إخراج شخص واحد من بلده ومدينته، فهل يصحّ أن يستعمل لذلك صيغة الجمع فيقال: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾؟ الجواب سلبي قطعاً، لأنّ الضمائر في هذه الآية جاءت بلفظ الجمع، وعليه ففي ذلك الزمان كانت هناك جماعة مورد

نظر الله تعالى وهم الذين يطبقون هذه التوصيات الأربعة ولهم صفة الجمع، وهذا الإشكال وارد أيضاً على كلام الفخر الرازي وأمثاله في الآية الشريفة: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾، والآية: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾ أيضاً، في حين أنّ الخلفاء الأربعة كلّ واحد منهم لم يكن في زمانه سوى شخص واحد، وهذا المعنى مخالف لظاهر الآية الشريفة ولا يتناسب مع سياق الآية.

وطبعاً فإنّ مقصودي ليس أنّ استخدام ضمير الجمع في الفرد خطأ، لأنّ الضمير في الآية «وهم راكعون» جاءت بصيغة الجمع، في حين أنّه لا شك أنّ المقصود منه شخص واحد، ولكن هنا توجد قرينة على المراد، ولكن مع عدم وجود القرينة يجب على المفسّرين استعمال هذه الكلمة بصيغة الجمع، بمعنى أنّ الله تعالى وفي زمان معين لم يمنح أي فرد واحد ومعيّن السلطة والقدرة، في حين أنّ الآية تقول: ستظهر جماعة في ذلك الزمان يمكّنهم الله تعالى في الأرض ويمنحهم السلطة والحكومة.

الإشكال الثالث: استنباط الخاطئ من الآية وفق نظر أهل السنّة

الإشكال الثالث هو أنّه، خلافاً لرأي أهل السنّة، فإنّ هذه الآية لا تريد القول بأنّ العاملين بهذه التوصيات الأربع سوف يستلمون زمام القدرة والسلطة على الأرض، بل هذه التوصيات الواردة في الآية هي واجبات وتكاليف المتمكّنين والحكّام ومن يملكون زمام السلطة.

وعلى ضوء ذلك، يمكن القول في ردّ نظريّة أهل السنّة أمثال الفخر الرازي والآلوسي وآخرين أنّ هذه الآية الشريفة إذا قالت إنّ الأشخاص يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فهل هؤلاء من مصاديق من وجعل الله تعالى لهم السلطة والحكومة وأمكنهم على الأرض؟ السؤال هو: كيف يستطيع أهل السنّة إثبات هذا الأمر وإثبات ادّعائهم؟ بمعنى أنّ أهل السنّة في هذه

الصورة يجب عليهم القول: إذا جاءت جماعة أو عدد من الأشخاص وقاموا بتطبيق هذه التوصيّات والعمل بهذه الأوامر، إذن فهؤلاء من جملة الأشخاص الذين يتولّون الحكم والسلطة من قِبل الله تعالى، في حين أنّ الله تعالى يقول: نحن نمكّن في الأرض للأشخاص الذين يقومون بالواجبات الأربعة التالية، إذن فهنا يوجد معنيان لهذه العبارة يختلفان فيما بينهما، والفرق بينهما واضح أيضاً، لأنّ:

المعنى الأوّل: يقول إنّ الشخص الذي يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويأمر بالمعروف وينهي المنكر فهو يملك السلطة والحكومة على الأرض من قِبل الله تعالى، في حين أنّ:

المعنى الثاني: أنّ الشخص الذي يؤتيه الله تعالى القدرة والسلطة يجب عليه حينئذٍ العمل بهذه التوصيّات الأربع وتطبيقها.

والحال إذا كانت الآية الشريفة تدلّ على المعنى الأوّل، ففي هذه الصورة ربّما يكون هناك مجال ومحلّ لنظريّة أهل السنّة، ولكن الآية تدلّ على المعنى الثاني، ولذلك يجب على المتمكّنين والمتسلّطين والذين يتولّون مقاليد الأمور في الأرض أن يعملوا بهذه التوصيّات الأربع ويطبقوا هذه التعاليم، وهذه نقطة أخرى في ردّ مقولة أهل السنّة.

الإشكال الرابع: المقصود الحكومة على جميع الأرض لا منطقة خاصّة منها

الإشكال الرابع الذي يردّ على قول أهل السنّة، إنّ المقصود من الخلافة الإلهيّة في هذه الآية ﴿*إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ*﴾، جميع أرجاء الكرة الأرضيّة، ومن هذه الجهة فحسب الظاهر أنّ القدرة والتمكّن بدوره يستوعب جميع الأرض كما هو المفهوم من الآية الشريفة لا بعض المناطق منها.

ويمكن القول في توضيح هذا المعنى وأنّ المراد من كلمة ﴿*الْأَرْضِ*﴾ في هذه الآية الشريفة جميع الأرض لا قسماً أو جزءً منها ولا منطقة محددة منها، يقول

شهاب الدين الآلوسي في تفسيره «روح المعاني» في ذيل تفسير هذه المقطع من الآية:

«إنّ المراد هو جنس الأرض وأنّها تنطبق على مكّة لوحدها أو المدينة أو العراق أو بلد صغير لوحدهم»[١].

وبعبارة أخرى أنّ كاتب هذه السطور يتوقّع بيان هذه الحقيقة، وهي أنّ المراد من كلمة ﴿الْأَرْضِ﴾ في هذه الآية الشريفة جميع الأرض لا قسماً منها، كما أنّ الخلافة الإلهيّة في الأرض كذلك، أجل، فالمقصود من الأرض في هذه الآية الشريفة جميع بقاع المعمورة أو غالبيّة بقاع الأرض، وهذا هو المقصود والغرض الأصلي من الكلام الإلهي، ومن هذا المنطلق فالمقصود من سياق الآية الشريفة من كلمة ﴿الْأَرْضِ﴾ تعني جميع الأرض، ولكن لو قال إنّ المقصود من كلمة ﴿الْأَرْضِ﴾ ليس هو جميع الأرض، يجب على الأقل أن يقول بأنّ المراد غالبيّة بقاع الأرض، وعلى هذا الأساس فالإماميّة، وخلافاً لأهل السنّة، لا يريدون القول إنّ هذه الآية الشريفة تشمل حكومة أميرالمؤمنين الإمام علي عليه السلام، ولكنّهم يقولون إنّ هذه الآية تخبر عن جماعة سيأتون في المستقبل وأنّ الله تبارك وتعالى سيعطيهم القدرة والسلطة ويسلمهم مقاليد الأمور وزمان الحكم، مضافاً إلى أنّ هذه الآية الشريفة لا توجد فيها قرينة على حصر ﴿الْأَرْضِ﴾ في منطقة خاصّة أو بقعة معيّنة من أولهم إلى ثالثهم وحتّى لا تنطبق على حكومة الإمام علي عليه السلام، بل إنّ ظاهر الآية الشريفة يدلّ على أنّ تلك الحكومة التي بشّرت بها الآية الشريفة، هي حكومة على جميع مناطق المعمورة.

الإشكال الخامس: إقامة أمور أربعة في جميع الأرض لا على قطعة منها

الإشكال الخامس، الذي يردّ على رأي أهل السنّة في هذه الآية الشريفة، أنّ

---

١. روح المعاني، الآلوسي، ج ٩، ص ١٦٤.

المقصود من الأمور الأربعة هو إقامتها في جميع المدن والبلدان في العالم لا إقامتها في منطقة خاصّة ونقطة معيّنة، في حين أنّ السؤال هو: هل أنّ المعنى ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ يشير إلى إقامة الصلاة في مسجد خاصّ أو مدينة صغيرة أو منطقة محدودة.

وفي مقام الجواب ينبغي القول، إنّ ظاهر الآية الشريفة يقول بأنّ إقامة الصلاة وإتيان الزكاة وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتحقّق في كلّ مكان وفي كلّ نقطة على الأرض، وهذا المعنى يتطابق مع الإخبار الإلهي في هذه القضيّة.

السؤال الآخر الذي ربّما يثار في هذه المسألة، هو: هل تحقّق إقامة الصلاة كما يراد منها في عصر رسول الله ﷺ وفي عصر كان المهاجرون يقطنون في المدينة؟ هنا ينبغي إلفات النظر إلى نقطة مهمّة في ردّ مقولة أهل السنّة: في عصر النبي الأكرم ﷺ وفي حياته حيث كان هو الحاكم على المسلمين ألم يكن المسلمون يدفعون الزكاة في المدينة؟ أو: ألم يكن المسلمون في حياة نبي الإسلام ﷺ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر؟

هل يصحّ أن يدّعي أحد أنّ الله تبارك وتعالى لم يكن يهتمّ بهذه المسألة في حياة النبي الأكرم ﷺ، ولكنّه قال للمسلمين: أيّها المهاجرون بما أنّكم هاجرتم من بيوتكم فأنا أعدكم أنني سأُعطيكم السلطة والحكومة في مقطع من الزمان وستكونون حاكمين بعد رسول الله ﷺ، الجواب: لا يمكن أبداً أن ننسب إلى الله تعالى مثل هذه المقولة، بل إنّ هذه الأمور الأربعة تدلّ على أنّ الأشخاص ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾، لا يرتبطون بشيء مع الخلفاء الأربعة، ولا يرتبطون أبداً بالمدّة القليلة لحكومة هؤلاء الثلاثة بعد نبي الإسلام ﷺ.

الإشكال السادس: ترك المعروف والاتيان بالمنكرات في زمن الخليفة الأوّل إلى الثالث

الإشكال السادس الذي يردّ على مقولة أهل السنّة هو: كيف يمكن أن تكون

هذه الآية الشريفة ناظرة إلى زمان عصر الخليفة الأُولى إلى الخليفة الثالث، في حين أنّ الكثير من الأوامر الإلهيّة والتعاليم الإسلاميّة قد تركت في هذه الفترة بعد رسول الله ﷺ، وقد شاعت الكثير من المنكرات في ذلك الزمان.

وبعبارة أخرى، طبقاً لما ورد في المصادر التاريخيّة، فثمّة أدلّة وشواهد كثيرة تدلّ على أنّ الكثير من حالات المعروف الديني قد ترك في زمان الخليفة الأوّل إلى الثالث، ولم يعمل بها أحد، ومن جهة أخرى فتاريخ الإسلام يحدّثنا عن وقوع الكثير من المنكرات أيضاً في هذه الفترة من خلافة الخلفاء، وكذلك فإنّ الخليفة الأوّل واالثاني قد صرّحا بهذه المسألة وأنّهما قد ارتكبا أخطاء كثيرة، وبهذا الحال كيف يمكن أن نقبل نظرية أهل السنّة في تفسيرهم لهذه الآية الشريفة وأنّها ناظرة إلى برهة من الزمان وهي حكومة الخلفاء بعد النبي ﷺ.

الإشكال السابع: عودة ضمير ﴿مَكَّنَّاهُمْ﴾ على «الناس» في الآية السابقة

والإشكال السابع الواردة على نظريّة أهل السنّة أنّ الضمير في جملة ﴿إِنْ مَكَّنَّاهُمْ﴾، يعود إلى كلمة «الناس» الواردة في الآية السابقة، وهم جماعة من الصالحين على رأسهم الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام.

وبعبارة أخرى، فالإشكال الآخر الوارد على هذه المقولة أنّ ضمير في قوله: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ﴾، يعود على كلمة «الناس» السابقة التي تقول: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ...﴾، يعني نحن سنعطي القدرة والقوّة لهذه الجماعة من الناس، لأنّ الآيات القرآنيّة تتحدّث عن الإمام صاحب الزمان عليه السلام تطبيقاً أو تأويلاً، وتتحدّث عن جماعة من الناس يقودهم الإمام المهدي عليه السلام حتّى لا يدّعي أحد أنّ هذه الآية تختصّ به، أو أنّ فيها هذا المعنى أو ذاك، أو يدّعي أحدهم أنّها تدلّ على الخلفاء الثلاثة بعد رسول الله ﷺ.

وعلى ضوء ذلك، يتبيّن من خلال مراجعة تفاسير أهل السنّة أنّهم قد ارتكبوا

خطأً فاحشاً في تفسيرهم للقرآن الكريم، نعم، إنّ جار الله الزمخشري (٤٦٧ ـ ٥٣٨ هـ ق) في الجزء الثالث من تفسير «الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل»، المعروف بتفسير الكشّاف، يقول في تفسير هذه الآية الشريفة:

«إخبار من الله عزّ وجلّ يظهر الغيب عمّا ستكون عليه سيرة المهاجرين حتّى يقوموا بأمر الدين»[١].

بيان القول الصحيح في تفسير الآية الشريفة ضمن أربع نقاط:

النقطة الأُولى: التمكين يتحقّق فقط بالإرادة الإلهيّة، لا بالقوّة والتزوير

رأينا فيما تقدّم من بحث في مادّة «مكن» أنّ القدرة والسلطة في هذه الآية الشريفة إنّما تتحقّق فقط بالإرادة الإلهيّة ومقتبسة من يد القدرة الغيبيّة والمشيئة الربّانيّة لا من خلال التطميع والترغيب والتزوير.

النقطة الثانية: التمكين يراد منه ما يستوعب جميع الأرض لا منطقة خاصّة منها:

إنّ المقصود من التمكّين هو ما يستوعب جميع الأرض لا قسماً منها، فالسلطة والحكومة التي تتحدّث عنها هذه الآية تستوعب جميع مناطق المعمورة، بمعنى لو أنّ شخصاً صار متمكّناً وحاكماً في مكان معيّن، فلا يقال في حقّه أنّه يملك القدرة والسلطة على جميع الأرض وأنّه متمكّن في الأرض.

النقطة الثالث: الإقامة، تعني النشر الصحيح للأمور الأربعة لا مجرّد الاتيان بها

إنّ إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تعني في هذه الآية إقامتها ونشرها في جميع ربوع الأرض وإمتداد هذه الأمور في كافة أجواء المجتمعات البشريّة لا مجرّد الإتيان بها فقط دون مفهوم الامتداد والاتساع.

---

١. الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ج ٣، ص ١٦٠.

وعلى هذا الأساس فمجرّد أن تقوم جماعة بالاتيان بهذه الأمور الأربعة في زمان خاصّ لا يمكن القول إنّهم أقاموا الصلاة وأتوا الزكاة بعد عشرين سنة.

وما يقوله البعض من أنّ «إقامة الصلاة» يختلف عن أداء الصلاة، لأنّ إقامة الصلاة تعني نشرها والدعوة إليها وإحيائها في أجواء المجتمع البشري، فغير صحيح، لأنّ إقامة الصلاة تعني الاتيان بالصلاة بجميع شروطها وأحكامها، والحال إذا أتى بعض الناس في بعض الأماكن بجميع شروطها كالطهارة ومراعاة استقبال القبلة وأمثال ذلك، فهل يمكن القول إنّهم أقاموا الصلاة؟ الجواب بالنفي قطعاً.

طبقاً لهذه الرؤية، فلو فرض أنّه في ذلك العصر سيأتي جماعة سوف يقيمون فيما بينهم صلاة باطلة، فهل يمكن القول في حقّهم أنّهم أقاموا الصلاة؟ طبعاً فيما لو أتى شخص بالصلاة بجميع شروطها فيمكن القول في حقّه أنّه أقام الصلاة، في حين أنّه بعد رحلة النبي الأكرمﷺ فإنّ أغلب الناس لم يقيموا مثل هذه الصلاة الصحيحة، بمعنى أنّ المسلمين بعد رحلة الرسول الأكرمﷺ لم يقيموا الصلاة بجميع شروطها ولم يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر بجميع مواردها وأحكامها، بل إنّ إقامة الصلاة بجميع شروطها وأحكامها والأمر بالمعروف بجميع أبعاده ومصاديقه واجتناب المنكر في جميع مراتبه وموارده يتحقّق فقط في زمان ظهور الإمام المهديعليه السلام، حيث إنّ الناس في ذلك العصر يملكون القدرة والقوّة على إقامة هذه الأمور وتطبيقها على أرض الواقع الاجتماعي في كافّة بقاع المعمورة، وهذا هو المفهوم من الرواية الشريفة الواردة عن الإمام الصادقعليه السلام حيث قال:

«إِذا خَرَجَ القَائِم يَقُومُ بِأَمرٍ جَدِيدٍ وَكِتَابٍ جَدِيدٍ وَسُنَّةٍ جَدِيدةٍ وَقَضاءٍ جَدِيدٍ»[1].

---

١. إثبات الهداة، الشيخ الحر العاملي، ج ٧، ص ٨٣.

وطبعاً فإنّ هذه الرواية لا تقول إنّ المهدي عليه السلام سيأتي بأمور جديدة خلافاً لما يعرفه الفقهاء من الإسلام، بل تقول إنّ الإمام المهدي عليه السلام في ذلك العصر سيطرح أموراً لا يعرف المسلمون أنّها من المعروف، ولكن الإمام صاحب الزمان عليه السلام سيأتي ويبيّن للناس هذه الأمور وأنّها من مصاديق المعروف، يعني أنّ الإمام المهدي عليه السلام يبيّن للمسلمين ما هي الأشياء التي تصدق عند العقل على المعروف، وما هي الأشياء التي تصدق على المنكر في الدين والعقل، ويأمر بذلك المعروف وينهى عن المنكر.

وعلى ضوء ذلك، فلو قيل إنّ تلك الجماعة مثلاً أقاموا من مجموع مائة معروف عشرين معروفاً، أو أمروا بعشرين مورداً من المعروف، فالسؤال هو: هل أنّ هذا الأمر بالمعروف أو أنّ أمرهم هذا بالمعروف يصدق حتماً على جميع موارد المعروف ومصاديقه، أو أنّهم نهوا عن جميع مصاديق المنكر أو جميع المنكرات؟

والخلاصة، أنّه سيأتي جماعة في ذلك الزمان يمنحهم الله تعالى السلطة والحكومة على جميع الأرض وسيقومون بالإتيان بهذه الأمور الأربعة في وقت واحد وبشكل صحيح وكامل.

النقطة الرابعة: تطبيق الدين الإسلامي بشكل كامل هو أحد علل فلسفة الظهور

إنّ التطبيق الكامل لدين الله يمثّل إحدى العلل في فلسفة الظهور، وبعبارة أخرى أنّ إحدى النقاط الموجودة في قول الآية: ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾، هي أنّ عاقبة كلّ شيء ونهاية أمره إلى الله فقط وتعود إليه فقط جميع الأمور، بمعنى أنّ الدين الجامع الذي سيحكم على المجتمعات البشريّة هو دين الله فقط، وأنّ الباري تعالى إنّما أنزل دينه لغرض تطبيقه بنسبة ثمانين أو تسعين في مائة، والحال أنّ هذا المقدار لم يطبق من الدين، ومن جهة أخرى فإنّ الله تعالى أنزل ديناً كاملاً وربّما لم يتمكن الناس بدورهم من تطبيق ٤٠ بالمائة من الدين، وبالتالي فإنّ هذه القضيّة تتعارض مع

الحكمة الإلهيّة ولا تنسجم مع الغرض الإلهي من انزال الدين للبشر، وفي الحقيقة فإنّ إحدى القضايا المطروحة في فلسفة الدين أن يتبيّن أنّ الدين الإسلامي دين كامل ويجب أن يتحرّك الناس على مستوى تطبيقه بجميع جوانبه وأبعاده، وهذا لا يتيسّر إلّا في زمان الظهور فقط، وبالإمكان استنباط هذا المعنى بسهولة من هذه الآية الشريفة.

مناقشة روايات عدّة فيما يخصّ الآية ٤١ من سورة الحجّ

هنا وردت عدّة روايات لا بأس بالإشارة إليها:

الرواية الأولى: رواية زياد بن منذر عن الإمام الباقر عليه السلام

وأوّل رواية يمكن الاستناد إليها ما ورد في كتاب تفسير علي بن إبراهيم رحمه الله، وكذلك تفسير البرهان وتفسير الصافي عن كنز الفوائد، وهنا نستعرض سند ودلالة هذه الرواية، ومناقشتها:

«مُحَمَّدُ بنُ العَبَّاسِ عَنْ مُحَمَّدِ بنِ الحُسَينِ بنِ حُمَيْدِ عَنْ جَعفَرِ بنِ عِبدِاللهِ عَنْ كَثيرِ بنِ عَيَّاشِ عَنْ أَبِي الجَارُودِ»[١].

مناقشة سند الرواية

كما تبيّن أعلاه أنّ هذه الرواية تتضمّن أسماء عدّة في سندها، مثل: ابن أبي الجارود، أو زياد بن منذر، وأغلب علماء الرجال كالشيخ الطوسي رحمه الله[٢]، والعلّامة الحلّي رحمه الله[٣]، وابن الغضائري رحمه الله[٤]، وسائر الكتب الرجاليّة المتوفّرة لا يعتبروهما من الثقاة، رغم أنّ بعض علماء الرجال سكتوا عنهما، ولكنّ غالبيّة علماء الرجال ذهبوا

---

١. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٢٣، ص ١٦٥.
٢. الفهرست، الشيخ الطوسي رحمه الله، ص ٧٢ و ٧٣.
٣. خلاصة الأقوال، العلّامة الحلّي رحمه الله، ص ٢٢٣.
٤. رجال بن الغضائري، ص ٦١.

إلى تضعيفهما، وهكذا بالنسبة لكثير بن عيّاش، فأغلب علماء الرجال لا يرونه ثقة، وهناك رواة آخرون في سند هذه الرواية يواجهون بعض المشكلات في مجال التوثيق من قبل علماء الرجال، ومنهم محمّد بن عبّاس، وهو مشترك مع عدّة أشخاص ولا يعلم هل أنّه محمّد بن عباس بن عيسى وهو ثقة، أو أنّه محمّد بن عباس بن مرزوقي وهو غير ثقة.

أمّا محمّد بن الحسين، فالمرحوم العلّامة المجلسي رحمه الله ينقل عنه رواية في كتابه «بحار الأنوار» ويقول عن «محمّد بن الحسين بن حميد»، ولكن كاتب هذه السطور لم يجده في بين رواة «محمّد بن الحسين بن حميد»، وربّما وقع خطأ في هذا المورد، يعني أنّه «محمّد بن الحسين عن حميد»، لأنّ كلاً من الحرف «عن» وكلمة «ابن» يستخدمان كلاهما كقرينة في الكتابة، ومن هذه الجهة يبدو أنّ الصحيح «عن حميد»، وحميد هذا يقع في الطبقة الثامنة من الطبقات الرجاليّة، أمّا جعفر بن عبدالله الذي ورد اسمه في سند هذه الرواية فلم يرد في كتب الرجال فيما يخّص جرحه أو تعديله، وعلى هذا الأساس، فإنّ هذه الرواية لا اعتبار لها من حيث السند.

التحقيق في دلالة الرواية

في هذه الرواية يقول الإمام الباقر عليه السلام:

«عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَولهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ...﴾ ـ الآية ـ قال: هَذِهِ لِآلِ مُحَمّدٍ المَهْدِي وَأَصحَابِهِ»[1].

وجاء في نسخة أخرى:

«وَفِي رِوَايَةِ أَبِي الجَارُود عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَولهِ: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ...﴾، هَذِهِ الآية لآلِ مُحَمّدٍ إِلىٰ آخِرِ

---

١. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٢٤، ص ١٦٥.

الآيَةِ ـ وَالمَهْدِي وَأَصحَابِهِ يُمَلِّكُهُم اللهُ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَيُظْهِرُ الدِّينَ ـ وَيُمِيتُ اللهُ بِهِ البِدَعَ البَاطِلَ ـ كَمَا أَمَاتَ السَّفَهُ الحَقَّ حَتَّىٰ لا يُرىٰ أَثَرٌ لِلظُّلْمِ»[1].

أجل، فالإمام المهدي عليه السلام هو المصداق البارز لاحياء الدين والقضاء على البدع، كما أمات السفهاء الحقّ وقتلوا أهل الحقّ، وهذا يعني أنّ جماعة من السفهاء سيأتون في ذلك الزمان ويقتلون الحقّ وأهله:

«كَما أَماتَ السَّقاةُ حتَّىٰ لا يُرىٰ أَثَرٌ لِلظّلمِ وَيأَمُرونَ بِالمعَروفِ وَيَنهَونَ عَنِ المُنكرِ ولله عَاقِبة الأمور»[2].

بيان نقطتين مهمّتين فيما يخصّ حجّية الروايات

بعد بيان ما تقدّم من أمور، نلاحظ أنّ سند هذه الرواية ليس بسند تام، ومن هذه الجهة لابدّ من بيان نقطتين مهمّتين في هذا المجال:

النقطة الأُولى: بيان مسألتين في شموليّة حجيّة خبر الواحد لغير الأحكام الفقهيّة الشرعيّة

وممّا يجدر ذكره أنّ طرح هذه المسألة يقع في درس أصول الفقه، ولكن مع ذلك فإنّ جميع الأصوليين لم يطرحوا هذه المسألة، بل طرحها بعضهم بهدف أغراض خاصّة، والمرحوم العلّامة الطباطبائي رحمه الله بحث هذه المسألة في (تفسير الميزان)، على أساس هذا المحور، وعلى أية حال توجد في مسألة حجّية خبر الواحد في غير الأحكام الشرعيّة الفرعيّة مسألتان:

---

١. تفسير القمي، علي بن إبراهيم، ج ٢، ص ٨٧.

٢. تفسير الصافي، الفيض الكاشاني رحمه الله، ج ٣، ص ٢٨٤؛ مع اختلاف يشير عن تفسير القمي، علي بن إبراهيم رحمه الله، ج ٢، ص ٧٨ والبرهان في تفسر القرآن، البحراني رحمه الله، ج ٣، ص ٨٩٢.

المسألة الأُولى: شموليّة أدلّة حجيّة خبر الواحد لغير الأحكام الفقهيّة

وأوّل مسألة هي أننا قد أثبتنا في بحوث دروس الخارج لأصول الفقه، أنّ خبر الواحد حجّة مطلقاً وأنّ هذه الحجيّة لا تنحصر بالأخبار التي تخصّ الأحكام الشرعيّة الفرعيّة، بل إنّ أدلّة حجيّة خبر الواحد حجّة بشكل عام، أي أنّها تمتد لتشمل الأحكام والتاريخ والتفسير وأمثال ذلك.

نعم، كما توصّل المرحوم آية الله العظمى الخوئيﷺ والوالد المعظمﷺ، وكذلك توصل كاتب هذه السطور أيضاً إلى هذه النتيجة، وهي أنّ أدلّة حجيّة خبر الواحد عامّة، وأنّ خبر الثقة في الأحكام والعقائد حجّة مطلقاً، لأنّه وردت أخبار كثيرة عن الأئمّة المعصومينعليهم السلام فيما يتّصل بالعقائد والتوحيد والنبوّة والمعاد والتاريخ وتفسير الآيات القرآنيّة.

المسألة الثانية: عدم شموليّة أدلّة حجيّة خبر الواحد لغير الأحكام الفقهيّة

المسألة الثانية في هذا البحث أنّ بعض المفسّرين كالعلّامة الطباطبائيرحمه الله ذهبوا إلى أنّ أدلّة حجيّة خبر الواحد لا تشمل الأخبار التي ورد فيها تفسير القرآن الكريم، بل إنّ هذه الحجيّة تنحصر فقط بالروايات التي يستخرج منها المكلّف حكماً شرعياً وتكليفاً دينياً، والسبب في أنّ العلّامة الطباطبائيﷺ اعتمد في تفسيره «تفسير القرآن بالقرآن» ولم يستند في الملاحظات التفسيريّة إلى الأخبار والأحاديث، لأنّه يرى أنّ الروايات في تفسير الآيات الكريمة ليست بحجّة، في حين أنّ الكثير من العلماء والفقهاء كالمرحوم الفيض الكاشانيﷺ والمرحوم الشيخ الطوسيﷺ والمرحوم الشيخ يوسف البحرانيﷺ في تفسير القرآن ذهبوا إلى أنّ الحديث وخبر الواحد حجّة.

النقطة الثانية: بيان مسألتين في باب حجيّة خبر الواحد

المسألة الأُولى: الوثوق من حيث السند

المسألة الأُولى، إنّ الكثير من أكابر العلماء ذهبوا إلى أن الرواية إذا كان «موثوقة

الصدور» فهي حجّة، حتّى لو كان سندها ضعيفاً أيضاً، وبما أنّ غالبيّة الروايات في أكثر الكتب الروائيّة موثوقة الصدور من هذه الجهة، وأنّ العلماء نقلوا كثيراً منها في كتبهم ومدوّناتهم، ولا أحد شكّك في صحّة سندها، فمن هذه الجهة يمكن الوثوق بها من حيث السند.

المسألة الثانية: الوثوق من حيث الصدور

بعد أن تبيّن الحال في المسألة الأُولى، فربّما يقال في المسألة الثانية أنّ رواية أبي الجارود أو أكثرالروايات الواردة في تفسير علي بن إبراهيم رحمه الله، هي من قبيل الروايات الموثوقة الصدور، وبهذا يمكن حلّ هذه المشكلة، إلّا أن تكون هناك قرينة جليّة على الخلاف بحيث لا يستطيع أحد ردّها.

بيان نقطتين مهمّتين فيما يخّص الرواية الأُولى

كما ذكرنا في متن الرواية الأُولى أنّ الإمام الباقر عليه السلام قال: «**هذه الآية لآل محمّد المهدي وأصحابه**»، في حين ينبغي بالنسبة إلى هذه الرواية الالتفات إلى نقطتين مهمّتين، وهما عبارة عن:

النقطة الأُولى:بحسب وجود قرينة،فالراوي هو محمّد بن عبّاس بن عليّ بن مروان

وأوّل نقطة في هذا الموضوع هو وجود قرينة، وهي أنّهم ذكروا أنّ الراوي لهذه الرواية هو محمّد بن عباس بن عليّ بن مروان، أجل، من اللازم التدقيق في هذه النقطة، لأنّ هذه الرواية أشارت إلى هذه الآية الشريفة، وأنّ محمّد بن عباس بن علي بن مروان المشهور بابن حجام له كتاب بعنوان «فيما نزل من القرآن في أهل البيت عليهم السلام»، وقد ذكر هذه الرواية فيه وقال: إنّ هذه الرواية هي عن الإمام الباقر، والإمام الباقر عليه السلام قال: «**هذه الآية لآل محمّد صلى الله عليه وآله**...».

النقطة الثانية: اهتمام الأئمّة الأطهار عليهم السلام بدلالة الآية وردّ قول المكذّبين

النقطة الثانيّة أنّه بمراجعة الكتب الروائيّة نلاحظ وجود خمس أو ست روايات

أخرى تتحدّث عن هذه الآية الشريفة وأنّ المقصود بها هم الأئمّة الطاهرين عليهم السلام، تقول الرواية:

«هَذِهِ نَزَلَتْ فِينَا أَهْلَ البَيتِ»[١].

مضافاً إلى أنّ الأئمّة الأطهار عليهم السلام ذكروا حديثاً خاصّاً فيما يخصّ بهذه الآية الشريفة، ولكن في المقابل سعى بعض خلفاء صدر الإسلام إلى نسبة هذه الآية إلى أنفسهم.

وتأييداً لهذا الكلام نقل العلّامة المجلسي رحمه الله في كتابه «بحار الأنوار» عن صعصعة بن صوحان العبدي أنّه قال:

«دخلت على عثمان بن عفّان في نفر من المصريين، فقال عثمان: قدّموا رجلاً منكم يكلّمني، فقدّموني، فقال عثمان: هذا... وكأنّه استحدثني، فقلت له: إنّ العلم لو كان بالسنّ لم يكن لي ولا لك فيه سهم، ولكنّه بالتعلّم، فقال عثمان: هات! فقلت: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ فقال عثمان: فينا نزلت هذه الآية؟! فقلت له: فمر بالمعروف وأنه عن المنكر، فقال عثمان: دع ذا وهات ما معك»[٢].

وتبيّن من هذه الرواية أنّ عثمان كان يقبل هذه الحقيقة، وهي أنّه في زمان خلافته لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر، أجل، كان بعض الأشخاص يتولّون مثل هذه المناصب وهم أشخاص غير صالحين وغير ثقاة ويعتقدون كما يعتقد عثمان أنّ هذه الآية نزلت في حقّهم، ومن هذه الجهة كان من الطبيعي أن يقوم الأئمّة الطاهرون عليهم السلام بتذكير أصحابهم وأتباعهم أنّها نزلت في مورد أهل البيت عليهم السلام

---

١. تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، السيّد شرف‌الدين الاسترآبادي، ص ٣٣٨.

٢. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٣١، ص ٢٧٥.

إلى حدّ أنّهم في بعض الموارد يضطرون بالتعبير بالقسم عن هذه الحقيقة: «واللهِ نَزلتْ الآيةُ فِينَا»[١].

الرواية الثانية: رواية عيسى بن داود عن الإمام الكاظم عليه السلام

الرواية الثانية التي استند إليها لهذا القول، الرواية التي رواها عيسى بن داود عن الإمام الكاظم عليه السلام، وهنا نستعرض سند ودلالة هذه الرواية:

«قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ العبَّاسِ حَدَّثَنا مُحَمَّدُ بنُ هُمَّامٍ عَنْ مُحَمَّدِ بنِ إِسمَاعِيلَ العَلويِّ عَنْ عِيسَىٰ بنِ دَاوُدَ»[٢].

التحقيق في سند الرواية

وطبقاً للتحقيق في سند هذه الرواية، فإنّ سندها غير صحيح، لأنّ عيسى بن داود غير ثقة وقد ألّف كتاباً في التفسير فقط[٣]، وكذلك محمّد بن إسماعيل العلوي فهو ليس بثقة، ومحمّد بن همّام لم يرد اسمه في كتب الرجال، وفي البحوث السابقة تحدّثنا عن محمّد بن عبّاس.

التحقيق في دلالة الرواية

وأحد النقاط المهمّة لمعرفة هذا الموضوع هو أنّ بعض الرواة نقلوا هذه الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام، والبعض الآخر نقلها عن الإمام الصادق عليه السلام، وثالث نقلها عن الإمام الكاظم عليه السلام، ممّا يشير إلى أنّ هذه القضيّة مهمّة جدّاً.

فقد ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام أنّه قال:

«عَنْ الإِمَامِ أَبِي الحَسَنِ مُوسىٰ بنِ جَعْفرٍ عليهما السلام قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي يَوماً فِي

---

١. عن أبان بن تغلب عن أبي محمّد بن علي عليهما السلام عن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ﴾، الآية. (تفسير فرات الكوفي، ص ٩٨).

٢. البرهان في تفسير القرآن، البحراني رحمه الله، ج ٣، ص ٨٩٢؛ بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٢٤، ص ١٦٥.

٣. معجم رجال الحديث، آية الله الخوئي رحمه الله، ج ١٤، ص ٢٠١.

المَسْجِدِ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَوَقَفَ أَمَامَهُ وَقَالَ: يَاابْنَ رَسُولِ اللهِ أَعْيَتْ عَلَيَّ آيَةٌ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ سَأَلْتُ عَنْهَا جَابِرَ بنَ يَزِيدَ فَأَرْشَدَنِي إِلَيكَ، فَقَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: قَولُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾، فَقَالَ أَبِي: نَعَمْ فِينَا نَزَلَتْ وَذَاكَ لأَنَّ فِلاناً وفَلاناً وَطَائِفَةٌ مَعَهُمْ وَسَمَّاهُمْ اجْتَمَعُوا إِلىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا يَارَسُولَ اللهِ إِلىٰ مَنْ يَصيرُ هذا الأَمْرُ بَعْدَكَ فَوَاللهِ لَئِنْ صَارَ إِلىٰ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيتِكَ إِنَّا لَنخَافُهُمْ عَلىٰ أَنْفُسِنَا وَلَوْ صَارَ إِلىٰ غَيرِهِم لَعلَّ غَيرَهُم أَقرَبُ وَأَرْحَمُ بِنَا مِنْهُمْ.

فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ ذَلِكَ غَضباً شَدِيداً، ثُمَّ قَالَ: أَمّا وَاللهِ لَوْ آمَنْتُمْ بِالله وَبِرَسُولِهِ مَا أَبْغَضْتُمُوهُمْ، لأَنَّ بُغْضَهُمْ بُغْضِي وَبُغْضي هُوَ الكُفرُ بِاللهِ ثُمَّ نَعَيْتُمْ إِلَيَّ نَفسِي فَواللهِ لَئِنْ مَكَّنَهُمْ اللهُ فِي الأَرْضِ لَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ لِوقتِها وَلَيُؤتُونَ الزَّكَاةَ لِمَحَلِّها وَلَيَأمُرَنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلَيَنْهُنَّ عَنِ المُنْكَرِ إِنَّما يُرْغُمُ اللهُ أُنُوفَ رِجَالٍ يُبْغِضُونِي وَيُبْغِضُونَ أَهْلَ بَيتِي وَذُرِّيَتِي فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾، فَلَمْ يَقْبَلِ القَومُ ذَلِكَ فَأَنْزَلَ اللهُ سُبحَانَهُ: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ * وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾[1]»[2].

---

١. سورة الحج، الآية ٤٢ إلى ٤٤.

٢. البرهان في تفسير القرآن، البحراني رحمه الله؛ ج ٣، ص ٨٩٢؛ بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٣١، ص ٢٦٥.

القول المختار في هذه الرواية

ومقتضى التحقيق، إنّ هذه الرواية من حيث الدلالة رواية جيدة جدّاً، ولكنّها من حيث السند فهي رواية ضعيفة السند.

الرواية الثالثة: رواية الحصين بن مخارق عن الإمام الكاظم عليه السلام

الرواية الثالثة، التي وقعت مورد الاستناد في هذا البحث، هي الرواية التي نقلها الحصين بن مخارق عن الإمام الكاظم عليه السلام، وهنا نستعرض سند ودلالة هذه الرواية: عن محمّد بن عبّاس عن ابن عقدة قال:

«يرويها مُحمّد بن العبّاس عن ابن عقدة وهي قال: مُحَمَّدُ بنُ العبّاسِ رحمه الله حَدَّثَنا أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ سَعِيدٍ عَنْ أَحْمَدَ بنِ الحُسينِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ الحُصَينِ بنِ مُخَارِقٍ»[1].

مناقشة سند الرواية

تحدّثنا فيما سبق عن محمّد بن عبّاس، وأنّه من جملة الرواة الذين كتبوا تفسيراً روائياً عن أهل البيت عليهم السلام، بمعنى أنّه من جملة الرواة الذين جمعوا روايات في تفسير القرآن عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

يقول الشيخ النجاشي رحمه الله : إنّ ابن عقدة المعروف في كتب الرجال بأحمد بن محمّد بن سعيد أنّه ثقة[2]، وكذلك يقول الشيخ الطوسي رحمه الله عنه: بأنّه رجل جليل بين المحدّثين وفي ثقته وجلالة شأنه أشهر من أن يذكر[3].

أمّا أحمد بن الحسين عن أبيه ابن الحسن بن علي بن فضّال فكليهما ثقة وكذلك

---

١. البرهان في تفسير القرآن، البحراني رحمه الله، ج ٣، ص ٨٩١؛ تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، الآسترابادي، ص ٣٣٧.

٢. الرجال، الشيخ النجاشي رحمه الله، ص ٩٤.

٣. الفهرست، الشيخ الطوسي رحمه الله، ص ٤٨.

أحمد بن الحسن بن إسماعيل الميثمي ثقة أيضاً، أمّا الحسين بن مخارق فالنجاشي﵀ يقول في حقّه: قال عنه بعض الأشخاص بأنّ فيه نقاط ضعف، وذهب بعض آخر إلى تضعيفه، وله كتاب في التفسير.

مناقشة دلالة الرواية

وقد نقلت هذه الرواية عن الإمام موسى بن جعفر﵇ عن آبائه الطاهرين﵈ ونصها كما يلي:

«عَنْ الإِمَامِ مُوسىٰ بنِ جَعْفر﵇ عَنْ أَبِيهِ عَنْ آبَائِهِ﵈ قَالَ: قَولُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ...﴾؟ قَالَ: نَحْنُ هُمْ»[1].

وطبعاً، فالمقصود من كلمة «نحن» في كلام الإمام﵇ ليس من حيث الأشخاص، بل المقصود بهم الجماعة من أهل البيت﵈ الذين يمنحهم الله تعالى السلطة والقدرة.

الرواية الرابعة: حمران بن أعين عن الإمام الباقر﵇ وأبوالصباح عن الإمام الصادق﵇

الرواية الرابعة، التي استند إليها في هذه المقولة، هي الرواية التي ينقلها ابن شهر آشوب بسند غير صحيح، وعلى أية حال فإنّ ابن شهر اشوب وضمن هذه الرواية يقول: إنّ حمران يروي عن الإمام الباقر﵇ وأبوالصباح عن الإمام الصادق﵇ فيما يخصّ الآية الشريفة مورد البحث أنّ الإمام﵇ يقول:

«﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾، قَالَ: نَحْنُ هُمْ»[2].

---

١. البرهان في تفسير القرآن، البحراني﵀؛ ج ٣، ص ٨٩١؛ تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، الاسترآبادي، ص ٣٣٧.

٢. المناقب، ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ٤٧ و ٤٣١.

الرواية الخامسة: رواية عمرو بن ثابت عن الإمام الحسين عليه السلام

والرواية الخامسة مورد البحث، هي الرواية التي نقلها المرحوم الاسترآبادي رحمه الله في كتابه «تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة» عن الإمام الحسين عليه السلام، عن والدته فاطمة الزهراء عليها السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله ونص الرواية كالتالي:

«حَدَّثَنا أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ عَنْ أَحْمَدَ بنِ الحُسَينِ عن حصين بنِ مُخَارقٍ عَنْ عمرو بنِ ثَابتٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الحُسينِ عَنْ أُمِّهِ عَنْ أَبيها (عَنْ أَبِيه): في قَولُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ...﴾؟ قَالَ: هَذِهِ نَزَلَتْ فِينَا أَهْلَ البَيتِ»[1].

الرواية السادسة والسابعة من تفسير فرات الكوفي

النقطة الأُخرى في هذا البحث، إنّ بعض الروايات الواردة في تفسير هذه الآية الشريفة، وردت في تفسير «فرات الكوفي»، وطبعاً ينبغي الالتفات إلى نقطة مهمّة في هذه الآية، وهي أنّ مقبوليّة «تفسير فرات الكوفي» بين غالبيّة كبار العلماء محلّ نقاش وذكرت فيه أقوال كثيرة، منهم السيّد محسن الأمين في كتابه «أعيان الشيعة»، حيث يعتبره ثقة ويقول:

«فرات بن إبراهيم الكوفي له تفسير كبير يروى عنه وعن كتابه علماؤنا»[2].

أمّا المرحوم الشيخ الحرّ العاملي رحمه الله صاحب كتاب «وسائل الشيعة» فيقول في هذا المجال:

«بأنني استندت في كتابي إلى ٨٠ كتاباً وتفسير فرات الكوفي هو أحد تلك الكتب»[3].

---

١. تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، الاسترآبادي، ص ٣٣٨.

٢. أعيان الشيعة، السيّد محسن الأمين رحمه الله، ج ١، ص ١٢٦.

٣. المصدر السابق.

الرواية الأولى: رواية زيد بن عليّ

مناقشة سند الرواية

يقول فرات الكوفي:

«حَدَّثَنِي الحَسنُ (الحُسينُ) بنُ عَلِيٍّ بنِ بَزيغ (قَالَ حَدَّثَنا إِسمَاعِيلُ بنُ أَبَانٍ عَنْ فُضيْلِ بنِ الزُّبيرِ) عن زَيدِ بنِ عَلِيٍّ عليه السلام»[١].

مناقشة دلالة الرواية

«قَالَ إِذا قَامَ القَائِمُ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ يَقُولُ: يَاأَيُّها النَّاسُ نَحْنُ الَّذِينَ وَعَدَكُمُ اللهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾»[٢].

الرواية الثانية: رواية أبي خليفة عن الإمام الباقر عليه السلام

يروي فرات الكوفي أنّه:

«حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ القَاسِمِ (بنِ عُبيدٍ قَالَ حَدَّثَنا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الجَمّالَ، قَالَ حَدَّثَنا يَحيَىٰ بنِ هَاشِمٍ قَالَ حَدَّثَنا أَبُومَنصُورٍ) عَنْ خَلِيفَةَ».

«عَنْ أَبِي خَلِيفَةَ قَالَ دَخَلْتُ أَنَا وَأَبُوعُبَيدةَ الحَذاءُ عَىٰ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فَقَالَ: يَاجَارِيةُ هَلُمِّي بِمرْفَقَةٍ قُلْتُ بَلْ نَجْلُسُ قَالَ يَاأَبَاخَلِيفَة لَا تَرُدَّ الكَرامَةَ لأنّ (أنّ) الكَرامَةَ لَا يَرُدَّها إِلّا حِمارُ، قُلْتُ (لأبي جعفر عليه السلام) كَيْفَ لَنا بِصَاحِبِ هَذَا الأَمْرِ حَتَّىٰ نَعرِفَ (نعرفه) قَالَ: فقال: قَولُ اللهِ (تعالى): ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ...﴾، إِذا رَأَيتَ هَذَا الرَّجُلَ (في رجل) مِنَّا فَاتَّبِعْهُ فَإِنَّهُ هُوَ صَاحِبُهُ»[٣].

---

١. تفسير فرات الكوفي، ص ٢٧٤.

٢. المصدر السابق.

٣. تفسير فرات الكوفي، ص ٢٧٣.

وينبغي الالتفات إلى هذه الحقيقة، وهي بالرغم من أنّ الكثير من الروايات ضعيفة من حيث السند، ولكن النقطة المهمّة أنّ كثرة هذه الروايات توجب الاطمئنان بصدورها، وعلى ضوء ذلك، فمن مجموع سبع روايات يستفاد عدّة أمور مهمّة ينبغي التأكيد عليها، وهذه الأمور عبارة عن:

الأمر الأوّل: إنّ الآية ٤١ من سورة الحج تتحدّث عن الإمام صاحب الزمان عليه السلام

الأمر الأوّل، إنّ الآية ٤١ من سورة الحج تتحدّث عن الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام، يعني أنّ النتيجه النهائيّة التي توصلنا إليها بعد التحقيق في الروايات الشريفة الواردة في معنى هذه الآية الكريمة هو أنّ الأئمّة الطاهرين عليهم السلام كانوا يهتّمون اهتماماً بالغاً لإثبات وتأكيد أنّ هذه الآية الشريفة نزلت في الإمام المهدي عليه السلام.

الأمر الثاني: إنّ المصداق الحقيقي لهذه الآية الكريمة بحسب الروايات، الإمام المهدي عليه السلام

الأمر الثاني أنّه بحسب ما ورد في الروايات المذكورة، فإنّ المصداق الحقيقي لهذه الآية الكريمة هو الإمام صاحب الزمان عليه السلام لا من سبقه من الأشخاص ولا يأتي من بعده، لأنّ الأئمّة الأطهار عليهم السلام كانوا يؤكدون دائماً على أنّه لا يجوز للآخرين أن ينسبوا هذه الآية لأنفسهم، وحتّى في عصرنا الراهن وبعد قيام نظام الجمهورية الإسلاميّة في ايران لا أحد يستطيع القول إنّ هذه الآية الكريمة نزلت في هذا النظام المقدّس، بل هذه الآية مختصّة بالإمام صاحب الزمان عليه السلام وأصحابه الأبرار.

الأمر الثالث: مواجهة الأئمّة المعصومين عليهم السلام فيما يخصّ تطبيق هذه الآية

الأمر الثالث أنّه يمكن تحصيل الوثوق والاطمئنان فيما يخصّ الروايات المذكورة أنّها صادرة عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام والحال إذا أخذنا بنظر الاعتبار هذه المسألة بدقّة وتمعّن وأنّ المخالفين سيدّعون أنّ هذه الآية نزلت في حقّهم، والأئمّة

الأطهار عليهم السلام تحرّكوا على صعيد مواجهة هؤلاء المدّعين والرد عليهم، فلا يبق مجال للشك في أنّ هذه الآية تتحدّث عن رجل من أهل البيت عليهم السلام سيأتي في آخر الزمان ويحقّق هذه التوصيّات الإلهيّة الواردة في هذه الآية الكريمة على أرض الواقع الاجتماعي.

التذكير بنقطة مهمّة

والنقطة المهمّة في هذا المجال، والتي ينبغي أخذها بنظر اعتبار، أنّ الأشخاص الذين تتحدّث عنهم هذه الآية الشريفة، لا يواجهون أي عائق أمامهم في مجال إمكانيّة تطبيق هذه التوصيّات الأربع وهذه الأوامر الإلهيّة الواردة في الآية الشريفة.

وبعبارة أخرى، النقطة الأُخرى التي يمكن استنباطها من هذه الآية الشريفة هي أنّ ظاهر هذه الآية المباركة أنّ الأشخاص الذين سيمنحهم الله تعالى القدرة والسلطة على الأرض لا يجدون أمامهم أي عائق ومانع من تحقيق هذه الأمور الأربعة وتجسيدها وتطبيقها في أجواء المجتمع البشري، وهذه النقطة مهمّة وجديرة بالنظر، بمعنى أنّ المؤمنين في العصر الراهن إذا بذلوا كلّ ما لديهم من سعي وجهد لتحقيق وتطبيق هذه التوصيات الأربع فسوف يواجهون حتماً الكثير من الموانع التي تقف أمامهم للحيلولة دون انجاز هذا الأمر، ولكن هذه الآية الكريمة تتحدّث عن جماعة ستكون لهم القدرة والقوّة بحيث إنّهم يعملون بهذه الأوامر الإلهيّة ويطبقونها في فضاء المجتمع دون أن يمنعهم مانع في هذا السبيل ولا أحد بإمكانه أن يوقفهم ويعيقهم عن تحقيق هذه الغاية.

وعلى هذا الأساس، فإنّ هذه النقطة تدلّ على أنّ الآية الشريفة تشير بوضوح إلى الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام وأصحابه الكرام، لأنّه قبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام توجد الكثير من الموانع أمام الحكومة الإسلاميّة لتحقيق الهيمنة والسلطة والانتصار على الأعداء من جهة، وعلى جهل الناس من جهة أخرى، كما

توجد هناك فرق منحرفة وتيارات ضالة تتحرّك على صعيد منع تحقيق هذا الهدف الإسلامي، ولكن هذه الآية الشريفة تقول: بعد ظهور الإمام المهدي عليه السلام لا يوجد أي مانع في سبيل تطبيق هذه الأوامر والتوصيات الأربع الواردة في الآية الكريمة، ومن هذه الجهة فإنّ مفهوم المعروف ومفهوم المنكر سيتجلّى بشكل واضح وبارز بعيداً عن أي غموض وإبهام.

مناقشة العلّامة الطباطبائي رحمه الله حول الآية الشريفة

يقول العلّامة الطباطبائي رحمه الله في تفسير «الميزان»:

«هذه الآية تشمل المؤمنين والمسلمين منذ نزول الوحي إلى يوم الدين»[1].

بيان عدّة نقاط بارزة في كلام العلّامة الطباطبائي رحمه الله

من خلال التمعّن والتدبّر في كلام العلّامة الطباطبائي تتبيّن لنا عدّة نقاط مهمّة في كلامه، وهذه النقاط عبارة عن:

النقطة الأُولى: الآية الشريفة تبيّن صفة جماعة دون النظر إلى الأشخاص

أوّل نقطة في كلام العلّامة رحمه الله أنّ هذه الآية الشريفة ناظرة لبيان صفة جماعة من الناس من حيث المجموع دون النظر إلى أشخاص بعينهم، يعني أنّها ناظرة إلى جماعة بشكل استغراقي، وهذه المجموعة تدور حول محور الجمع لا من حيث كونهم أشخاصاً وأفراداً، أي ليس من حيث المجموع الافرادي، وأصل عبارة السيّد الطباطبائي رحمه الله كما يلي:

«قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾ الخ، توصيف آخر للذين آمنوا

---

١. الميزان في تفسير القرآن، العلّامة الطباطبائي رحمه الله، ج ١٤، ص ٣٨٧.

المذكورين في أوّل الآيات وهو توصيف المجموع من حيث هو مجموع من غير نظر إلى الأشخاص والمراد من تمكينهم في الأرض إقدارهم على اختيار ما يريدونه من نحو الحياة من غير مانع يمنعهم أو مزاحم يزاحمهم»[١].

النقطة الثانية: إنّ الصلاح والسداد هو طبع المسلم

النقطة الثانية الواردة في كلام العلّامة الطباطبائيﷺ هي قوله:

«يقول تعالى: إنّ من صفتهم أنّهم إن تمكّنوا في الأرض وأعطوا الحرية في اختيار ما يستحبونه من نحو الحياة عقدوا مجتمعاً صالحاً، تقام فيه الصلاة وتؤدّى فيه الزكاة ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه المنكر وتخصّص الصلاة من بين الجهات العباديّة والزكاة من بين الجهات الماليّة بالذكر، لكون كلّ منهما عمدة في بابها وإذ كان الوصف للذين آمنوا المذكورين في صدر الآيات والمراد به عقد مجتمع صالح وحكم الجهاد غير خاصّ بطائفة خاصّة فالمراد بهم عامّة المؤمنين يومئذٍ بل عامّة المسلمين إلى يوم القيامة والخصيصة خصيصتهم بالطبع فمن طبع المسلم بما هو مسلم الصلاح وإن كان ربّما غشيته الغواشي»[٢].

مناقشة النقطة الثانية في كلام العلّامة الطباطبائيﷺ من جهة القول المختار

بعد استعراض كلام العلّامة الطباطبائيﷺ ربّما تثور في الذهن بعض الإشكالات على هذا الكلام، وهل يمكن أن نتوصل إلى هذه النتيجة من هذه الآية الشريفة

---

١. الميزان في تفسير القرآن، العلّامة الطباطبائيﷺ، ج ١٤، ص ٣٨٧.

٢. المصدر السابق.

ونقول بأنّ هذه الآية تتعلّق بجميع المسلمين والمؤمنين في ذلك اليوم؟ أو إنّها تتعلّق بجميع المسلمين إلى يوم القيامة؟ ثمّ نقول إنّ الله تعالى أراد أن يبيّن إسلام بعض الأشخاص بأعيانهم بحيث إذا منحهم الله تعالى القدرة والسلطة على الأرض فسوف يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة؟

مناقشة العلّامة الطباطبائيﷺ في ردّ قول أهل السنّة بالنسبة للآية ﴿الّذين إن مكّنّاهم﴾

من الواضح في كلام العلّامة الطباطبائيﷺ في ردّ قول أهل السنّة بالنسبة للمقطع من الآية الشريفة: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ﴾، أنّه يقول: إنّ بعض مفسّري أهل السنّة يرون أنّ كلمة ﴿الَّذِينَ﴾ مختصّة بالمهاجرين، ولكن هذا القول مجانب للصواب من عدّة جهات يقول العلّامةﷺ:

«وليس المراد بهم خصوص المهاجرين بأعيانهم سواءً كانت الآيات مكيّة أو مدنيّة، وإن كان المذكور من جهة المظلوميّة هو إخراجهم من ديارهم»[1].

الجهات التي ذكرها العلّامةﷺ في كلامه عبارة عن:

الجهة الأُولى: أنّ عموميّة الموصوف تستلزم عدم انحصار الموصول في شخص معين

الجهة الأُولى، أنّ القول بانحصار الموصول في شخص معين يتنافى ويتعارض مع عموميّة الموصوف الوارد في صدر الآية الشريفة، بمعنى أنّ الآيات السابقة تعتبر أنّ كلمة ﴿الَّذِينَ﴾ تعود على الجملة السابقة، وهو قوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا...﴾[2]، وسوف نفصل الكلام في هذا المورد، يقول العلّامة الطباطبائيﷺ:

«هو ذلك لمنافاته عموم الموصوف المذكور في صدر الآيات وعموم حكم

---

١. الميزان في تفسير القرآن، العلّامة الطباطبائيﷺ، ج ١٤، ص ٣٨٧.

٢. سورة الحج، الآية ٣٩.

الجهاد لهم ولغيرهم قطعاً»[١].

وبعبارة أخرى أنّ السيّد الطباطبائيﷺ يقول إنّ الآية عامّة وتشمل جميع المسلمين وتأذن لهم بالقتال، فهذا الموصوف عامّ، فلماذا يكون اسم الموصول ﴿الَّذِينَ﴾ يعود على فئة خاصّة منهم والقول بأنّه ينحصر في جماعة معيّنة؟

الجهة الثانية: إنّ حكومة صدر الإسلام مشمولة لهذه الآية

الجهة الثانية التي يبيّنها العلّامة الطباطبائيﷺ في كلامه، يقول:

«على أنّ المجتمع الصالح الذي عقد لأوّل مرّة في المدينة ثمّ أُنبسط فشمل عامّة جزيرة العرب في عهد النبيﷺ وهو أفضل مجتمع متكون في تاريخ الإسلام تقام فيه الصلاة وتؤتى فيه الزكاة وتؤمر فيه بالمعروف وتنهى فيه عن المنكر مشمول للآية قطعاً»[٢].

إذن فالعلّامةﷺ يعتقد أنّ حكومة صدر الإسلام في المدينة في عصر النبي الأكرمﷺ هي المصداق البارز لهذه الآية الشريفة ومشمولة لهذا الحكم وأنّ ﴿**الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ**﴾ يشمل النبي الأكرمﷺ وأصحابه في صدر الإسلام لأنّهم كانوا يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

ويتابع العلّامة الطباطبائيﷺ بالقول:

«وكان السبب الأوّل ثمّ العامل الغالب فيه الأنصار دون المهاجرين»[٣].

أي أننا نعلم أنّ الأنصار كانوا عاملاً مهمّاً في تشكيل هذه الحكومة في صدر الإسلام لا المهاجرين.

---

١. الميزان في تفسير القرآن، ج ١٤، ص ٣٨٧.

٢. الميزان في تفسير القرآن، العلّامة الطباطبائيﷺ، ج ١٤، ص ٣٨٧.

٣. المصدر السابق.

الجهة الثالثة: إنّ المهاجرين في تاريخ الإسلام لم يشكّلوا مثل هذا المجتمع

الجهة الثالثة التي يبيّنها العلّامة الطباطبائيﷺ في كلامه يقول:

«ولم يتّفق في تاريخ الإسلام للمهاجرين خاصّة أن يعقدوا وحدهم مجتمعاً من غير شركة من الأنصار فيقيموا الحقّ ويميتوا الباطل فيه»[١].

ثمّ إنّ العلّامةﷺ يخاطب أهل السنّة بقوله: إذا كانت هذه الآية منحصرة بالمهاجرين، فليس من الضروري القول بأنّ المهاجرين كانوا جماعة لم يكن الأنصار منهم، لأنّ التاريخ لم يخبرنا بهذه المقولة.

وأخيراً يقولﷺ:

«اللّهم إلّا أن يقال إنّ المراد بهم أشخاص الخلفاء الراشدين أو خصوص عليعليه السلام على الخلاف بين أهل السنّة والشيعة، وفي ذلك إفساد معنى جميع الآيات»[٢].

الجهة الرابعة: سلوك بعض المسلمين في صدر الإسلام، لم يكن إحياء للحقّ وإماتة للباطل

الجهة الرابعة التي يستعرضها العلّامة الطباطبائيﷺ في كلامه، قوله:

«إنّ التاريخ يضبط من أعمال الصدر الأوّل وخاصّة المهاجرين منهم أموراً لا يسعنا أن نسمّيها إحياء للحقّ وإماتة للباطل سواءً قلنا بكونهم مجتهدين معذورين أم لا، فليس المراد توصيف الأشخاص بل المجموع من حيث هو مجموع»[٣].

---

١. الميزان في تفسير القرآن، العلّامة الطباطبائيﷺ، ج ١٤، ص ٣٨٧.

٢. الميزان في تفسير القرآن، العلّامة الطباطبائيﷺ، ج ١٤، ص ٣٨٧.

٣. المصدر السابق، ص ٣٨٧.

مناقشة نظريّة العلّامة الطباطبائيﷺ من جهة القول المختار

وطبقاً للتحقيق، فإنّ نظريّة العلّامة الطباطبائيﷺ التي تقول إنّ هذه الآية لا تتعلّق بأشخاص معينين هي نظريّة صحيحة، ولكن سبق أنّ ذكرنا أنّ هذه الآية الشريفة تشير إلى جماعة من الناس، ولكن حسب القول المختار، فثمّة إشكالات عدّة ترد على نظريّة العلّامة الطباطبائيﷺ، وهي عبارة عن:

الإشكال الأوّل: مشكلة عموميّة كلام العلّامةﷺ

أوّل إشكال يرد على هذه المقولة هو: كيف يمكن استنباط هذا القول من هذه الآية الشريفة بأنّ طبع المسلم يقتضي أن يقوم بالإصلاح والصلح؟ وبعبارة أخرى، إنّ ظاهر الآية الشريفة أنّ هذه الأعمال تتعلّق بجماعة خاصّة.

الإشكال الثاني: إنّ نزول الآية في مورد المسلمين في صدر الإسلام محلّ خلاف

الآية الثانية تدلّ على فعل خاصّ، بمعنى الآية تدلّ على أنّه إذا أعطى الله تبارك وتعالى القدرة والسلطة لجماعة فسوف يقومون بتحقيق الأمور الأربعة المذكورة، ولا يجدون أي مانع يمنعهم من ذلك، ولكن كما قال العلّامة الطباطبائيﷺ إذا اجتمع المؤمنون في زمان واستلموا زمام السلطة والقدرة، ولكن منعهم مانع وعارض من ذلك بحيث لم يستطيعوا إقامة الأحكام الأربعة فهل يمكن مع ذلك، ندّعي أنّ هذه الآية الشريفة نازلة في حقّهم.

الإشكال الثالث: وجود أن الشرطيّة في الآية، تنفي رأي العلّامةﷺ

إذا كانت هذه الآية ناظرة إلى جماعة من المسلمين في صدر الإسلام، لماذا ورد فيها كلمة ﴿إِنْ﴾؟.

بيان نقطتين

بعد أن تبيّنت المسائل والنقاط المتقدّمة نرى من اللازم الإشارة إلىٰ نقطتين

أخيرتين فيما يخصّ الآية الشريفة:

ـ النقطة الأُولى: أهميّة الأمور الأربعة عند الله تعالى

إنّ الأوامر الإلهيّة الأربعة الواردة في هذه الآية الشريفة تعتبر من الأمور المهمّة جدّاً عند الله تبارك وتعالى.

ـ النقطة الثانية: الوجوب المضاعف للإتيان بالأمور الأربعة بالنسبة للحكومة

رغم أنّ هذا الكلام صحيح، وهو أنّ الإتيان بالأمور الأربعة واجب على كلّ فرد من المسلمين، ولكن من حيث الحكومة فثمّة وجوب مضاعف على من يتولّى زمام أمور السلطة والحكومة في المجتمع الإسلامي، وتوضيح ذلك:

أوّلاً: إنّ هذه الآية الشريفة ظاهرة في وجوب قيام الحكومة بتطبيق هذه التوصيات الأربع في فضاء المجتمع الإسلامي.

ثانياً: إنّ من شؤون الحاكم الإسلامي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بمعنى أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن كان من الواجبات الشخصيّة للإنسان المسلم، ولكن عندما يتمّ تشكيل الحكومة الإسلاميّة وتملك جماعة من المسلمين زمام السلطة ومقاليد الحكومة في الأرض، فإنّ هذا الوجوب سيكون مضاعفاً، إذن يجب على الحكومة الإسلاميّة القيام بهذا الركن الأساس في الشريعة الإسلاميّة، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وعلى ضوء ذلك، فالحكومة الإسلاميّة لا تنفك أبداً عن هاتين الوظيفتين، وهاتان الوظيفتان تعدّان من الواجبات الأساسية.

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المهدويّة محور الوحدة الإسلاميّة

محاضرة أُلقيت في المركز الإسلامي للجمعة والجماعات وعلماء
أهل السنّة في كردستان

ما ستقرأه في المقالة العاشرة:

* ١. معرفة مؤامرات أعداء الإسلام المشؤومة والمعقدة.

* ٢. السعي لتبليغ ونشر الوجه الحقيقي للإسلام.

* ٣. تقوية نقاط الاشتراك، أفضل طريق لمواجهة أعداء الإسلام: أ) القرآن الكريم هو الأساس والعامل المشترك للوحدة الإسلاميّة؛ ب) المهدويّة، أهم عقيدة مشتركة في الوحدة الإسلاميّة.

* بيان ركنين من الأركان المهمّة للوحدة الإسلاميّة: الركن الأوّل للوحدة الإسلاميّة: حفظ المشتركات الإسلاميّة: أ) شبهة تحريف القرآن الكريم؛ ب) شبهة عدم توجّه لأهل البيت عليهم السلام؛ الركن الثاني: الوحدة الإسلاميّة والتصدي للعدو المشترك.

بسم الله الرحمن الرحيم

المهدويّة محور الوحدة الإسلاميّة

﴿بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ...﴾[1].

نبارك لجميع المسلمين في جميع أنحاء العالم ذكرى الولادة المنيرة والمباركة لرسول الله محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وبداية اسبوع الوحدة

موضوع البحث

الحقيقة أنّ الإسلام العزيز في العصر الراهن وفي هذه الفترة العصيبة والمنعطف الخطير يواجه جميع قوى الكفر والشرك المعاصرة، وقد حضر بجميع وجوده في ميدان المواجهة مع نظام الاستكبار العالمي، ومن هذا المنطلق يتحمّل رجال الدين وعلماء الإسلام، أعمّ من الشيعة وأهل السنّه، واجبات ثقيلة جدّاً ويتحمّلون على عاتقهم مسؤوليات أعظم وأثقل، بدون مبالغة وتهويل، من مسؤوليات صحابة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

وعلى هذا الأساس نسعى في هذا المقال للحديث بشكل مختصر حول محورين من أهم محاور الوحدة الإسلاميّة ونبيّن بعض الواجبات والمسؤوليات التي تقع على عاتق رجال الدين وعلماء الإسلام من الشيعة وأهل السنّة، وهذه الواجبات

---

١. سورة هود، الآية ٨٦.

والمسؤوليات عبارة عن:

الأوّل: معرفة مؤامرات أعداء الإسلام ودسائسه المشؤومة

وأحد واجبات ومسؤوليّات علماء الإسلام أن يتعرّفوا بشكل عميق ودقيق على مؤامرات أعداء الإسلام ودسائسهم في المديّات الطويلة والقصيرة، لأنّ قوى الكفر والاستكبار والهيمنة في العالم إذا كانت قبل خمسين سنة بعيدة عن حقيقة الدين ولا يعلمون إلّا قليلاً عن أبعاد الدين الإسلامي الحنيف ومديّات تأثيره في الذهنيّة العامّة وعلى وعي الناس وكانوا يعرفون أنّ الإسلام هو دين من الأديان وحاله حال سائر الأديان الأخرى، ولكن اليوم فإنّ أعداء هذا الدين الإلهي قد اطلعوا على جوهر هذا الدين وتوصلوا إلى هذه النتيجة الحاسمة، وهي أنّ المسلمين حتّى لو عملوا بظواهر القرآن الكريم فلا يبقى مجال لظلم الظالمين وجور الجائرين وأنّ الدين الإسلامي يتكفّل حلّ جميع المشكلات ويوفّر الحلول لكافّة الحاجات في جميع أبعاد الحياة البشريّة.

على سبيل المثال، نقرأ في الآية الشريفة ١٤١ من سورة النساء، مسألة عدم سلطة الكفّار على المسلمين والتي تُعرف بـ«قاعدة نفي السبيل»، حيث يقول تبارك وتعالى في هذه الآية الشريفة:

﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾[١].

وطبقاً لهذه الآية الشريفة، وهي إحدى الآيات التي تتضمّن أصلاً سياسياً مهمّاً في الحياة السياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة والاجتماعيّة للمسلمين، وقد بحثها علماء الإسلام في الفقه السياسي الإسلامي، فحتّى لو كان زوجان من المسيحيين ولكن المرأة أسلمت واعتنقت هذا الدين، ففي هذه الصورة وطبقاً لفقه أهل البيت عليهم السلام لا

---

١. سورة النساء، الآية ٤١٤.

يجوز الاستمرار في هذا الزواج، يعني أنّ الزوج الكافر إذا أراد أن يتزوج امرأة مسلمة ويعيش معها، فهذا يعني تسلط الكافر على المسلم، والإسلام ينفي حتّى هذا النوع من التسلط.

أجل، فأعداء الإسلام وصلوا إلى هذه النتيجة، وهو أنّهم لو سمحوا في وصول هذه الرسالة الإلهيّة والإنسانيّة لكافة المجتمعات البشريّة وأصغى إليها طلّاب الحقّ والحقيقة والأحرار من الناس، فإنّ ذلك من شأنه أن يقلب الطاولة عليهم وينهي أمرهم.

الثاني: السعي للتبليغ ونشر الوجه الحقيقي للإسلام

وأحد الواجبات والمسؤوليّات الخطيرة لعلماء الإسلام أن يتحرّكوا على صعيد إفهام المستضعفين في العالم والناس من كافّة الأقوام المتعطشين للمعارف الإلهيّة على الجمال العلمي والكمال المعنوي المكنون في تعاليم الإسلام ومفاهيم القرآن، لأنّ المراكز العلميّة في العلم وصلت إلى هذه النتيجة الحاسمة، وهي أنّ الفقه المبتنى على مذهب أهل البيت عليهم السلام يتضمّن دقائق عقليّة وحقائق شرعيّة شموليّة ومن شأنها أن تمتد لكافّة البلدان ولها قدرة وجاذبيّة شديدة في جذب أحرار العالم وأصحاب الشأن الحقوقي في العالم، بحيث إنّ جميع المذاهب الحقوقيّة في العالم إذا وضعت بجميع أبعادها المختلفة، ومنها حقوق الإنسان، وحقوق الحيوان، وحقوق الدين، وحقوق البيئة والطبيعة، في طرف، ووضعت جميع المنابع الحقوقيّة التي استنبطها علماء الإسلام من القرآن الكريم وفقه أهل البيت عليهم السلام في طرف آخر، فلا يمكن أبداً المقارنة بين هذين الطرفين وأنّ كلّ شخص منصف ومحقّق يشهد رجحان كفّة الحقوق الإسلاميّة، والشاهد على هذا القول الإحصاءات غير المتوقّعة في اعتناق الكثير من أفراد الشعوب الأروبيّة وسائر نقاط العالم لدين الإسلام وإمتداد هذا الدين الإلهي في كافّة أرجاء العالم.

أجل، فالإسلام العزيز في العصر الراهن قد دخل بجميع وجوده وكافّة إمكاناته إلى ميدان العلم والعمل بحيث أدخل الرعب والفزع في قلوب أعداء الإسلام وقوى الظلام، إلى حدّ أنّ هؤلاء الأشرار بذلوا كلّ جهدهم في التآمر على الدين الإلهي وسعوا بكافّة إمكاناتهم للتصدي لوقف إمتداد الإسلام، ومن هذه الجهة فإنّ وظيفة علماء الإسلام، بيان وتبليغ الوجه الصحيح والحقيقي للدين الإسلامي.

الثالث: تقوية نقاط الاشتراك، أفضل طريق لمواجهة أعداء الإسلام

والوظيفة الأخرى من الوظائف الأساسيّة لعلماء الإسلام، تقويّة وتعميق المشتركات بين أهل السنّة وأتباع أهل البيت عليهم السلام لغرض التصدي لمحاولات الأعداء لبث الفرقة والتناحر والطائفيّة بين المسلمين، وعلى هؤلاء العلماء أن يشعروا بالتكليف الشرعي في مجال إيجاد الوحدة والاتحاد بين المسلمين والدخول إلى ميدان العمل والحضور الجاد في ميادين الوحدة والاتّحاد ونبذ محاولات الفرقة والتنازع بين المسلمين، لأنّ من الخطأ الفاحش أن يظنّ أحد أننا لو لم نتعرض لأعداء الإسلام فإنّهم ليس لهم شغل بالمسلمين وسوف يتركون المسلمين وشأنهم، ومن البديهي أنّ أعداء الإسلام كما يزعمون، في صدد قلع الإسلام من جذوره، ولا يختلف الحال لديهم بين السنّة والشيعة، وهذا هو السبب في ضرورة أن يهتمّ علماء الإسلام بالبحث في مطاوي «المشتركات الإسلاميّة»، لأنّ الاتّحاد على هذه العناصر المشتركة هو السبيل الوحيد للوقوف ضد سلطة قوى الاستعمار والاستكبار العالمي، ومن هذا المنطلق نرى من الضروري أن يشعرجميع المسلمين وعلى رأسهم علماء الإسلام من الشيعة وأهل السنّة، بالتكليف الشرعي والمسؤوليّة في حضورهم الجاد في ميادين الوحدة والتكاتف بين المسلمين، وتقوية العناصر المشتركة لهذه الوحدة الإسلاميّة.

وبعبارة أخرى، أنّ الخلافات الكثيرة بين المسلمين في الفروع الفقهيّة أو بعض

أصول الفقه لا تخلق ضرراً للأعداء، ولكن العناصر المشتركة الإسلاميّة من قبيل كتاب الله والكثير من المسائل الأخرى من شأنها أن تجهض مساعي أعداء الإسلام وتعيق نجاحهم وتحبط مؤامراتهم، يعني كما يوجد بين علماء الشيعة خلاف في الفروع الفقهيّة وبعض مسائل أصول الفقه، كذلك يوجد مثل هذا الخلاف بين مذاهب الأربعة لأهل السنّة، وهذه الاختلافات تعدّ أمراً طبيعياً لا يهتمّ لها العدوّ ولا تضرّه، ولكن ما يضرّ العدوّ ويقف عائقاً أمام مخططاته ضدّ الإسلام هي العناصر المشتركة في الإسلام، ومن هذه الجهة فإنّ الأعداء كانوا يستهدفون في مؤامراتهم هذه المشتركات دائماً، وأهم نقاط الاشتراك بين المسلمين عبارة عن:

أ) القرآن الكريم، الأساس والعامل المشترك للوحدة الإسلاميّة

لا شكّ أنّ أحد أهمّ أركان الوحدة الإسلاميّة هو «القرآن الكريم»، وعلى هذا الأساس فإنّ إحدى مؤامرات أعداء الإسلام القديمة، إشاعة وتقوية النزاع القديم بين المسلمين في مقولة تحريف القرآن، وهذه المقولة ليس لها أصل ولا أساس في دائرة الفكر الإسلامي، لأنّ علماء الشيعة من الطراز الأوّل من المراجع والمجتهدين والمحقّقين، ولا سيّما في المائة السنة الأخيرة، يقولون بأجمعهم أنّ القرآن غير محرّف، ولكن أعداء القرآن طرحوا وبأساليب مختلفة ومنها في الكتب والمقالات، تهمة تحريف هذا الكتاب الإلهي لإثارة وتحريك المسلمين وإيجاد النزاع والصراع فيما بينهم، وهو ما نجده أيضاً على صعيد شبكة الانترنيت والعالم الافتراضي، فلا يمرّ اسبوع واحد إلّا ويطرح أعداء القرآن شبهة بالنسبة للقرآن الكريم، وأساساً فإنّ هؤلاء الأعداء استخدموا في هذا المجال الكثير من المتخصصين والأُدباء لطرح شبهات جديدة يزعمون أنّها مستخرجة من القرآن ويطرحونها على المسلمين لإثبات وجود أباطيل في هذا الكتاب الإلهي كما يدّعون، أو محاولة اسقاط اعتبار القرآن والتشكيك في مصدره الإلهي، وفي هذا السبيل يخلقون الفرقة ويوجدون

حالة من النزاع والكراهية بين الشيعة وأهل السنّة، على سبيل المثال: رغم وجود كتب كثيرة عند أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام في الردّ على تحريف القرآن وما كتبه علماء الشيعة في هذا الخصوص، ولكن هؤلاء الأعداء، ولغرض اضعاف المذهب الشيعي، يعملون على طبع ونشر الكتب القديمة التي تتضمّن بعض الروايات التي تدلّ على التحريف المعنوي للقرآن ويحملونها على التحريف الظاهري واللفظي، وهكذا بين أهل السنّة نرى مثل هذه الدسائس لأعداء الإسلام، مثلاً قبل عدّة سنوات تمّ طبع قرآن في الكويت حذفت منه آيات الجهاد والشهادة في سبيل الله وقتال الكفّار والمشركين.

وطبعاً لا ينبغي الشكّ في أنّ الجذور الأصليّة لهذه الاختلافات تمتد إلى خارج العالم الإسلامي، وهذه المسألة إلى درجة من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى توضيح، على سبيل المثال: هل يدور في خلد أحد أنّ أعداء الإسلام مطّلعون حتّى على بعض الفروع الفقهيّة والمسائل الشرعيّة للمسلمين، إلى درجة أنّ الكيان الصهيوني الغاصب وضع كرسي التدريس في الجامعة لبحث مذهب الشيعة والتعرّف عليه لغرض معرفة موارد الاختلاف بين الشيعة والسنّة، أو وضع برامج خبيثة لإيجاد وتقوية الخلاف والنزاع بين أهل السنّة والشيعة؟ هل يصدّق أحد أنّ إسرائيل، وباعتراف الكثير من الناس وعلماء العراق، قامت، في الأيّام الأُولىٰ لغزو امريكا للعراق، بنهب وسرقة الكثير من المكتبات والكتب الأصليّة لعلماء العراق، وبدلاً من ذلك قاموا بنشر أسوأ الأقراص المنحطة والأفلام الفيديوئيّة الخلاعيّة بين الشبّان المسلمين من الشيعة والسنّة بهدف إغوائهم وإثارة غرائزهم وإضعاف الروح الدينيّة والإيمانيّة في قلوبهم، ألم تقم قوات حلف الناتو عند دخولهم إلى أفغانستان بنشر مظاهر الفسق والفجور والفساد بين الشبّان المسلمين إلى حدّ كبير؟

نعم، إنّ أعداء الإسلام خططوا في كلّ ما يملكونه من إمكانات لضرب الإسلام

وإيجاد الاختلاف والفساد بين المسلمين والتآمر على مصالح الشعوب الإسلاميّة، فلا ينبغي أن نتصوّر بسذاجة أنّ المسلمين إذا تركوا أعداء الإسلام لحالهم، فإنّ هؤلاء الأعداء سوف يتركونهم في المقابل، إذن عندما يدخل الأعداء بجميع قواهم وإمكاناتهم إلى الميدان ويتحرّكوا على صعيد التآمر ضدّ القرآن الكريم وتخريب عقائد الناس والمنظومات الفكريّة والسياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة والعائليّة للمسلمين فإنّ علماء الإسلام ورجال الدين يتحمّلون المسؤوليّة للتصدي لهذه الآفة الخطيرة.

ب) المهدويّة أهمّ عقيدة مشتركة في الوحدة الإسلاميّة

لا شكّ أنّ أهمّ عقيدة لدى المسلمين، والتي توجب الوحدة الإسلاميّة بين المذاهب الإسلاميّة المختلفة، عقيدة «المهدويّة»، ومن هذه الجهة فأحد أقدم المؤامرات القديمة التي تحاك ضد الإسلام تتمثّل في مواجهة هذه العقيدة الصحيحة، لأنّهم سمعوا طبقاً لما جاء في صريح بعض الآيات الشريفة في القرآن الكريم أنّه سيأتي ذلك اليوم الذي يهيمن فيه الإسلام على سائر الأديان الأخرى ويسيطر على كافّة المجتمعات البشريّة، لأنّ الله تبارك وتعالى قال فيما يتّصل بفلسفة إرسال الرسل وبخاصّة رسالة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[١].

وقوله تعالى في سورة الصف:

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[٢].

---

١. سورة التوبة، الآية ٣٣.

٢. سورة الصف، الآية ٨.

وكذلك يقول تبارك وتعالى في سورة التوبة:

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[١].

أجل، فإحدى الآيات التي يستدلّ بها المسلمون على مسألة المهدويّة، هي الآية الشريفة ٣٣ من سورة التوبة، أو الآية ٩ من سورة الصف، وذلك أنّ الشيعة وأهل السنّة معاً يعتقدون أنّ جميع تعاليم الدين وأحكامه منذ صدر الإسلام لم يطرح ولم يتمّ تطبيقه في كافّة أجواء المجتمع البشرية، وطبقاً لهذه الآيات الكريمة يجب أن يأتي ذلك اليوم الذي يكون فيه الدين الإسلامي عالمياً ويتمّ إزاحة الميسيحيّة واليهوديّة ليحلّ محلّهما الإسلام، وذلك اليوم هو يوم ظهور منقذ عالم البشريّة وابن رسول الله صلى الله عليه وآله وآخر حجّة إلهيّة، الإمام المهدي المنتظر عليه السلام، ويعمل على تطبيق جميع أحكام الدين وتعاليم الشريعة على المجتمع البشري كافّة.

إذن فموضوع المهدويّة هو أحد المشتركات العقائديّة المهمّة في الإسلام، وثمّة بعض الاختلافات الجزئيّة بين الفريقين في هذه المسألة، مثلاً يعتقد الشيعة أنّ الإمام الحجّة ابن الحسن عليه السلام قد ولد وهو الآن على قيد الحياة، ولكن أهل السنّة يعتقدون بأنّ الإمام المهدي عليه السلام سيولّد في المستقبل وفي زمان خاص، رغم أنّه جاء في بعض كتب أهل السنّة أنّه قد ولد ولكن أعداء الإسلام لا يهتمّون إجمالاً بهذه الجزئيات في هذه العقيدة الإسلاميّة المشتركة ولكنّهم يواجهون هذا الأصل الإسلامي المشترك بين المسلمين ويحاولون هدمه والقضاء عليه ومحاربته، إلى حدّ أنّ أحد رجال الدين الشيعة رغم أنّه كان سجيناً لمدّة ١٥ سنة في سجون الكيان الصهيوني وبعد اطلاق سراحه جاء يوماً للقاء المرحوم الوالد المعظّم سماحة آية الله العظمى الفاضل اللنكراني رحمه الله ونقل إليه بأنّه في كلّ مرّة يأتي الإسرائيليون للتحقيق

---

١. سورة التوبة، الآية ٣٢.

معي، يطرحون عليَّ هذا السؤال: أين هو المهدي الذي يتحدّث عنه المسلمون، هل سيأتي ويدعو جميع الناس إلى الإسلام ويهدم عروش الظالمين ويحارب الظلم والجور، وأين هو؟ إذن فهؤلاء يتصوّرون أنّ هذا الأمر هو في اختيار البشر وليس من الأمور الإلهيّة والمقدرات الحتميّة، ومن هذه الجهة سعوا إلىٰ تحشيد جميع إمكاناتهم وقواهم والبحث عن الإمام المهدي في جميع المناطق والأمكنة التي يحتمل أن يكون ساكناً فيها والعثور عليه وقتله، ومثل هذه القضيّة حدثت للنبيّ موسىعليه السلام حيث قام فرعون وأزلامه بقتل الكثير من الأطفال الرضع حتّى الجنين في بطن أُمّه لكي يمنعوا بزعمهم وقوع هذه الولادة والحيلولة دون ولادة النبي موسىعليه السلام ولكنّهم غفلوا عن أنّ هذه المسألة تندرج في دائرة الإرادة الحتميّة للباري تعالى، وبذلك ولد النبيّ موسىعليه السلام وانتهى الأمر بانتصاره على فرعون وهدمه لسلطة الظلم وحكومة الجور.

أجل، إنّ عالم الكفر يعرف جيداً المشتركات بين المسلمين، ويعرف أن الموضوع الذي ينبغي تركيز القوى ضدّه ومحاربته هو هذه المشتركات الإسلاميّة، فمن هذه الجهة أراد الإستكبار العالمي وقوى الاستعمار ضرب جذور هذه المشتركات، وبذلك نراهم دائماً في حال التآمر وخلق الأزمات وإيجاد الدسائس لبث الفرقة والنزاع والاختلاف بين المسلمين، وطبعاً الاختلاف إذا كان في إطار البحوث العلميّة فهو مقبول، ومن هذه الجهة إذا كانت العقائد والمعارف تقوم على الدليل العلمي فلا يمكن القول بوجوب تركها والاستغناء عنها لمجرّد وجود الخلاف الفكري، وأساساً فإنّ الجهة العلميّة هي أحد معاني الآية الشريفة: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ﴾[1]، فمسألة الفكر والذهن والعلم غير قابلة للإكراه، ولكن

---

١. سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

أعداء الإسلام يتحرّكون على صعيد إيجاد الفرقة والاختلاف بين المسلمين، وعلى هذا الأساس ينبغي لعلماء الإسلام أن يتحلّوا باليقظة والنباهة والحذر أكثر من أي زمان آخر.

بيان ركنين من الأركان المهمّة للوحدة الإسلاميّة

وقد تبيّن من مجموع ما تقدّم أنّ الالتفات إلى ركنين أساسيين مؤثر كثيراً في تقوية وتحكيم الوحدة الإسلاميّة وبخاصّة نحن نعيش أيّام أُسبوع الوحدة، وهو إحدى ثمرات وبركات نظام الجمهوريّة الإسلاميّة المقدّس من جهة تأكيده على الوحدة بين الشيعة والسنّة، وبين علماء الشيعة وأهل السنّة، وعلى أية حال فهذان الركنان عبارة عن:

الركن الأوّل للوحدة الإسلاميّة: حفظ المشتركات الإسلاميّة

وأوّل ركن أساس في تثبيت الوحدة الإسلامية، تقويّة المشتركات بين المسلمين والتأكيد عليها من قبيل عدم تحريف القرآن، أو أمر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بلزوم التمسّك بأهل البيت عليهم السلام، وكذلك الاعتقاد بالمهدويّة، وعلى هذا الأساس يجب على علماء الشيعة وأهل السنّة فيما يتّصل بادّعاء تحريف القرآن، وإنكار فضائل ومناقب ومرجعيّة أهل البيت عليهم السلام، أو التشكيك في الاعتقاد بالمهدويّة، أن يتّخدوا موقفاً حازماً ولا ينبغي أن يتركوا بعض الأشخاص أو الكتّاب يتحدّثون في هذا المجال ويدّعون أنّ الشيعة وعلماء الشيعة يقولون بتحريف القرآن، أو أنّ أهل السنّة أو علماء أهل السنّة لا الوهّابيين والنواصب الضالّين، يقولون بعدم لزوم التمسّك بالعترة وانكار محبّة أهل البيت عليهم السلام ومناقبهم وفضائلهم، وعلى هذا الأساس يجب على العلماء أو يتصدوا لمنع إتساع وإمتداد هاتين الشبهتين فيما يخصّ المشتركات الإسلاميّة، وهما عبارة عن:

أ) شبهة تحريف القرآن الكريم

ومعلوم أنّ رفع هذه الشبهة يستلزم أن يلتفت الجميع إلى هذه النقطة، وهي أنّه ليس فقط أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام لا يعتقدون بتحريف القرآن، بل إنّ جميع علماء المذاهب الأربعة لأهل السنّة يعتقدون أيضاً بعدم تحريف القرآن.

وكاتب هذه السطور شاهد قبل عدّة سنوات كتاباً طبع في المملكة العربية السعوديّة فكان صاحبه، ليس يصرّ على أنّ علماء الشيعة يقولون بتحريف القرآن، بل إنّه يصرّ على القول بأنّ علماء الشيعة يجمعون على تحريف القرآن، وكأنّ هذا الكاتب لم يقرأ أبداً كتاب «التبيان في تفسير القرآن» للشيخ الطوسي رحمه الله (٣٨٥ ـ ٤٦٠ هـ ق)، وهو من الآثار الفاخرة للقرن الخامس للهجري، وطبعاً إذا كان قد فتح عينه ورآىٰ هذا الكتاب فسوف لا يرتكب أبداً مثل هذا الخطأ الفاحش.

والآن السؤال هو: هل أنّ الآيات القرآنيّة لهذا التفسير تختلف عن القرآن الموجود اليوم بين يدي الشيعة وأهل السنّة بحيث يمكن طرح مثل هذا الادّعاء الباطل، في حين أنّ الجميع يعلم بأنّ الشيخ الطوسي رحمه الله ليس فقط يعتبر شيخ الطائفة في مذهب الإماميّة، بل إنّه أوّل وأهم علماء الكلام والفقه والاصول والتفسير للشيعة، وأعلى من ذلك بأنّ هذا الكاتب لم يقرأ أبداً الكتب الفقهيّة لعلماء الإماميّة كالشيخ المفيد رحمه الله والسيّد المرتضى رحمه الله وسائر القدماء من علماء الشيعة إلى المراجع المعاصرين ليرى أنّهم يستدلّون على مسائلهم وأحكامهم وفتاويهم بهذه الآيات في القرآن الكريم، في حين لو كان القرآن الكريم كتاباً محرّفاً لا ينبغي لهؤلاء العلماء الاستدلال بالآيات القرآنيّة أو العمل على تفسيرها.

والأهمّ من ذلك، ألم يراجع هؤلاء الكتّاب النصوص الروائيّة الصادرة عن أهل البيت عليهم السلام، ليروا أنّ الأئمّة الطاهرين عليهم السلام وفي موارد مختلفة يستشهدون بآيات القرآن الكريم ويهتمّون بتلاوته ويؤكدون على الرجوع إلى القرآن الكريم، ويقولون

إذا سمعتم حديثاً منّا وأردتم معرفة صحّته من سقمه فأعرضوه على القرآن، فما وافق القرآن فخذوه وما خالف القرآن فاتركوه، على سبيل المثال ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«مَا لَمْ يُوافِقْ مِنَ الحَدِيثِ القُرآنَ فَهُوَ زُخْرُف»[١].

أو قوله عليه السلام:

«فَمَا وَافِقْ كِتَابَ اللهِ فَخُذُوهُ وَمَا خَالَفَ كِتَابَ اللهِ فَدَعُوهُ»[٢].

ولكن للأسف فإنّ مثل هذه الفكرة تنتشر بين المسلمين وتعمل على نشر الأكاذيب وإيجاد الفرقة بينهم، ومن هذه الجهة يجب على العلماء اليقظة والانتباه وعدم السماح لمثل هذه الأفكار الباطلة بالانتشار ولمثل التهم الزائفة بالشيوع وبالتالي عدم السماح لإيجاد الاختلاف في قلوب الجهّال.

ب) شبهة عدم الرجوع إلى أهل البيت عليهم السلام

الشبهة الثانية، التي ينبغي على علماء أهل السنّة منع انتشارها والتصدي لها، أنّه لا ينبغي لبعض الأشخاص من خلال بعض الكتب والمقالات تعميق هذه الشبهة، وهي أنّ علماء أهل السنّة لا يعتنون بأهل البيت عليهم السلام وعترة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وفي حين أنّ أكابر علماء أهل السنّة ومنهم أحمد بن حنبل إمام الحنابلة يقول في مسنده عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«النُّجُومُ أَمَانٌ لأَهْلِ السَّمَاءِ إِذا ذَهَبَتْ النُّجُومُ ذَهَبَ أَهْلُ السَّماءِ وَأَهْلُ بَيتِي أَمَانٌ لأَهْلِ الأَرْضِ فَإِذا ذَهَبَ أَهْلُ بَيتِي ذَهَبَ أَهْلُ الأَرْضِ»[٣].

---

١. الكافي، الشيخ الكليني رحمه الله، ج ١، ص ٦٩.

٢. بحار الأنوار، العلّامة المجلسي رحمه الله، ج ٢، ص ٢٢٧..

٣. وسيلة المآل، الحضرمي، ص ١١٤؛ وينابع المودّة، القندوزي، الباب الثالث، ص ١٩؛ واستجلاب ارتقاء الغرف، السخاوي، ص ٨٠.

وكذلك ينقل أحمد بن حنبل عن النبي الأكرمﷺ أنّه قال:

«إِنَّ اللهَ خَلَقَ الأَرْضَ مِنْ أَجْلِ النَّبِيِّ فَجَعَلَ دَوامَها بِدَوامِ أَهْلِ بَيتِهِ وَعِترَتِهِ»[١].

والنتيجة، كما يتبيّن أنّ رسول اللهﷺ لم يقلْ أمان للشيعة فقط، بل قال: إنّ أهل بيتي أمان لأهل الأرض، حتّى لغير المسلمين.

وعلى هذا الأساس، فأوّل ركن للوحدة الإسلاميّة حفظ المشتركات الإسلاميّة والدفاع عنها من خلال العمل بتوصية النبي الأكرمﷺ في هذا الشأن، وحينئذٍ يمكن التحقيق بالوحدة بين المسلمين، لأنّ الله تبارك وتعالى يقول في القرآن الكريم:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾[٢].

أجل، فالجميع مكلّفون بحفظ المشتركات الإسلاميّة والدفاع عنها.

الركن الثاني للوحدة الإسلاميّة: التصدي للعدوّ المشترك

الركن الثاني الأساسي لتحقيق الوحدة الإسلاميّة، التصدي للعدو المشترك، العدوّ الذي لم يدع أي شيء إلّا استخدمه في القضاء على الإسلام والمسلمين، وبديهي أنّ التصدي للعدوّ المشترك متفرع على معرفة صحيحة لهذا العدوّ ونشاطاته وحركاته المعادية والخبيثة وأن نعتقد ونصدّق بأنّ هؤلاء هم أعداء الدين وأعداء المسلمين.

وبعبارة أخرى، يجب على علماء المسلمين قبل كلّ شيء أن يعلموا يقيناً وجود عدوٍّ لدود، ثمّ يتحرّكوا لمعرفة هذا العدوّ المتمثّل اليوم بجبهة الاستكبار العالمي

---

١. ينابع المودّة، القندوزي، ص ٢٠.

٢. سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

والصهيونيّة العالميّة وقوى الهيمنة، ولا ينبغي الشكّ في هذا الشأن، ثمّ يتحرّك علماء الإسلام على صعيد معرفة أساليب هذا العدوّ في زيادة الهوة والفرقة بين المسلمين من خلال الحرب النفسيّة وإشاعة الفساد الأخلاقي والعمل على تضعيف المنظومة السياسيّة وإيجاد الفوضى السياسيّة، وتهديد العقائد الدينيّة، والتحريم الاقتصادي وإيجاد الشكّ في المعتقدات الإسلاميّة من أجل التوصل إلى مآربه الدنيئة وتحقيق رغباته المشؤومة، وبالتالي يتعرّف المسلمون على عوامل نفوذ العدوّ في وسط المجتمع الإسلامي ومعرفة العناصر المرتبطة به، من الطابور الخامس والتصدي لهم بحزم.

وعلى ضوء ذلك، يجب على علماء الإسلام، من أجل حفظ الوحدة بين المسلمين، التحرّك على صعيد إشاعة وتبليغ تعاليم الإسلام والقرآن وأحكامه المتعالية لغرض التصدي للعدوّ المشترك للمسلمين.

أجل، لا ينبغي لهم في هذا الأمر أن يدعو الشكّ والتردد يجد طريقاً إلى قلوبهم ونفوسهم ويدركوا جيداً هذه الحقيقة وهي أنّ مسؤوليّة علماء الدين في هذا العصر الحساس أكثر بمراتب من مسؤولية صحابة رسول الله ﷺ، ومن هذه الجهة ينبغي أن نسأل الله تعالى أن يمنح علماء الإسلام في هذه البرهة الحساسة من تاريخ الإسلام، عناياته الخاصّة وامدادته الغيبيّة ويفتح لهم أبواب رحمته وتأييده، لأنّ الإسلام اليوم دخل بجميع وجوده إلى العالم، وأنّ قوى الكفر والشرك والاستكبار العالمي قد هجمت بجميع إمكاناتها وقواها على الإسلام العزيز.

وعلى ضوء ذلك، يجب على جميع علماء الإسلام الاهتمام البالغ باسبوع الوحدة، وهو من بقية ما تركه لنا المعمار الكبير للثورة الإسلاميّة سماحة الإمام الخميني ﷺ والسعي لنشر مفاهيمه، ومن هذه الجهة لا ينبغي لهم أن يسمحوا بتبديل هذا الأمر المقدّس إلى مسألة تشريفيّة ومظاهر فارغة، بل يجب استثمار هذه

المسألة في ايران وخارجها بكافّة أشكالها واستثمار هذا الاسبوع في توحيد كلمة المسلمين، ونأمل أن يحفظ المسلمون جميعاً هذه الأمانة الإلهيّه التي وهبها الله تبارك وتعالى لهم، وإن شاء الله نستطيع في يوم القيامة أن نكون من حملة القرآن وأن نقف أمام رسول الله ﷺ بوجوه بيضاء.

نسأل الله تعالى أن ينزل بركاته ورحماته، على إثر هذه الجلسات في اسبوع الوحدة التي تنعقد بين علماء الشيعة وأهل السنّة، على المسلمين ويمنحهم حياة جديدة في إطار تعاليم الإسلام والقرآن وأن يعيشوا بمنتهى العزّة والكرامة.

بمنّه وكرمه

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فهرس المنابع والمآخذ

١. القرآن الكريم.

٢. نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب

(الألف)

٣. إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون، أبو الفيض سيد أحمد بن محمّد بن صديق الغماري، دمشق، مطبعة الترقي، ١٣٤٧.

٤. إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، محمد بن الحسن الحرّ العاملي المعروف بـ«الشيخ الحر العاملي»، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بي تا.

٥. الاحتجاج، أحمد بن علي الطبرسي، قم، دار الاسوة، بي تا.

٦. إحياء الفكر الديني في الإسلام، محمد إقبال اللاهوري، طهران، كانون النشر والتحقيقات الإسلاميّة، ١٣٥٨ هـ.

٧. اختيار معرفة الرجال، محمّد بن عمر الكشي، مشهد، كلية الإلهيّات والمعارف الإسلاميّة مشهد، ١٣٤٨.

٨. الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة، محمد صديق خان البخاري القنوجي، دار المدني، جدة، ١٣٦٤.

٩. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمّد بن محمّد بن نعمان بن عبدالسلام المعروف به ابن معلم والشيخ المفيد، قم، تحقيق مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، بيروت، دار المفيد، ١٣٧٢.

١٠. استجلاب ارتقاء الغرف بحب أقرباء الرسول وذوي الشرف، محمّد بن عبدالرحمن السخاوي، قم، مؤسسة المعارف الإسلاميّة، ١٣٧٩.
١١. اسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل... في حاشية نور الأبصار في مناقب آل بيت النبيّ المختار، محمد الصبان، مصر، مكتبة السيّد محمّد عبدالواحد بك الطوبي وأخيه ١٣٢٤ ق.
١٢. الإسلام في ايران، ايليا پاوولويچ پطروشفسكي، ترجمة كريم كشاورز، طهران، انتشارات پيام، ١٣٥٠ هـ ش.
١٣. الإشاعة لأشراط الساعة، محمّد بن عبدالرسول الحسيني الشهرزوري البرزنجي، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٣ ق.
١٤. إعلام الورى بأعلام الهدى، الفضل بن حسن الطبرسيﷺ، قم، مؤسسة آل البيتعليهم السلام لإحياء التراث، ١٣٧٦ ش.
١٥. الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، شمس الدين محمّد بن عبدالرحمان السخاوي، دمشق، مطبعة الترقي، ١٣٤٩ ق.
١٦. أعيان الشيعة، سيد محسن أمينﷺ، بيروت، دار التعارف، بي تا.
١٧. الأغاني، عليّ بن الحسين أبو الفرج الاصفهاني، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بي با.
١٨. إقبال الأعمال، عليّ بن موسى السيّد ابن طاووس ﷺ، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٦٧.
١٩. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية، الرياض، مكتبة الرشد، الطبعة الثانية، ١٤١١ ق.
٢٠. إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب، علي بن زين العابدين اليزدي الحائري، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بي تا.
٢١. الإلهيات من كتاب الشفاء، الحسين بن عبدالله ابن سينا، قم، مكتب الإعلام

الإسلامي، الحوزة العلمية قم، ١٣٧٦.
٢٢. الأمالي، الشيخ الصدوق رحمه الله قم، المكتبة الإسلاميّة، ١٣٤٩ ش.
٢٣. الأمالي، محمّد بن الحسن بن علي الطوسي المعروف بن الشيخ الطوسي رحمه الله طهران، دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٨٠.
٢٤. الإمام علي صوت العدالة الإنسانيّة، جورج جرداق، بيروت، دار الفكر العربي، ١٣٧٩ ق.
٢٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل / التفسير البيضاوي، عبدالله بن عمر البيضاوي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بي تا.

(ب)

٢٦. بحار الأنوار الجامعة لدرر الأخبار الأئمّة الأطهار، المجلسي رحمه الله، محمّد باقر (العلّامة المجلسي رحمه الله)، بيروت، دار الوفاء، بي تا.
٢٧. البرهان في تفسير القرآن، هاشم بن سليمان البحراني رحمه الله، قم،مؤسسة البعثة، بي تا.
٢٨. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمّد الشوكاني، منشورات دار ابن كثير، دمشق، ١٤٢٧ هـ ق.
٢٩. بشارة المصطفى صلى الله عليه وآله لشيعة المرتضى عليه السلام، عمادالدين محمّد بن علي الطبري الآملي، قم، جامعة المدرسين الحوزة العلمية قم.
٣٠. البعثة والحرية، مهدي البازركان، طهران، المؤسسة الثقافية المهندس مهدي البازركان، ١٣٨٨.
٣١. البلد الأمين والدرع الحصين، الشيخ الكفعمي، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. تي با
٣٢. بهاء الله والعصر الجديد، ج. ا. اسلمنت، طهران، اللجنة القومية لنشر الآثار الأمرية، ١٣٢٧ ش.

٣٣. البيان في أخبار صاحب الزمان، محمّد بن يوسف الكنجي الشافعي، طهران، دار إحياء تراث أهل البيت عليهم السلام، ١٣٦٢.

(ت)

٣٤. التاج الجامع للأُصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله، الشيخ منصور علي ناصف، قم، المكتبة الإسلاميّة، ١٣٨١ ق.

٣٥. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، علي بن الحسن الشافعي المعروف به ابن عساكر، بيروت، دار الفكر.

٣٦. تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، علي الاسترآبادي، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في قم.

٣٧. تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، الحسن بن علي المعروف بن ابن شعبة الحراني رحمه الله، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في قم، ١٣٦٢.

٣٨. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي رحمه الله، طهران، وزارة الثقافة والإعلام الإسلامي، ١٣٧٤.

٣٩. التذكرة بأحوال الموتى وأُمور الآخرة، محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الرياض، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة الأُولى، ١٤٢٥ ق.

٤٠. التشكيل الجديد للإلهيّات الإسلاميّة، محمد اقبال اللاهوري، ترجمة سيد نذير النيازي، اسلامك فاؤنديشن، نيودهلي، ٢٠٠٢م.

٤١. تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، عبدالواحد بن محمّد الآمدي، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٣٦٦ ش.

٤٢. تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الشيخ محمّد بن الحسن بن علي المعروف بن الشيخ الحر العاملي رحمه الله، قم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث.

٤٣. تلخيص تاريخ نبيل (الملا محمّد) الزرندي / تلخيص مطالع الأنوار، ترجمة وتلخيص عبدالحميد اشراق الخاوري، طهران، اللجنة القومية لنشر الآثار الأمرية، ١٠٣ بديع = ١٣٢٥ ش.

٤٤. تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن بن علي الطوسي المعروف بن الشيخ الطوسي، طهران، دار الكتب الإسلاميّة.
٤٥. تهذيب التهذيب، أحمد بن علي العسقلاني الشافعي، بيروت، دار صادر.
٤٦. تفسير ابن تيمية / التفسير الكبير، أحمد بن عبدالحليم المشهور بن ابن تيمية، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٠٨ ق.
٤٧. تفسير الفرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي، النجف، المطبعة الحيدريّة.
٤٨. تفسير العياشي، محمد بن مسعود السمرقندي العياشي، طهران، المكتبة العلمية الإسلاميّة.
٤٩. تفسير القمي، علي بن إبراهيم، قم، دار الكتاب، ١٣٦٣.
٥٠. تفسير نور الثقلين، عبدعلي بن جمعة العروسي الحويزي، قم، إسماعيليان.

(ث)

٥١. ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، محمّد بن علي ابن بابويه، المشهور بن الشيخ الصدوق، قم، منشورات الرضى، ١٣٦٤ ش.

(ج)

٥٢. جامع البيان في تفسير القرآن، المعروف بتفسير الطبري محمد بن جرير الطبري، مصر، السعادة، ١٣٢٩.
٥٣. الجامع لأحكام القرآن، محمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي، طهران، ناصر خسرو، ١٣٦٤.
٥٤. جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، النجفي، محمد حسن بن باقر المشهور بصاحب الجواهر، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٦٢ ش.

(ح)

٥٥. الحاوي للفتاوي،عبدالرحمن بن أبوبكر السيوطي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٥ ق.

٥٦. حضرت نقطه اولى، مجموعة آثار مباركة محفل مقدس روحاني ملى ايران، بى جا، ١٣٢ بديع = ١٣٥٤ ش.
٥٧. خاطرات سياسي جاسوس روسى كينياز دالگوركى،قم،نشرصبورى،١٣٨٢ش.
٥٨. الخرائج والجرائح، سعيد بن هبة الله القطب الراوندي﵀، قم، مؤسسة الإمام المهدي﵇.
٥٩. خلاصة الأقوال، حسين بن يوسف المشهور بالعلّامة الحلّي﵀، النجف الأشرف، دار الذخائر.

(د)

٦٠. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن علي بن محمّد بن حجر العسقلاني شهاب الدين، حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانيّة، ١٣٩٢ هـ ق.
٦١. الدرة المضية في الرد على ابن تيمية، تقي الدين السبكي، دمشق، القدسي، ١٣٤٧ هـ ق.
٦٢. الدرّ المنثور في التفسير المأثور، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، قم، مكتبة حضرة آية الله العظمى المرعشي النجفي﵀.
٦٣. ديوان الملامحسن الفيض الكاشاني، الملا محسن الفيض الكاشاني﵀، طهران، مكتبة ميركمالي، ١٣٣٧ ش.

(ر)

٦٤. الرجال، الشيخ أحمد بن علي النجاشي﵀، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في قم، ١٣٦٥ ش.
٦٥. روش شناخت إسلام، عليّ شريعتي، طهران، چاپخش، ١٣٧٩ ش.
٦٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود بن عبدالله الآلوسي، بيروت، دار الكتب العلميّة.
٦٧. الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، عبدالرحمن بن عبدالله

الخثعمي السهيلي، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهريّة، مؤسسة المختار، ١٣٤٩ ش.
٦٨. رياض الأبرار في مناقب الأئمّة الأطهار، نعمة الله الجزائري، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ١٣٨٥ ش.

(ز)

٦٩. حياة محمّد، توماس كارلايل، ترجمة أبوعبدالله الزنجاني، تبريز، سروش، ١٣٣٠ هـ ش.
٧٠. زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، الرياض، الرئاسة العامة للادارات البحوث العلميّة والافتاء والدعوة والإرشاد، ١٤١٣ ق.

(س)

٧١. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصرالدين الأسودري الألباني، الرياض، المملكة العربية السعودية، مكتبة المعارف، ١٤٢٥ ق.
٧٢. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث الأذري السجستاني، جدة، بيروت، دار القبلة للثقافة الإسلاميّة، مؤسسة الريان، ١٣٨٣ ش.
٧٣. سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد بن عبدالله بن ماجة القزويني، بيروت، دار الجيل، ١٣٧٧ ش.
٧٤. السنن الكبرى، أحمد بن حسين بن علي البيهقي، حيدرآباد دكن، دائرة المعارف العثمانيّة، ١٣٥٥ ـ ١٣٤٣ ق.
٧٥. السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، عثمان بن سعد الداني، دار الكتب العلميّة، ١٩٩٧ م.

(ش)

٧٦. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، بيروت، دار الكتب العلميّة.
٧٧. شرح السنّة، حسن بن علي البربهاري، قم، مؤسسة الثقافة والاطلاعات تبيان، ١٣٨٧ ش.

٧٨. شواهد الحق في الإستغاثة بسيد الخلق، يوسف بن إسماعيل النبهاني، بيروت، دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٧ ميلادي.

(ص)

٧٩. الصحاح في اللغة، إسماعيل بن حماد الجوهري، بيروت، دار العلم للملايين، بي‌تا.

٨٠. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، أبو الحسين القشيري النيسابوري، بيروت، دار الفكر، بي تا.

٨١. صحيح البخاري، محمّد بن إسماعيل البخاري، بيروت، دار الكتب العلميّة، بي‌تا.

٨٢. صحيح الترمذي، أبوعيسى محمد بن عيسى ابن سوارة ابن موسى ابن الدهك السلومي الترمذي، بيروت، دار الرائد العربي.

٨٣. صحيفة النور، روح الله الموسوي الخميني المشهور بالإمام الخميني‌ﷺ، طهران، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني‌ﷺ.

٨٤. الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم، بياضي علي بن محمد بن يونس العاملي النباطي‌البياضي البقاعي، طهران، المكتبة المرتضوية لاحياء الآثار الجعفرية.

(ض)

٨٥. ضحى الإسلام، أحمد أمين، مصر، مطبعة الاعتماد، ١٣٥١ ق.

(ط)

٨٦. طبقات الحنابلة، محمد بن أبي يعلى، بيروت، دار المعرفة.

(ع)

٨٧. عقد الدرر في اخبار المنتظر، يوسف بن يحيى المقدسي الشافعي السلمي، قم، المسجد المقدس في جمكران، الطبعة الثالثة، ١٣٨٢ ش.

٨٨. علل الشرائع، محمّد بن علي ابن بابويه الشيخ الصدوق، قم، مكتبة الداوري.
٨٩. علم اليقين في أُصول الدين، محمّد محسن الفيض الكاشاني، قم، بيدار.
٩٠. عيون أخبار الرضا، محمّد بن علي بن بابويه المشهور بن الشيخ الصدوق، طهران، جهان، بي تا.

(غ)

٩١. غاية المأمول في شرح التاج الجامع للأُصول،محمد البطاشي، عُمان، ١٤٠٧ق.
٩٢. الغيبة، محمد بن حسن الطوسي المشهور بالشيخ الطوسي، قم، مؤسسة المعارف الإسلاميّة.
٩٣. الغيبة، محمّد بن إبراهيم النعماني، طهران، نشر الصدوق، بي تا.

(ف)

٩٤. الفتاوى الحديثية، أحمد بن محمّد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، دار الفكر، بي تا.
٩٥. الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، بيروت، بي تا.
٩٦. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي المشهور بابن حجر العسقلاني، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٠ ق.
٩٧. الفرائد، أبو الفضل محمّد بن محمّد الرضا الكلپايكاني، القاهرة، المطبعة الهندية، ١٣١٥ ق.
٩٨. منجد عميد، حسن العميد، طهران، أميركبير، ١٣٥٩.
٩٩. الفهرست، محمّد بن حسن الشيخ الطوسي، النجف الأشرف، المكتبة المرتضوية ومطبعتها.

(ق)

١٠٠. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، بيروت، المكتبة العلميّة.

(ك)

١٠١. الكافي، الكليني، محمّد بن يعقوب (ثقة الإسلام الكليني)، طهران، مكتبة الصدوق.

١٠٢. الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمر الزمخشري، بيروت، دار الكتاب العربي.

١٠٣. كشف الأسرار وعدّة الأبرار، أبوالفضل رشيدالدين الميبدي، طهران، علي‌اصغر حكمت، ١٣٦١ ش.

١٠٤. كشف الغطاء عن الحيل العداء، أبوالفضل محمّد بن محمد الرضا الكلپايكاني والسيّد مهدي الكلپايكاني، بى جا، بي تا.

١٠٥. كشف الغمة، علي بن عيسى الاربلي، قم، الشريف الرضى، بي جا.

١٠٦. كفاية الأثر في النصّ على الأئمة الاثنى عشر، علي بن محمّد الخزاز الرازي، قم، بيدار، ١٣٦٠ ش.

١٠٧. كمال الدين وتمام النعمة، محمّد بن علي ابن بابويه المشهور به الشيخ الصدوق، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٥٩ ش.

١٠٨. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي المتقي بن حسان‌الدين الهندي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣ ق.

١٠٩. الكواكب الدرية في مآثر البهائية، عبدالحسين آيتي، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٢٣ م.

(ل)

١١٠. لغة نامه دهخدا، علي أكبر دهخدا، طهران، انتشارات وطبع جامعة طهران، ١٣٧٧ ش.

١١١. لغة نامه معين، محمّد معين، طهران، أميركبير، ١٣٥١.

(م)

١١٢. مجمع البيان في تفسير القرآن، فضل بن حسن الطبرسي، طهران، ناصر خسرو، ١٣٧٢ ش.

١١٣. مجمع البحرين، فخر الدين بن محمّد الطريحي، طهران، مرتضوي، ١٣٧٥.

١١٤. مجموعة الرسائل والمسائل، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، لجنة التراث العربي، بي تا.

١١٥. مستدرك سفينة البحار، علي نمازي الشاهرودي، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في قم.

١١٦. المستدرك على الصحيحين، أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٠ ق.

١١٧. مستدرك الوسائل، حسين بن محمد تقي النوري المشهور بالمحدّث النوري، بيروت، مؤسسة آل البيت لاحياء التراث.

١١٨. مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٥ م.

١١٩. المصباح، إبراهيم بن علي الكفعمي، منشورات الرضا، الزاهدي.

١٢٠. مصباح المتهجد وسلاح المتعبد، محمّد بن حسن الطوسي المشهور بالشيخ الطوسي، طهران، مؤسسة فقة الشيعة.

١٢١. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨ ق.

١٢٢. معجم أحاديث الإمام المهدي تحت إشراف الشيخ علي الكوراني، قم، مؤسسة المعارف الإسلاميّة، ١٤١١ ق.

١٢٣. المعجم الصغير، أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني، المدينة المنورة، المكتبة السلفية لصاحبها محمد عبدالمحسن الكتبي.

١٢٤. مرآة العقول في شرح اخبار آل الرسول، محمد باقر بن محمّد تقي المجلسي، المشهور بالعلّامة المجلسي، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٦٣ ش.
١٢٥. مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمّي، قم، أُسوة.
١٢٦. مفاتيح الغيب / التفسير الكبير، فخرالدين محمّد بن عمر بن الحسين بن الحسين ابن علي التميمي البكري الرازي الشافعي، القاهرة، المكتبة التوفيقيّة.
١٢٧. مفردات في غريب القرآن / مفردات ألفاظ القرآن، حسين بن محمّد راغب الاصفهاني، بيروت ـ دمشق، دار القلم.
١٢٨. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (تاريخ ابن خلدون)، عبدالرحمن بن خلدون المغربي، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٨ ق.
١٢٩. مقاتل الطالبيين، علي بن حسين أبوالفرج الاصفهاني، قم، دار الزهراء، ١٤٢٨ ق.
١٣٠. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشهرة على الألسنة، محمّد بن عبدالرحمن السخاوي، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤١٢ ق.
١٣١. معجم رجال الحديث وتفصيل الرواة، آية الله العظمى أبوالقاسم الخوئي، قم، مركز نشر الثقافة الإسلاميّة، ١٣٧٢ ش.
١٣٢. مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم، سيد محمّد تقي الموسوي الاصفهاني، قم، اكرام، ١٣٩٠ ش.
١٣٣. الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر، علي بن موسى بن طاووس، قم، الشريف الرضي.
١٣٤. الملل والنحل، محمّد بن عبدالكريم الشهرستاني، بيروت، دار المعرفة.
١٣٥. المنار، محمّد رشيد رضا، بيروت، دار المعرفة، بي تا.
١٣٦. المنار المنيف في الصحيح والضعيف، شمس الدين محمّد بن أبي بكر بن القيم

الجوزية، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٠٨ ق.
١٣٧. المناقب، ابن شهرآشوب، قم، انتشارات العلّامة.
١٣٨. مناقب الأسد الغالب ممزق... علي بن أبي طالب / المناقب ابن الجزري / اسنى المطالب في مناقب علي بن أبي طالب، محمّد بن محمد الجزري، القاهرة، مكتبة القرآن، ١٣٧٣ ق.
١٣٩. منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر عليه السلام، آية الله العظمى لطف الله الصافي الكلپايكاني دامت بركاته، قم، مكتب آية الله لطف الله الصافي الكلپايكاني، ١٣٨٠ش.
١٤٠. منتخب الأنوار المضيئة (في ذكر القائم الحجّة عليه السلام)، بهاء الدين علي بن عبدالكريم النيلي النجفي، قم، مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام.
١٤١. منتهى المقال في أحوال الرجال، محمّد بن إسماعيل المازندراني الحائري، قم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، بى تا.
١٤٢. من لا يحضره الفقيه، القمّي، محمّد بن علي ابن بابويه المشهور بالشيخ الصدوق رحمه الله، قم، انتشارات جامعة المدرسين.
١٤٣. منهاج السنّة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، أبوعباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم المشهور بابن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي، بيروت، بي تا.
١٤٤. موسوعة الإمام المهدي، السيد محمّد الصدر رحمه الله، قم، طليعة النور، ١٤٢٥ ق.
١٤٥. الميزان في تفسير القرآن، محمّد حسين الطباطبائي المشهور بالعلّامة الطباطبائي رحمه الله، قم، إسماعيليان، ١٣٧١ ش.
١٤٦. نظم المتناثر من الحديث المتواتر، محمّد بن جعفر الحسني الادريسي المشهور بالكتاني، بيروت، دار الكتب العلميّة.
١٤٧. نقطة الكاف، الحاج الميرزا جاني الكاشاني، طهران، سازمان اسناد وكتابخانه ملى للجمهورية الإسلاميّة الايرانيّة، بي تا.

١٤٨. نوادر الأخبار فيما يتعلق بأُصول الدين، محمد محسن الفيض الكاشاني، طهران، مؤسسة المطالعات والتحقيقات الثقافية (پژوهشگاه)، ١٣٧١ ش.
١٤٩. نور الأبصار، السيد مؤمن بن حسن الشبلنجي الشافعي، قم، الشريف الرضي.
١٥٠. نهج الفصاحة، طهران، العلمي، ١٣٨٢ ش.

(و)

١٥١. وسيلة المآل في عد مناقب الآل، شهاب الدين أحمد بن الفضل بن محمّد باكثير المكي الحضرمي، نسخة خطية، ٢٧ ذي‌القعدة ١٠٨٩ ق.

(هـ)

١٥٢. الهداية السنية والتحفة الوهابية النجدية، مصر، مطبعة المنار.

(ي)

١٥٣. ينابيع المودة، القندوزي، سليمان بن إبراهيم، قم، دار الأُسوة.

محتويات الكتاب

تقديم الاستاذ آية الله محمّد جواد الفاضل اللنكراني (دامت بركاته) ٣
تمهيد ٧

(١)

حقيقة الدين في عصر الظهور..... ١٣
تبيين موضوع البحث ١٣
التحقيق في سؤال مهمّ عن عصر الظهور..... ١٣
نتيجتان مترتّبتان على الجواب المطروح ١٤
النتيجة الأُولى: إنّ «الدين» سيكون محور حكومة الإمام المهدي عليه السلام ١٤
النتيجة الثانية: ظهور الإمام المهدي عليه السلام كاشف عن حقيقة واحدة ١٦
التحقيق في أربعة أمور كمقدّمة للجواب عن السؤال المذكور ١٧
الأمرالأوّل:حاجة البشرإلى الدين تتبع تكامل العقل والنمو وتطور العلمي والصناعة ١٧
الأمر الثاني: تبيين صحيح لمفهوم الدين..... ١٩
الأمر الثالث: بيان القدرة المحدودة للعقل وإدراكه الناقص..... ٢٠
الأمر الرابع: مرحلة الإجراء الكامل للدين في عصر الظهور فقط..... ٢١
التحقيق في سبع عبارات روائيّة في كيفيّة الدين في عصر الظهور..... ٢٣
التحقيق في التعبيرالأوّل: الروايات الدالة على«دعوة الناس إلى أمر جديد»... ٢٤
التعبيرالثاني: الروايات الدالة على «تقديم إسلام جديد وانهدام السابق»..... ٢٥

بيان نقطتين مهمّتين في هذه الرواية ٢٦
النقطة الأُولى: إنهدام الإسلام القديم ٢٦
النقطة الثانية: ظهور الإسلام بشكل جديد ٢٦
التحقيق في سؤال وجوابه في المقام ٢٦
التعبير الثالث: الروايات الدالة على «دعوة الناس إلى العدل وابطال الماضي» ٢٧
ثلاثة نقاط مهمّة مستفادة من هذه الرواية ٢٧
النقطة الأُولى: إبطال الإسلام المنحرف ٢٧
النقطة الثانية: ظهور الإسلام الناصع والنقي والعادل ٢٨
النقطة الثالثة: تطبيق العدالة العالميّة ٢٨
التعبير الرابع: الروايات الدالة على أنّ «تعليم القرآن موافق للنزول» ٢٨
بيان نقطتين مهمّتين في هذه الرواية ٢٩
النقطة الأُولى: عدم الاهتمام بالقرآن هو السبب في تخلّف المسلمين ٢٩
النقطة الثانية: عجز الناس عن فهم القرآن بشكل صحيح ٢٩
دفع شبهة حول القرآن الكريم ٢٩
التعبير الخامس: الروايات الدالة على «العمل بكتاب الله في عصر الظهور» ... ٣٠
بيان أربع نقاط مهمّة في هذه الرواية ٣٠
النقطة الأُولى: العمل بكتاب الله ٣٠
النقطة الثانية: العمل بجميع أحكام القرآن وتعاليمه ٣١
النقطة الثالثة: الإمام، هو الوحيد العالم والعامل بالكتاب الإلهي ٣١
النقطة الرابعة: إنّ الإمام عليه السلام هو الحاكم الجدير الوحيد ٣١
التعبير السادس: الروايات الدالة على «كمال عقول البشر في عصر الظهور» ٣١
بيان ثلاث نقاط مهمّة في هذه الرواية ٣٢
النقطة الأُولى: تكامل العقول يعدّ ممهّداً للقبول والعمل ٣٢

النقطة الثانية: تكامل العقل وعلاقته مع التدين ٣٢
النقطة الثالثة: ظهور عناصر تمهيديّة في المجتمعات البشريّة ٣٣
التعبير السابع: الروايات الدالة على «شموليّة الإسلام في عصر الظهور» ٣٣
نقطتان مهمّتان في هذه الرواية ٣٤
النقطة الأُولى: التحقيق في سؤال ضمن بيان طائفتين من الروايات ٣٤
الطائفة الأُولى: الروايات الدالة على نفي سائر الأديان ٣٤
الطائفة الثانية: الروايات الدالة على وجود سائر الأديان ٣٧
بيان ثلاث طرق للجمع بين رواية الطائفة الأُولى والثانية ٣٨
الطريق الأوّل: غلبة الدين الإسلامي وبقاء بعض الأديان الأخرى بشروط خاصّة ٣٩
الطريق الثاني: زوال الشرك والإذن بالعمل بسائر المذاهب والأديان ضمن شاهدين. ٣٩
الشاهد الأوّل: الروايات التي تدلّ على الكشف عن التوراة والإنجيل الحقيقيين ٣٩
الشاهد الثاني: الروايات التي تدلّ على عودة النبي عيسى عليه السلام ٤٠
الطريق الثالث: غلبة الإسلام على المعاندين والسماح ببقاء المتدينيين ٤١
النقطة الثانية: بيان كيفيّة وخصائص الدين في عصر الظهور ٤١
الخصوصيّة الأُولى: تغيير تطبيق الأحكام ضمن شاهدين في الرواية ٤٢
الشاهد الأوّل: حرمة الاكتناز ٤٢
الشاهد الثاني: تطبيق الحدّ الشرعي لمانعي الزكاة ٤٣
الخصوصيّة الثانية: نسخ بعض الأحكام مع شاهد روائي واحد ٤٤
الخلاصة ونتيجة البحث ٤٥

(٢)

الفرق المنحرفة في عصر الغيبة ٤٧
موضوع البحث ٤٩
الوهّابيّة أقوى وأخطر أعداء الإسلام في عصر الغيبة ٥٠

إطلالة سريعة على عقائد فرقة الوهّابيّة والمراحل الثلاث لنشوئها ٥١
المرحلة الأُولى: أحمد بن حنبل، إمام المذهب الحنبلي ٥٢
المرحلة الثانية: ابن تيميّة استمرار لمسلك أحمد بن حنبل..... ٥٤
القسم الأوّل: إشاعة العقائد الباطلة بالنسبة لله تعالى..... ٥٦
القسم الثاني: إشاعة العقائد الباطلة حول القرآن الكريم ٥٦
القسم الثالث: إشاعة العقائد الباطلة عن الأنبياء والأولياء الإلهيين عليهم السلام..... ٥٧
القسم الرابع: إنكار فضائل أهل البيت عليهم السلام..... ٥٨
المرحلة الثالثة: محمّد بن عبدالوهاب، استمرار لمسلك ابن تيميّة ٦٤
الوهّابيّة، أخطر أعداء الإسلام في عصر الغيبة..... ٦٩
وظيفة المسلمين الحقيقيين في عصر الغيبة ٧٧
الخلاصة ونتيجة البحث..... ٨٠

(٣)

الأمل والانتظار في الثقافة المهدويّة..... ٨٥
موضوع البحث ٨٥
التحقيق في أربع مفردات مهمّة في البحث ٨٥
أ) الأمل ٨٦
ب) الإنتظار..... ٨٨
ج) المهدويّة ٩١
د) ثقافة المهدويّة ٩٣
بيان مكانة الأمل والإنتظار في ثقافة المهدويّة ضمن ستة أمور ٩٤
النقطة الأُولى: الظهور، هو ذروة تكامل المخلوقات ٩٥
النقطة الثانية: الظهور، ذروة آمال الأنبياء والأولياء الإلهيين ٩٦
النقطة الثالثة: الظهور، ذروة رسالة الرسل الإلهيين ٩٧

النقطة الرابعة: الظهور، ذروة تطور العلم والمعرفة ١٠٢
النقطة الخامسة: الظهور، ذروة تكامل عالم التكوين ١٠٤
النقطة السادسة: الظهور، ذروة التكامل الوجودي للبشر ١٠٦
التحقيق في شبهة ١٠٧
جواب الشبهة ١٠٨
الخلاصة والنتيجة ١٠٩

(٤)

النصف من شعبان عيد الإنسانيّة الكبير ١١٧
موضوع البحث ١١٧
النقطة الأُولى: واجبات العوام والخواص بالنسبة لإقامة النصف من شعبان ١١٨
الطرف الأوّل: وظيفة الناس ١١٨
الطرف الثاني: وظيفة العلماء ١١٩
النقطة الثانية: انتظار الفرج أهم أُسس الإيمان ١١٩
النقطة الثالثة: غاية ارسال الرسل، الانتظار الواقعي لظهور آخر منقذ ١٢١
النقطة الرابعة: إحياء ليلة النصف من شعبان أحد مظاهر الانتظار الواقعي ١٢٢
النقطة الخامسة: شروط الانتظار الحقيقي ١٢٤
أ) الشروط الفكريّة ١٢٤
ب) الشروط العاطفيّة ١٢٥
١. المحبّة للإمام صاحب الزمان عليه السلام ١٢٥
٢. إيجاد سنخيّة مع الإمام المهدي عليه السلام ١٢٦
٣. الدعاء لسلامة وظهور الإمام المهدي عليه السلام ١٢٦
ج) الشروط العمليّة ١٢٧
١. حفظ وتوثيق العلاقة مع الإمام صاحب الزمان عليه السلام ١٢٧

٢. توفير الأرضيّة لظهور الإمام صاحب الزمان عليه السلام ١٢٧
الأوّل: الاتيان بالواجبات وترك المحرّمات..... ١٢٨
الثاني: العمل بأحكام القرآن والعترة ١٢٨
الخلاصة ونتيجة البحث..... ١٢٩

(٥)

المهدويّة والظهور إمتداد للإمامة والغدير ١٣٣
موضوع البحث ١٣٣
الأمر الأوّل: الإثبات النقلي لمسألة المهدويّة في نظر الفريقين..... ١٣٣
الأمر الثاني: الإثبات العقلي لمسألة المهدويّة ١٣٦
الأمر الثالث: لزوم الالتفات إلى علل وآثار وبركات الغيبة من الجهات الإثباتيّة ١٣٨
الجهات الإيجابيّة للغيبة ١٣٩
الجهات السلبيّة ١٤١
الأمر الرابع: بيان واجبات المنتظرين الحقيقيين في ثلاثة حقول..... ١٤٥
أخبار رسول الله صلى الله عليه وآله عن حدوث مواجهة بين الحق والباطل..... ١٤٦

(٦)

المهدويّة والإلزامات المعرفيّة للإنتظار..... ١٥٣
موضوع البحث ١٥٣
الأمر الأوّل: الإنتظار، الأدلّة، ما ينبغي، نقاط الضعف ١٥٤
النقطة الأُولى: بيان أدلّة الانتظار الواقعي في نظر القرآن ١٥٤
أ) الاستدلال بالآية (١٠٥) من سورة الأنبياء..... ١٥٤
ب) الاستدلال بالآية الشريفة (٩٠) من سورة الصف..... ١٥٥
النقطة الثانية: واجبات الانتظار الحقيقى في نظر الروايات..... ١٥٦

النقطة الثالثة: نقاط ضعف الانتظار والمنتظِرين ١٦٠
النقطة الرابعة: بيان مراتب الانتظار بالنسبة للمنتظرين..... ١٦١
المرتبة الأُولى: انتظارالرسل والأنبياء الإلهيين عليهم السلام: إنّ جميع الأنبياء والرسل . ١٦١
المرتبة الثانية: انتظار رسول الإسلام المعظم صلى الله عليه وآله: النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ينتظر أيضاً ١٦٢
المرتبة الثالثة: انتظار الأئمّة الأطهار عليهم السلام: فهؤلاء الأنوار الإلهيّة ينتظرون.... ١٦٢
المرتبة الرابعة: انتظار العلماء والفقهاء والمراجع العظام وهؤلاء أيضاً ١٦٢
المرتبة الخامسة: انتظار الناس العاديين: فهم أيضاً ينتظرون بقيّة الله..... ١٦٢
النقطة الخامسة: انكشاف الآثار الواقعيّة للانتظار بعد عصر الظهور..... ١٦٢
الخصوصيّة الأُولى: إقامة العدل ورفع الظلم ١٦٣
الخصوصيّة الثانية: إقرار النظم والأمن ١٦٣
الخصوصيّة الثالثة: تكامل الإنسان من الجهة الأخلاقيّة والعقلانيّة ١٦٣
الخصوصيّة الرابعة: فتح أبواب العلم ١٦٤
الخصوصيّة الخامسة: إزالة العصيان والمعصية الإلهيّة ١٦٤
الخصوصيّة السادسة: أوج التكامل الديني ١٦٥
الأمر الثاني: لمحة من الصفات العامّة للمنتظرين في كلام الإمام الرضا عليه السلام... ١٦٦
الخصوصيّة الأُولى: التقوى والورع والعفّة..... ١٦٦
الخصوصيّة الثانية: الصدق والصلاح ١٦٧
الخصوصيّة الثالثة: السعي والأمانة للبر والفاجر ١٦٨
الخصوصيّة الرابعة: السجود الطويل وإحياء الليل بالعبادة ١٦٨
الخصوصيّة الخامسة: اجتناب المحرّمات..... ١٦٩
الخصوصيّة السادسة: انتظار الفرج مع الصبر..... ١٧٠
الخصوصيّة السابعة: المعاشرة الجميلة مع عباد الله..... ١٧١
الخصوصيّة الثامنة: عدم الأذى والإضرار بعباد الله..... ١٧١

الخصوصيّة التاسعة: بسط الوجه ١٧٢
الخصوصيّة العاشرة: النصيحة والرحمة للمؤمنين ١٧٣
الأمر الثالث: إثبات مسألة المهدويّة ومناقشة أدلّة المنكرين ١٧٤
النقطة الأُولى: إثبات مسألة المهدويّة ضمن محورين ١٧٤
المحور الأوّل: الإثبات العقلي ١٧٤
المحور الثاني: الإثبات النقلي ١٧٥
النقطة الثانية: ردّ أدلة المنكرين ضمن محورين ١٨٢
المحور الأوّل: بيان أدلة المنكرين ١٨٢
المحور الثاني: ردّ أدلّة المنكرين ١٨٥
= الجواب الأوّل: عدم الحاجة لبحث السند في الروايات المتواترة ١٨٥
= القرن الثالث: ١٨٥
= القرن الرابع: ١٨٥
= القرن الخامس: ١٨٦
= القرن السادس: ١٨٦
= القرن السابع: ١٨٦
= القرن الثامن: ١٨٦
= القرن التاسع: ١٨٦
= القرن العاشر: ١٨٧
= القرن الحادي عشر: ١٨٧
= القرن الثاني عشر: ١٨٨
= القرن الثالث عشر ١٨٨
= القرن الرابع عشر: ١٨٨
= القرن الخامس عشر: ١٨٩

الجواب الثاني: مناقشة الكثير من العلماء أهل السنّة لرأي ابن خلدون ١٨٩
الجواب الثالث: اعتراف ابن خلدون بصحّة أربع روايات معارضة لرأيه..... ١٩١
الرواية الأُولى:..... ١٩٢
الرواية الثانية: ١٩٢
الرواية الثالثة: ١٩٢
الرواية الرابعة:..... ١٩٣
الأمر الرابع: الظهور المفاجيء أو بعد وقوع العلامات..... ١٩٤
المسألة الأُولى: وقوع الظهور بعد تحقّق علاماته..... ١٩٤
الطائفة الأُولى: العلامات الحتميّة ١٩٤
أ) الصيحة أو النداء السماوي ١٩٥
ب) خروج السفياني..... ١٩٦
ج) قتل النفس الزكيّة ١٩٦
د) الخسف في البيداء (خسف الأرض تحت أقدام جيش السفياني)..... ١٩٦
هـ) قيام اليماني..... ١٩٧
الطائفة الثانية: العلامات غير الحتميّة..... ١٩٨
المسألة الثانية: وقوع الظهور بصورة المفاجئة..... ١٩٩
الأصل الأوّل: فجائيّة الظهور ١٩٩
الأصل الثاني: عدم العلم بوقت الظهور..... ٢٠١
الأمر الخامس: لمحة تاريخيّة عن انحراف المهدويّة وأسبابها ٢٠٣
المسألة الأُولى: تاريخ مدّعي المهدويّة ٢٠٣
المسألة الثانية: عوامل ظهور الخرفات والانحرافات حول فكرة المهدويّة .. ٢٠٨
العامل الأوّل: عدم تبيين صحيح الحقيقة المهدويّة من قِبل علماء الدين ٢٠٨
الأثر الأوّل: اتساع دائرة الفهم الخاطيء لفكرة المهدويّة..... ٢٠٩

الأثر الثاني: تغيير المستوى الفكري والمعرفي للمخاطبين ٢٠٩
الأثر الثالث: إيجاد روحية الاكتفاء ومحوريّة الذات بدلاً من اتباع الفقهاء... ٢١٠
العامل الثاني: سوء استغلال المال والمقام..... ٢١٣
أ) الاستغلال السيىء للمال ٢١٣
ب) الاستغلال السيىء للمقام..... ٢١٦
الأوّل: كسب المقامات الإلهيّة ٢١٦
الثاني: كسب المقامات الدنيويّة ٢١٧
الأمر السادس: إمكان رؤية الإمام المهدي عليه السلام في عصر الغيبة الكبرى ٢١٩
القول الأوّل: عدم إمكان الرؤية في عصر الغيبة الكبرى ٢٢٠
القول الثاني: إمكان الرؤية في عصر الغيبة الكبرى..... ٢٢٠
القول الثالث: إمكان الرؤية في عصر الغيبة الكبرى للمتقين فقط ٢٢٠
القول الرابع: عدم إمكان الرؤية الإختياريّة وإمكان الرؤية الاضطراريّة ٢٢٠
مؤيدات القول الرابع ٢٢١
النقطة الأُولى: تبيين دستور العمل في عصر الغيبة الكبرى في هذا التوقيع... ٢٢٢
المقطع الأوّل: علم الإمام عليه السلام فيما يتّصل بأحوال الأُمّة ٢٢٢
المقطع الثاني: الإعلام عن نهاية النيابة الخاصّة..... ٢٢٢
المقطع الثالث: الإخبار عن بداية الغيبة الكبرى..... ٢٢٢
المقطع الرابع: الإخبار عن طول مدّة الغيبة الكبرى..... ٢٢٢
المقطع الخامس: الإخبار عن ظهورالمدّعين للمشاهدة في عصر الغيبة الكبرى ٢٢٢
المقطع السادس: تكذيب من يدّعي الرؤية قبل ظهور العلامات الحتميّة ٢٢٢
النقطة الثانية: حتمية صدور التوقيع من قِبل الإمام المهدي عليه السلام..... ٢٢٣
النقطة الثالثة: مقطع «من يدّعي المشاهدة» هو الأصل في دلالة الرواية..... ٢٢٥
القول الأوّل: تعني الرؤية الاختياريّة ٢٢٥

ردّ القول الأوّل من وجهة القول المختار ٢٢٥
القول الثاني: بمعنى النيابة الخاصّة ٢٢٦
مناقشة القول الثاني حسب القول المختار ٢٢٦
النقطة الرابعة: عدم وجود دليل قطعي على تحقّق الرؤية في عصر الغيبة الكبرى ٢٢٦
النقطة الخامسة: ضرورة الالتفات إلى مسألة الواجبات بدلاً من التوغل ٢٢٩
في المسائل الانحرافيّة ٢٢٩
النقطة السادسة: لزوم الاهتمام بسيرة العلماء الكبار والتصدي لمدعي الرؤية . ٢٣١
أ) سيرة سماحة آية الله العظمى السيّد البروجردي رحمه الله ٢٣٣
ب) سيرة سماحة آية الله العظمى الإمام الخميني رحمه الله ٢٣٤
ج) سيرة سماحة آية العظمى الفاضل اللنكراني دام ظله ٢٣٦
النقطة السابعة: تعميق مسألة إشراف الإمام صاحب الزمان عليه السلام ٢٣٨

(٧)

الظهور، الوعد الإلهي الحتمي ٢٤٣
موضوع البحث ٢٤٣
التحقيق في الآية الأُولى من سورة النحل وانطباقها على موضوع المهدويّة .. ٢٤٤
النقطة الأُولى: بيان شأن نزول الآية ٢٤٤
النقطة الثانية: بيان التأويلات الواردة في ذيل الآية الشريفة ٢٤٦
النقطة الثالثة: بيان المراد من قوله «أمر الله» في القرآن والآية الشريفة ٢٤٩
المصداق الأوّل: القرآن ٢٥١
المصداق الثاني: يوم القيامة ٢٥١
المصداق الثالث: ظهور الإمام المهدي عليه السلام ٢٥٢
الواجبات المعرفيّة والعمليّة لمراسيم إحياء ليلة النصف شعبان ٢٥٣
التوصية المعرفيّة: لزوم تجديد مفهوم الانتظار وتطبيقاته ٢٥٣

التوصية العمليّة: بيان عدّة أعمال لمعرفة النفس، ومعرفة الإمام، ومعرفة الله.. ٢٥٧
الخصوصيّة الأُولى: ليلة الإحياء واليقظة ٢٥٧
الخصوصيّة الثانية: ليلة الرحمة، الرضوان، المغفرة، الفضل، التوبة، النعمة، ... ٢٥٨
الخصوصيّة الثالثة: ليلة العتق والخلاص من جهنّم..... ٢٥٩
الخصوصيّة الرابعة: ليلة تثبيت المقدّرات وتقسيم الأرزاق ٢٥٩
الخصوصيّة الخامسة: ليلة الكرم الإلهي والصفح والعفو وغفران الذنوب..... ٢٦٠
الخصوصيّة السادسة: ليلة الصلاة وقراءة القرآن والاستغفار والدعاء ٢٦٠
الخصوصيّة السابعة: ليلة استجابة الدعاء وقضاء الحوائج ٢٦٢
الخصوصيّة الثامنة: ليلة توجّه النبي الأكرمﷺ للدعاء والمناجاة..... ٢٦٣
الخلاصة ونتيجة البحث..... ٢٦٣
الحاجة الأُولى: طلب معرفة الذات الإلهيّة المقدّسة ٢٦٤
الحاجة الثانية: طلب توفيق الارتباط القلبي مع الإمام صاحب الزمانعليه السلام... ٢٦٥
ختام الكلام..... ٢٦٦

(٨)

بركات وخصوصيّات النّصف من شعبان..... ٢٧١
موضوع البحث ٢٧١
معرفة فضائل النّصف من شعبان..... ٢٧٢
سيرة النبي الأكرمﷺ وأهل بيتهعليهم السلام في ليلة النصف من شعبان ٢٨٤
دعاء النبي الأكرمﷺ في ليلة النصف من شعبان..... ٢٨٤
دعاء أهل البيتعليهم السلام في ليلة النصف من شعبان..... ٢٨٦
كلمة أخيرة..... ٢٨٩

(٩)

المهدويّة ومستقبل العالم في ظلّ القرآن..... ٢٩٣

موضوع البحث ٢٩٣
البحث الدلالي في الآية ٤١ من سورة الحج التي تدلّ على مسألة المهدويّة . ٢٩٤
بيان ثلاث نقاط مهمّة ٢٩٤
النقطة الأُولى: ادّعاء اختصاص الآية بالخلفاء الأربعة من قِبل المفسّرين.... ٢٩٥
النقطة الثانية: مناقشة بحث فقهي في وجوب الأمربالمعروف والنهي عن المنكر ٢٩٦
النقطة الثالثة، مناقشة بحثين في دلالة الآية الشريفة في نظر مفسّري الإماميّة ٢٩٧
بيان ثلاثة مسائل في مفردات الآية..... ٢٩٧
المسألة الأُولى: مناقشة ثلاثة احتمالات أدبيّة في كلمة «الذين» ٢٩٧
الاحتمال الأوّل: «الذين» منصوب محلًا وهو بدل من «من ينصره» ٢٩٧
الاحتمال الثاني: «الذين» وصف للآية السابقة وبدل من «الذين أُخرجوا» ... ٢٩٨
الاحتمال الثالث: «الذين» صفة لـ «المقاتلين والمجاهدين في سبيل الله» ... ٢٩٨
القول المختار في مورد الاحتمالات الثلاثة في «الذين»..... ٢٩٩
البحث الثاني: مناقشة نقطتين في جملة «مكّنّاهُم» ٢٩٩
النقطة الأُولى: بحث لغوي في كلمة «مكّنّ» ٣٠٠
النقطة الثانية: مناقشة مادّة «مكّنة» في القرآن..... ٣٠١
أ) مكّن بمعنى مكان الإستقرار والثبات ٣٠١
ب) مكّن بمعنى الحكم القوي والمستقر..... ٣٠٢
ج) مكّن بمعنى المكان المستقر والثبات..... ٣٠٢
بيان القول المختار بالنسبة لاستعمالات القرآن لمادّة مكن ٣٠٣
البحث الثالث: مناقشة عدّة احتمالات في جملة «في الأرض» ٣٠٣
الاحتمال الأوّل: أنّ « الـ » للعهد ٣٠٣
الاحتمال الثاني: أنّ « الـ » للجنس..... ٣٠٣

القول المختار: في هذين الاحتمالين في البحث الثالث ٣٠٤
مناقشة سبعة احتمالات في «الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ» ٣٠٤
الاحتمال الأوّل: الخلفاء الأربعة فقط ٣٠٥
الاحتمال الثاني: المهاجرين، والأنصار والتابعين ٣٠٦
الاحتمال الثالث: هم أصحاب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ٣٠٦
الاحتمال الرابع: الذين يقيمون الصلوات الخمسة اليوميّة ٣٠٧
الاحتمال الخامس: أُمّة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ٣٠٧
الاحتمال السادس: مطلق الحكّام المسلمين ٣٠٧
الاحتمال السابع: الحكّام المسلمون الذين يملكون المشروعيّة في حكمهم .. ٣٠٨
توضيح آراء المفسّرين من أهل السنّة في الاحتمال الأوّل ومناقشته ٣٠٩
أ) توضيح نظرية الفخر الرازي ٣٠٩
مناقشة قول الفخر الرازي ٣١٠
ب) بيان قول إسماعيل بن كثير ٣١١
ج) قول الآلوسي ٣١١
مناقشة قول الآلوسي ٣١٢
الإشكال الأوّل: تمكّن الخلفاء الأربعة من قبل الله تعالى هو أوّل الكلام ٣١٢
الإشكال الثاني: (إِنْ مَكَّنَّاهُمْ) وصف للجمع لا لأشخاص معينين ٣١٢
الإشكال الثالث: استنباط الخاطيء من الآية وفق نظر أهل السنّة ٣١٤
الإشكال الرابع: المقصود الحكومة على جميع الأرض لا منطقة خاصّة منها . ٣١٥
الإشكال الخامس: إقامة أمور أربعة في جميع الأرض لا على قطعة منها ... ٣١٦
الإشكال السادس: ترك المعروف والاتيان بالمنكرات ٣١٧
الإشكال السابع: عودة ضمير (مَكَّنَّاهُمْ) على «الناس» في الآية السابقة ٣١٨
بيان القول الصحيح في تفسير الآية الشريفة ضمن أربع نقاط: ٣١٩

النقطة الأُولى: التمكين يتحقّق فقط بالإرادة الإلهيّة، لا بالقوّة والتزوير..... ٣١٩
النقطة الثانية: التمكين يراد منه ما بستوعب جميع الأرض لا منطقة خاصّة.. ٣١٩
النقطة الثالث: الإقامة، تعني النشر الصحيح للأمور الأربعة لا مجرّد الاتيان بها ٣١٩
النقطة الرابعة: تطبيق الدين الإسلامي بشكل كامل هو أحد علل فلسفة الظهور ٣٢١
مناقشة روايات عدّة فيما يخصّ الآية ٤١ من سورة الحجّ ٣٢٢
الرواية الأُولى: رواية زياد بن منذر عن الإمام الباقرعليه السلام ٣٢٢
مناقشة سند الرواية ٣٢٢
التحقيق في دلالة الرواية..... ٣٢٣
بيان نقطتين مهمّتين فيما يخصّ حجّية الروايات ٣٢٤
النقطة الأُولى: بيان مسألتين في شموليّة حجيّة خبر الواحد ٣٢٤
المسألة الأُولى: شموليّة أدلّة حجيّة خبر الواحد لغير الأحكام الفقهيّة..... ٣٢٥
المسألة الثانية: عدم شموليّة أدلّة حجيّة خبر الواحد لغير الأحكام الفقهيّة... ٣٢٥
النقطة الثانية: بيان مسألتين في باب حجيّة خبر الواحد ٣٢٥
المسألة الأُولى: الوثوق من حيث السند..... ٣٢٥
المسألة الثانية: الوثوق من حيث الصدور..... ٣٢٦
بيان نقطتين مهمّتين فيما يخّص الرواية الأُولى ٣٢٦
النقطة الأُولى:بحسب وجود قرينة،فالراوي هو محمّد بن عبّاس‌بن مروان... ٣٢٦
النقطة الثانية: اهتمام الأئمّة الأطهار: بدلالة الآية وردّ قول المكذّبين ٣٢٦
الرواية الثانية: رواية عيسى بن داود عن الإمام الكاظمعليه السلام ٣٢٨
التحقيق في سند الرواية ٣٢٨
التحقيق في دلالة الرواية..... ٣٢٨
القول المختار في هذه الرواية..... ٣٣٠
الرواية الثالثة: رواية الحصين بن مخارق عن الإمام الكاظمعليه السلام ٣٣٠

مناقشة سند الرواية ٣٣٠
مناقشة دلالة الرواية ٣٣١
الرواية الرابعة: ٣٣١
الرواية الخامسة: رواية عمرو بن ثابت عن الإمام الحسين عليه السلام ٣٣٢
الرواية السادسة والسابعة من تفسير فرات الكوفي ٣٣٢
الرواية الأُولى: رواية زيد بن عليّ ٣٣٣
مناقشة سند الرواية ٣٣٣
مناقشة دلالة الرواية ٣٣٣
الرواية الثانية: رواية أبي خليفة عن الإمام الباقر عليه السلام ٣٣٣
الأمر الأوّل: إنّ الآية ٤١ من سورة الحج تتحدّث عن الإمام صاحب الزمان عليه السلام ٣٣٤
الأمر الثاني: ٣٣٤
الأمر الثالث: مواجهة الأئمّة المعصومين: فيما يخصّ تطبيق هذه الآية ... ٣٣٤
التذكير بنقطة مهمّة ٣٣٥
مناقشة العلّامة الطباطبائي رحمه الله حول الآية الشريفة ٣٣٦
بيان عدّة نقاط بارزة في كلام العلّامة الطباطبائي رحمه الله ٣٣٦
النقطة الأُولى: الآية الشريفة تبيّن صفة جماعة دون النظر إلى الأشخاص ... ٣٣٦
النقطة الثانية: إنّ الصلاح والسداد هو طبع المسلم ٣٣٧
مناقشة النقطة الثانية في كلام العلّامة الطباطبائي رحمه الله من جهة القول المختار .. ٣٣٧
مناقشة العلّامة الطباطبائي رحمه الله في ردّ قول أهل السنّة بالنسبة للآية ٣٣٨
الجهة الأُولى: ٣٣٨
الجهة الثانية: إنّ حكومة صدر الإسلام مشمولة لهذه الآية ٣٣٩
الجهة الثالثة: إنّ المهاجرين في تاريخ الإسلام لم يشكّلوا مثل هذا المجتمع . ٣٤٠
الجهة الرابعة: ٣٤٠

مناقشة نظريّة العلّامة الطباطبائي من جهة القول المختار ٣٤١
الإشكال الأوّل: مشكلة عموميّة كلام العلّامة ٣٤١
الإشكال الثاني: ٣٤١
الإشكال الثالث: وجود أن الشرطيّة في الآية، تنفي رأي العلّامة ٣٤١
بيان نقطتين ٣٤١
النقطة الأُولى: أهميّة الأمور الأربعة عند الله تعالى ٣٤٢
النقطة الثانية: الوجوب المضاعف للإتيان بالأمور الأربعة بالنسبة للحكومة .. ٣٤٢

(١٠)

المهدويّة محور الوحدة الإسلاميّة ٣٤٥
موضوع البحث ٣٤٥
الأوّل: معرفة مؤامرات أعداء الإسلام ودسائسه المشؤومة ٣٤٦
الثاني: السعي للتبليغ ونشر الوجه الحقيقي للإسلام ٣٤٧
الثالث: تقوية نقاط الاشتراك، أفضل طريق لمواجهة أعداء الإسلام ٣٤٨
أ) القرآن الكريم، الأساس والعامل المشترك للوحدة الإسلاميّة ٣٤٩
ب) المهدويّة أهمّ عقيدة مشتركة في الوحدة الإسلاميّة ٣٥١
بيان ركنين من الأركان المهمّة للوحدة الإسلاميّة ٣٥٤
الركن الأوّل للوحدة الإسلاميّة: حفظ المشتركات الإسلاميّة ٣٥٤
أ) شبهة تحريف القرآن الكريم ٣٥٥
ب) شبهة عدم الرجوع إلى أهل البيت ٣٥٦
الركن الثاني للوحدة الإسلاميّة: التصدي للعدوّ المشترك ٣٥٧
فهرس المنابع والمآخذ ٣٦١
محتويات الكتاب ٣٧٥

سيرة سماحة آية الله الحاج الشيخ محمّد جواد الفاضل اللنكراني (دامت بركاته)
ولد سماحته في عام ١٣٤١ هـ ش مع ذكرى ولادة الإمام الجواد عليه السلام، في مدينة قم المقدّسة، وقد اشترك سماحته وبهمّة عالية في دورس خاصّة لأساتذة الحوزة العلميّة في قم، وأنهى في مدّة قصيرة دروس السطوح، وفي عام ١٣٦١ هـ ش، اشترك في دروس بحث الخارج في الفقه والأصول، واستمر في تلقي العلوم الدينيّة مدّة خمسة عشر سنة لدى والده سماحة آية الله العظمى الحاج الشيخ محمّد فاضل اللنكراني رحمه الله وسائر المراجع العظام، في علوم المعقول والمنقول ومنها الفقه، والأصول، والفلسفة والهيئة، وإلى جانب الدروس الحوزويّة اهتمّ سماحته بأمر التدريس أيضاً، وجلس على كرسي التدريس أكثر من خمسة وعشرين سنة، وحالياً يتولّى أمر تدريس دروس بحث الخارج في الفقه والأصول وقرابة ثمانية عشر سنة، وتميّزت دروس سماحته بأنّها أحد أعمق وأدقّ الدروس بين فضلاء وطلّاب الحوزة العلميّة فقد استفاد الكثير من فضلاء الحوزة من دروسه، ومضافاً إلى التدريس اهتمّ سماحته بكتابة المقالات العلميّة وتأليف الكتب الفقهيّة والأصوليّة والكلاميّة والتفسيريّة، ومن جملة الإمتيازات الأخرى يمكن الإشارة إلى تحقيقاته في المسائل الجديدة مورد الابتلاء، منها بحث جديد في مسألة تأثير الزمان والمكان على الاجتهاد، وكذلك اللقاح الصناعي، وحقّ التأليف، والطواف في الطابق الأوّل من المسجد الحرام، والاستفادة من التلسكوب في رؤية هلال الشهر، وتحقيق فقهي لمسألة أسلحة الدمار الشامل وإجراء الحدود في زمان الغيبة، وطبعاً يمكن الإشارة إلى اهتمامه الجاد بطرح البحوث القرآنيّة وتدريس آيات الأحكام، والآيات المتعلّقة ببحث الخمس، والحجاب، والنكاح والمهدويّة، فكانت هذه البحوث محلّ جدل واهتمام فضلاء الحوزة العلميّة، وجدير بالذكر أنّ دروس سماحة الاستاذ تنشر كلّ يوم بالصوت والصورة من خلال أجهزة النشر: www.fazellankarani.org، ويتمّ وضعها بين يدي الفضلاء والمحقّقين الذين لم تتيسّر لهم الفرصة للمشاركة في هذه الدروس.

سيرة سماحة آية الله العظمى الحاج الشيخ محمّد الفاضل اللنكراني

ولد سماحته عام ١٣١٠ هـ ش في مدينة قم المقدّسة، ومنذ سنوات الطفولة وقع تحت تأثير الجذبة المعنوية لوالده ودخل في سلك رجال الدين، واستمر في تلقي العلوم الدينيّة وطي المدارج الحوزويّة بامتياز حتى وصل إلى دروس بحث الخارج للفقه والأصول، وقد حضر لمدّة إحدى عشر سنة دروس بحث الخارج للفقه والأصول لآية الله العظمى للسيّد البروجردي، واشترك لمدّة تسع سنوات في دروس بحث الخارج للفقه والأصول لسماحة آية الله العظمى الإمام الخميني ونال درجة الاجتهاد وله من العمر ٢٥ سنة، وبعدها انشغل لمدّة طويلة في تدريس دروس السطح للكثير من طلبة العلوم الدينيّة، ثمّ اشتغل بتدريس دروس بحث الخارج للفقه والأصول.

وإلى جانب النشاطات العلميّة، اهتمّ آية الله العظمى الفاضل اللنكراني، ومنذ شروع الإمام الخميني في حركته الثوريّة ونهضته الجهاديّة في عام ١٣٤٠ هـ ش، بالدفاع وبشكل قوي وحاسم عن المواقف السياسيّة والثوريّة للنهضة الإسلاميّة بقيادة الإمام الخميني، واشترك في تأسيس مجمع المدرسين للجوزة العلميّة في قم، وقد تمّ القبض عليه من قِبل السواك (جهاز الأمن الشاهنشاهي) بسبب امضائه لأكثر المنشورات المضادة لحكم الشاه وتمّ تبعيده إلى أن انتصرت الثورة الإسلاميّة، وفي الثمانينات من القرن الماضي بعد انتصار الثورة أصبح سماحته مرجعاً للتقليد بتأييد غالبية جماعة المدرسين وعلماء الحوزة العلميّة وبوصفه أوّل مرجع لدى عامّة الناس، وإلى جانب تربية طلّاب العلوم الدينيّة الذين أضحى الكثير منهم من المدرسين البارزين للسطوح العالية ودروس بحث الخارج للحوزة العلميّة، اهتمّ سماحته بتأليف كتب كثيرة، منها: كتاب «تفصيل الشريعة» وهو شرح من ٢٧ مجلداً على كتاب «تحرير الوسيلة للإمام الخميني»، وأخيراً وبعد ٧٦ سنة من البحث العلمي والجهد الديني رحل عن هذه الدنيا الفانية في يوم ٢٦ من خرداد ١٣٨٦ هـ ش، وتمّ تشييع جثمانه الطاهر في يوم ٢٧ من خرداد المصادف لشهادة فاطمة الزهراء عليها السلام وبحضور مليوني مهيب ودفن في الحرم المطهّر للسيّدة فاطمة المعصومة عليها السلام.

سيرة سماحة آية الله الحاج الشيخ عبدالله الفاضل اللنكراني

ولد سماحته في عام ١٢٧٥ هـ ش، في منطقة اركوان التي تقع على مشارف مدينة لنكران في جمهورية آذربايجان، وكان والده المرحوم الحاج بشير الاركواني اللنكراني، وهذا العالم الرباني تعلّم في البداية علوم الأدب في موطنه، ثمّ توجّه لادامة تحصيله الدراسي إلى الحوزة العلميّة في أردبيل، وبقي هناك لمدّة أربع سنوات منشغلاً في الدرس والتحصيل العلمي، ثمّ توجّه بعدها إلى مدينة زنجان وأقام فيها ثلاث سنوات حيث أكمل فيها دروس السطح للفقه والأصول، ثمّ وفي عام ١٢٩٦ هـ ش عاد إلىٰ منطقة القفقاز، ولكن بسبب الثورة الروسيّة لم يتوفّر له مجال للإقامة والبقاء في هذه المنطقة إلى أن توجّه في عام ١٢٩٧ هـ ش إلى مدينة مشهد المقدّسة واشتغل فيها في تلقي دروس الفقه والأصول لمدّة ثلاث سنوات، ثمّ بعد سنة واحدة من تأسيس الحوزة العلميّة في قمّ المقدّسة اشترك في دروس الخارج للفقه والأصول لمؤسس الحوزة العلميّة في قم سماحة آية الله العظمى الشيخ الحائري اليزدي، ثمّ اشترك في دروس آية الله العظمى الحاج السيّد البروجردي وصار بوصفه أحد أبرز أصحاب الفتوى لديه وفي ذات الوقت اشتغل بتدريس بحوث الخارج للفقه والأصول وتأليف الكتب المختلفة منها الحاشية على كتاب «درر الفوائد» لاستاذه، وأخيراً وبطلب من أهالي نكران، كتب رسالته العمليّة وفتاواه باسم «نهاية الأحكام» ووضعها بين يدي مقلديه.

وقد تزوّج هذا الفقيه الكبير بشبابه من بنت الورع آية الله السيّد عباس الفقيه المبرقع الرضوي، وكانت الثمرة الرابعة لهذا الزواج المبارك هو آية الله العظمى الحاج الشيخ محمّد الفاضل اللنكراني.

وأخيراً وبعد عمر مديد من الجهاد العلمي والسعي المضني في طريق نشر وتقويّة مذهب أهل البيت، رحل سماحته من هذه الدنيا الفانية في يوم الخميس العاشر من فروردين سنة ١٣٥١ هـ ش، وله من العمر ٧٨ سنة في مدينة قم المقدسّة ودفن إلى جانب الجدار الجنوبي لمقبرة شيخان.